الماس والرماد

ميخائيل باختين

في حوار مع

فيكتور دوفاكين



2649

ترجمة: أنور محمد إبراهيم

المركز القومي للترجمة

الماس والرماد

ميخائيل باختين فى حوار مع فيكتور دوفاكين

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2649
- الماس والرماد: ميخائيل باختين فى حوار مع فيكتور دوفاكين
- أنور محمد إبراهيم
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:

М.М. Бахтин: Беседы с В.Д.Дувакиным

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الماس والرماد

ميخائيل باختين
فى حوار مع
فيكتور دوفاكين

ترجمة : أنور محمد إبراهيم

2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الماس والرماد: ميخائيل باختين فى حوار مع فيكتـور دوفـاكين/
ترجمة: أنور محمد إبراهيم
ط ١ – القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥
٦١٢ ص، ٢٤ سم
١ – الفلاسفة الروس
(أ) إبراهيم، أنور محمد (مترجم)
(ب) العنوان ٩٢١,١

رقم الإيداع ١٦٩٧٨ / ٢٠١٤

الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978-977- 718 - 815- 9

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

صروف الدهر

أليس في نيتك كتابة مذكراتك؟

لا ... لا أنوي.

السؤال لفيكتور ديمترييفتش دوفاكين، والإجابة لميخائيل ميخايلوفيتش باختين في آخر حوار أُجري معه.

تميز باختين، من بين العديد من العقول الروسية الرائعة، في القرن العشرين، بأنه لم يكتب أية مذكرات، سواء عن حياته الخاصة، أو عن رفاقه الأقربين، وأذكر أنه قال بعد وفاة ماريا فْنيامينوفنا يودينا – صديقته الأثيرة منذ شبابهما المبكر – في معرض إجابتـــه عـــن الرجاء، الذي نقلتُه إليه من أ. م. كوزنيتسوف بأن يكتب ذكرياته عنها: "لم تكن يودينا في يوم من الأيام شخصية ذات صفة رسمية؛ لذا لا يمكن سرد أية ذكريات رسمية عنها".

وعلى الرغم من أن الكتاب الذي أعده أ. م. كوزنيتسوف[1] عنها تميز باحتوائه على مواد غاية في الثراء، وأنه لم يكن – بطبيعة الحال – كتابًا رسميا، فإننا نشعر أن ميخائيل باختين إنما أراد بكلماته تلك أن يعبر عن فكرة خاصة لديه؛ فقد كانت ماريا يودينا – من وجهة نظره – تنتمي إلى تلك الفئة من المثقفين الغامضين المتوارين في الظل، والذين كان باختين نفسه ينتمي إليهم.

---

(١) ماريا فنيامينوفنا يودينا، مقالات، ذكريات، مولد، موسكو، ١٩٧٨.

في محاوراته مع فيكتور دوفاكين يحكي باختين عمن تركوا انطباعًا لديه ممن التقى بهم، أو تابعهم مثل: فيتشيسلاف إيفانوف، ديمتري ميرجيكوفسكي، زيانيدا جيبيوس، إيفان بونين، ألكسندر بلوك، فلاديمير ماياكوفسكي، بوريس باسترناك، ومع أن علاقته بهذه الشخصيات – المهمة في عصره – لم تكن وطيدة، أو بعبارة أخرى أن علاقته بالحلقات الأدبية في العشرينيات – الحلقات التي ضمت مشاهير الشكلانيين – لم تكن وثيقة، فإن ميخائيل باختين يؤكد في محاوراته، أنه كان ينتسب إلى حلقة أخرى، لم يكن أيضًا على اتصال مباشر بها، من المستحيل بالطبع ربط الشكلانيين بأي تمثيل رسمي، وإن كانوا مع ذلك نشطين للغاية، وكان نشاطهم جليا ومسموعًا.

وعلى الرغم من أن أعمال باختين التي أنجزها في عشرينيات القرن العشرين، في مجال الأدب والفلسفة، لم تكن منشورة بالأساس؛ فقد كلفه هذا النشاط الخافت الذي كان لا يتجاوز المشاركة في الحلقات العلمية التي تعقد في المنازل، مغبة الاعتقال وصدور العديد من أحكام السجن في حقه، ولعل انتماءه إلى طبقة المثقفين المتوارين في الظل، هو ما دفعه إلى استخدام مصطلح "المثقفين غير الرسميين"، ويندرج تحت هذا المعنى كل الأشخاص الذين تناولهم سرده البيوجرافي، والذين يكونون حلقتهم الحميمة الضيقة، مثل: يودينا، بومبيانسكي، كاجان، ماير، فاجينوف، وهؤلاء تميزوا بأنهم كانوا يُكوِّنون الطبقة السفلى من تيار ثقافي كان يموج به هذا العصر، وأنهم لم يقووا على الظهور ومواجهة سطحه الهادر؛ لذا لم يكونوا ظاهرين في مقدمة المشهد الثقافي آنذاك، إلا أن أسماءهم برزت مؤخرًا لتشغل مكانة

رفيعة لدى الرأي العام، وقد حدث هذا في حياة باختين نفسه، قبل ذلك بزمن قليل، ولكن الرجل ظهر على سطح الأحداث بكتابيه عن دستويفسكي ورابليه في الستينيات، وكأنما بُعث من العدم الأدبي والعلمي المطلق.

لم يكتب باختين أية مذكرات، وإنما يرجع الفضل الأكبر إلى فيكتور دوفاكين، الذي استطاع أن يستلّ منه نسبيًا الخيط الواصل بين "الحياة والقدر"، وبين الوجوه العابرة والاستطرادات التي تأتي على صورة التأملات، باستطاعتنا أن نستشعر – استنادًا إلى نص التسجيل – أن الأمر لم يكن يسيرًا، كان باختين يتعامل مع جميع محاولات إجراء "أحاديث" معه، وقد ازدادت هذه الأحاديث في السنوات الأخيرة من حياته، وخاصة في وجود التقنيات الحديثة، باعتبارها من أعمال العنف، وعلى الرغم من ذلك كان الرجل يستسلم لها بأدب جم. يقدم لنا ب. ف. يجوروف الباحث الأدبي من بطرسبورج تلك القصة القصيرة التي وقعت في أثناء وجوده عند باختين، وكيف ظهر هناك صحفيان بولنديان قاما بترتيب معدات التسجيل في المكان، ثم "كادا أن يدسا بالميكروفون في فم باختين، ثم راحا ينهالان عليه بالأسئلة ــ التي كان باختين يجيب عليها ببطء واختصار وعزلة، وقد أخذ منه التعب والإجهاد كل مأخذ"(٢).

في عالم مراسلي الصحف، وأجهزة التسجيل كان باختين يبدو رجلا طاعنًا في السن، رجلا من طراز عفا عليه الدهر، وحيدًا، حائرًا.

(٢) المنتخب من باختين، الجزء الأول، موسكو، ١٩٩٠، ص٦.

وعلى هذا النحو أيضًا، كان باختين يبدو لنا بعض الشيء في حواره مع دوفاكين، أقول بعض الشيء؛ لأن دوفاكين نجح في تحويل "الحديث" إلى "محاورة"، دافعًا محدثه الشيق إلى الاسترسال في الحديث؛ ليجعله يجيب عن الأسئلة، دون إحساس بالعزلة أو التصرف بأدب مفرط، وإنما عن رضا، بل وبطلاقة وحسن بيان، بدأت هذه المحاورات في مطلع عام ١٩٧٣، في فترة ليست الأسوأ في سنواته الأخيرة، لكنها على وجه العموم كانت زمنًا للقهر الروحي، الذي حل به بعد وفاة زوجته في ديسمبر ١٩٧١، والذي لم يتركه بعد ذلك أبدًا.

وحتى جسده طرأ عليه تغير حاد مفاجئ؛ فاعتراه نحول شديد، وفقد نصف وزنه، واكتسى وجهه بأثر المعاناة (وقد نقلها الرسام يوري سليفيرستوف في البورتريه الشهير الذي رسمه له)، وفي الصور الفوتوغرافية الموجودة في هذه الطبعة من الكتاب يمكن أن نقارن باختين المحاور بهذا الشخص الذي كان بدينًا للغاية عامي ١٩٧٠ و١٩٧١.

من الممكن أن يغيب اسم شيلنج عن ذاكرة باختين، وهو يحاور دوفاكين؛ فيضطر آسفًا أن يقول: "ذلك الفيلسوف العظيم"، "الذي جاء بعد هيجل"، "الذي يشبه اسمه اسمي"، قريبًا سأنسى اسمي أنا أيضًا"، كلها عبارات كانت تعكس حالته آنذاك، لكن هذا الشيخ، الذي زاده العمر وهنًا على وهن، والذي لا يكاد يذكر اسم شيلنج كان هو أيضًا "فيلسوفًا عظيمًا"، وما زلنا نعتبره معاصرًا لنا، وقد مضت معظم سني عمره على خلفية تاريخنا بأحداثه المدوية في هذا الظل الذي لا نعلم عنه إلا قليلا.

وبالنسبة لحياة باختين، فقد سارت على نحو اتسم بالغرابة، تمامًا مثل النصوص التي كتبها.

ومنذ بضع سنوات مضت، كانت "العلانية" قد ظهرت لتوها (في عام ١٩٨٦ تحديدًا) تساءل س. أفيرنتسيف، في معرض حديثه عن عدم إصدار (آنذاك) أعمال ب. فلورنسكي، قائلا: "لماذا لم تصل إلينا من أعمال فيلسوف القرن العشرين سوى أجزاء متفرقة كالتي وصلت إلينا من الأيونيين ما قبل سقراط؟"[٣] ولكن حتى ما وصل إلينا من باختين في طبعته الكاملة، لم يكن سوى مقاطع من أعمال لم تكتمل، فالعملان الفلسفيان الكبيران والرئيسيان، اللذان ظهرا في العشرينيات من القرن العشرين يتسمان باتساع المضمون، ولكنهما يبقيان مع ذلك مجرد مقاطع من أعمال، إما لم تكتمل، وإما توقف المؤلف عن استكمالها، مثل: "الكاتب والبطل في النشاط الإبداعي"، أو بلا بداية ولا نهاية؛ حيث فقد الكثير منها مثل: "نحو فلسفة الفعل"، وحتى سيرة ميخائيل باختين لم تكن سوى مقتطفات وثغرات وألغاز، قليل من الوثائق أمكن الاحتفاظ بها، أما المذكرات فليس هناك أثر يُذكر لها تقريبًا، (كل ما كتب عن باختين من مذكرات إنما ينسب إلى أناس لم يعرفوه إلا في سنوات عمره الأخيرة، في الستينيات).

وبفضل فيكتور دوفاكين يرسم لنا باختين نفسه هذه اللوحة الشاملة للطريق الذي سار فيه عبر عصره، هذه اللوحة التي لن نجدها في أية مصادر أخرى. لم يتحدث ميخائيل باختين إلى أي شخص على هذا النحو من التفصيل عن أسرته وعن مدرسيه في المرحلتين الثانوية والجامعية، عن جامعة بطرسبورج قبل الثورة وبعدها (لم نكن نعرف سوى قليل جدًا عن جامعة بطرسبورج، وأيضًا عن جامعة موسكو في تلك الفترة، وفي هذا

---

(٣) س. أفيرنتسيف، محاولات للتفسير، موسكو، ١٩٨٨، ص ٣٥.

السياق يتطابق ما يقصه علينا باختين مع مذكرات أ. م. فرايدنبرج عن الفترة التي تلت ذلك بقليل في كلية الدراسات التاريخية والأدبية نفسها، والتي كان باختين قد تركها لتوّه متخرجًا في قسم الفلسفة، الذي تخرج فيه العلماء البارزون: أ. فيدينسكي، ن. لوسكي، إ. لابشين[٤]، وفي محاوراته يقص علينا باختين أيضًا عن العديد من المشاهير وفق تصوراته، وبقدر كبير من التحفظ، وعن آخرين أقل شهرة، ولكن أشد قربًا إليه. لقد رفض باختين أن يكتب (لدور النشر) مذكرات "رسمية" عن يودينا، ولكنه في هذه المحاورات يتذكرها بحماس، ويتحدث عنها بحيوية وباستفاضة، ليعطينا صورة غير رسمية عنها تمثل مادة ثرية من تاريخ حياة هذه المرأة الرائعة لم تكتب من قبل. إن ما نكاد نراه رؤيا العين ونحن نقرأ ما تم تسجيله في المحاورة الأخيرة، إنما هو مشهد من تاريخ الفلسفة الروسية: ها هو باختين ذو الثلاثة والعشرين ربيعًا، يأخذنا في نزهة على ضفاف "بحيرة الواقع الأخلاقي" على أطراف مدينة نيفيل، يطرح خلالها على يودينا ذات التسعة عشر ربيعًا، وعلى بومبيانسكي الذي يكبر كليهما قليلا مبادئ فلسفته الأخلاقية. بالطبع، فإنه مشهد من التاريخ غير الرسمي للفلسفة الروسية؛ فعلى امتداد عقود طويلة لم تكن فلسفة الفعل عند باختين المبكر تجد حفاوة من الأجيال التالية، ولم تصل إلينا هذه الفلسفة إلا منذ فترة وجيزة بعد موت صاحبها.

أمور كثيرة مما قصَّه باختين على دوفاكين لم نكن لنعرفها لولا هذه المحاورات: على سبيل المثال، كنا نعرف فقط أن كازيمير ماليفيتش كان من

---

(٤) انظر: أ. م. فرايندبرج، سنوات الجامعة، مجلة "تشيلوفيك" (الإنسان)، ١٩٩١، العدد رقم (٣)، ص ١٤٥: ١٥٦.

بين معارف باختين في فيتيبسك، ولكننا لم نكن لنتصور إلى أي درجة كانت هذه المعرفة إلا بفضل هذه المحاورات (لا يهم أن ميخائيل باختين لم يعرف على وجه الدقة ما حدث في حياة هذا الفنان بعد ذلك خارج فيتيبسك التي جمعتهما معًا)، وسوف نجد بعض الإضافات لبعض المقاطع من حديث ميخائيل باختين جاءت على هيئة ملاحظات على النص المنشور، وهي في الأصل مقاطع من أحاديث لباختين سجلها مع آخرين.

وكثيرًا ما دعا فيكتور دوفاكين ميخائيل باختين لإلقاء بعض الشعر خلال إجرائه للحوار، وقد يكون من الملائم هنا أن أذكر شيئًا ما على وجه الخصوص: ما زلت أنا أيضًا أذكره، وهو يلقي الشعر لوقت طويل، وبشغف بالغ، ويمكنني القول إن هذه اللحظات كانت من أمتع اللحظات، وأحبها إلى نفسه، ثلاثة شعراء كان يحلو له إلقاء قصائدهم أكثر من غيرهم: إينوكينتى أنينسكي، فيتشيسلاف إيفانوف وألكسندر بلوك، وبطبيعة الحال بوشكين، وجوكوفسكي، وذات مرة إذا به فجأة، في سياق حديث له يلقي بقصيدة "لقاء مفاجيء"، وهي من أعمال جيبيل، وهي قصيدة شعرية تكاد تكون مجهولة، ومنها: "في البرتغال دُمرت لشبونة عن آخرها بشكل مخيف// لقد حل بها الزلزال؛ قضى الإمبراطور فرانس نحبه، وتم تدمير الوسام اليسوعي// واختفت بولندا..."، كما كان يلقي الشعر باللغتين الألمانية والفرنسية، ***"Sagt es niemand"***، ومقطع طويل من "هيرمان ودوروثي" لجوته ***"L'art poetique"*** لـڤيرلين، ***"Corrspondances"*** ، و***"La vie antérievre"*** لبودلير.

سنجد عند باختين مفهوم "صروف الدهر" ضمن مصطلحاته الفلسفية، والدهر عنده ليس تصنيفًا مجردًا، وإنما هو حدث حي متفاعل، "الحياة

الوحيدة التي أعايشها من داخلي مع العوالم الموجودة لدى الآخــرين". إنهــا الحدث الذي يتم فيه ليس فقط وجودنا الفردي، وإنما أيضًا "حقيقة تفاعلنــا"، يقــول باختيــن: "أنا موجود في الكون، باعتباره حدثًا". في هذه المحاورات لا يتحدث باختين عن فلسفته إطلاقًا بلغة متعالية يكتنفها الغمــوض *esoteric*، ولكنه يتحدث بلغة إنسانية سهلة، لغة تكاد تكون لغة الحياة اليومية المعتــادة، ولكن إبان حديثه البسيط، ومع "دوران جهاز التسجيل" تتدفق أحــداث حيــاة المفكر الكبير الذي "عاش بيننا"، والذي تفاعل مع رفاقه التاريخيين وعاصر شتى الأزمات، وشق طريقه خلالها.

س.ج. بوتشاروف

فيكتور دوفاكين الخالد

قضى فيكتور ديمترييفيتش دوفاكين نصف عمره يعمل في كليـــة الآداب بجامعة موسكو، وعندما جرى تدبير محاكمة الشاعرين سينيافـسكي ودانييــل كانت قد تبقت له سنوات ثلاث ليحال بعدها إلى المعاش، كان الرجل يبدو لنـــا آنذاك، نحن آخر تلاميذه، عجوزًا جدا، وكيف لا وقد حضر جنـــازة يـسينين وقابل ماياكوفسكي مرتين...

لم يكن بإمكان هذا الرجل، صاحب البدن الممتلئ والخطـــو البطـــيء، شارد اللب بحكم مهنته، أن يتجنب الطرائف والملـــح التـــي راح الظرفـــاء ينثرونها حوله، وكان يتقبل نجاحهم في هذا المضمار بتسامح عذب وطيـــب خاطر ودون مُوجدة، بل وبسرور واضح لا يخفى على أحد. كان الطـــلاب يغنون معبرين عن نفاد صبرهم في انتظاره في حديقة الجامعة صائحين:

اقترب الليل من منتصفه

ودوفاكين لم يظهر بعد...

فيكتور دو، فيكتور دو

أخبرونا إن وجدتموه!

على هذا النحو كانت فرقـــة الطـــلاب الهـــواة المتحمـــسين لـــشعر ماياكوفسكي يحاكون الشاعر الكبير ارتجالا.

لكن فيكتور دوفاكين كان يفضل من بين كل هذا "الفولكلـور" الكبيـر الذي تكون عنه تلك المقولة التي قيلت في زمن ما قبل الحرب، أيام المتحف الأدبي: "دوفاكين تذكر ما نسيه، ونسي ما تذكره"

بدأ أول حديث لي مع دوفاكين بهذا السؤال الغامض:

- يخيل لي أنك من عائلة كوزلوف؟

فأجبت باقتضاب:

- لا، أنا من ضواحي فينيسيا.

كان كلما تذكر هذه الإجابة يشعر بالغبطة وكأنما تلقى هدية؛ فسرعان ما كانت البسمة تضيء وجهه، ثم يروح يتقمص متلذذًا بعبارة حادة يستدعيها من ترسانة ماياكوفسكي: "وكيف يبصقون في فينيسيا؟". إن التذكر نوع مـن الولع، وكان دوفاكين ينسى ما شاء له النسيان، ولكنه أبدًا لا ينـسى سـطرًا واحدًا لشاعره المفضل، كان فيكتور دوفاكين مستعدا أن يستخدم بيتًا ما مـن ديـرجافين بشيء من الفظاظة، أو يختطف مزقة من نص لألكسي تولستوي، أو أن يحاكي إيجور سيفريانين، أو يدندن بشيء من باسترناك... ولكنه كان دائمًا ما يتلو أشعار ماياكوفسكي بحماس وحمية شديدين، من أجل أن يـشعر بالدفء، يفعل ذلك عند الحاجة، وبشهية بالغة، وكأنما يلـتهم تفاحـة، كـان دوفاكين مولعًا بماياكوفسكي دون قيد أو شرط، ولهذا كان يحفظ أشعاره طولا وعرضًا، ولأنه كان يحبه بهذا القدر؛ فقد كان بإمكانه أن يستحـضره مـن ذاكرته، واختار أن يدرسه، ويحلل قصائده بيتًا بيتًا، ثم يفسرها ويعلق عليها.

عندما كنت طالبًا في الفصل الخامس أحضرت لفيكتور دوفاكين خمسة عشر مقالا مجهولا لماياكوفسكي موقعة بأسماء مستعارة عديدة، فـي ذلـك

الوقت كانت الأعمال الكاملة للشاعر في ثلاثة مجلدات تتخذ لها مكانًا ثابتًا على أرفف المكتبات. ومن ثم، فإن هذه "اللقية" التي عثر عليها مؤخرًا "أحد الطلاب" يمكن أن تبدو أمرًا غير واقعي بالمرة، وعلى الفور استدعى فيكتور دوفاكين فارفارا أفيتوفنا أروتشيفا، وهي امرأة عملت لسنوات طويلة على تحقيق مخطوطات ماياكوفسكي، وراح الاثنان يمزقاني إربًا كما لم يفعل بي أحد إطلاقًا فيما بعد، بهدف التأكد من صحة ما عثرت عليه، وعندما كنت أقص هذه الواقعة على رودولف دوجانوف لاحقا – وقد غاب الآن عن عالمنا – إذا به يصيح قائلا: "طبيعي أن يفعل هذا! إن دوفاكين رجل يحفظ ماياكوفسكي عن ظهر قلب، فإذا ما تعلق الأمر بموافقته على نصوص جديدة؛ فهو يرى أن لزامًا عليه أن يستظهرها كما فعل من قبل، على أن الأمر هنا كان مختلفًا؛ فهذه لم تكن قصائد شعرية، لكن نثرًا، وليس بضعة سطور من النثر، بل صفحات منه يبلغ طولها بضعة أمتار، وبعد عامين أصدرنا ورودولف دوجانوف كتابًا مشتركًا أهداه رودولف "إلى فيكتور دوفاكين الخالد...".

لقد أصبح "خلود" فيكتور دوفاكين أمرًا بديهيا بالنسبة إلى كثير من الناس، وذلك عندما صدر في شهر فبراير من عام ١٩٦٦ الحكم بإدانة أندريه سينيافسكي، تلميذه السابق في الحلقة الدراسية عن ماياكوفسكي؛ فعندما استُدعي دوفاكين للإدلاء بشهادته أعلن في المحكمة ما كان يمكن أن يقوله في بيته أو في قسمه بكليته أو على طلبته في المحاضرة، كان يتذكر أندريوشا(*) منذ ظهوره في المحاضرات الأولى، عندما كان يبدو آنذاك

(*) أندريوشا: اسم التدليل لأندريه. (المترجم).

كلاسيكيا قحا مثل فرخ بط كريه، لكن الأيام تعاقبت، ومرت السنون، وتحول فرخ البط الكريه إلى بجعة بيضاء رائعة الجمال... لقد اضطر القاضـــي لأن يوقف الشاهد عن الاستمرار في الحديث؛ إذ كان من المفترض أن تنهال هنا في هذا المكان الكئيب على رأس سينيافسكي ودانييل صفات مثل تلك التـــي أطلقتها عليهما الصحف علـــى شـــاكلة: الحثالـــة، المـــارقون، الهجـــاعون، الممسوخون أخلاقيا ــ ورثة سمردياكوف(*)... ولو أراد دوفاكين لاستفاد مـــن ورائهما، ولو أنه ألقى بتلميذيه خلف القضبان، لكان بذلك قـــد أدى واجبـــه باعتباره معلمًا سوفيتيًا، ولأصبح بذلك مصدر فخر لزملائه في كلية الآداب. ولكن بسبب موقفه هذا، فقد أدانه المجلس العلمي بالإجماع، وطالبوا بعزلـــه لعدم صلاحيته للمنصب الذي يشغله. وكنا طوال فترة اجتماع هذا المجلـــس نقف وراء الأبواب يضنينا القلق. وعندما خرج فيكتور دوفاكين راحت زينا نوفليانسكايا تهز رأسها في عناد وهي تقول: "أنت حقا الرجل المناسب لنا".

وبعد شهرين تمت المرافعة، وبعدها أطاحوا بنا كل إلى مكان ما؛ أنا مـــثلا أرسلت للتدريس في إحدى القرى في الأورال، في مستعمرة للأطفال. وقد وصف ليونيد جابيشيف هذه القرية في قصة "أوبليان، أو نسيم الحرية". وقد أرسل فيكتور دوفاكين بصورته لي في هذه القرية ومعها بيت من قصيدة لماياكوفسكي يقـــول: "تجلس بانتظارك، أيها الرفيق طائر، لماذا لا تحلق قادمًا إلينا؟".

وذات يوم، وكنا نحتفل في منزل دوفاكين بعيد ميلاد الراحل يـــوري أيخنفالد الذي راح يسخر من أحد المنشقين الذي افتضح أمره: لـــيس لديـــه ضمير عادل، وإنما يتغندر مدنيًا. بالنسبة لفيكتور دوفاكين فإنني أعتقد أنه ليس

(*) سمردياكوف: بطل من أبطال دستويفسكي في رواية "الأخوة كارامازوف". (المترجم)

لديه هو الآخر ضمير مدني. إنه لا يبحث عن مغامرات، وإنما كان يريــد أن يحيا في انسجام مع نفسه.

بعد طرد دوفاكين من الجامعة التي عمل بها سبعة وعشرين عامًا دونما شائبة تشوب عمله، فوجئ، بدعوة من إيفان جريجوريفيتش بتروفسكي – رئيس جامعة موسكو آنذاك – للقيام بعمل "بسيط" يناسب أستاذ "مغضوب عليه"، وهو تسجيل ذكريات المسنين من المثقفين عن الحياة الثقافية في العقود الأولى من القرن على جهاز تسجيل.

لقد تبين أن دوفاكين لم ينس إطلاقًا العمل الذي كان يقوم به في ثلاثينيات القرن العشرين في المتحف الأدبي. آنذاك كان يتحدث عن ماياكوفسكي مع أصدقائه ومعارفه وشركائه في الفكر وموظفيه، وكذلك معجبيه بمصاحبة مختزل.

بطبيعة الحال، فقد بدأ فيكتور دوفاكين تسجيلاته بسؤال الذين أحــاطوا بماياكوفسكي، ودون أن يغيب شاعره عن فكره راح يسأل عن بلوك ويسينين وجوركي ومايرخولد وبابل وباسترناك وتسفيتايفا... ثم استمر في عمله ليقوم بتسجيلات عن الحلقات الأدبية والمقاهي الفنية والمعارض والمــؤتمرات ... ثم شرع، بناء على مشورة إيفان بتروفسكي، في تسجيل الأحاديث مع علماء العلوم الطبيعية أيضًا.

"اجمعوا التاريخ"، كانت هذه دعوة ماياكوفسكي. وحتى عنــدما ابتعــد دوفاكين عن ماياكوفسكي، ظلا معًا. بالمناسبة عنــدما جــرت الاحتفــالات التذكارية بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد ماياكوفــسكي، ومــا إن تطــرق

الحديث عن مريدي هذا الشاعر الكبير حتى دوت من القاعة صيحة ستانيسلاف ليسنيفسكي المتحمس تقول: إن دوفاكين هو المريد الحقيقي لماياكوفسكي.

في أوبنينسك سجل دوفاكين لتيموفيف ريسوفسكي، وفي فلاديمير سجل لشولجين، وفي شارع كراسنوأرميسكايا في موسكو سجل مع ميخائيل ميخايلوفيتش باختين ...

عكف دوفاكين على توثيق عمله لفترة امتدت خمسة عشر عامًا؛ فقد كان من بين ما جمعه أمور كانت مثارًا للجدل ناهيك عن الشك؛ فقد صرح باسترناك في أحد أحاديثه الأخيرة "أنه لم يمس ... بسبب سوء العمل في دواوين الحكومة"، ولعله السبب نفسه الذي أنقذ "رصيد" دوفاكين من هذه التسجيلات الصوتية النادرة.

بالطبع لم يخل عمل فيكتور دوفاكين من بعض الأمور التي اتسمت بالغرابة. على سبيل المثال، فقد فشل أحد أصحاب المذكرات، وهو رجل طاعن في السن، في تذكر سنة ميلاده ومحلها.

وفي ربيع عام ١٩٧٤ وصلتُ إلى شارع كراسنوأرميسكايا، حيث يسكن ميخائيل باختين مقتفيًا في ذلك أثر دوفاكين، لكي أجري اتفاقًا يقوم ميخائيل باختين بموجبه بإجراء حوار مع يوري لوتمان للصحيفة الأدبية. كان باختين جالسًا في مقعده خلف طاولة مفروشة بالكتب، وقد وضع عكازيه إلى جانبه. وهنا قفزت قطته من رف النافذة لتسير بضع خطوات عبر الغرفة، ثم تستقر إلى جوار صاحبها. يذكر سيرجي أفرينتسيف، في معرض ذكرياته عن باختين، أن الأخير كان يفضل القطط على الكلاب، معتبرًا أن الكلاب لها

نظرة سطحية للأمور، أما القطط فتفكر بعمق. كان لديه العديد من القطط، وعن قطه المفضل قال "إنه قط يعيش في معبد".

لم تكن الصحيفة الأدبية تعترف بالأحاديث التي تجرى بين أطراف ينفخون في نفس المزمار؛ فقد كانت الصحف مليئة بالتعبيرات الشائعة من مثل: "أتفق معك تمامًا!" أو "هذا ما أردت أن أقوله بالضبط!". وقد سألت ميخائيل باختين بشيء من التوجس إن كان بنيته أن يدخل في جدال فكري مع يوري لوتمان، فأجاب باختين: "بالطبع؛ فأنا لست بنيويًا".

للأسف كان يشعر أن صحته ليست على ما يرام. كان الجو رطبًا، وكان يشكو من اعتلال رئتيه. لكن الصيف كان على الأبواب، وبدا أن صحته سوف تتحسن، ولكن الصيف جاء على غير ما يهوى؛ إذ ظلت الأمطار تهطل طوال الوقت، ولم يتم إجراء الحديث، على الرغم من أنني لم أتأخر إلا قليلا.

مثل هذه الأمور تحدث. لقد تأخر دوفاكين أيضًا كثيرًا. وهو أمر لا يثير الدهشة، فقد راح الرجل يعمل في سباق مع الموت. وإن كان من المُحال إنقاذ أحد من براثن الموت، بطبيعة الحال، فقد استطاع دوفاكين أن ينقذ الكثير من براثن النسيان.

... بانتهاء عمله في الجامعة أهدى فيكتور دوفاكين كلا منا ديوان ماياكوفسكي بتعليقاته. وقد كتب لكل واحد منا على الصفحة الأولى من كتابه إهداءً. كان من نصيب فاليا مارتينوفا هذا البيت الذي يقول: "اسمعوا! إن كانت هناك ثمة نجوم تضيء في السماء، فإن هذا معناه أنها ضرورية لأحد

ما". وكتب لمارينا "يا طفلتي، إننا نشبه الجياد قليلا، وكل منا جـواد علـى طريقته". وكتب لي: "ابحث عن جذرك وعن فعلك، وخض في غياهب فقـه اللغة والأدب، انظر إلى الحياة دون نظارات أو غمامة"(*).

وما زلت أسعى جاهدًا، وإن كنت لا أرى في الحقيقة شيئًا إذا نزعت عن عيني نظارتي.

ف. ف. رادزيشيفسكي

(*) الإهداءات أبيات من ديوان "اسمعوا!"، للشاعر فلاديمير ماياكوفسكي. (المترجم)

كلمة الناشرين

بين يديك أيها القارئ الطبعة الثانية التي تم إعدادها لتواكب الذكرى المئوية لميلاد ميخائيل ميخايلوفيتش باختين، والتي صدرت عام ١٩٩٦. في البداية نشرت "أحاديث مع باختين" في مجلة "تشيلوفيك" (الإنسان) في الفترة ما بين عامي ١٩٩٣ و١٩٩٥. والقراء مدينون في هذه الطبعة إلى حد كبير لمحررة المجلة ناتاليا إيفانوفنا دوبروفينا.

يقوم هذا الكتاب على ستة أحاديث، جرت بمبادرة من فيكتور دوفاكين في شقة ميخائيل باختين في موسكو، وفي حضور م. ف. رادزيشيفسكايا. فيكتور ديمترييفتش دوفاكين (١٩٠٩ – ١٩٨٢) باحث في الدراسات الأدبية، مُعلم، عالم في الأرشيف، عمل بجامعة موسكو ما يزيد عن أربعين عامًا. ألَّف عددًا من الكتب عن إبداع ماياكوفسكي[١]، مؤسس صندوق المذكرات الشفهية في تاريخ الثقافة الروسية في الثلث الأول من القرن العشرين[٢].

يكتب أحد الذين أجرى فيكتور ديمترييفتش دوفاكين معه حديثًا في مذكراته قائلا: كان رجلا ينفتح القلب له؛ لأنه هو نفسه كان صريحًا، ربما

---

(١) السعادة المثلى يقدمها الفنان، موسكو، ١٩٦٤

Rostafenster Majakowski als Dichter und bildender Kunster, Dresden, 1967.

طبعة ثانية *1975*.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن هذا الصندوق انظر: عن عملي في قسم الإعلام العلمي بجامعة موسكو، في المنتخب: الكتاب الأركيوجرافي السنوي، عن عام ١٩٨٩، دار نشر ناؤوكا، ١٩٩٠.

لهذا السبب نجح فيما بدا أنها أمور مستحيلة: أن تتحدث وتسجل على جهاز تسجيل ذكريات أكثر من ٣٠٠ شخص، أن تدير ما يزيد عن ٦٠٠ حديث، وأن ترسم، بعد أن تجمعت لديك هذه المجموعة النادرة، صورة مدهشة متنوعة لجيلك. لم يتعب دوفاكين من كثرة ترداده لقوله "مهمتي التالية إنقاذ ما يمكن إنقاذه"، "أن أحافظ للمستقبل على الروح الحية لعصر آخذ في الزوال". تضم أحاديث دوفاكين مع معاصريه مادة تدعو للتأمل حول الحياة الروحية والنفسية للذين ولدوا على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين! فضلا عمّا تقدمه لفن كاتب السيرة الذي تدفق نشاطه في مجرى تقليد ثقافي محدد، والذي حدد بشكل تلقائي مستقبل هذا الصندوق. في السبعينيات يعلن دوفاكين محذرًا محاوريه أن هذه الأحاديث "ليست للنشر الآن. إننا نعمل من أجل القرن الحادي والعشرين. هذا العمل سيتم حفظه، وهناك يدرسونه. والتاريخ سيضع الأمور في نصابها"[٣].

استمرت المحاورات مع باختين طوال شهري فبراير ومارس عام ١٩٧٣، آنذاك كان باختين يبلغ من العمر سبعة وسبعين عامًا. وكان دوفاكين

(٣) ظهرت في السنوات الأخيرة ما يزيد عن ٥٠ مطبوعة وكتابًا استنادًا إلى مواد صندوق دوفـــــاكين: تيموفييف – ريسوفسكي – ذكريات (موسكو: دار نشر بروجرس، ١٩٩٠، موسكو دار نشر سوجلاسيا، ٢٠٠٠)؛ محاورات دوفـــــاكين مع باختين (موسكو: دار نشر بروجرس، ١٩٩٦)؛ لنًا أخماتوفا في تسجيلات دوفـــــاكين (موسكو: دار نشر ناتاليس، ١٩٩٩)، أ. ف. أزارخ – جراتوفسكايا، ذكريات، أحاديث، محاورات مع دوفـــــاكين (القدس: دار نشر جيشاريم؛ موسكو: دار نشر موستي كولتوري، ٢٠٠١).

قد أتم لتوه عامه الرابع والستين. وعندما نستمع إلى الحديث الذي دار بينهما، نتصورهما اليوم باعتبارهما أناسًا يعبرون عن جيلهما، هذا الجيل الذي ظل يحمل قوة تقاليد القرن التاسع عشر، بما فيها تقاليد ثقافة المعاشرة، الكيفية التي يدار بها النقاش، القدرة على الإنصات للآخر، الذي يفكر بطريقة مغايرة، ثم احترام الرأي الآخر.

لقد أتاحت التسجيلات لنا لا أن نستمع فقط إلى ما قيل، ولكن أيضًا على أي نحو قيل. وعندما شرعنا نعد هذه المادة للنشر حاولنا أن نحافظ على تفرد الحديث لدى المتحدثين، فضلا عن الحفاظ على قوانين الكلام ومنطقه، وهذه الخصوصية يصعب في كثير من الأحيان نقلها كتابة. عند النشر تختفي حتمًا تلك الروح التي تكتنف الحديث، كما تضيع الحيوية التي تتمتع بها الفكرة، يسقط شيء ما إبان تدفق المعلومات، وتضعف النبرة الثابتة من إدراك المعنى المضمر في النص. وحتى أقل القليل من أمور التصحيح التحريرية تؤدي إلى تسطيح النص، وتضفي على كلام باختين ظلا من القطعية لا يتميز بها، في حين أن كلامه في الحوار أكثر تعقيدًا، بل إن الحوار ذاته متعدد الطبقات.

لقد حوى شريط التسجيل أصوات الشارع، شقشقة العصافير، رنين التليفون، مواء قط باختين الحبيب، نستمع في الشريط إلى كيف يحك ميخائيل ميخايلوفيتش عود الثقاب في كل مرة يشرع فيها في التدخين، جاذبًا نفسًا عميقًا، فيمتد التوقف طويلا، ثم يعود في النهاية ليقول: "نعم... إذن..."

وعندئذ يتولد لدينا الإحساس بأننا شركاء في الحديث. لقد فضّلنا أن نحـــافظ على تميز هذه الوثيقة وطبعها بأقل القليل من الاختصار قدر الإمكان آخذين في الاعتبار تفردها.

في الطبعة الثانية تم تدقيق نصوص المحاورات، وزيـــادة عـــدد مـــن التعليقات، وإضافة تواريخ جديدة من حياة ميخائيل باختين ونشاطه، وكـــذلك بعض الصور من الأراشيف الخاصة.

أما بالنسبة لكون محاورات دوفاكين مع باختين قـــد جـــذبت القـــراء؛ فالفضل يرجع إلى أناس كثيرين، على رأسهم – بطبيعة الحـــال – ســـيرجي جيورجيفتش بوتشاروف، والذي من دون دعمه ومساعدته ما جرى نشرها. وبعض الذين قاموا على إعداد الطبعة الأولى لن يروا هذه الطبعـــة، لكنهـــا تحتفظ على صفحاتها بذكرى حرفيتهم الرفيعة وســـماحة نفوســـهم: فـــاديم فاليريانوفيتش كوجينوف، يوديفيا ماتفيفنا كاجان وفيودور ديمتريفيتش أشنين.

شكر من الأعماق لكل من آمن بهذا الكتاب، لكل من مدَّ لنا يد العـــون بمشاركتـــه الودودة ونصائحـــه المهنية: م.ك. جاسباروف، ج. د. جاتشيف، أ. ى. أوسوفسكي، أ. ف. بانتسا، ن.أ. بانكـــوف، ن. ب. بيـــرفيليـــف، ج. إ. راتاوز، ف. ى. سيل، أ. إ. سيـــزوف، س. إ. سوبوتين، إ.ز. ســـورات، أ. ف. تايدر، ف. ن. توبوروف، ف. إ. إيرل.

الجزء الأكبر من النص مصحوب بتعليقات س. ج. بوتشاروف، ل. س. ميليخوفا. التعليقات الخاصة بما ورد عن ى. د. بوليفانوفا تخص ف. د.

أشنين، وعن س. أ. يسينين تخص ف. ف. كوجينوف، وعن م. ف. يودينا تخص أ. م. كوزنيتسوف، وعن الحياة الثقافية في مدينة فيتيبسك تخص أ. س. شباتسكيخ، وعن ل. ف. بومبيانسكي تخص ن. إ. نيكولايف.

الصور المنشورة في الكتاب أعطاها لنا عن طيب خاطر س. ج. بوتشاروف، ل. س. ميليخوفا، ى. م. كاجان، ف. ف. كوجينوف، أ. م. كوزنيتسوف، أ. س. شاتسكيخ، م. ج. شتورخ.

المحاورات مع باختين محفوظة في قسم الوثائق الصوتية بالمكتبة العلمية لجامعة موسكو الحكومية التي تحمل اسم م. ف. لومونوسوف.

المحاورة الأولى

٢٢ فبراير ١٩٧٣

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش، سمعت أن هناك كتابًا تذكاريا، سوف يصدر عنك قريبًا؟

باختين: نعم بمناسبة بلوغي الخامسة والسبعين[١].

دوفاكين: ولكن هذا الأمر عليه بعض الخلاف... فما تاريخ ميلادك الدقيق؟

باختين: بالضبط... عام ١٨٩٥ ... في الرابع من نوفمبر حسب التقويم القديم، السابع عشر حسب التقويم الجديد.

دوفاكين: وأين ولدت؟

باختين: في مدينة أريول.

دوفاكين: وعائلتك؟

باختين: عائلتي من الأسر النبيلة، ذات التاريخ العريق[٢] التي يعود تاريخها، بحسب الوثائق، إلى القرن الرابع عشر، لكنها فقدت كل ما كانت تملكه – تقريبًا – وأصبحت من العائلات الفقيرة.

دوفاكين: يقولون "عزيز قوم ذل"، أليس كذلك؟

باختين: حقا (مبتسمًا)، لعل ذلك سببه أن جدي الأكبر كان أحد قادة الفرق في زمن القيصرة يكاترينا ... وقد ضحى عن طيب

خاطر بثلاثة آلاف نفس كان يملكها ليؤسس واحدة من أوائل المدارس العسكرية في روسيا، وقد ظلت هذه المدرسة قائمة حتى اندلاع الثورة.

دوفاكين: وهل كانت تحمل اسمه؟

باختين: نعم... فقد كان اسمها مدرسة باختين أورلوفسكي العسكرية،[٣] كما أطلق عليها في وقت ما "مدرسة باختين الثانوية العسكرية"، وكما تعلم أنه في هذا الزمن كانت الثروات تحسب بالأنفس... وسارت الأمور على هذا النحو... فقد باع جدي هذه الأنفس أو رهنها.

دوفاكين: مفهوم... معنى ذلك أنكم كنتم تملكون أموالا طائلة؟

باختين: نعم... أموالا طائلة، إلا أن هذا الإسهام الضخم كان بداية إفلاسنا؛ فقد كان من أكثر الناس ثراء... وكان يمتلك ضياعًا عديدة تدر أموالا طائلة... وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك...

دوفاكين: تتحدث عن جدك؟

باختين: نعم، عن جدي الأكبر، ثم جاء جدي الذي تلاه، ليكمل بعد ذلك عملية الإفلاس؛ فقد كان لا يزال يملك عددًا من الضياع، ولديه مركزان بأكملهما في مقاطعة أورلوف، هما: سيفيسكي، وتروبتشيفسكي.

دوفاكين: سيفيسكي تثير لديّ اهتمامًا خاصًا؛ فقد ولد فيها إيفان جيورجيفيتش بتروفسكي[٤]، هل كنت تعرف عائلته؟

باختين: لا.

دوفاكين: أظن أن أباه كان نبيلا أيضًا، وأسس "ثانوية سيفسك" قبل اندلاع الثورة.

باختين: لا، ليس صحيحًا؛ فقد أنشئت بعد أن بعنا ضيعتنا.

دوفاكين: ألم تكن سيفسك تتبع محافظة أورلوفسكي؟

باختين: نعم، كانت تتبعها، أما الآن فسيفسك وتروبتشيفسك تتبعان منطقة ديمتروفسكي، وهي تقع أيضًا في محافظة أورلوفسكي... بالمناسبة في هذا المكان كان يوجد أجزاء من ضيعة ديمتري كانتيمير والد أنتيوخ، وفي هذه الضيعة عاش أنتيوخ كانتيمير نفسه، وكانت تربطنا بهذه الأسرة صلة قرابة... باختصار يمكن أن أعتبره أحد...

دوفاكين: أحد أبناء أخوالك؟

باختين: نعم، أحد أبناء أخوالي؛ فقد كانت أمه تمت بصلة قرابة بآل كانتيمير، لكني لا أدري ما هي هذه الصلة على وجه اليقين... وهو أمر لم أهتم به كثيرًا في الحقيقة، رغم أن أخي كان مهتما بتاريخ العائلة، وكان يعرف كل هذه الأمور. أما أنا فمعرفتي بهذا الأمر سيئة للغاية، إلا أنني أتذكر أنه في هذا المكان كانت هناك أسرة أخرى تمت لنا بصلة قرابة... هي عائلة سفياتوبولكي – ميرسكي.

دوفاكين: إنها فعلا عائلة كبيرة.

باختين: نعم. إنها عائلة كبيرة بالفعل، إلا أنني أيضًا عاجز عن التحقق من صلة القرابة التي تربطنا؛ فقد كنت في طفولتي

أتردد على ضياع تخص أحد فروع عائلة سفياتوبولكي – ميرسكي، لكنني لا أتذكر من تحديدًا.

دوفاكين: واحد من الأحفاد.

باختين: نعم... أحدهم، وكان يعيش في السابق في إنجلترا، ثم إذا به يعود فجأة إلى بلادنا، ثم ينتهي به الأمر إلى هذه النهاية المحزنة للغاية.

دوفاكين: صحيح... رغم أن هذا الرجل كان في وقت ما الناقد الأول، وكان مكسيم جوركي يشمله برعايته.

باختين: نعم، نعم، حدث هذا بالفعل.

دوفاكين: لقد التقيت به.

باختين: التقيت به؟! أما أنا فلا.

دوفاكين: لقد التقيت به هنا، كان مثقفًا... إلا أنه كان شخصًا عاديا.

باختين: نعم، أعرف ذلك... كان شخصًا عاديًا، ساذجًا، أو قل ساذجًا للغاية.

دوفاكين: كان جيدًا للغاية.

باختين: أظن أن هذا الأمر بصفة عامة يمكن تفسيره على النحو التالي: الأرجح أن الشيوعيين الإنجليز هم من اللوردات... والحزب الشيوعي الإنجليزي حزب له طابعه الخاص؛ فليس فيه عمال تقريبًا، وإنما لوردات فقط. باختصار، الطرافة هنا أنه لا يشبه غيره من الأحزاب وما إلى ذلك، ولعل هذا السفياتوبولك – ميرسكي أشبه بهؤلاء اللوردات الشيوعيين؛ فقد كان هو أيضًا لوردًا(٥).

دوفــــــاكين: نعود لموضوعنا، هل كان يعمل في مهنة ما؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، كان من رجال المال الذين يعملون في مجال البنوك، لكنه لم يكن يمتلك ضيعة، كان جدي وجدتي يمتلكان ضيعة لا بأس بها عمومًا، ولكن دعني أخبرك أولا أنه قد تبقى لنا. بيت كبير في أريول، وهو البيت الذي ولدت فيه، وهو بيت أقرب إلى العزبة؛ فكل ما فيه موجود في أي عزبة.

دوفــــــاكين: رائع، يا له من أمرٍ ممتع!

بـــاخـــتيــــن: لا أعرف إن كان هذا البيت ما زال قائمًا أم لا؛ فقد كـــان مبنيًا من الخشب، وطوابقه عالية... كان بيتًا كبيرًا بالفعل؛ فقد كان يحتوي على ثلاثين غرفة تقريبًا، طبعًا بمـــا فيــه المباني الملحقة به، وما إلى ذلك... وكان يقع في واحـــدة من أغلـــى المنـــاطق، عنـــد التقـــاء شـــارعي ســـادوفايا وجيورجيفسكايا، وفي التقاطع الذي يليه عند التقاء شارعي تورجينيفسكايا وجيورجيفسكايا، كان يقع البيت الذي ولـــد فيه تورجينيف، أي على بعد خطوات من بيتنا، ولد هناك، ولكن هذا البيت لم يعد موجودًا، فعندما ولـــدت كـــان قـــد اختفى بالفعل، وأقاموا مكانه بيتًا صغيرًا من الحجر، ولكن هذا المكان معروف بدقة؛ فالكل يعرف أنه في هذا المكان تحديدًا ولد تورجينيف، كما أن واحدة من ضياع عمي تقع بجوار أملاك سباسكي – لوتوفينوفي في مركز متسنـــسك، وقد ذهبت إلى هذه الأماكن، عندما ولـــدت كانـــت هـــذه الضيعة مملوكة لعمي تيخون أفاناسيفيتش بـــاخـــتيــــن.

دوفـــــــاكين: هذا يعني أن والدك كان موظفًا كبيرًا من النبلاء؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نعم، كان موظفًا كبيرًا... انظر، لقد أسس جدي بنكًا، هو بنك أورلوفسكي التجاري، وهو أيضًا كان موجودًا قبل الثورة، وكان له فرع كبير في بتروجراد، في بطرسبورج، ولكن هذه البنوك لم يكتب لها النجاح؛ فقد كان جدي رجلا طيب القلب، مفرط في ثقته بالناس إلى حد كبيـــر، كـــان رئيسًا للإدارة، وكان يمتلك الجزء الأكبر من رأس مـــال البنك، ولكن شركاءه كانوا أفاقين، أو قل ببساطة إنهم كانوا لصوصًا، أو لعلهم كانوا قصيري النظر، وكانت النتيجة أن أعلن البنك إفلاسه... كانت قضية كبـــرى، وقـــد جـــرت محاكمة كان لها آنذاك دوي كبير، وشملت دائرة الاتهـــام عددًا كبيرًا من الأشخاص، بمن فيهم جدي، صحيح أنه لم يحكم على جدي بالسجن؛ إذ لم توجه إليه أية تهمة جنائية، ولكن تمت محاكمته، وحضر بيلفاكو الشهير للدفاع عـــن جدي والترافع في هذه القضية، والتـــي انتهـــت بـــإطلاق سراحه وتبرئة ذمته من المسئولية الجنائية؛ إذ كان واضحًا من البداية من هو اللص، ومن كان حسن الطوية، فأعطى توقيعه دون تمحيص. على أية حال انتهت القـــضية، وزج بأحدهم في السجن، وانتهى الأمـــر بالتنـــازل عـــن هـــذه الأملاك، وكان على جدي أن يدفع مبلغًا كبيرًا من المـــال، وبالطبع لم يكن عليه أن يتنازل عن كل شـــيء... تعلـــم

بالطبع أنه في هذه الحالات تقرر اللجنة كـذا، وأن يـدفع فلان كذا، ورغم أن جدي رفض أن يدفع كل شيء فإنـه اضطر في النهاية لأن يدفع مبلغًا كبيرًا من المال، وبعـد ذلك، وعلى الرغم من كل ما حدث، تبقَّى لنا بيتنا وضيعة صغيرة، وما يقرب من مائة ألف روبل، وتدريجيا أخـذت هذه الثروة في التناقص يومًا تلو الآخر، أما جـدتي فقـد ظلت على قيد الحياة بعد وفاة جدي، حتى إنهـا أدركـت ثورة أكتوبر، إلى أن توفيت على ما أذكر في نهاية عـام ١٩١٧، أو بداية عام ١٩١٨، أي في ذروة الشيخوخة من جراء إصابتها بالتيفود.

دوفـاكين: وهل ظلت في بيتها؟

بـاختـين: نعم، ظلت في بيتها.

دوفـاكين: ألم يطردوها؟ أو يحرق منزلها؟

بـاختـين: لا، لا، لم يطردوها أو يحرق منزلها، لكنهم زاحموها فـي منزلها... أظن أنها عاشت، لم أعد أقوى على التـذكر... كانت أمي معها آنذاك، عندما مرضـت جـدتي بـالتيفود وماتت، تاركة لنا بعض الأموال، في هذا الوقت كنت لـم أولد بعد.

وعلى الرغم من أن جدي فكـر فـي أن يعمـل بالمـال والتجارة؛ فقد كان رجلا مفرط الثقة في الناس، كان رجلا طيبًا بالفعل... وما زلت أذكر أن غرفة جدتي كانت تحوي

درجًا كبيرًا مملوءًا بالكمبيالات التي لم يقم المدينون بسدادها، وكان جدي ينفق أمواله يمينًا ويسارًا؛ حتى إنه كان على محامينا – الذي عمل لدينا حتى قيام الثورة – أن يقوم باسترداد هذه الأموال، ولكنه لم ينجح في استرداد سوى أقل القليل، ولكن كل هذا لم يكن بذي جدوى، لقد استمررنا في العمل على تحصيل الديون حتى آخر يوم. ورغم أن والدي وأسرتنا – أنا وأخي وأختي – لم نعش في أريول زمنًا طويلا، فإننا كنا نذهب إلى هناك كل صيف.

دوفاكين: هل كانت لك أخت؟

باختين: كان لديّ ثلاث أخوات، بل أستطيع أن أقول إنهن أربع، والرابعة كانت أختًا لنا بالتبني(٦).

دوفاكين: إذن، كنتم ستة أشخاص، عائلة كبيرة.

باختين: نعم، كنا عائلة كبيرة، أضف إلى ذلك أنه عاش في هذا البيت العديد من الأقارب، وخصوصًا أخا جدي الذي مات مبكرًا، وترك ميراثًا كبيرًا تمثّل في عدد من الضياع، من بينها ضيعة في مركز ديمتروفسكي، كما عاش أبناؤه أيضًا في هذا المنزل، كانوا ثلاث فتيات، وفتى؛ نظرًا لأن جدي أصبح وصيًّا عليهم، ثم جدتي من بعده.

دوفاكين: عاشوا في بحبوحة؟

باختين: بكل تأكيد؛ فقد كان لديهم أموالهم، بالإضافة إلى القسم الذي تركه لهم جدي بعد وفاته... أما نحن فقد أفلسنا. بالإضافة

إلى هؤلاء، كان لنا أقارب – من جهة جدتي – كانوا يتمتعون بثروة طائلة، والجدير بالذكر أنه لم يبق منهم أحد عدا ابنة خالة كان أبوها بالغ الثراء، وقد أصبح بعد ذلك حاكمًا للمدينة.

دوفاكين: مدينة أريول؟

باختين: نعم، مدينة أريول، وهذا هو تحديدًا ما أفضى به إلى هلاكه؛ فقد تولى هذا المنصب قبل الثورة.

دوفاكين: طبعًا.

باختين: وعندما قامت الثورة،(*) ولأنه كان رجلا مستقيمًا؛ فقد زجوا به في السجن، لكنهم لم يعاملوه بصورة سيئة... آنذاك كان هناك بعض المؤسسات التي لا يصلح لإدارتها إلا هو، ومن ثم أطلقوا سراحه، وبالفعل قام بأداء عمله على خير وجه، لكن الحرس الأبيض دخل إلى أريول... وآنذاك كان الشعار الذي رفعوه "كل شيء يعود إلى ما كان عليه قبل الثورة"... كل شيء! وبالطبع كان على عمي أن يعود حاكمًا للمدينة، وهو ما حدث بالفعل.

(*) في العاشر من أكتوبر ١٩١٧ قامت الثورة البلشفية، وحدث الصراع بين الشيوعيين، الذين عُرفوا بالحُمر، وأبناء الطبقات الموسرة والمتوسطة، وبقايا الجيش القيصري السابق، ورجال الدين، والأساتذة، والمعلمين، والطلاب، والتجار، والذين عُرفوا بالبيض، ثم ما لبث أن انتهى هذا الصراع، وتوج بانتصار البلاشفة (الحُمر)، وهزيمة وفرار (البيض)، وقد لجأ معظمهم إلى تركيا وفرنسا، وبعض الدول الأوروبية الأخرى، أما من بقي منهم في روسيا؛ فقد تمت تصفيته بعد ذلك على مراحل، واشتدت عمليات القمع والإبادة، بصفة خاصة في الثلاثينيات، بعد أن انتهى ستالين من خصومه في قمة الحزب والدولة، فهبطت أعمال التنكيل من قمة الهرم، واتسعت لتطال القواعد العريضة. (المترجم).

دوفـــــــاكين: وهو ما قاده إلى حتفه؟

بـــاخـــتيـــــن: بالطبع ... فكما تعلم لم يستمر البيض وقتًا طـــويلا، ومـــا لبث أن عاد الحُمر، واضطر عمي إلى الفرار مـــصطحبًا معه كل عائلته، ونجح في الفرار بالفعل إلى القوقاز؛ حيث عاش تحت اسم مستعار في أرمافير زمنًا طويلا، ســـارت الأمور خلالها على ما يرام، ثم بعد ذلك...

دوفـــــــاكين: هاجر، أليس كذلك؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لم يتمكن من الهجرة... لم يتمكن.

دوفـــــــاكين: إذن، جرت تصفيته؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لم يتمكنوا من تصفيته؛ فالذي حدث أن وباء الكـــوليرا انتشر في أرمافير، وأصابه المرض، فوضعوه في عنبـــر الكوليرا، وهنا وصل إلى علم المسئولين من هو، فـــذهبوا إلى هنـــاك، إلـــى عنبـــر الكوليـــرا، لينقلوه إلى السجن، أو يضعوا عليه رجلا من المعنيين بأمن الدولة، لـــم تكـــن هناك بعد وزارة أمن الدولة (مى. جى. بى).

دوفـــــــاكين: آنذاك كانت هناك لجنة الطوارئ (تشى. كا).

بـــاخـــتيـــــن: نعم، كانت لجنة الطوارئ آنذاك، لكن الأطباء قـــالوا لهـــم "يمكنكم التحلي بالهدوء، فالمسألة مسألة ساعات، وليـــست أيامًا، حتى يدركه الموت"، كان مسنًا، ولم يكن بمقـــدوره بالطبع تحمل الكوليرا، وبالفعل عاجلته المنية... أما صدور حكم بإعدامه فلا أعلم بالطبع شيئًا عن هذا – على أية حال – لقد مات وبقيت عائلته على قيد الحياة.

دوفـــــاكين: ألم تتعرض عائلته للإيذاء؟

بـــاخـــتيـــــن: عائلته، لا، لم يتعرض لها أحد بسوء، على العموم من الـــذي تبقى منهم؟! لم يتبق سوى زوجته وابنته، ابنته الوحيدة ليزا، وهي تعيش الآن في موسكو، وهي تعد أقــرب الأقربـــاء... الوحيدة تمامًا من الأقارب... من جهة خالي...(٧)

دوفـــــاكين: إذن، أبوها خالك من جهة أمك؟

بـــاخـــتيـــــن: خالي، نعم... بالإضافة إلى أن أمها قريبة أمي؛ فهي قريبة مزدوجة.

دوفـــــاكين: مفهوم زواج متقاطع.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، لكنها للأسف مريضة... وعلـــى الـــرغم مـــن أنهـــا تصغرني بسنوات، فإنها لم تعد شابة بطبيعة الحال، فهـــي تعاني من مرض عضال في الأوعية الدموية، وهو مرض أصبح منتشرًا بشدة الآن؛ لذلك فهي لا تستطيع حتـــى أن تسافر، أو تمشي دون مساعدة. باختصار، فـــإن ظروفهـــا صعبة؛ لذلك لم تزرني مطلقًا، وآخر مرة شـــاهدتها فيهـــا كانت عندما ذهبنا للعلاج في مستـــشفى الكـــرملين، والآن نتواصل عبر الهاتف.

دوفـــــاكين: حسنًا، لقد تحدثنا عن العائلة باستفاضة على نحو شيق، لكن دعني أتساءل: هل استطعت أن تنهي المدرسة الثانوية قبل قيام الثورة؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نجحت في ذلك.

دوفـــــاكين: والجامعة، هل أنهيتها أم لا؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، أنهيتها، وإن كان ليس مباشرة؛ فقد اجتزت الامتحانات الحكومية بعد الثورة.

دوفاكين: هل أنهيت المرحلة الثانوية في أريول؟

باختين: لا، المسألة أن أبي كان أحد رجال المال، لكنه كان دائم الترحال، بمعنى أنه تنقل عدة مرات؛ إذ قاموا بنقله باعتباره مديرًا لإدارة بنك أورلوفسكي التجاري في فيلنوس، وقد بقي فيها نحو خمس سنوات، أمضيتها أنا أيضًا معه.

دوفاكين: ودرست في ثانوية فيلنوس؟

باختين: نعم، درست في ثانوية فيلنوس... على الرغم من أنني كنت ملتحقا بثانوية أريول... وبعد ذلك انتقلت العائلة إلى أوديسا، لكننا لم نستمر هناك فترة طويلة؛ فقد انتقلنا أنا وأخي إلى جامعة بطرسبورج؛ حيث أنهيت دراستي.

دوفاكين: أعلم أنك كنت تدرس في كلية التاريخ وعلوم اللغة؟

باختين: نعم، في قسم الدراسات الكلاسيكية بكلية التاريخ وعلوم الأدب.

دوفاكين: وهل تلقى والدك تعليمًا جامعيا؟

باختين: والدي؟ لا، لقد تلقى تعليمًا خاصًا، لكنه لم يتلق تعليمًا جامعيا، فلم يكن لهذا الأمر أهمية كبرى آنذاك؛ فقد كانت لديه أملاكه... على أية حال، كان يمتلك بنكًا خاصًا، إن جاز التعبير، وفي هذا البنك بدأ حياته العملية؛ فقد عمل به في البداية لمدة قصيرة، ثم انتقل بعد ذلك للعمل مديرًا لبنك فيلنوس.

دوفـــــاكين: هذا يعني أن لديك تصورًا كاملا عن التعليم الثانوي فـــي مناطق أريول، وفيلنوس، وأوديـــسا؛ أي وســـط الـــبلاد، وغربها، وجنوبها، قص علينا قليلا عن هـــذه المـــدارس الثانوية، صفها لنا.

بـــاخـــتيــــن: اسمع... الأمر بالطبع غاية فـــي الـــصعوبة، أن تتـــذكر الأشياء، وأن تربط بعضها ببعض، أقـــول: إن المـــدارس الثلاث كانت جيدة، خصوصًا ثانوية أوديسا، كانت رائعة، وكذلك كانت ثانوية فيلنوس ممتازة.

دوفـــــاكين: وهل كانت ثانوية أريول سيئة؟

بـــاخـــتيــــن: كانت أقل قليلا، كانت هناك ثانوية أريول، وثانوية أريول الأولى... ثانويتان فقط للمدينة كلهـــا... فـــي الواقـــع... للمحافظة بأسرها؛ لذا كان هناك عدد كبير من التلاميذ من شتى المـــدن... وكان الجميع يتجمع في مدينـــة صـــغيرة تسمى ليدا.

دوفـــــاكين: هل كنتم تدفعون مصروفات دراسية؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، كنا ندفع، ولكن ينبغي القول إنه كانت هنـــاك مـــنح دراسية عديدة، في الواقع كنا نتعلم بـــشكل جيـــد، وكـــان بإمكان غير القادرين أن يعتمدوا على المنح، يجب أن نذكر هذا مباشرة، لم أسمع مرة واحدة أن تلميذًا قد طُـــرد مـــن المدرسة لأنه لم يدفع المصروفات؛ لأن لجنة أولياء الأمور كانت تتخذ القرار المناسب في هذا الشأن، وكانوا يعفـــون مثل هذا التلميذ من دفع المصروفات.

دوفـــــــاكين: وهل كانت هذه المنح تأتي من مساهمات خاصة؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نعم، كانت تأتي من مساهمات أفــراد... والآن تقــع ثانوية أريول الأولى، حيث تعلمت، في مبنـــى الجامعـــة، جامعة فيلنوس القديمة... التي يعود تاريخها للقرن السادس عشر.

دوفـــــــاكين: (ضاحكًا) أعرف هذا المبنى، لقــد ألقيــت فيــه بعــض المحاضرات.

بـــاخـــتيـــــن: حقا؟ على أية حال، فإن أفضل ذكريـــاتي مرتبطـــة بهـــذا المكان، لكن أفضل ذكريات الطفولة بالطبع بمسقط رأسي، سواء في فيلنوس، أو في المدرسة الثانوية، أو فـــي هـــذا البيت... كم كان بيتًا هائلا.

دوفـــــــاكين: لقد كان قلعة بأكملها!

بـــاخـــتيـــــن: لقد كان يشغل حيًا بأكمله، كل شيء فيه كان رائعًا، وكان الجو المحيط به جوا خاصا... كان مكونًا من عـــدد مـــن البيوت، وكان لكل بيت اسمه، خذ مـــثلا البيـــت الكبيـــر، والذي كان الجميع يدخلون من خلاله، وكان يسمى بيـــت ليليفيل.

دوفـــــــاكين: ليليفيل؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نعم، ليليفيل، إحدى الشخصيات الشهيرة فـــي بولنـــدا القديمة،(٨) وقد أطلقوا اسمه على هذا البيت تكريمًا له، كل بيت كان يحمل اسمًا ما، وهكذا، في ثانوية فيلنوس (بالطبع

كل هذا حدث قبل مولدي) درس بيلسودسكي، عمومًا كثير من الشخصيات التي أصبحت بارزة فيما بعد درست في ثانوية فيلنوس الأولى، ينبغي أن نذكر أن المدرسين فيها كانوا متميزين جدًا، متميزين جدًا...

دوفاكين: كانت ثانوية روسية؟

باختين: روسية، روسية تمامًا، ولكن كان هناك كثير من البولنديين.

دوفاكين: لكن التدريس كان يتم بالروسية؟

باختين: بالروسية فقط... أما بالنسبة إلى البولنديين؛ فقد كانت هناك فصول لتدريس اللغة البولندية، لا يحضرها إلا البولنديون، ووفقًا لرغبتهم.

دوفاكين: حتى اللغة البولندية كانت تُدرَّس؟

باختين: نعم، كانت تُدرَّس.

دوفاكين: اللغة البولندية؟ ولم يكن هناك اضطهاد أو ملاحقة؟

باختين: إطلاقًا، هذه مبالغات بشعة، ملاحقة؟! لم تكن البولندية إجبارية، من أراد أن يتعلمها فله ذلك، طبعًا كانت اللغة البولندية موجودة، ماذا دهاك؟ ما زلت أذكر مدرس اللغة البولندية، بالطبع لم أحضر له دروسًا، لكني أذكره، كان إنسانًا مدهشًا، كان وسيمًا للغاية، بولنديًا نموذجيًا، ذا لحية، جميلا للغاية، متدينًا، وكان جميع البولنديين يدرسون على يديه، كل من يرغب.

دوفاكين: وهل كانت اللغة الليتوانية مستخدمة؟

باختين: اللغة الليتوانية؟ لا، لم تكن مستخدمة، كان هناك ليتوانيون، ولكن اللغة لم تكن تستخدم، ربما كانت تستخدم بشكل ما؛ فقد كانت هناك ثانويات خاصة أيضًا... كان المدرسون أكفاء للغاية، على أي حال لا أذكر أي واحد منهم أثار لديّ نفورًا، وكذلك كانت الحالة بالنسبة إلى التلاميذ الآخرين. إطلاقًا، كانوا جميعًا أناسًا مخلصين واسعي المعرفة، وأحيانًا، إلى حد كبير جدًا، ودودين، لم يكن لديّ أي شكوى تجاههم، لا أستطيع أن أفعل بأي حال من الأحوال، أتذكر أننا، وأنا على وجه الخصوص، كنا نحب فاسيليفيتش كروكوفسكي بشدة، ما زلت أذكره حتى يومنا هذا، كنا نطلق عليه، كما يفعل الجميع دائمًا بالطبع، وفي كل مكان، أن يُطلق على المدرسين اسم شهرة "فنان المسرح المحترق"؛ فقد كان شعره كله أشيب أجعد، وكان فيه شيء ما بالفعل يذكرك بفنان عجوز خارج لتوه من مسرح يحترق، لكنه كان عالمًا.

دوفاكين: وماذا كان يُدرّس؟

باختين: كان يُدرّس اللغة الروسية والأدب الروسي، كان يُدرّس على نحو رائع وبحماس بالغ، لعلي أقول بولع شديد، ولع يأخذ بألباب الجميع، كان يكتب أيضًا، ولم تكن آراؤه ثورية بالمرة، كان له عمل منشور تحت اسم "النزعة الدينية في الشعر الروسي"، ثم كتب بعد ذلك عن تورجينيف، وحتى عام ١٩١٦ ظهر مقاله الأخير، في "مجلة وزارة المعارف الشعبية"(٩).

كما كان يعجبني أيضًا أنا والآخرين مدرس الرياضيات يانكوفيتش، كان صارمًا، صارمًا بعض الشيء، لكنه كان...

دوفاكين: دقيقًا؟

باختين: منطقيًا، دقيقًا، الأهم، كان منطقيًا، لم يقل لنا إطلاقًا "احفظوا عن ظهر قلب"، أبدًا، كان يمتلك القدرة على إثبات الأمر، وإيصاله إلى وعينا، وبعد انتقالي من ثانوية فيلنوس عُيّن مديرًا لثانوية نوفوسفنتسيانسكايا.

وقد انتقلت ثانوية نوفوسفنتسيانسكايا إلى مدينة نيفيل (فعندما بدأت الحرب أسرع الألمان باحتلال منطقة نوفوسفنتسيانسكايا).

دوفاكين: إلى نيفيل؟

باختين: وأنا أيضًا انتقلت إلى نيفيل، لماذا؟ لأن صديقي الذي لعب الدور الأكبر في حياتي كان يعيش بها، وهو ليف فاسيليفتش بومبيانسكي[١٠].

دوفاكين: سمعت عنه.

باختين: إن اسمه موجود في الموسوعة... الموسوعة الأدبية.

دوفاكين: إنه أديب مشهور.

باختين: نعم، أديب مشهور، موهبة فذة، أكبر الموسوعيين العظام.

دوفاكين: من جيلك؟

باختين: من جيلي، ويصغرني بعام واحد.

دوفاكين: ما زال على قيد الحياة؟

باختين: للأسف، توفي شابًا منذ فترة طويلة، كان يبلغ من العمر حوالي تسعة وأربعين عامًا عندما وافته المنية.

دوفاكين: قرأت شيئًا بتوقيعه.

باختين: لعلك قرأت مقالاته عن تورجينيف.

دوفاكين: نعم، ربما...

باختين: عدا ذلك؛ فقد كان مهتمًا بالقرن الثامن عشر، له دراسات كثيرة عن ترِدياكوفسكي، وخصوصًا بحثه في مسألة النحو ونظم الشعر عند ترِدياكوفسكي، وها هو يؤدي الخدمة العسكرية؛ أي يخوض غمار الحرب، ثم تستقر كتيبته في نيفيل بعد ذلك، وهناك يتم تسريحه ليستقر فيها؛ لأن الحياة في لينينجراد في هذا الوقت كانت صعبة (كان اسمها آنذاك بتروجراد)، كانت المجاعة قد اجتاحت المدينة آنذاك، فلم يكن بمقدوره العودة إليها، أما في نيفيل فقد استطاع على نحو ما أن يدير أمره بشكل جيد، كان كبار القوم في نيفيل على علاقة وطيدة به، هناك قرأ العديد من المحاضرات، وها هو أخيرًا يعود إلى لينينجراد – إلى بتروجراد – ليحل ضيفًا علينا عادة، في شقة والدي ووالدتي وإخوتي،(١١) والذين كانت تربطهم به أيضًا صداقة حميمة منذ أيام الثانوية... رحل أخي إلى الجنوب، وهناك انضم إلى جيش المتطوعين، وقد سافر إلى الخارج بعد ذلك مع هذا الجيش، وظل في القسطنطينية، مع فلول الجيش الهارب من القرم، ثم إذا به يجد نفسه في صفوف الفرقة الأجنبية.

دوفاكين: في إسبانيا؟

باختين: لا، لا، كانت هذه الفرقة الأجنبية موجودة قبل إسبانيا بالطبع.

دوفاكين: مع من ذهب؟ وأين؟

باختين: مع الفرقة الأجنبية الفرنسية، الفرقة الأجنبية القديمة، كانت هناك فرقة أجنبية في الجزائر.

دوفاكين: آه، في الجزائر.

باختين: كان أمرًا شيقًا، قل ظاهرة فريدة من نوعها، وقد وصف حياته في هذه الفرقة في مذكراته، ثم أُصيب بعد ذلك إصابة بالغة، كانوا يحاربون البربر بشكل أساسي، البربر المتمردين، وقد أصيب عدة مرات، منها إصابة بالغة في صدره قريبة للغاية من قلبه، وهناك تم تسريحه ليذهب إلى باريس، في البداية ظل في الخدمة العسكرية ليعمل في أحد المكاتب، وقد كتب في مذكراته أنه في هذا المكتب لم يكن يفعل شيئًا بالمرة، ومن ثم تم تسريحهم؛ فلم يكن أمامهم سوى كتابة بعض الخطابات والانشغال بالثرثرة... كانت الخدمة سهلة، بعدها التحق بالجامعة... كان قد أنهى الجامعة تقريبًا في روسيا لكن كان عليه أن يتقدم بأوراقه هناك، وقد فعل ذلك.

دوفاكين: في السوربون؟

باختين: نعم، في السوربون، وقد أنهى الدراسة بها، وهناك ألقى بالعديد من التقارير، ونشر مقالات قصيرة.

دوفاكين: كان تخصصه...

باختين: الدراسات الكلاسيكية أيضًا.

دوفـــــاكين: أيضًا؟

بـــاخـــتيــــن: ظل كلاسيكيًا، نعم، أما أنا فقد ابتعدت تمامًا عن الدارسات الكلاسيكية، وقد ظل هو مخلصًا لها حتى النهاية، ونــاقش رسالته للدكتوراه في كامبريدج.

دوفـــــاكين: وماذا فعل بعد ذلك، هل بقي هناك أم عاد؟

بـــاخـــتيــــن: لا، لم يبق في فرنسا... وكان هنــاك هــذا العــالم ذائــع الصيت: كونافالوف، ابن كونافالوف.[١٢]

دوفـــــاكين: الوزير كونافالوف!

بـــاخـــتيــــن: نعم، الوزير كونافالوف.

دوفـــــاكين: أعرفه، كان من معارف جودزي[١٣].

بـــاخـــتيــــن: هو ذاك، كان جودزي على علاقة به، وقد جاء إلى هنــا لحضور مؤتمر المتخصصين في الدراسات السلافية، جاء على ما أظن إلى المؤتمر الخامس.

دوفـــــاكين: أم الرابع، الرابع... الذي عُقد في موسكو عام ١٩٥٨.

بـــاخـــتيــــن: كانوا يقدمونه باسم "السير كونافالوف" على أي حال، كان أيضًا صديقًا لأخي، عندما كان في الخارج... لم يتعــرف عليه في روسيا، وقد أقنعه كونافالوف هذا بالانتقال إلـــى إنجلترا، في هذا الوقت، بدأ المهجر في إنجلترا. ذهب إلى هناك، أولا في كامبريدج، وقد تلقيت منه منذ وقت قريــب هدية، صورة من بحثه الأخير كتبه في كامبريدج... عــن بوشكين، وكان السؤال على النحو التالي: لماذا بوشــكين،

هذا الشاعر الكلاسيكي البسيط الواضح، الذي تُرجم القليل من أعماله بشكل سيئ، كانت هذه دراسته الأخيـرة ولـم تنشر إلا بعد وفاته، عندما تم العثور منذ فترة قريبة علـى مسودة الدراسة ضمن أوراقه؟

دوفـاكين: ومتى توفي؟

بـاختـين: توفي في مايو عام ١٩٥٠.

دوفـاكين: وما رأيك؟ أعتقد أن عملا ما من أعماله قد صدر، ألـيس كذلك؟

بـاختـين: هنا، لا، لم يصدر له أي عمل.

دوفـاكين: هذا يعني أنه مات في المهجر؟

بـاختـين: لدينا هنا في مكتبة لينين كتاب له عـن اللغـة اليونانيـة الحديثة، ولكنه ينطلق في مدخله إلى اللغة اليونانية الحديثة من خلال اللغة اليونانية القديمة، جوهر الأمر أن فكرتـه الرئيسية تتلخص في أن الموجود في اللغة اليونانية الحديثة من اللغة اليونانية القديمة التي لا تخضع للتجميل، ولا لأية مفاهيم أكثر بكثير من الموجود في الأعمال الأدبية اليونانية القديمة المعروفة لنا، الأعمال الكلاسيكية، كمـا أن اللغـة اليونانية الحديثة لم تخضع للدراسة مـن وجهـة النظـر الآثارية، وهذه بالتحديد، كما تعلم، إحدى أفكار الأكـاديمي الراحل مارا الذي كان عالمًا في الحفريات.

دوفـاكين: أعلم.

باختين: لكن أفكار كونافالوف تشكلت مستقلة عن مارا، وعلى نحو مختلف بعض الشيء، لم يبحث الأول عما وراء الرموز أو العناصر الأولى، لم يبحث عن كل ذلك، وإنما كان يبحث تحديدًا عن...

دوفاكين: تقصد أنه ظل يعمل، على وجه العموم، في إطار المفهوم الهندأوروبي.

باختين: المفهوم الأوروبي، تمامًا. لقد سافر عدة مرات إلى اليونان قادمًا من إنجلترا، بل وشارك أيضًا في أعمال التنقيب، وفي منطقة ماراثون على وجه التحديد، وكانت لدى أمي صورة له، وفي مراسلاته معي لم يكن يتوخى الحذر، في تلك السنوات لم يكن من الممكن أن نتبادل الرسائل مع أحد من الخارج، كان هذا الأمر من قبيل المخاطرة، ولهذا كان يكتب إلى أمي؛ إذ كان يعرف أنها ستوافيني بكل شيء...

دوفاكين: وأين كانت تعيش أمك؟

باختين: أمي كانت تعيش في لينينجراد آنذاك، وكذلك إخوتي، وكانت لديها صورة له مع زوجته (كانت زوجته إنجليزية) في منطقة ماراثون أثناء القيام بأعمال التنقيب، كان يرتدي سروالا قصيرًا فقط هذه الصورة له في منطقة ماراثون في اليونان، كما كانت له صورة أخرى على خلفية جامعة كامبريدج العتيقة في رداء الأساتذة، وفي يده مجلد تقليدي، وعلى جانب الصورة يقف المدرسون والطلاب، أما هو فكان في مقدمة الصورة.

دوفـــــــاكين: وهل كان أخوك يُدرِّس معك في ثانوية فيلنوس؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، بالطبع كان معي في ثانوية فيلنوس.

دوفـــــــاكين: وهل كان يكبرك قليلا في السن؟

بـــاخـــتيــــن: كان يكبرني قليلا، قليلا جدًا.

دوفـــــــاكين: إذن... لنعد إلى الثانوية... أنت لم تنه ثانوية فيلنوس؟

بـــاخـــتيــــن: لا، لم أنه ثانوية فيلنوس؛ فقد انتقلت إلى ثانوية أوديسا.

دوفـــــــاكين: وماذا عن ثانوية أوديسا؟

بـــاخـــتيــــن: كانت ثانوية أوديسا جيدة أيضًا، لا أستطيع أن أشكو منها بأي حال، كان كل المدرسين بها جيدين، ربما لم يكونوا ... أقصد... مدرسين بارزين، مثلما كان الحال في فيلنوس، ربما، المستوى العام، كان أقل قليلا.

دوفـــــــاكين: وماذا عن الطلاب؟

بـــاخـــتيــــن: في رأيي أن المدرسين، هيئة التدريس، والطلاب... لم يكن بينهم مبرزون. كان الجميع من الشباب الرائعين المتفوقين من أصول كريمة، ومن ثم فليس لديّ ما أشكو منه في هذا الشأن، لا عسف، ولا اضطهاد على الإطلاق، أما ما كان يقال من أنهم كانوا أفضل الكُتَّاب التقدميين والصحفيين والشخصيات العامة؛ فلم يكن هناك شيء من هذا... ربما كان هناك شيء من هذا، ولكن لم ألحظه شخصيًا، وعلى أي حال فقد كان أمرًا استثنائيًا، وعلى العموم فقد كانت ثانويتنا على القمة، ينبغي أن أقول مباشرة، كانت على القمة.

دوفـــــاكين: وماذا كان اسمها؟

بـــاخـــتيـــــن: المدرسة الثانوية ببساطة.

دوفـــــاكين: ثانوية أوديسا؟ وهل كانت الثانوية الوحيدة؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، كان هناك عدد من الثانويات، كانت ثانويتنا الرابعة.

دوفـــــاكين: أي كان اسمها ثانوية أوديسا الرابعة، وهل درس معك أحد من كُتَّاب أوديسا الذين اشتهروا فيما بعد؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لم يدرس أحد.

دوفـــــاكين: باجريتسكي؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لا، لا، أمثاله درسوا في ثانويات أخـــرى، لـــم أكـــن أعرفهم، عرفتهم فيما بعد...

دوفـــــاكين: لم تعرف أحدًا آنذاك، ولا إيلف وبتروف، ولا حتى...؟

بـــاخـــتيـــــن: لا أحد، لا أحد، لقد مكثت في أوديسا فترة قصيرة، وفيهـــا التحقت بالجامعة، ثم سرعان ما انتقلت منها.

دوفـــــاكين: إذن؛ فقد أنهيت هناك الفصل الأخير فقط، السابع؟ الـــسابع والثامن؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، أنهيت الفصلين السابع والثامن.

دوفـــــاكين: الثامن يعادل الآن العاشر.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، الثانوية الآن عشرة فصول، آنذاك كان هناك فـــصل يسمى التمهيدي، لم أدرس به وكثيرون أيضًا لم يدرســـوا به. كان من المعتاد أن يستعد الطلاب له في المنازل، ثـــم يؤدون الامتحان في الفصل الأول من الثانوية.

دوفــــــاكين: وفي أوديسا بدأت الدراسة في الجامعة؟

بـــاخــتيــــن: نعم، بدأت فيها الجامعة.

دوفــــــاكين: كانت هناك كلية التاريخ والدراسات الأدبية؟

بـــاخــتيــــن: طبعًا، كـــانت الجامعـــة تسمى جامعـــة نـــوفوروسيسك، لا جامعة أوديسا، والسبب أن الجامعـــة تقـــع فـــي إقلـــيم نوفوروسيسك، جدير بالذكر أن الجامعة كانت تضم نخبـــة ممتازة من المدرسين البارزين الذين درست على أيـــديهم، مـــا زلـــت أذكـــر – علـــى ســـبيل المثـــال – "الأســـتاذ طومسون"[١٤]، أستاذ اللغويات، كان أستاذًا رائعًا في هـــذا العلم، درسنا على يديه، وأدينا الامتحان في كتابه المدرسي العظيم، الذي كنت أسعى إلى الحصول على نسخة منـــه، لكن يبدو أن العثور عليه الآن أمر مستحيل، واسم الكتاب "مدخل إلى علم اللغة"، كتاب ممتاز، وكان هنـــاك أيـــضًا أستاذ آخر مهم جدًا، على الرغم من أنه لم يكن ذا شخصية محببة إلى النفس – وهو الأستاذ لانجي.

كان لانجي أستاذًا ألمانيًا مشهورًا، وهو مؤلـــف "تـــاريخ المادية"، أظن أن اسمه نيكولاي نيكولايفيتش لانجي؟ نعم، هو نيكولاي نيكولايفيتش لانجي[١٥]، أستاذي، وكان تلميذًا لفوندت.

بدأ عمله في مختبره لعلم النفس، وكان لديه كتاب... مـــا اسمه؟... "قضايا علم النفس"...، أو "مقـــالات فـــي علـــم

النفس"، لا أستطيع أن أتذكر الاسم بدقة، كانت أعماله في علم النفس أعمالا جيدة، فقط في علم النفس...، وخصوصًا أنه كان يدرس أيضًا التخدير، وله تطبيقات علمية فيه، حتى عندما كان لا يزال في ألمانيا يدرس على يدي فوندت، وكان يتعاطى الأفيون أو الحشيش، لا أذكر الآن، وباعتباره عالمًا نفسيًا، كان يتابع حالته الشخصية: كيف بدأت، كيف تصاعدت، كيف يتطور تأثير المخدر؟... وما إلى ذلك، عمومًا أذكر أنه كانت له أبحاث شيقة، وخصوصًا أن بلادنا لم يكن بها إلا القليل من مثل هذه الأبحاث، ربما لم يكن بها على الإطلاق لأيٍّ منها، الذين كانوا يعرفون جانبًا من هذا الموضوع عندنا، هم المتخصصون في الأدب، الأمر ببساطة أن بودلير ألَّف كتابًا شهيرًا في هذا المجال، أسماه "الفردوس المصطنع" (Les Paradis Artificels)[١٦] على هذا النحو- "الفردوس المصطنع"، كان بودلير يدرك هذه الحالة.

دوفاكين: السُكْر.

باختين: حالة الخَدَر، نعم، وكان يعني أساسًا تعاطي الحشيش، على أن هذا الكتاب كان من الكتب الشيقة للغاية، مثل كل أعمال بودلير، ويمكن القول إنه في هذا الكتاب قدّم تحليلا مفصلا لكتاب آخر، لم نكن نعرفه عندنا في روسيا، إذ لم يكن منشورًا آنذاك، هو كتاب "دي كفينسي"،[١٧] وهو كلاسيكي

إنجليزي مشهور، عـالم كبيـر فـي مجـال الدراسـات الكلاسيكية، كان مدمنًا للأفيون منذ شبابه المبكـر وحتـى وفاته، وقد مات طاعنًا في الشيخوخة، على الـرغم مـن ذلك، زد على ذلك أنه في أخريات حياته كـان يتعـاطى جرعة لم يكن أحد من العلماء والأطباء يصدق أن بإمكانه تعاطيها، ولكن الأمر بالنسبة إليه كان ممكنًا، لقـد وصـل تدريجيًا إلى هذه الجرعات الهائلة، ومع ذلك لـم يـصبه مكروه.

دوفـــاكين: وهل كان يشعر باللذة؟

بـاخـتيـــن: كان يشعر بها، وقد وصف خيالاتـه ورؤاه، ولمـا كـان كلاسيكيًا رائعًا يمتلك موهبة شعرية، فإن كل هذه الـرؤى التي سجلها بدرجة عالية من الشاعرية، الأمر الـذي شـد انتباه شارل بودلير، وقد عرض بودلير في كتابه سيرة دي كفينسي، أما كتاب دي كفينسي فقد ذاع صيته في أنحـاء أوروبا، وقد تمت ترجمته كاملا من الإنجليزية، التي كُتب بها إلى الفرنسية في (مجلة العالميْن) (Revue des deux mondes).

دوفـــاكين: "Revue des deux mondes"؟

بـاخـتيـــن: هذه مجلة فرنسية مشهورة، كانت تصدر في القرن التاسع عشر.

دوفـــاكين: أظن أنها كانت تصدر في القرن العشرين أيضًا؟

باختين: نعم، كانت تصدر في القرن العشرين أيضًا، ولكن الكتاب صدر في القرن التاسع عشر، تحت اسم "مذكرات مدمن أفيون إنجليزي"، وقد قرأتها كاملة بالمناسبة في مجلة "Revue des deux mondes"، لكن هذه القضية لم تشغل بال الكثيرين عندنا، ولم يهتم بها إلا قلة من الناس، وقد تناول نيكولاي نيكولايفيتش لانجي هذا الكتاب بالتحليل العلمي النفسي، ودرس حالة متعاطي الأفيون والحشيش، ولكن لا أتذكر هذه الدراسة.

دوفاكين: لقد خرجنا بعض الشيء عن موضوعنا، إذن، في رأيك هل كان قسم الدراسات الكلاسيكية في كلية التاريخ والدراسات الإنسانية في جامعة نوفوروسيسك في أوديسا جديرًا تمامًا بالاحترام من ناحية مستواه العلمي؟

باختين: كان قسمًا جديرًا بالاحترام، تمامًا، ولكن خذ مثلا مونتشولسكي، كان مدرسًا تافهًا، لم يترك انطباعًا كبيرًا،(١٨) وإن كان شخصًا محترمًا...

دوفاكين: هل كنتم تدرسون الأدب الروسي، أم لا؟

باختين: وكيف لا؟!

دوفاكين: في قسم الدراسات الكلاسيكية.

باختين: الأمر سواء، نعم، الأمر سواء.

دوفاكين: وأدب أوروبا الغربية؟ هل كانت هناك دورات عامة؟

باختين: نعم، نعم، بالطبع، كانت هناك مواد عامة، كان التخصص يبدأ عندنا متأخرًا بدرجة ملحوظة، على العموم، كنا ندرس جميعًا معًا، بغض النظر عن القسم...

دوفاكين: كانت لديكم خمس دورات؟

باختين: أربع دورات، أربع.

دوفاكين: قل لي، ماذا عن دراسة اللغات القديمة؟

باختين: كنا ندرسها.

دوفاكين: منذ المدرسة الثانوية؟

باختين: في الثانوية كانت اللغة اللاتينية إلزامية، ينبغي القول إننا كنا ندرس اللاتينية على نحو جيد، أما اللغة اليونانية القديمة فكانت دراستها اختيارية، كل على حسب رغبته، وقد درست اللغة اليونانية القديمة.

دوفاكين: إذن عندما التحقت بالصف الأول بالجامعة، كنت تعرف اللاتينية واليونانية القديمة، وبالطبع الفرنسية...

باختين: بطبيعة الحال كنت أعرف الفرنسية، كنت أعرفها منذ الطفولة، كما كنت أعرف الألمانية أيضًا منذ الطفولة، أضف إلى ذلك أنه لمَّا كان أخي يكبرني قليلا؛ فقد أحضروا لنا مربية ألمانية، كان الأمر بالنسبة لي مبكرًا للغاية، لم أتعلم الحديث بالروسية كما ينبغي... ومن ثم فقد كانت الألمانية تقريبًا لغتي الأولى.

آنذاك كنت أفكر بالألمانية، وأتكلم بالألمانية، وفي أثناء ذلك...

دوفاكين: ثم تعلمت الفرنسية بعد ذلك؟

باختين: الفرنسية تعلمتها بعدها.

دوفاكين: ألم يكن هناك تعليم للغة الإنجليزية؟

باختين: إطلاقًا، لم يكن هناك آنذاك تعليم اللغة الإنجليزية، وحتى لم يكن من الممكن تعليمها، كمادة اختيارية، وإن كان من الممكن دراستها في الجامعة. في الجامعة كان من الممكن تعلم أي لغة، كان هناك دائمًا مدرسون للغات، على سبيل المثال، فقد بدأ أخي في دراسة اللغة الدانمركية كمادة اختيارية، ثم تركها بعد ذلك، كانت عندنا في جامعة بتروجراد السيدة لاسين كانت تدرس اختيارًا.

دوفاكين: في أى السنوات درست بجامعة أوديسا؟ سنوات الحرب؟

باختين: لا، قبل الحرب، أما أثناء الحرب فقد كنت في لينينجراد.

دوفاكين: تقصد في بطرسبورج؟

باختين: نعم.

دوفاكين: مهلا، إن هذا يعني سنوات طوالا، لقد التحقت بجامعة أوديسا.

باختين: بالنسبة إلى السنوات، فربما تكون الذاكرة قد خانتني، لقد اختلط الأمر عليَّ.

دوفاكين: لقد بدأت الحرب في يوليو ١٩١٤؛ فلو أنك أمضيت لنقل الصف الدراسي ١٩١٣/١٩١٤، عام ما قبل الحرب، العام الدراسي الأول لك في أوديسا، ثم انتقلت منه على الفور، كما يبدو، من سياق حديثك...

باختين: انتقلت إلى الصف الدراسي الثاني، إلى الثاني.

دوفاكين: هذا يعني أنك قضيت عامًا واحدًا فقط...

باختين: نعم، عامًا واحدًا فقط.

دوفاكين: ... في أوديسا، أيام لانج وخلافه، كنت طالبًا في الصف الأول؟

باختين: نعم، أنهيت الثانوية هناك، التحقت بالجامعة لمدة عام واحد فقط.

دوفاكين: هذا يعني إذن أن الأعوام ١٩١٤/١٩١٥، ١٩١٥/١٩١٦، ١٩١٦/١٩١٧، أي الأعوام الثاني والثالث والرابع قضيتها في جامعة بطرسبورج؟

باختين: نعم، في جامعة بطرسبورج.

دوفاكين: (بصوت منخفض): أم كان اسمها بتروجراد.

باختين: لا أستطيع أن أتذكر التواريخ بدقة، يمكن الرجوع في ذلك إلى مذكرات أخي، وهي موجودة باللغة الإنجليزية، كتاب مذكرات، هناك أيضًا مزيد من التفاصيل عن الطفولة.

دوفاكين: ما يهمني ليس ما هو موجود، بل ما هو غير موجود.

باختين: ذكرياتي عن مربيتنا الألمانية، التي كنت أحبها بشدة... كنت أدعوها فقط بكلمة "Liebehen"، وكنت أحب الجلوس إلى دروسها، كانت امرأة رائعة.

دوفاكين: هذا يعنى أنك قد جمعت بين التربية والتعليم على نحو رائع...

باختين: هذا صحيح، ولكن ينبغي القول إنني على أية حال – وإن كنت هنا لا أستطيع أن أقلل من شأن المدرسة الثانوية أو الجامعة – قد قمت بتحصيل أغلب معارفي على نحو

مستقل؛ إذ لا يمكن أن يكون هناك في حقيقة الأمر تعليم رسمي بإمكانه أن يوفر كل حاجات المرء من المعرفة، فإذا ما اكتفى الإنسان بما يتلقاه في المدرسة أو الجامعة، فإنه في الواقع يتحول إلى موظف. إن المدرسة والجامعة تعلمانك ما تم إنجازه، أما ما هو حديث، أما الإبداع، فأنت لا تأخذه منهما، وعليك أن تتواصل مع الحديث والجديد، مع الإبداع، عن طريق قراءاتك المستقلة. خذ مثلا نيكولاي نيكولايفيتش لانج، الذي سبق أن حدثتك عنه، لقد كان أستاذًا رائعًا، ولكنني عندما سألته – وكنت قد بدأت مبكرًا في قراءة الكتب الفلسفية في أصولها باللغة الألمانية – عن جيرمان كوجان (وهو صاحب مدرسة ماربورج).

دوفاكين: التي سافر إليها باسترناك؟

باختين: نعم، نعم، باسترناك، وعما إذا كان كتابه الأول المهم – "Erfahrung Kants Theorie dér"[١٩] (نظرية كانط في التجربة) – كتابًا قيمًا؟ أجابني بقوله: "يبدو لي أنه كذلك"، وهو ما يعني أنه لم يقرأه، زد على ذلك فقد بدا لي أن اسم جيرمان كوجان معروف لديه سماعًا فقط.

دوفاكين: أنا أيضًا أعرفه سماعًا من قراءتي لباسترناك.

باختين: صحيح، صحيح، وقد ذكره أندريه بيلي أيضًا في إحدى قصائده بقوله:

الأستاذ كوجان من ماربورج
مبدع المناهج الجافة...[٢٠]

بالطبع، فإن هذا الوصف "مبدع المناهج الجافة" غير صحيح على الإطلاق، لقد كان كوجان فيلسوفًا رائعًا، وقد

ترك أثرًا بالغًا عليَّ، أثرًا بالغًا، وسوف نصل في حوارنا معًا إلى هذا الأثر.

دوفاكين: على العموم، من الأهمية بمكان أن يتعرف المرء على تاريخ التكوين... المرحلة الأولى في تكوين عالم، ننتقل الآن إلى أمر آخر، عمن كنت تود الحديث؟

باختين: يمكنني القول إنني بدأت مبكرًا للغاية، في التفكير المستقل، وفي قراءة الكتب الفلسفية الجادة، وكنت مولعًا بالتحديد بالفلسفة أكثر من أي شيء آخر، وبالأدب كذلك؛ فقرأت الكلاسيكيات الجادة من الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمري، وتعرفت مبكرًا على وجه الخصوص على كانط، فقرأت له: "نقد العقل الخالص"، وأود أن أقول هنا إنني فهمته على نحو جيد.

دوفاكين: وهل كنت تقرأ بالألمانية؟

باختين: نعم، ولم أقرأ في الفلسفة بغيرها، أما بالروسية فلم أقرأ اللهم إلا "المقدمات النقدية"، وهو كتاب لا يزيد عن كونه "نقد العقل الخالص" في طبعة مختصرة، لقد كنت أقرأ لكل الفلاسفة الألمان، كما تعرفت مبكرًا، قبل أي شخص في روسيا، على سيرين كيركيجور.(٢١)

دوفاكين: عفوًا، لم أفهم عمن تتحدث، سيرين...

باختين: كيركيجور.

دوفاكين: كير- كي - جور؟ هل كان أيضًا ألمانيًا؟

باختين: يكتبون عندنا اسمه خطأ كيركيجارد، والصحيح كيركيجور.

دوفـــــاكين: تراه دانمركيًا؟

بـــاخــتيـــــن: نعم، كان دانمركيًا عظيمًا.

دوفـــــاكين: وكان أيضًا فيلسوفًا؟

بـــاخــتيـــــن: كان فيلسوفًا ورجل دين تعلم على يدي هيجل نفسه، كما درس شيلنج، لكنه اختلف فيما بعد مع هيجل والهيجلية، وهو الذي وضع الأسس الأولى للوجودية، التي لم يلحظها أحد إبان حياته.

دوفـــــاكين: عفوًا، متى كان ذلك، وهل كان معاصرًا؟

بـــاخــتيـــــن: كان معاصرًا لدوستويفسكي، ولد كلاهما في العام نفسه، غير أن كيركيجور مات قبله بقليل،(٢٢) بالطبع لم يكن دوستويفسكي يعرف عنه شيئًا، ولكن وجه الشبه بينهما مدهش، الإشكالية نفسها، يعد الآن من أعظم مفكري العصر الحديث، وإن لم يحظ بالأهمية نفسها إبان حياته.

دوفـــــاكين: وهل ترجموه عندنا؟

بـــاخــتيـــــن: لقد كان عالمًا عظيمًا، وقد ترجموا عندنا قليلا جدًا من أعماله لا أكثر، هل تعرف؟! لقد تعرفت في أوديسا آنذاك، على سويسري يدعى هانز لينباخ، كان مثقفًا للغاية، ولكنه لم يترك أثرًا، كان الرجل عاشقًا ومولعًا بكيركيجور، في وقت لم يكن يعرفه فيه أحد.

دوفـــــاكين: وهل كان هذا الرجل على معرفة به أثناء حياته؟

بـــاخــتيـــــن: هذا الرجل عرفه حيًا.

دوفـــــاكين: هذا السويسري إذن هو الذي أعطاك كتبه، أليس كذلك؟

باختين: نعم، نعم، وهو الذي كشف لي كيركيجور، وهو الذي أهداني أيضًا الكتاب الأول له وعليه اسمه "سيرين كيركيجور"، بعد ذلك أخذت في جمع أعماله الكاملة... لم أكن أعرف اللغة الدانمركية، ولكنه كان مترجمًا إلى الألمانية كاملا، أظن أنه صدر في دار نشر "Pieter Verlag"، لا أذكر تمامًا الآن، المهم أنه صدر عن إحدى دور النشر الألمانية المحترمة، وقد صدرت الأعمال الكاملة له في عشرة مجلدات(٢٣)... يمكن القول إن كيركيجور أصبح الآن واحدًا من عظماء الفكر المعاصر.

دوفاكين: في الغرب؟

باختين: في الغرب يدرسونه، نعم، وحتى عندنا صدر عنه كتابان، أحدهما غاية في الجودة، لم تعد ذاكرتي تسعفني، وخصوصًا في الأحداث القريبة، أتذكر الأشياء الغابرة على نحو أفضل... نعم... وهناك امرأة فيلسوفة... في مقتبل العمر... تعيش هنا، لا أعرفها بصفة شخصية، ولكنها مشهورة للغاية، تنشر في مجلتي "قضايا الأدب" و"قضايا الفلسفة"، وتتميز جميع مقالاتها بأنها على أعلى درجة من الموضوعية، فهي لا تجمّل ولا تتسقط العيوب، في السابق كان اسم كيركيجور يتردد تسبقه حتمًا صفة الظلامي، "الظلامي كيركيجور"، أو "كيركيجارد" كما يكتبون عندنا، وقد قيّمت هذه المرأة كيركيجور بشكل موضوعي تمامًا، وتوصلت إلى فهمه فهمًا عميقًا.(٢٤)

أما الكتاب الثاني، ولديَّ منه نسخة، فمؤلفه يدعى لوريي، انظر كيف أصبحت ذاكرتي! أمر مستحيل.

دوفـــــاكين: لديك ذاكرة رائعة!

بـــاخـــتيـــن: رائعة، عمَّ تتحدث؟! كانت، كانت لديَّ فـــي شـــبابي ذاكـــرة ظاهراتية، كان بإمكاني أن أحفظ النصوص الشعرية والنثرية من القراءة الأولى، الآن لا تسعفني الذاكرة بالطبع.

دوفـــــاكين: وأنا أيضًا كنت أحفظ الشعر.

بـــاخـــتيـــن: لا أستطيع الآن أن ألقي عليك ما كنت قد حفظته (لقد كنـــت أعي عن ظهر قلب الكثير والكثير)، كما كنت أستظهر النثر أيضًا. لقد كنت، على سبيل المثال، أحفظ مقاطع كثيرة، تكاد تصل إلى أجزاء كاملة من أعمـــال نيتـــشه، فـــي أصـــلها الألماني، أنا أيضًا مررت بتجربة الهوى الجامح بنيتشه.

دوفـــــاكين: كان هذا متأخرًا بعض الشيء.

بـــاخـــتيـــن: متأخرًا، نعم، ربما في الفترة نفسها. لا، بل تعرفت علـــى نيتشه قبيل تعرفي على كيركيجور.

دوفـــــاكين: أنت من مواليد ١٨٩٥... أي أنك تبلغ من العمر عـــشرين عامًا عام ١٩١٥. كنت ما زلت تدرس في جامعة أوديسا، ولكنك كنت واسع الاطلاع، وبالنسبة إلى الفلسفة...

بـــاخـــتيـــن: بالطبع، لقد حصلت على معارف فلسفية آنذاك، واستمعت إلى محاضرات البروفيسور كازانسكي.

دوفـــــاكين: هل هو كازانسكي الذي أصبح فيما بعد عضوًا في جماعة أوبوياز؟(*)

(*) أوبوياز: جمعية دراسة شعرية اللغة، تأسست في الفترة من عام ١٩١٦ - ١٩١٨ على يد مجموعة من اللغويين: بوليفانوف، ياكوبينسكي، وعلماء الشعر: برنشتاين، بريك، والمنظرين=

باختين: لقد كان ابنه، ابن كازانسكي الذي تعلمت على يديه، على العموم في لينجراد، كان هناك أبناء أساتذة أوديسا، إلا لانج؛ فلم يكن له تلاميذ، على العموم، لم يحقق تلاميذه نجاحًا يذكر، كانوا كسالى. أما تلميذ كازانسكي فقد درس...

دوفاكين: أليس هو الذي كتب عن لغة لينين في مجلة LEF.(*)

باختين: هذا بوريس كازانسكي ابن البروفيسور كازانسكي،(٢٥) والبروفيسور كازانسكي كان رجلا جديرًا بالاحترام، لقد ترجم أرسطو كله عن اليونانية القديمة.

دوفاكين: إلى الروسية مباشرة؟

باختين: نعم، وهو جهد هائل بطبيعة الحال. إن ترجمة أرسطو أمر غاية في الصعوبة، وفي رأيي أنه أصعب من أفلاطون الشاعر. فهناك المصطلحات الخاصة بأرسطو، وهو أمر يزيد من صعوبة الترجمة، لكنه نجح في ترجمته على نحو رائع، أما إذا تحدثنا عنه باعتباره فيلسوفًا مبدعًا... ففي رأيي الشخصي أنه لم يكن فيلسوفًا مبدعًا، ولهذا جاءت

=ومؤرخي الأدب: شكلوفسكي، أيخنباوم، تينيانوف، وهي تعتمد المنهج الشكلي في الدراسات الأدبية. (المترجم)

(*) *LEF*: الجبهة اليسارية للفنون، جمعية فنية أدبية سوفيتية ظهرت في موسكو وأوديسا وغيرها من المدن، في الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٩، استهدفت تأسيس فن ثوري فعال ومؤثر، أصدرت مجلة *LEF* (١٩٢٣ – ١٩٢٥) و*lef* الجديدة (١٩٢٧ – ١٩٢٨)، من أشهر أعضائها ماياكوفسكي، أسييف، ترياتيكوف، رودتشينكو، إيزنشتين. (المترجم)

محاضراته في المدخل إلى الفلسفة، وهي المحاضرات الأولى في الفلسفة التي كان يقرؤها في الجامعة تحت اسم "مدخل إلى الفلسفة" ضعيفة للغاية.

دوفاكين: وكيف كانت نظرتك، لاحظ أني أُعلق على التواريخ القديمة، كـ "مدخل إلى الفلسفة" الذي وضعه كيولبيه Külpe؟

باختين: كيولبيه، كيولبيه،[٢٦] كان ألمانيًا.

دوفاكين: ألمانيًا؟ وأنا كنت أظنه فرنسيًّا.

باختين: كيولبيه؟ كان متوسطًا.

دوفاكين: لقد درسناه.

باختين: هكذا إذن. على أية حال، كيولبيه لم يكن ذا شأن عظيم.

دوفاكين: وماذا عن "تاريخ الفلسفة اليونانية القديمة"، الذي وضعه سيرجي تروبتسكوي؟[٢٧]

باختين: هذا عمل أكثر أهمية، ولكنه بالطبع ليس من الأعمال الكلاسيكية، ولعلي أقول لك، (وأنا شديد الميل لمدرسة ماربورج على أية حال) إن كتاب "مقدمة في الفلسفة" الذي وضعه نارتوب... ونارتوب هذا هو أحد تلاميذ جيرمان كوجان، الذي ينتمي هو الآخر إلى مدرسة ماربورج، ونارتوب، باول نارتوب، أحد الأتباع الخلَّص لمدرسة ماربورج، وقد كتب "مقدمة في الفلسفة" الذي ترجم إلى الروسية[٢٨].

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش، إذن تسعينيات القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين هي فترة ازدهار مدرسة ماربورج.

باختين: هذا صحيح، لقد ظهرت الأعمال الأولى لجيرمان كوجان في الثمانينيات، ثم ظهر بعد ذلك نظامه في الفلسفة في ثلاثة أجزاء تحت اسم "Logik der reinen Erkenntnis"؛ أي "منطق الإدراك الخالص"، ثم "Logik der reinen Willens"؛ أي منطق الإرادة الخالصة، وهو كتاب في الأخلاق، والثالث والأخير "Logik der reinen Gefühls"؛ أي "منطق الإحساس الخالص"، وهو رؤيته الجمالية،[٢٩] ولكن كل هذا، كما تعلم، يدخل ضمن تقاليد كانط، آنذاك لم يكن هناك سوى كتاب كانط "نقد العقل الخالص"، أما هنا فكان "نقد الإدراك الخالص"، ثم جاءت بعد ذلك الرؤية الأخلاقية فيما عرف عند كانط بـ "نقد العقل العملي"، وسميت رؤيته الجمالية بـ "نقد القدرة على الرأي"، وهذه هي الأعمدة الثلاثة لنظام فلسفة كانط، وهكذا، وعلى نحو موازٍ، متتبعًا خطاه، اعتبر جيرمان كوجان أن فلسفته كما لو كانت بمثابة خطوة تالية لكانط، قائمة على الأسس الصارمة للفلسفة الكانطية، ومن وجهة نظري أن كوجان لم يبتعد في جوهر الأمر عن تعاليم كانط، وإنما قام على تطويرها.

دوفاكين: والآن ميخائيل ميخايلوفيتش، في بداية حديثنا عن أوديسا جئتم على ذكر أول جمعية لغوية أو أدبية... أنا قلت إنها "أوبوياز"، وأنتم قلتم: "لا، "أومـ..."، ماذا كان اسمها؟

باختين: لا، "Omphalos".

دوفاكين: كان هذا في أوديسا؟

باختين: لا، لا، لا، كان هذا في لينينجراد.

دوفاكين: في بطرسبورج.

باختين: في بطرسبورج.

دوفاكين: حسناً، إذن من الآن فصاعدًا لن أتعجلك، لقد ظننت أنك نسيت هذا ببساطة.

باختين: ثم حظيت هذه المجموعة المعروفة باسم "Omphalos" بالشهرة، بل أصبح لها دار نشر في أوديسا ثم نسيها الجميع منذ زمن بعيد.

دوفاكين: "Omphalos"؟

باختين: "Omphalos"، كلمة إغريقية، وتعني بالروسية "السرة"، أستطيع أن أتذكر ماذا كان بشأنها، وما أن أستعيد ذكراها حتى أحدثك عنها.

دوفاكين: سنتحدث عن ذلك عندما نقترب... أظن أن هذا حدث في أوديسا، وأنك إنما نسيت.

باختين: لا، لا، لم يحدث هذا في أوديسا، حدث ذلك عندما كنت لا أزال في أوديسا... لا أذكر بالضبط... بدأ الأمر في عام ١٩١٣/١٩١٢... تأسست الحلقة... على هيئة حلقة... كانوا مجموعة من الشباب، من الذين أنهوا لتوهم أو الذين قاربوا على الانتهاء من الجامعة، أو الدارسين في الصفوف النهائية منها.

دوفاكين: أنت تتحدث إذن عن جامعة بطرسبورج؟

باختين: في بطرسبورج، لم تكن هناك عضوية في "Omphalos" على الإطلاق، كانت مجرد حلقة من الأصدقاء المستقلين، ومن بينهم الأخوان رادلوف: سيرجي رادلوف ونيكولاي رادلوف،(٣٠) وقد شارك كلاهما بشكل حيوي للغاية.

دوفاكين: شيء طبيعي، إنها بطرسبورج، حالة خاصة، وماذا يمكن أن يقال في هذا الصدد عن أوديسا؟ ينبغي القول إنك أعطيت بالفعل اهتمامًا كبيرًا هناك... الشيء نفسه الآن، ولكن على نحو أكثر اتساعًا، أقصد كان لك إسهام علمي خاص في هذا الاتجاه الفلسفي... لنقل إجمالا إنك خلقت جوًا من الاهتمام بمدرسة ماربورج، بهذه الفلسفة عمومًا، والتي لم تكن منتشرة على نطاق واسع؟

باختين: لم تكن منتشرة، لم تكن إطلاقًا منتشرة، كانت معروفة على نطاق ضيق للغاية.

دوفاكين: من كان معكم آنذاك؟ إلى جانبكم؟

باختين: كان إلى جانبي شخص تعرفت عليه متأخرًا للغاية، وقد أصبح واحدًا من أقرب أصدقائي، وقد درس هو نفسه مباشرة في ألمانيا على يد جيرمان كوجان، لقد طواه الثرى منذ زمن بعيد، ولا تزال ابنته تزورني.

دوفاكين: ومن هو؟

باختين: إنه ماتفي إيسايفتش كاجان.(٣١)

دوفاكين: تعني أنه لم تكن بينكما أية معرفة في أوديسا؟

باختين: لا، لقد تعرفت عليه متأخرًا جدًا.

دوفاكين: كنت أسألك من كان إلى جوارك في أوديسا؟ من كانت له اهتماماتك نفسها؟

باختين: أخي فقط، الذي كان يدرس هو الآخر في الجامعة، والذي بدأ دراسته الجامعية في أوديسا.

دوفاكين: لم تكن قد أصبحت بعد باحثًا في الدراسات الكلاسيكية.

باختين: كنت باحثًا... كنت فيلسوفًا، انظر، باستطاعتي أن أقول لك...

دوفاكين: إنك كنت فيلسوفًا أكثر منك عالمًا في اللغة والأدب؟

باختين: فيلسوفًا أكثر، وهو ما استمر حتى يومنا هذا، أنا فيلسوف، أنا مفكر، ولكن في بتروجراد، في بطرسبورج، في بتروجراد لم يكن هناك قسم للفلسفة مستقل بذاته، لقد كانوا ينطلقون من تصورات أخرى: ما هي الفلسفة؟ إنها لا هذه، ولا تلك، ينبغي أن تكون متخصصًا، ولهذا كان هناك قسم للفلسفة، ولكنه لم يكن مستقلا، تريد أن تدرس الفلسفة؟ لك هذا بشرط أن تنهي أي قسم آخر: إما قسم الدراسات الروسية، وإما قسم الدراسات الألمانية الغربية...

دوفاكين: وهذا في حدود الدراسات التاريخية والأدبية؟

باختين: نعم، في حدود الدراسات التاريخية والأدبية... أو قسم الكلاسيكية، بالنسبة إليَّ فقد اخترت الدراسات الكلاسيكية... كان من المحتم أن تنهي قسمين؛ لأن قسم الفلسفة وحده لم يكن ليغطيك...

دوفـــــاكين: لم يكن ليعطيك مهنة؟!

بـــاخـــتيـــن: نعم.

دوفـــــاكين: عمومًا، كانت هذه هي القاعدة.

بـــاخـــتيـــن: في رأيي أن هذا هو الصواب؛ إذ قل لي بربك، مــن هــو الفيلسوف في نهاية الأمر؟ الفيلــسوف... عمومًــا كــانوا يقسمونهم إلى دارسين للعلوم الإنسانية، والآخرين فلاســفة وعلماء طبيعة؛ لأن جزءًا منهم يتخــصص فـــي العلــوم الطبيعية: الفيزياء، والرياضيات، بالإضافة إلى الفلــسفة، والآخرين يتخصصون في العلوم الإنسانية، أخص بالذكر هنا كاسيرير، إرنست كاسيرير، وكان ينتمي إلى مدرســة ماربورج، لعلك سمعت هذا الاسم؟

دوفـــــاكين: لا، لا أعرفه.

بـــاخـــتيـــن: إرنست كاسيرير كان أيضًا فيلــسوفًا رائعًــا مــن مدرســة ماربورج، ولا يزال كتابه يلقى تقديرًا رفيعًا حتى يومنا هذا، وهذا الكتاب يلقي عندنا التقدير الرفيــع، ويحظـــى بـــالقراءة واســـمه "Die Philosophie der Symbolischen Formen" "فلسفة الشكل الرمزي"، وهو في ثلاثة مجلدات: الأول "اللغة"، والثاني "الأسطورة"، والثالث "الإدراك"... هــذا هو كاسيرير.

دوفـــــاكين: وماذا عن اهتماماتك الأدبية، أعني في فترة أوديسا؟ هــل اقتصرت على الأدب الكلاسيكي؟

باختين: إطلاقًا، لم تقتصر على الأدب الكلاسيكي، لقد كنت شغوفًا بالشعر المعاصر: بالرمزيين الروس، وبمن أسموهم بالانحطاطين، سواء الفرنسيين منهم، أو الألمان، لقد كان لديّ أحد أصدقائي الذي كان يعيش بالمناسبة في أوديسا، والذي لم يكن صديقًا فقط، وإنما من أبناء عمومتي، وكان يدرس معي أيضًا في جامعة أوديسا، كانت لديه مكتبة رائعة وكاملة، تضم كل الشعر الفرنسي تقريبًا، وقد استفدت من هذه المكتبة، وتعرفت من خلالها على الشعراء الرمزيين الفرنسيين، والانحطاطين، بدءًا من بودلير...

دوفاكين: من بودلير الذي لم يترجم لدينا إلا في عام ١٩١١؟!

باختين: لا، بودلير بدأت ترجمته قبل ذلك، وقد أحسن فاليري بريوسوف صنعًا في هذا الصدد؛ فقد قام في فترة مبكرة...

دوفاكين: في منتخباته المسماة "الرمزيون" قدم عددًا من الترجمات.

باختين: نعم، وفي الوقت نفسه أصدر منتخبًا باسم "شعراء ملعونون" "Poètes maudits".

دوفاكين: "Poètes maudits" من إصدار ياكوبوفيتش(٣٢) على ما أظن.

باختين: لا، الذي أصدره أولا هو بريوسوف، لم يكن ياكوبوفيتش مهتمًا بهؤلاء الشعراء.

دوفاكين: ولكنه أصدره...

باختين: "الشعراء المعلونون" كان اسمًا شائعًا.

دوفاكين: أعلم هذا، وأنت مَنْ مِن الشعراء أحببت؟

باختين: من القدماء... أحببت بوشكين بشدة، لا جدال في ذلك، ثم أحببت تيوتشيف للغاية، وكذلك باراتينسكي وفت، أما ليرمونتوف فقد أحببته أقل، ومن الشعراء الفرنسيين كان لديّ ميل شديد لمؤسس الرمزية والانحطاطية الأول شارل بودلير، وقد درسته بالفعل طولا وعرضًا، وبطبيعة الحال كنت أحفظ كثيرًا من شعره بالفرنسية، وعن الأصل، كما كنت أقدر الشاعر جوزيه إيريديا تقديرًا رفيعًا.

دوفاكين: إيريديا... سمعت عنه، نعم.

باختين: حقا، إيريديا، على الرغم من أنه لم يكن لديه سوى ديوان صغير، اسمه "Trophées" وعلى الرغم من ذلك تم اختياره..

دوفاكين: "Trophées"؟

باختين: "Trophées" بمعنى "الغنائم"، وهي كلمة إغريقية، وفي الفرنسية "Trophées"، وعلى الرغم من أن جوزيه إيريديا لم يصدر سوى هذا المنتخب الصغير، فإنه كان إلى حد كبير...

دوفاكين: أظن أن إيلوار أصدر شعره في هذه الفترة، أليس كذلك؟

باختين: لا، إيلوار صدر متأخرًا قليلا، إيلوار... ثم... إيلوار، من وجهة نظرى، كان – ولا يزال – شاعرًا من الدرجة الثانية، في ظني أن ما أضفى عليه شهرة هو انتماؤه للمذهب السوريالي وما إلى ذلك، وعندما ابتعد عن السوريالية تحول إلى لا شيء، كتب في الحب أشعارًا لا بأس بها، وجهها إلى المرأة التي أحبها، ثم انتقل إلى

كتابة أشعار ثورية، وحلت الثورة عنده محل "المحبوب"، هذا هو ما اعترف به في حبه وإخلاصه للثورة، كل هذا بالطبع فقر.

دوفاكين: فقر!

باختين: لقد بقي على حاله... ثم أصبح تافهًا.

دوفاكين: ومَنْ مِن الرمزيين الروس؟

باختين: من الرمزيين الروس؟

دوفاكين: مَنْ منهم أحببت؟

باختين: أحبهم إلى نفسي هو فيتشيسلاف إيفانوف، بالإضافة إلى ذلك أحببت أنينسكي بشدة، وأظنك تعرف أنه لم يكن شاعرًا رائعًا فحسب...

دوفاكين: كان عالمًا في الكلاسيكيات أيضًا، وقد ترجم يوريبيدوس...

باختين: نعم، ترجم يوريبيدوس.

دوفاكين: ...، ولهذا كان زيلينسكي يهاجمه دائمًا.

باختين: نعم، نعم...

دوفاكين: أُف...

باختين: حقا، ولكن الذي قام بالتحرير ومراجعة يوريبيدوس هو زيلينسكي،(٣٣) والمجلد الأخير في أعمال يوريبيدوس راجعه زيلينسكي، وبدرجة رفيعة...

دوفاكين: لديّ هذه الطبعة، أعرفها.

باختين: زيلينسكي كان أستاذي أيضًا، وربما كان أكثر مَنْ أحببتهم.

دوفاكين: هل درست على يديه مباشرة؟

باختين: فعلا، درست على يديه مباشرة.

دوفاكين: وماذا عن الكلاسيكي ميخائيل بوكروفسكي(٣٤)، ألا تعرفه؟

باختين: أعرفه.

دوفاكين: لقد درست على يديه.

باختين: أما أنا فلم أدرس على يديه؛ لأنه كان في موسكو، إن علماء الكلاسيكيات هؤلاء بوكروفسكي، ثم سوبوليفسكي[٣٥]، الذي وافته المنية غير بعيد عن عمر يناهز خمسةً وتسعين...، وكذلك راتسيج[٣٦].

دوفاكين: لقد توفي راتسيج منذ قريب، لكن راتسيج شخص ممل.

باختين: فعلا، شخص ممل.

دوفاكين: إنه طالب ثانوي ليس إلا...

باختين: سافل، هذا هو... انظر كيف لخص الأدب الإغريقي؟! ببساطة هذه سفالة، إعادة قص للإلياذة على نحو سنتيمينتالي. هذا ما يمكن أن يفعله طالب ثانوي سنتيمينتالي في الصف الرابع.

دوفاكين: لقد قام في السنوات الأخيرة من عمره بالتدريس في الجامعة، وكان يبلغ من العمر آنذاك ثمانين عامًا...

باختين: أعرف، أعرف.

دوفاكين: كان يذهب إلى المحاضرات، عمومًا كان شديد التأثر في ميله للتدريس بالجامعة، أما الطلاب فكانوا ينصتون إليه، ثم...

باختين: ثم أدركوا أن ما يقدمه ليس علمًا، وإنما...

دوفاكين: وإنما كانت حكايات...

باختين: لا بأس بالحكايات، لكنه كان يعيد صياغة الحكايات على نحو رديء.

دوفاكين: حقا، ثم بعد ذلك، وأنا لست كلاسيكيًا على الإطلاق، كنت أشعر بالصداع الشديد، عندما كان يحدثني عن ترجماته للكلاسيكيين (لا أعرف، ربما كان على حق)... حدث هذا ذات مرة، إبان الحرب، في ظروف الوقوف في الطوابير، في انتظار ثمرة بطاطس، أو ما شابه... وإذا به يظهر علينا بترجماته، فيطلقها في أذني، (لا أعرف كيف ينبغي أن تقرأ على نحو كلاسيكي)، أشعار سيئة للغاية باللغة الروسية، ثم إذا به يعقد مقارنة بقوله: "انظروا كيف ترجم بريوسوف هذا الشعر على نحو كريه، وكان يكيل الشتائم بشكل خاص لفيرسايف).

باختين: بالنسبة إلى فيرسايف فأظنه كان على حق إلى حد كبير، حقا.

دوفاكين: بالنسبة إلى بريوسوف وفيرسايف...

باختين: لم يكن محقا إطلاقًا بالنسبة إلى بريوسوف، إطلاقًا.

دوفاكين: كل ما فعله لم يكن إلا تشويهًا، أما ما كان يعيد علينا حكيه، فكان بالفعل ترجمة حرفية، لم يكن شخصًا موهوبًا على الإطلاق.

باختين: كان سافلا، ليس سافلا في أمور المعيشة بالطبع (كان رجلا مستقيمًا، كما يبدو، في الحياة والمعيشة، وما إلى ذلك)، وإنما كان سافلا في فهمه للتراث الإغريقي، في فهمه لترجمة هذا الشعر.

دوفاكين: لقد تعرفت على ميخائيل ميخايلوفيتش بوكروفسكي، كما تعلمت على يديه، ولكني أبدًا لم أكن مستعدًا بدرجة

كافية... حتى إنني كتبت تحت إشـــرافه بحثًـــا عـــن دور الجوقة فـــي درامـــا يوربيبيـــدوس (يوربيبيـــدوس ولـــيس إسخيلوس)، وكيف يتراجع دورها ويتم إفقارها وقد حدد لي موعدًا للمناقشة، ولكني شعرت أن الموضوع لا يخصني، لقد زرته في بيته عدة مرات، تصور على أي نحو كـــان وضع أستاذ جامعي متخصص في الدراسات الكلاســيكية الإغريقية في عام ١٩٢٧، وسط طلاب البروليتاريا!

بـــاخـــتيـــــن: يا له من وضع حقا!

دوفــــــاكين: كنت أتردد على محاضـــراته بـــشكل خـــاص بأحاســيس متناقضة؛ إذ لم يكن هناك أحد يذهب إليـــه، كـــان عنـــدنا إجمالا ثلاثة أو أربعة أنفار، يذهبون مثلي أحيانًا، وللسبب نفسه، ولكني فهمت بعد ذلك كيـــف كانـــت محاضـــرات ميخائيل ألكسندروفيتش[٣٧] رائعة وعميقة.

بـــاخـــتيـــــن: بتروفسكي هذا عالم حقا.

دوفــــــاكين: لقد مات هذا العالم، والآن لدينا فيـــودور ألكـــسندروفيتش أخوه[٣٨]، وهو عالم في الدراسات اليونانية القديمة.

بـــاخـــتيـــــن: صحيح، وقد صدر عنه منتخب رائع تكريمًا لـــه، يـــضم الكثير من المقالات المهمة، وهناك عالم آخر لـــم تـــدرس على يديه هو لوسيف.

دوفــــــاكين: لا، لم أدرس على يديه.

بـــاخـــتيـــــن: كان بإمكانك أن تسجل معه، لو فعلت ذلـــك لكـــان أمـــرًا رائعًا، هذا كلاسيكي جاد.

دوفــــــاكين: وهل هو على قيد الحياة؟

باختين: لا يزال حيًا، لكنه فقد الإبصار تمامًا، وعلى الرغم من ذلك فلا يزال يواصل العمل.

دوفاكين: ميخائيل باختين، أحاول أن أقلل قدر الإمكان من مقاطعتي لك، ولكن أسئلتي التي سأطرحها عليك الآن لها... (مبتسمًا).

باختين: توجه محدد.

دوفاكين: نعم، توجه محدد، لقد قدمت لنا المحيط الصغير الذي عشت فيه، ولكنك عشت إلى جانب ذلك في محيط أكبر، لم تحدثنا عن أوديسا نفسها، كما لم تحدثنا عن فيلنوس... أوديسا... هل خدمت في الجيش؟

باختين: لا، لم أخدم.

دوفاكين: لماذا؟

باختين: لأنني كنت أعاني من المرض في طفولتي، وهو مرض، في الواقع، لم أبرأ منه حتى الآن، واسمه مرض (التهاب العظام).

دوفاكين: أعرف ذلك، وبسببه فقدت ساقيك؟

باختين: في النهاية بسببه، في الطفولة لم أفقدها بالطبع، وإنما أجريت جراحات فيهما.

دوفاكين: هذا مرض يصيب العظام؟

باختين: هذا مرض يصيب نخاع العظام، لا العظام نفسها، النخاع الموجود داخل العظام، هذا التهاب نخاع العظام، ولا تزال وسائل علاجه كما هي حتى اليوم؛ إجراء جراحة تتمثل في نقر العظام، واستخراج القيح منها.

دوفاكين: أليس هذا بسل العظام؟

باختين: لا، ليس هذا ما يُعرف بسل العظام، سل العظام في رأيي أسوأ، أما هذا فداءٌ عضال من ظواهره الانتكاس، وقد أصبت به عندما كنت في التاسعة - العاشرة من العمر، كانت جراحة صعبة؛ لقد نقروا ساقيَّ وفخذي من كل جانب، لقد عانيت آنذاك من المرض طويلا، ولكن، الحقيقة، تمكنت من السير، وبخطا سريعة.

دوفاكين: وبعدها، هل تمكنت من السير؟

باختين: بعدها، تمكنت بالطبع!

دوفاكين: وهل تم بتر الساق بعد ذلك بكثير؟

باختين: لا، البتر تم بعد مرور سنوات عديدة، لقد تم البتر منذ زمن غير بعيد.

دوفاكين: كيف؟ لقد شاهدتك تسير على قدم واحدة قبيل الحرب.

باختين: قبيل الحرب، نعم، قبيل الحرب بعامين فقط(٣٩).

دوفاكين: بسبب هذا المرض؟

باختين: بسبب هذا المرض؟ لقد انتكست مرة أخرى خلال تلك الفترة، وكانت انتكاسة طويلة، ومن ثم أجريت عدة جراحات.

دوفاكين: والقدم الأخرى لم تُمس؟

باختين: لا، لم تُمس، لم ينتقل إليها المرض، إطلاقًا.

دوفاكين: ألم يُصبها الاعوجاج؟

باختين: نعم، لقد كنت أسيء استخدامها؛ فقد كنت أسير طويلا مستندًا على عكازين، كنت أسير بشكل جيد، وبشكل أفضل

من بعض الذين يسيرون على قدمين؛ كنت أستطيع الجري والقفز والتسلق والنزول، كل أنواع الحركة، ولما كنت أحمّل قدمي الوحيدة السليمة جهدًا فائقًا؛ فقد كانت تخذلني أحيانًا تمامًا، وهنا حدث البتر وإزالة غضاريف المفصل الحرقفي، وكما تعلم فإن الغضاريف لا تتجدد.

دوفاكين: أزالوا الغضاريف؟

باختين: أزالوها تمامًا.

دوفاكين: أنت إذن تجد صعوبة بالغة في السير الآن؟

باختين: أحيانًا، فقد تم بتر ساقيً.

دوفاكين: إذن، آنذاك، عندما كنت في أوديسا، كنت تسير على قدميك؟

باختين: كنت أتحرك في حرية تامة.

دوفاكين: أشعر بالرضا العميق أنك استطعت أن تتم عملية تكوينك العلمي، ولكن... بغض النظر عن هذا؛ فقد كنت من سكان أوديسا، كان هناك مسرح في أوديسا، كان هناك أدب، وفي أوديسا كان هناك سكان أوديسا، تفهم ما أعني؟... إذن حدثنا عن أوديسا ما قبل الحرب، وما بعدها.

باختين: نعم، أوديسا ما قبل الحرب، ما قبل الثورة، عمومًا فإن أوديسا مدينة رائعة، مشمسة، ومرحة للغاية، لعلها كانت واحدة من أكثر المدن في اتحادنا، في روسيا مرحًا، كان الضحك والمرح يملؤها دائمًا، كانت موسكو دائمًا تبهرني، وبالطبع – وعلى نحو خاص – بطرسبورج، مدينة عابسة

بالمقارنة بأوديسا، على الرغم من أنني لم أحبها بشدة، وبالطبع أكثر كثيرًا من أوديسا، أوديسا كانت مشمسة ومرحة وسكانها يتميزون بالحيوية، ولكن ربع سكانها منفرون، تافهون.

دوفـاكين: تافهون؟

بـاختيـن: تافهون، كانوا يسمونها "ماما – أوديسا"، كثير من التفاهة في هذه "الماما – أوديسا"، وهذه المسحة من التفاهة، في رأيي، موجودة في كل كتّاب أوديسا، لم أكن أعرفهم آنذاك، كانوا يقاربونني في العمر، وربما أكبر قليلا، أو أصغر...

دوفـاكين: معظمهم كانوا أصغر.

بـاختيـن: نعم...

المحاورة الثانية

١ مارس ١٩٧٣

دوفاكين: والآن ميخائيل ميخايلوفيتش، كنا قد انتهينا في الخميس الماضي من الحديث عن أوديسا، توقف الحديث عندها، تحدثت عن تفاهة أهل أوديسا، لعلك تود الانتهاء من الحديث عن هذه المدينة. لم يكونوا كلهم بالطبع من التافهين؟ على أي الأحوال كان هناك أناس جيدون.

باختين: بالطبع كان هناك أناس رائعون.

دوفاكين: (ضاحكًا) كان هناك مسرح في أوديسا...

باختين: أظن أننا تحدثنا عن ذلك في المرة السابقة، كان مسرحًا ممتازًا، وكانت هناك دائمًا جولات فنية، سواء من فنانينا، أو من بلدان أوروبا، دائمًا، ومن هنا تعرَّف أهل أوديسا على فنون أوروبا الغربية على نحو لا يقل، إن لم يكن أفضل، من أهل الشمال.

دوفاكين: تقصد أهل بطرسبورج وموسكو، ألا تتذكر لنا عمن سمعت من أسماء كبار الفنانين الذين جاءوا إلى أوديسا؟

باختين: بالطبع سمعت، ولكن لا أستطيع الآن أن أتذكر إن كنت قد استمعت إليهم في أوديسا أو بعد ذلك. لنقل مثلا إني استمعت إلى شاليابين، ولكن استمعت إليه للمرة الأولى قبل أوديسا، في فيلنوس. لقد ذهب إليها.

دوفـــاكين: إذن لننتقل إلى الفترة التالية من حياتك، لنذهب إلى بطرسبورج.

باختين: نعم، وهنا لعلي أحدثك في البداية عن هذا التيار، عن تلك الحلقة التي تأسست في بطرسبورج في عام ١٩١١، ١٩١٢.

دوفـــاكين: عندما وصلت، كانت موجودة؟

باختين: كانت موجودة، وكانت تمارس نشاطها. عندما وصلت إلى هنا، وقبل أن أنتقل – بصفة نهائية – إلى بطرسبورج، كنت منضمًا إلى هذه الحلقة. وكان على رأسها أخي نيكولاي ميخايلوفيتش باختين. من وجهة نظري لم يكن للحلقة أي قدر من التنظيم المحكم، كما لم تكن هناك عضوية. كانت حلقة من الأصدقاء، يمكن القول إنها حلقة من طراز رفاق بوشكين من خريجي الليسيه: كان أعضاء الحلقة تربطهم الاهتمامات المشتركة والجامعة، التي درسوا فيها جميعًا من قبل، أو ما زالوا يواصلون دراستهم فيها، كما تربطهم بعضهم ببعض روابط الصداقة الشخصية. كانت هذه الحلقة تحمل اسم ***"omphalos"***(١).

دوفـــاكين: ماذا تعني هذه الكلمة؟

باختين: معناها سرة الأرض ***"omphalos"***.

دوفـــاكين: هل هي كلمة يونانية؟

باختين: يونانية، نعم. ينبغي أن نتذكر أن غالبية المشاركين في الحلقة كانوا من أصحاب الدراسات الكلاسيكية. وإن كان

من بينهم أيضًا متخصصون في اللغات الرومانية الجرمانية. والآن، من الذي التحق بهذه الحلقة؟ كما أخبرتك، كان على رأسها أخي نيكولاي ميخايلوفيتش، ثم بومبيانسكي... ليف فاسيليفيتش، الذي كان وثيق الصلة بأخي وبي أيضًا منذ الدراسة الثانوية، ثم التحق بها بعد ذلك لوباتو، لا أتذكر الآن اسمه واسم أبيه، اسم العائلة "لوباتو"[٢] كان آنذاك دارسًا لعلم اللغة والأدب، أنهي لتوه كلية اللغة والأدب. واشتغل بعلم اللغويات، ثم انضم فيما بعد لجماعة أوبوياز،[٣] ولكنه لم يؤد دورًا بارزًا فيها، في أوبوياز، وفي الأغلب لا يرد ذكره فيها. كان لوباتو شاعرًا، ولكن من الضروري أن نقول إنه لم يكن شاعرًا مهمًا. أصدر، على ما أظن في عام ١٩١٤، ربما بعدها في عام ١٩١٥، ديوانًا شعريًا[٤]، ولكن يمكن أن نقول إنه لم يكن ديوانًا مهمًا. لم يكن لوباتو شاعرًا جادًا. سأخبرك لاحقا ما الذي ميَّز حلقتنا هذه؛ لوباتو كان شاعرًا بالإضافة إلى كونه باحثًا في الدراسات الأدبية، وقد نشر عدة مقالات تتسم بروح جماعة أوبوياز[٥]، ثم بعد قيام ثورة أكتوبر... ظل موجودًا في السنوات الأولى لها، ثم هاجر. ينبغي أن أذكر هنا أنه كان يمتلك ثروة كبيرة، وقد اشترى أبوه قبيل الثورة "فندق لندن" الشهير في أوديسا، كان رجلا ثريًا للغاية، مليونيرًا، بل حتى مليارديرًا.

دوفــــــاكين: لوباتو يجرف المال بالجاروف(*).

باخــتيـــــن: يجرف المال بالجــاروف صـــحيح تمامًـــا، نعـــم، نعـــم، (ضاحكًا)، وفضلا عن ذلك فقد تزوج آنـــذاك (فـــي عـــام ١٩١٦ أو... نعم في عام ١٩١٦) بامرأة ثرية، دفعت لـــه صداقًا كبيرًا، ومن هذا الجانب أيضًا ازدادت ثروته، ولهذا فعلى حد علمي، ربما يعيش حتى يومنا هذا في صحة تامة وفي بحبوحة في إيطاليا، لقد كان يمتلك منزلا صيفيًا، بـــل وقصرًا أيضًا في فلورنسا اشتراهما قبل الثورة.

دوفــــــاكين: وفيم كانت أهميته، أقصد من الناحية الثقافية؟

باخــتيـــــن: انظر، كانت له العديد من الاهتمامات بشكل غير عـــادي، وكان اجتماعيًا للغاية، ولهذا فقد استطاع أن يوجد النـــاس، بالطبع في بعض الأحيان، وكان يمد لهم يد العون؛ فقد كان لديه المال دائمًا، وكان الكثيرون لا يملكون سوى القليل.

وبالإضافة إلى من ذكرت... فقد انضم إلى الحلقة الأخوان رادلوف: سيرجي إرنستوفيتش، ونيكولاي إرنـــستوفيتش، سيرجي إرنستوفيتش أصبح مخرجًا، وكان آنذاك، مجـــرد دارس لعلم اللغة والأدب، ولم يكن أحد يتوقع آنـــذاك أنـــه سيصبح مخرجًا، كان عالمًا شابًا في اللغـــة والأدب، أمـــا أخوه نيكولاي إرنستوفيتش فقد كان رسامًا جيدًا إلى حـــد كبير، وأستاذًا في فن الكاريكاتير بالمناسبة، لم يكن هؤلاء

(*) هنا تلاعب بالكلمات؛ فكلمة لوباتو مشتقة من كلمة جاروف بالروسية. (المترجم)

هم الأهم في هذه الحلقة، فإلى جانبهم كان هناك عدد من الأشخاص الذين ارتبطوا بهم، وسوف أتذكرهم في سياق حوارنا، إذ إن ذاكرتي أصبحت رديئة بشكل ما.

ما هو جوهر هذه الحلقة؟ كانوا من العلماء الظرفاء، ظرفاء العلم... أو، إذا أردت، بهاليل العلم. المسألة أن هذه الظاهرة كانت ظاهرة نمطية للغاية في التاريخ، هذا أمر نعرفه – خذ مثلا في بولندا كان هناك من يسمون بالأفاقين المتشددين(٦)... وهؤلاء كانوا في أغلب الأحوال مثقفين وعلماء جمعوا وكتبوا ما يمكن من أعمال فكاهية تميزت بالمحاكاة، وما إلى ذلك.

دوفاكين: متى كان ذلك؟

باختين: في مطلع القرن التاسع عشر، بالمناسبة فقد خرج من بينهم عندنا البارون برامبيوس – سينكوفسكي، في البداية كان ينتمي إلى تلك الجماعة في بولندا قبل أن يأتي إلى روسيا ليستقر فيها نهائيًا، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك ظواهر شبيهة في بلدان أخرى مثل إنجلترا، وقد ظهرت فيها حلقة من أشخاص كانوا يمارسون فنون السخرية، ولكنها ليست السخرية التافهة، وإنما سخرية علمية، بل وفلسفية الطابع، من هنا ظهر وبدرجة متميزة سويفت، الذي كان ينتمي إلى هذه الحلقة، وقد حدث ذلك في القرن الثامن عشر... أي قبلنا بقرن بأكمله، من الضروري أن نقول: إن سويفت

أصبح بعد ذلك كاتبًا جادًا للغاية، أصبح شخصية تراجيدية، ولكنه في شبابه تعلم السخرية في حلقة هؤلاء الشباب من أصدقائه. وعندما أصبح بعد ذلك من رجال الكنيسة الأيرلندية، عندما أصبح بطلا أيرلنديًا قوميًا، بقيت فكاهته في أدبه، كما ظهر ما بداخل سويفت من ضحك فيما بعد في عدد من الكتيبات ***Pamphlets*** وما إلى ذلك. هذه الكتيبات التي كتبها سويفت(٧) بما فيها الكتيب الشهير "اقتراح متواضع" الأرجح أنك تعرفه.

دوفاكين: لا، لا أعرفه.

باختين: لعله من أفضل الكتيبات في ذلك العصر، ويتلخص مضمونه في أنه قد كُتب، كما لو أن الذي كتبه شخص يمثل تمامًا الاقتصاد السياسي ذا النزعة الليبرالية، وهو يتحدث عن مذهب الإفقار ***Pauperism***، عن الكثير من الأطفال الذين فقدوا والديهم، وفي النهاية عن كثير من الناس الذين يلفظون أطفالهم، ويرى أن هذا التصرف لا جدوى من ورائه اقتصاديًا، وأنه منافٍ للعقل، لماذا لا يتم استغلال هؤلاء الأطفال؟!. إن الاقتراح "المتواضع" يتلخص جوهره هنا في تسمين هؤلاء الأطفال ثم ذبحهم والاستفادة من لحومهم وجلودهم، ويقدم سويفت هنا فوائد جادة تمامًا: كم من اللحم يساوي جنيهًا، كما يساوي الجلد على سبيل المثال، كيف يمكن استغلال كل هذه الأشياء، ما الأرباح

التي يمكن جنيها من هذا العمل. كيف يمكن استغلال الدهون بعد ذلك، كما يشير إلى قيمة الملح... أفكارًا اقتصادية جادة تمامًا، لك أن تتصور كيف استقبل الناس هذا الكتيب عند صدوره، لقد استقبلوه بكل جدية، بكل جدية استقبلوه (ضاحكًا)، وهذا ما كان سويفت يريده. لأنه كان يريد أن يعرض إلى أي أمر حتمي سيقودهم الاقتصاد، النظام الاقتصادي، الذي ينادي به أنصار مدرسة مانشستر، إلى الربح. كل ما ينبغي أن يسعى لمصلحته الشخصية ولا شيء أكثر، ولا يفكر في شيء آخر، وعندئذ يصبح كل شيء على ما يرام، في رأيي أن هذا الكتيب كان أسلبة ***Styliaztion***، محاكاة هجائية ***Parody*** لاقتصاد جاد، هذا كتيب كتبه عالم وفيلسوف واسع المعرفة، باختصار هو هزل، ولكنه هزل من طراز خاص.

دوفاكين: إذن؛ فقد اقتبس هؤلاء البولنديون هذا التقليد؟

باختين: نعم، لكن يمكن القول إنهم لم يقتبسوا حتى هذا التقليد؛ لأن هذا الأمر في الحقيقة كان له ما يشبهه في كل مكان، كان هناك ما يشبهه في فرنسا قبل ذلك في القرن الثامن عشر؛ فقد كان هناك ما يعرف بالشعراء الأحرار(٨).

دوفاكين: وهل كانت حلقتكم حلقة من الطراز نفسه؟

باختين: نعم، كانت من الطراز نفسه.

دوفاكين: وكان لوباتو على رأسها، أليس كذلك؟

باختين: لا، حلقتنا كان يرأسها أخي.

دوفاكين: وهل كان لوباتو هو المنظم؟

باختين: نعم، كان منظمًا... لم يكن منظمًا بقدر ما كان ممولا لبعض المشاريع.

دوفاكين: وماذا كانت تعني هذه الحلقة ذاتها؟

باختين: يمكن مقارنة *"Omphalos"* بالمناسبة بحلقة "أرزاماس" التي أسسها بوشكين، هي من الطراز نفسه.

دوفاكين: آه، وهل يمكن النظر إلى *"Omphalos"* باعتبارها سلفًا، أو الطبعة الأولى من جماعة أوبوياز؟

باختين: لا، لا، هذه الحلقة تعتبر زمنيًا موازية في الواقع لأوبوياز، ربما تكون قد سبقتها قليلا، لا، أوبوياز شيء مختلف تمامًا، مختلف تمامًا، لم يكن لدى أوبوياز الأمر الرئيسي الذي كان لدى حلقة *"Omphalos"*، وهو بالتحديد الشيء الانتقادي العميق، وإنما ليس انتقاديًا عبوسًا، وإنما انتقاديًّا مرحًا، تجاه ظواهر الحياة كافة، وفي علاقته بالثقافة المعاصرة، كان كل فرد في حلقتنا يمتلك بطبيعة الحال، تخصصًا علميًّا، يمتلك ناصيته تمامًا، ما الذي كان يشغلهم في الحلقة؟ كانوا يكتبون مؤلفات هجائية في الأنواع كافة وبأساليب متعددة، ثم وضعوا مؤلفًا يضم الأعمال الهجائية، لا يمكن القول إنهم كانوا يحاكون شاعرًا ما محددًا، أو عالمًا... إطلاقًا، كانت محاكاة هجائية أكثر اتساعًا؛ لنقل

بروح القرون الوسطى: محاكاة هجائية ساخرة لأسلوب الحياة الجادة الجهمة. هؤلاء الشعراء لم تستهوهم على وجه الخصوص الجدية المبالغ فيها، وسعوا للتخفيف من حدتها بالسخرية والدعابة... ومن ثم فلم تكن محاكاة ولا أسلبة *Stylization* لظواهر محددة في الحياة والأدب والعلم، وإنما تناولوا كل شيء على وجه العموم... دون مبالغة في الازدراء والتهكم الحاد، وإنما من خلال دعابة ساخرة لطيفة للغاية، لعل قصيدة أخي تحمل الطابع المنهجي للحلقة واسمها ***"Omphalos epiphles"*** وتعني ترجمتها الحرفية عن اليونانية "ظاهرة ***Omphalos*** التجلي"، وكما تعلم فهذا الاصطلاح مستخدم في المسيحية...

دوفاكين: في الأرثوذكسية.

باختين: نعم، المبكرة "تجلي"، "تجلي الله": وهو عيد الظهور، ظهور الله، هذا ما يعنيه "تجلي ***Omphalos***" أي يظهر في مستوى واحد.

دوفاكين: ظهور أومفالوس.

باختين: ظهور أومفالوس، نعم، كان هذا هو اسم القصيدة، كانت طويلة للغاية، أضف إلى ذلك أن هذا الحدث وقع في روما القديمة، وإن كان في الحقيقة في فترة انهيار. نسيت أن أقول إن كل هذه الأعمال كتبت وطبعت على الآلة الكاتبة. طبع هذا المنتخب... على الآلة الكاتبة، الأرجح أنه محفوظ في مكان ما، لدى شخص ما، ربما في أرشيف لوباتو.

دوفـــــاكين: ألم ينشر شيء منه؟

بـــاخـــتيــــن: لم ينشر منه شيئًا، ولكن إليك البداية، مطلع قصيدة "ظهور أومفالوس":

أتيت إليكم في الخفاء أبشركم بالأعمال.
بسرة الأرض المقدسة، أومفالوس
لقد أدركت كيف تبدو بشاشة الفهد العطوف
وتأملت فعل ليسيوس الماجن
وشاهدت نساءً من مائتين وثمانين قبيلة
جميعهن كن يلاطفنني كل مرة بشكل مختلف
وتعرفت على الشهوة في أحلامهن بألوانها المتعددة
ورأيت كيف يتحول السرور لديهن إلى فتور كئيب
وما إلى ذلك.

دوفـــــاكين: يخامرني الإحساس بأن الشاعر متـــأثر علــــى نحـــو مـــا ببيريوسوف...

بـــاخـــتيــــن: نعم، بعض الشيء... وكذلك كل تلك التيـــارات التنبؤيـــة داخل الاتجاه الرمزي.

دوفـــــاكين: المحاكاة نفسها تذكرني قليلا بالمحاكـــاة عنـــد فلاديميـــر سولوفيوف.

بـــاخـــتيــــن: إلى حد ما، نعم، نعم، كان سولوفيوف يحب هذه الأشـــياء، بالمناسبة، هذه الحلقة كانت تحمل إعجابًا كبيرًا لفلاديميـــر سولوفيوف، وقد تكونت فيما بعد، قبيل الثـــورة، "جمعيـــة

فلاديمير سولوفيوف" أظن أنها اجتمعت مرة واحدة، ثم قامت الثورة، وانهار الأمر كله، لكنها كانت جمعية جادة.

دوفاكين: وأنت، بعد انضمامك لهذه الجمعية هل...؟

باختين: لم أكتب شيئًا مثل هذا، وإنما اشتركت ببساطة، فعندما تكونت هذه الجمعية في البداية، كنت ما أزال أعيش في أوديسا.

دوفاكين: مفهوم، ثم انتقلتم بعد ذلك إلى جامعة بطرسبورج.

باختين: إلى جامعة بطّرسبورج.

دوفاكين: صف لنا كلية الدراسات التاريخية والأدبية في جامعة بطرسبورج عام ١٩١٦، (أعوام ١٩١٥، ١٩١٦، ١٩١٧).

باختين: ... وحتى عام ١٩١٧، ماذا يمكن أن أقول هنا؟ لعلي أقول على أية حال إن هذه الفترة، من وجهة نظري، كانت بالمناسبة فترة ازدهار الكلية؛ فقد كان يعمل بها قُوى هائلة، قُوى حية، لم يكن هناك أساتذة مجففون، أساتذة موظفون، لم يكن هناك منهم على أي الأحوال أحد في كليتنا ــ أكثر هؤلاء الشخصيات عظمة من بين الذين تعلمت على أيديهم هم: فاديي فرانتسفيتش زيلينسكي... كان خبيرًا رائعًا بالدراسات القديمة، قام على ترجمة المؤلفات اليونانية وغيرها، ترك أثرًا هائلا على جميع المتخصصين في الدراسات الكلاسيكية في هذا الزمن، ثم في مجال الفلسفة – نيكولاي أونوفريفيتش لوسكي، كان

قسم الفلسفة بصفة عامة يتمتع بالأهمية والحيوية، كان قسمًا متميزًا بحق، كان رئيسه ألكسندر إيفانوفيتش فيدينسكي، هو صاحب كتاب "المنطق باعتباره جزءًا من نظرية الإدراك"، أظن أنك تعرفه، هذا بالفعل عمل رائع،(٩) كما كان لديه أيضًا أعمال ومقالات عديدة أخرى، كان كانطيًا حازمًا ومنطقيًا، لم يكن من أتباع الكانطية الجديدة، وإنما كان ممثلا للكانطية الخالصة، وكان يشغل هنا منصب رئيس القسم، آنذاك كان نيكولاي أونوفريفيتش لوسكي أستاذًا مساعدًا، ثم أصبح أستاذًا فيما بعد، كان أبرز وأشهر شخصية في الكلية، وكانت الآراء التي يعتنقها مختلفة تمامًا، لم يكن كانطيًا، بل يمكن أن نعتبره حتى معاديًا للكانطية، كان ينتمي لمذهب الحدسية ***Intuitionism***. ويعتبر "أساس الحدسية" هو المرجع الرئيسي الذي وضعه، ولهذا، ولما كان كلاهما من الفلاسفة، فقد كانا، بطبيعة الحال، متناقضين ويعادي كل منهما الآخر: رئيس قسم الفلسفة، ولوسكي أحد أبرز أعضاء القسم.

دوفاكين: وهل قرأت كتاب "دستويفسكي والمسيحية"(١٠)، الذي صدر في الخارج منذ فترة غير بعيدة نسبيًا؟

باختين: لا، للأسف، لم يتسنَّ لي أن أقرأ هذا الكتاب.

دوفاكين: أنا بصدد قراءته في الوقت الحالي.

باختين: لكني قرأت سيرته الذاتية،(١١) هذه المذكرات شيء رائع للغاية، يبدأ بالطفولة وينتهي تقريبًا بالسنوات الأخيرة من

حياته. بالمناسبة، لقد عاش لوسكي حتــى بلــغ الخامــسة والتسعين من العمر، وقد ظل يعمل حتى آخر يــوم فــي حياته.

دوفـــــــاكين: وهل كانت علاقتك سيئة بسيمون أفاناسيفيتش فينجيروف؟

بـــاخـــتيـــــن: أبدًا، لم تكن علاقتي به سيئة، كنــت أكــن لــه مــشاعر الاحترام، ولكن... الرجل لم تكن له نظريته الخاصة فــي الفلسفة، لم يكن على الإطلاق واسع الاطلاع في الفلــسفة، كان باحثًا جيدًا في الوثائق، لم أنخرط أبــدًا فــي حلقتــه المشهورة، حلقة بوشكين.

مرة ثانية تأتين إلى هنا (موجهًا حديثه إلى قطته) ما هذا؟ أليست مزعجة؟ (موجهًا حديثه إلى دوفـــــــاكين).

دوفـــــــاكين: (يتوجه للقطة محاولا إبعادها عن الميكروفون، وحتى لا تتعثر في الأسلاك) من فضلك؟ (بـــاخـــتيـــــن يبتــسم مراقبًــا الموقف).

بـــاخـــتيـــــن: إذن... العضو الثالث فــي القــسم... إيفــان إيفــانوفيتش لابشين، كان من أتباع المذهب الحدْسي، ومن ثم معاديًــا للكانطية وللمذهب العقلانــي برمتــه ***Rationalism***، كــان وضعيًّا ***Positivist*** من الطراز الإنجليزي، يمكن القول إنــه كان مفكرًا متشبعًا بالفكر الإنجليزي حتى النخاع.

وعلى هذا أمامنا ثلاثة اتجاهات مختلفة، تعايشت على نحو رائع، كان قسمًا يسوده الوئام، كان هناك جدل دائر، ولكن

هذا ما كان يضفي على عمل القسم أهميته ولا شيء أكثر، وفي رأيي أن قسم الفلسفة هذا كان أقوى بكثير وأعمق وأكثر حيوية من قسم الفلسفة في جامعة موسكو؛ حيث كان يعمل تشيليانوف، ولوباتين، وغيرهم.(١٢)

دوفاكين: لكن تشيليانوف، من وجهة نظري، لم يكن فيلسوفًا، بل عالمًا نفسانيًّا.

باختين: تشيليانوف؟ ولكنه وضع مؤلفًا ضخمًا اسمه "مدخل إلى الفلسفة" كان الكتاب الدراسي الأساسي في جامعة موسكو، وقد صدرت له بعد ذلك أعمال عديدة فلسفية بحتة. أما رسالته للدكتوراه فهذه حقًا كانت في علم النفس.

دوفاكين: وأنا درست كتابه في الفترة السوفيتية وكان كتابًا في علم النفس، ولم يكن في الفلسفة.

باختين: كان لديه كتاب في علم النفس، حقًا، وكان موضوع رسالته للدكتوراه هو "الانطباع البصرى".

دوفاكين: ومن كان هناك من الكلاسيكيين؟

باختين: كان هناك، كما أخبرتك، زيلينيسكي... ثم عدد آخر من الأساتذة في الدراسات الكلاسيكية، من كان أقربهم لي بصفة خاصة؟ كان أقربهم لي سريرني، ستيبان صمويلوفيتش سريرني(١٣) كان بولنديًّا، نعم، وبالطبع كان تلميذًا لزيلينيسكي، وكان باحثًا في الكوميديا اليونانية القديمة، الكوميديا القديمة والوسيطة، وقد تناول بالطبع أيضًا الدراسة الكوميديا اليونانية الحديثة.

دوفـــــاكين: وماذا عن قسم الأدب الروسي والأوروبي؟

بـــاخـــتيــــن: لم يكن يهمني كثيرًا، وفي رأيي، وفي رأينا، لم تكن هناك أسماء قوية.

دوفـــــاكين: وهل كان هناك أقسام أخرى، بالمناسبة هذا القسم كان يعرف بقسم الدراسات التاريخية والأدبية؟

بـــاخـــتيــــن: كان هو قسم الدارسات التاريخية والأدبية، نعم، ولكن كان هناك قسم للتاريخ، كان هناك متخصصون في التاريخ، لا أتذكر الآن أسماء المؤرخين بالطبع، استمعت مرة واحدة لمحاضرة العالم الشهير بافل فينوجرادوف.(١٤) لقد جاء خصيصًا من لندن. ثم انتقل بعد ذلك إلى إنجلترا، ليعمل في الجامعة الإنجليزية، كان عالمًا رائعًا في التاريخ.

دوفـــــاكين: لم تدرك إذن كليوتشيفسكي...

بـــاخـــتيــــن: بالطبع لم أدركه.

دوفـــــاكين: وهل كانت هناك أقسام الدراسات اللغوية *Linguistics*؟

بـــاخـــتيــــن: الدراسات اللغوية؟ بطبيعة الحال، كان هذا القسم يمثله بودوين دي كورتينيه. كان عالمًا فذًا. ولكن كمدرس، كيف أصف لك.. لم يكن تربويًا *Pedagogue*، كان يستمتع بشدة بقراءة المحاضرات. أما الامتحانات؛ فقد وقعت بشأنها حكايات غريبة: كانوا يقولون إن بإمكانك أن تجتاز امتحانات بودوين بنجاح مطلق دون أن تكون لديك أي دراية باللغويات، يُحكى أن اثنين من طلاب الطبيعة أو الرياضيات ذهبا إليه (ضاحكًا) ونجحا في الامتحان.

غاية الأمر أن عليك عندما يطرح عليك سؤالا أن تبدأ بدورك بسؤاله. في هذه الحالة سينجذب وبتأثير السؤال الذي طرحته سيأخذ في الحديث بلا انقطاع. ثم.سيدرك بعد الحديث الطويل ضرورة الانتهاء فيقول: "آه، ممتاز، ممتاز" ثم يضع لك تقرير "ممتاز" (ضاحكًا). بالطبع الامتياز هنا على إجابته الشخصية... في الحقيقة لقد كان بودوين دي كورتّينيه مؤسسًا...

دوفاكين: لأوبوياز.

باختين: للشكلانية بوجه عام، وليس لأوبوياز، وإنما للشكلانية بوجه عام.

دوفاكين: طبعًا، أليس شكلوفسكي تلميذه المباشر.

باختين: شكلوفسكي تلميذه المباشر حقا، وفي رأيي الشخصي أن كل من دَرّسوا في جامعة بطرسبورج كانوا تلاميذ لبودوين دي كورتّينيه؛ كان الرجل رئيسًا لقسم اللغويات، وقد تسنى للجميع سماع محاضراته. كان بودوين دي كورتّينيه المؤسس للاتجاه الشكلاني في اللغويات. في رأيي أنه كان هناك مؤسسان لهذا الاتجاه وضعا نمطين للشكلانية في علوم اللغة: فورتوناتوف من موسكو.. أظنك...

دوفاكين: أنا تلميذه.

باختين: حقا؟ أنت تلميذ فورتوناتوف؟

دوفاكين: لا، ليس تمامًا، أنا تلميذ أوشاكوف، وأوشاكوف تلميذ فورتوناتوف.

باختين: آه، هذا صحيح، أوشاكوف من أتباع فورتوناتوف.

دوفاكين: وما قولك في بيترسون...

باختين: وبورجيزينسكي، في رأيي، أيضًا.

دوفاكين: هو أيضًا، كلهم جماعتنا... تعلمنا على أيديهم. بورجيزينسكي... وبيشكوفسكي أيضًا.

باختين: بيشكوفسكي طبعًا. هذا نموذج للشكلاني. وهناك نموذج آخر كان بالمناسبة من مؤسسي أوبوياز وهو...

دوفاكين: بودوين دي كورتينيه.

باختين: ... بودوين دي كورتينيه. كان أقرب... إلى المصدر الأول للشكلانية عمومًا في علم اللغة في العالم وهو دي سوسيور. لقد قدم سوسيور الجانب الشكلاني في هذا العلم في أنقى صورة له...

دوفاكين: وأين كان دي سوسيور يقرأ محاضراته؟

باختين: في سويسرا عمومًا، في سويسرا الفرنسية كان يقرأ محاضراته ثم في باريس بعد ذلك على ما أظن، في جامعة باريس.

دوفاكين: وهل درس بودوين دي كورتينيه على يديه؟

باختين: لا، لا، لم يدرس على يديه على حد علمي، ولكنه اطّلع على مؤلفاته. وأحاط بها على نحو لا بأس به نسبيًا.

دوفاكين: دي سوسيور عالم فرنسي؟

باختين: عالم فرنسي، نعم.

دوفاكين: وهل زار بلادنا، هل قرأ عندنا محاضرات، وهل كانت له صلات مباشرة بعلمائنا؟

باختين: لم يأت لدينا إطلاقًا، ولم تكن له أية صلات مباشرة بأحد عندنا. بالإضافة إلى ذلك فإن العمل الرئيسي لسوسيور – مقدمة إلى علم اللغة، لم ينشر إبان حياته، لقد نشرها تلاميذه بعد وفاته استنادًا إلى تسجيلاته. أما تلك الأعمال التي نشرت إبان حياته فلم يكن لها تأثير كبير.

دوفاكين: وهل كنت شخصيًا، في تلك السنوات، على صلة بهذه الصحبة من شباب الدارسين للأدب واللغويات، الذين أصبحوا فيما بعد علماء في الدراسات الأدبية واللغويات والذين أسسوا، في رأيي، أوبوياز؟

باختين: لا، لا، لقد كنا ننتسب إلى حلقات مختلفة تمام الاختلاف، حلقات مختلفة تمامًا.

دوفاكين: ألم تتعرف على شكلوفسكي أو على أيخنباوم في شبابهما ولو فترة صغيرة؟

باختين: لا، لا. لقد تعرفت عليهما متأخرًا، بعد ذلك بقليل، وليس في تلك الفترة. لم أتعرف عليهما في بداية نشاطهما عندما تكونت حلقة أوبوياز، لقد تعرفت على حلقة أوبوياز فيما بعد بعد أن أنهيت الجامعة، عندما كنت في فيتيبسك. وهناك تعرفت على كراسات أوبوياز، التي أبهرت الجميع، إذ كانت مطبوعة على ورق تواليت.

دوفاكين: لديّ هذه الكراسات، أنت تقصد "البويطيقا"؟

باختين: نعم، "البويطيقا"، لم يقتصر الأمر عليها فقط، بل كانت هناك قبلها كراسات أخرى صدرت منفصلة.

دوفـــــاكين: تحولت أوبوياز من اللغويات إلى الدراسات الأدبية.

بـــاخـــتيـــــن: بالطبع بدءوا من اللغويات، ولكن ليس فقط من اللغويـــات، وباعتباري شاهدًا على الأحداث أقول إنه كان مـــن بيـــنهم لغويون متمكنون للغاية. إليك واحد منهم على سبيل المثال، ربما كان أقواهم، وكنت أعرفه، كان... (ينهمك في التفكير محاولا التذكر).

دوفـــــاكين: أليس هو بوليفانوف؟

بـــاخـــتيـــــن: بوليفانوف، هو بالضبط بوليفانوف[١٥].

دوفـــــاكين: هذا، بالطبع، شخصية...

بـــاخـــتيـــــن: شخصية عظيمة إلى حد كبير، تعرفت على اسمه، بعد أن أفسده أتباع مدرسة نيكولاي مار[*].

بـــاخـــتيـــــن: أمر عجيب، لقد كان مقربًا للحزب الشيوعي. وكان لسبب ما من أشد المعجبين بتروتسكي؛ وبالإضافة إلى ذلك فقـــد كان بمثابة نائب لـــوزير الخارجيـــة فـــي أول حكومـــة للبلاشفة[١٦].

دوفـــــاكين: أين، في بطرسبورج، أساسًا؟ في "الكومونة الـــشمالية"؟ أم في مكان ما في جمهورية الشرق الأقصى[**].

(*) نيكولاي مار: (١٨٦٤ – ١٩٣٤): مستشرق روسي سوفيتي. عالم في الدراسات الأدبية واللغوية – مؤرخ. له اسهامات عامة في علوم اللغة. عمل نائبًا لرئيس أكاديمية العلوم السوفيتية. اكتسب شهرة واسعة بعد الثورة باعتباره مؤسس "علم اللغة الجديدة".(المترجم)

(**) جمهورية الشرق الأقصى: جمهورية ديمقراطية تقع شرق سيبيريا والشرق الأقصى، كانت جمهورية فاصلة بين روسيا واليابان، دخلت في نطاق روسيا الاشتراكية الاتحادية بعد انهيار قوات الحرس الأبيض، والمتسللين اليابانيين. (المترجم)

باختين: لا، لا، لا، في بطرسبورج، مباشرة في بطرسبورج، نائبًا لتروتسكي، وكان من المعجبين به.

دوفاكين: آه، إذن لهذا جرى الأمر بعد ذلك على هذا النحو، وأنا لم أفهم آنذاك...

باختين: كانوا يسمونه آنذاك "الوزير البلشفي"، ولكنه في الحقيقة لم يكن وزيرًا، كان بالطبع نائبًا فقط، الحقيقة أنني لم أعرف أي منصب كان يشغل حتى النهاية، ولكنه قدّم الكثير من الإنجازات؛ فقد كان يعرف عددًا من اللغات الأجنبية معرفة جيدة، حتى إن الموظفين الآخرين لم يكن بإمكانهم التباهي بمعرفتهم للغات..

دوفاكين: ثم كانت له فيما بعد مغامرة ما: يقال إنه كان على علاقة بأحد نازعي الملكية قبل الثورة.. وإنه كان يجيد الرطانة، لا بمعنى الكلمة كما تستخدم الآن،(*) وإنما بمعناها المباشر؛ أي لغة اللصوص، وحتى يتمكن من دراستها (هذا ما قصّه عليّ تلميذه بولوتين)[١٧] كان يخالط المجرمين في مكان ما، ثم أصبح من متعاطي المخدرات.[١٨]

باختين: لم أسمع بهذا بالمناسبة، أصبح متعاطيًا للمخدرات، لا علم لي بذلك.

دوفاكين: وقد أصيب في مكان ما واضطر إلى إجراء عملية بتر لذراعه. لقد عاش بذراع واحدة[١٩].

(*) الكلمة الروسية ذاتها تستخدم الآن بمعنى محسوبية. (المترجم)

باختين: نعم، هل تعلم أنه كان ناشطًا... بمعنى أنه كان من نشطاء الحركة السرية. ولكن على حد علمي لم يكن في الحركة السرية البلشفية وإنما كان في الأغلب...

دوفاكين: S.R؟(*)

باختين: نعم، S.R، S.R.

دوفاكين: قبل الثورة؟

باختين: قبل الثورة.

دوفاكين: هذا معناه أنه كان من الممكن أن يصبح نائب وزير في تلك الفترة التي سبقت عام ١٩١٨ عندما دخل يساريو هذا الحزب في مجلس مفوضي الشعب، والذي كان من بين أعضائه آنذاك كامكوف وبروشيان الذي كتب لينين نعيه بنفسه.

باختين: وشكلوفسكي أيضًا كان عضوًا فيه...

دوفاكين: شكلوفسكي كان عضوًا في الحزب الاشتراكي الثورى؟

باختين: كان S.R يساريًا،[٢٠] نعم. وتعلم أنه قد أذيع ذلك عنه بعد هزيمة الحزب والقبض على أعضائه اليساريين والذي كتبت عنه الصحف خصيصًا، وعندما علم بذلك...

دوفاكين: اندفع هاربًا للخارج.

باختين: نعم، للخارج.

دوفاكين: وقد مكث بالخارج عامين، ثم رجع من جديد.

باختين: نعم، رجع بعد ذلك، رجع ولكن يبدو أنه لم يؤد دورًا كبيرًا.

(*) SR عضو في الحزب الاشتراكي الثوري *SOCIALIST REVOLATIONARY PARTY*.

دوفـــاكين: طبعًا؛ فقد كان الأمر... مغامرة.

بـاخـتيـن: نعم... لم يكن سياسيًا بل مغامرًا، مغامرة وانتهت.

دوفـــاكين: وهل كنت تعرف بوليفانوف إبان سنوات الدراسة؟ قبل أن تبتر ذراعه؟

بـاخـتيـن: نعم. عندما كانت ذراعاه سليمتين... لا أتذكر تمامًا، ثم عرفته عندما بترت.

دوفـــاكين: لقد ذهب إلى مكان ما بعد ذلك في تركستان.

بـاخـتيـن: نعم، نعم. ثم اختفى فيما بعد من لينينجراد... ليذهب إلى مكان ما... ثم يظهر في القسطنطينية...

دوفـــاكين: عمومًا لم يكن على الإطلاق شخصية أكاديمية، ولكنه في الوقت نفسه كان عالمًا موهوبًا.

بـاخـتيـن: كان عالمًا من طراز رفيع، كما كان موضوعيًا على أعلى مستوى. موضوعيًا وليس موهوبًا فحسب. هذا هو بوليفانوف. من لدينا أيضًا من علماء اللغويات؟ كان هناك لوباتو، والذي ذكرته من قبل، وقد عمل لدى شيريا.

دوفـــاكين: شيريا في بطرسبورج، يقابله فورتوناتوف في موسكو في الوقت نفسه.

بـاخـتيـن: نعم، نعم. لكن الأصح أن نقول بودوين دي كورتينيه في بطرسبورج؛ لأن شيريا من وجهة نظري لم يكن مُنظِّرًا لقد كان على أية حال.. في البداية كان عالمًا فذًا في اللغة الفرنسية، ويعد كتابه هو المرجع الأساسي في اللغة الفرنسية،

وهو أكثر أعماله قيمة ثم أصبح تربويًا بعد ذلك، أما بودوين دي كورتينيه فلم يكن تربويًا على الإطلاق كما أخبرتك.

دوفـــــاكين: نعم أخبرتني بذلك، ولكن ماذا عن قسم الآداب الغربية؟

بـــاخـــتيـــن: قسم الآداب الغربية، أبرز شخص عمل به هو بتروف.(٢١)

دوفـــــاكين: هل كان الأخوان فسيلوفسكي قد توفيا آنذاك؟

بـــاخـــتيـــن: كانا قد توفيا(٢٢)، لكن كان هناك من سار علـــى نهجهمـــا وخصوصًا شيشماريف(٢٣). وقد عرفته. وقد شغل منصب مدير معهد الأدب العالمي بعض الوقت. وقد عاد بعدها إلى لينينجراد حيث توفي. ولكنه استطاع أن يصدر قبل موتـــه كتابه الرائع "مدخل إلى دراسة اللغات الرومانية"...

دوفـــــاكين: في رأيي أن مصطلح "الدراسات الأدبية" هـــو مـــصطلح حديث، لم يكن موجودًا على العموم آنذاك. كـــان هنـــاك دارسون وفقًا للأقسام. فهذا دارس في الكلاســيكيات وذاك في اللغات الهندوأوروبية.

بـــاخـــتيـــن: وفي الدراسات الرومانية الجرمانية والسلافية...

دوفـــــاكين: من كان عندنا معروفًـــا فـــي الدراســـات الـــسلافية فـــي بطرسبورج؟

بـــاخـــتيـــن: أنا شخصيًا لم أعمـــل بالـــدراسات الســـلافية، حتى إنني لا أذكر من كان منهم هناك آنذاك. بالإضافة إلى ذلك كان عليَّ أن أؤدي امتحانًا في لغة سلافية ما، ومن ثم كان من الضروري أن أدرسها على يد أستاذ ما. فدرست قدرًا من

اللغة البولندية، قرأها علينا "السيد تـاديوش" و"دزيـادوف" ولكن لم أهتم بها بصفة خاصة، كان الأمر مجرد التخلص من مادة إجبارية. لم تستهوني اللغة البولندية إطلاقًا.

دوفـاكين: ينبغي القول إن الصورة التي رسمتها للأوضاع في جامعة بطرسبورج، وخاصة وأنت تتحدث عـن عـامي ١٩١٥، ١٩١٦ أكثر إشراقًا بكثير من تلـك التـي رسـمها فـي إصداراته فيكتور بوريسوفيتش شكلوفسكي، الذي وضع في بؤرة اهتمامه شخصية فينجيروف على نحو سلبي...

بـاختين: ذلك لأنه كان يعمل معه في حلقة بوشكين.

دوفـاكين: ... إن هذا لا يعني سوى أن الشباب كان متمـردًا علـى فينجيروف نفسه، ومن وجهة نظري، وقد كنت في الجامعة آنذاك واستمعت إليه مرات ثلاث، لم أتعلم منه شيئًا.

بـاختين: لا ينبغي القول إن هذا على أية حال تصور خاطئ؛ فقـد كان الرجل يعرف، ولكنه كان أحادي النظرة. هـذا حكـم غير عادل بالطبع. لقد كان فينجيروف عالمًا حقيقيًـا مـن الطراز الأكاديمي أما عن تمرد الشباب آنـذاك، فهـؤلاء كانوا من المقربين إلى النزعة المستقبلية ***Futurism*** ومـا شابهها، والتي كان أبرز شخصياتها في الشعر ماياكوفسكي بالطبع...

دوفـاكين: وخليبنيكوف...

بـاختين: خليبنيكوف، نعم أما هو (فينجيروف – الناشر) فقـد كـان بالطبع عالمًا محترمًا، عالمًا فذًا في الببليوجرافيا. على أي

الأحوال كان من الممكن تعلم علم البيليوجرافيا على يديه... بالمناسبة، فيما يخص حلقة *Omphalos*... كنا نعقد الاجتماعات الممكنة كافة، كما كنا مولعين بالأحجيات، أتذكر أننا في شقة...

دوفاكين: حقا؟ علماء مثلكم يؤلفون أحجيات؟

باختين: نعم، نعم... في شقة سربيريني... وكان يكبرنا في السن، بالطبع أكبر من معظمنا... كان أستاذًا مساعدًا وكان يلقي بالمحاضرات التطبيقية في الشعر اليوناني القديم. كان يعقد السمينارات، مثله مثل معظم الأساتذة والأساتذة المساعدين في بيته. كانت سمينارات زيلينسكي الشهيرة تعقد في بيته، بالإضافة إلى ذلك كانت زوجته تقدم لنا الفطائر الشهية. كانت هذه هي الموضة السائدة آنذاك. ذات مرة كنا نحضر السمينار عند سربيريني، كنا جالسين بعد أن غادرت مجموعة أقل اهتمامًا منا بالسمينار، بينما بقيت حلقتنا الأكثر قربًا من سربيريني... بقينا نحتسي الشاي ونؤلف الأحجيات، أتذكر إحدى هذه الأحجيات – "بورليوك". الجزء الأول الكلمة "بور". وقد حزر أخي ببراعة فأمسك الكتاب المقدس في يد وبندقية في اليد الأخرى، باختصار على هذا النحو كان يحاكي كلمة "بور"...

دوفاكين: صحيح. البوير كانوا موضة بعد الحرب غير البعيدة بين الإنجليز والبوير.

باختين: نعم، هي حرب نشبت نسبيًا منذ زمن قريب.

دوفـــــاكين: وقد صدر كتاب يسمى "بيتر ماريس – البويرى الشاب من ترانسفاليا". هذا ما ذكره شكلوفسكي، وأنا بدورى أذكـــره. وماذا عن "ليوك" (البوابة)؟ هل تعني ضاعوا في البوابة؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، بالطبع والمعنى الكامل "لبورليوك" – ضاع البوير في البوابة. هذا هو سربيريني، كان موهوبًا كممثل، وقد رسم صورة بورليوك ولعله رسم فينجيروف، وفينجيروف رسم صورة شخصية لم تكن معروفة آنـــذاك، وهـــو أدريـــان بيوتروفسكي(٢٤)... الذي انتهت حياته على نحو مأساوي؛ إذ أطلق عليه الرصاص.

دوفـــــاكين: أطلق عليه الرصاص؟

بـــاخـــتيــــن: هذا ما حدث. أطلقوا عليه الرصاص.

دوفـــــاكين: متى؟

بـــاخـــتيــــن: هذه قصة مفجعة، منذ عام مضى، لا أذكـــر، أثنـــاء هـــذا الإرهاب...

دوفـــــاكين: أثناء الثورة أم في عام ١٩٣٧؟

بـــاخـــتيــــن: حدث ذلك في عام ١٩٣٧. عند قيام الثورة كان لا يـــزال في مطلع الشباب، كان يؤدي الخدمة العسكرية وقد وقـــع وقتها في الأسر، واستطاع على نحو بطولي خارق أن يفر من أسر الألمان. وبعد هروبه من الأسر بدأ العمـــل فـــي الجامعة، طالبًا، شابًا وسيمًا كان، وممثلا رائعًا لعـــب دور فينجيروف، الذي كان يريد التعرف بشكل أقـــرب علـــى

التيارات الأدبية والشعرية الجديدة، ومن هنا جاء إلى هذه "الخمّارة" الفنية الأدبية، أقصد شيء من قبيل خمارة "الكلب الضال" أو... "موقف الكوميديانات"، الأخيرة لم تكن قد ظهرت بعد آنذاك.

دوفاكين: "الكلب الضال" و"الفنار الوردي" كانا موجودين آنذاك.

باختين: وهناك قابل شخصًا، شاعرًا... عرّفوه بشاعر معاصر، وهو قائد الشعر المعاصر. وكان هذا الشخص هو بورليوك. ودار بينهما نقاش. جاء على نحو كان بورليوك يدافع فيه بشكل جاد عن موقف الشكلانيين، بينما راح فينجيروف يطرح أسئلته في دهشة وذهول (مرة أخرى تأتي إلى هنا. ما العمل معك؟ مرة أخرى تسبب إزعاجًا، مخلوق لا يكل "باختين موجهًا حديثه لقطه").

دوفاكين: واصل، فكل شيء يجري تسجيله.

باختين: هكذا؟ (ضاحكًا).

دوفاكين: كل شيء يسجل حتى حديثنا مع القط.

باختين: الأمر إذن..

دوفاكين: لا بأس، هذا شيء يبعث على الحيوية. سأتولى أمره. واصل حديثك.

باختين: إذن، من ثم، يمكن أن نقول إن فينجيروف، كان بالطبع ممثلا للدراسات الأدبية القديمة، الأكاديمية، ذات الطابع الواقعي.

دوفاكين: وكيف أديا هذا المشهد؟

باختين: أدياه على النحو التالي: فينجيروف أبدى دهشته وذهوله، ولكنه أوضح أنه قد ابتعد عن الحياة بعض الشيء، ولهذا فقد بدا له هذا الأمر أمرًا غريبًا للغاية وغير مفهوم بالمرة. ولكنه أصبح، في الحقيقة، موجودًا على أية حال. وهذا من سمات فينجيروف؛ فقد كان شخصًا صبورًا للغاية. كان على استعداد لقبول الآخر حتى ولم يكن مستوعبًا للأمر بشكل جيد. لم يكن يهاجم الشباب إطلاقًا...

دوفاكين: إذن فقد أسقط المستقبليين من حساباته؟

باختين: سقطوا، أظن أنهم سقطوا، ولكنه على العموم، بالطبع كان رجلا رصينًا للغاية...

دوفاكين: لقد تحدثت مرارًا عن ذلك؛ لأن حديث فيكتور بوريسوفيتش (شكلوفسكي – المترجم) عن الجامعة أثار لديّ الشكوك، أظن أنه كان... منحازًا للغاية...

باختين: نعم، بمعنى... ربما لم يكن منحازًا بقدر ما كان...

دوفاكين: انتهازيًا بعض الشيء.

باختين: نعم، ولكن، أحادي النظرة، في رأيي، كان يرى جانبًا واحدًا. بعد ذلك، تعرف، كانت الجامعة آنذاك، جامعة ما قبل الثورة، لقد بدأت الجامعة الثورة. النضال بدأ داخل الوسط الطلابي، كان هناك صراع شديد وجماعات متباينة بشدة.

دوفاكين: سياسية؟

باختين: نعم، سياسية، أولا، كان هناك من يعرفون بالأكاديميين الذين رأوا أن التدخل في السياسة ليس من شأننا، دورنا الآن – الدراسة.

دوفاكين: صحيح.

باختين: وعندما ننتهي من الدراسة سيتضح الأمر. سنتوزع على الأحزاب، ويتخذ كل منا الاتجاه الذي يراه. أما الآن فلا اتجاهات ولا مهام. اتجاه واحد فقط ولا غيره – الدراسة بجدية. هؤلاء هم الأكاديميون.

دوفاكين: وهل كنت في عداد هؤلاء؟

باختين: أنا؟ لا، لم أكن منتميًا إلى أي جماعة.

دوفاكين: حسنًا. كنت أكاديميًا إذن.

باختين: كنت متعاطفًا بالطبع على وجه العموم مع الأكاديميين؛ لأن خصومهم كانوا يضعون العراقيل الممكنة كافة في الجامعة، وكانوا كثيري الشجار وكان شجارهم فظًا. بالطبع كانت هناك خلفيات اجتماعية.

دوفاكين: كان هناك على الأرجح الثوريون الاشتراكيون، والاشتراكيون الديموقراطيون. والغالبية بلا شك كانت في جامعة بطرسبورج من ذوي الميول الديموقراطية الدستورية – الكاديت، والكاديت الليبراليون؟.

باختين: بالطبع كان الأكاديميون في أغلب الأحوال أبناء زعماء الكاديت.

دوفاكين: الأساتذة؟

باختين: نعم، على أي الأحوال كانوا، كما كان يقال آنذاك، "من ذوي الياقات البيضاء". أما هؤلاء الطلاب الديموقراطيون، الذين كانوا يثيرون الشغب، والذين كانوا لا يستطيعون حتى التكلم بلغة روسية سليمة، وإنما كانوا يتكلمون بلغة المجرمين تقريبًا، فكانوا يكرهون الأكاديميين. وكانوا دائمي العراك في الجامعة.

دوفاكين: العراك؟

باختين: حرفيًا، بين الطلاب.

دوفاكين: الشجار؟

باختين: نعم، نعم، الشجار الذي كان دائمًا ما يقع في الممر الشهير بالجامعة، كان هناك في جامعة بطرسبورج ممر يقطع مبنى الجامعة بأكمله، ممر عريض... يشبه شارع نيفسكي،(*) هكذا كانوا يقارنونه عادة. طبعًا هذا ضرب من المبالغة، وإن كان في الواقع عريضًا للغاية، وكان يسير فيه زحام من الطلاب من مختلف الكليات، وفيه كانت المشاجرات تندلع.

دوفاكين: ماذا؟ هل كانت المشاجرات تندلع مباشرة على نحو منظم؟ جماعة ضد الأخرى؟

باختين: ليس تمامًا، الأغلب أنه كانت هناك مظاهرات منفردة ما

(*) شارع نيفسكي: أكبر شارع في بطرسبورج، وهناك رواية باسمه، كتبها جوجول. (المترجم)

تلبث أن تشتبك إحداها بالأخرى. أما كونها تأتي على نحو منظم، لم يكن الأمر كذلك...

دوفـــــاكين: كأن يصفع أحدهم الآخر على وجهه...

بــاخــتيـــن: هكذا، يؤيد أحدهم شخصًا ما، وفي الحال يندلع الشغب...

دوفـــــاكين: وماذا كان يحدث عندئذ؟ هل كانوا يفصلونهم من الجامعة؟

بــاخــتيـــن: لم يكن يحدث عمومًا في هذه الحالات، كانت الإدارة...

دوفـــــاكين: لا تتدخل؟

بــاخــتيـــن: نعم، لا تتدخل. كانت تتركهم يسوون أمورهم بعضهم مع بعض، أما في حالة قيام مظاهرات سياسية جماعية، فكانت الإدارة تتدخل وعندما كانت هذه المظاهرات تعطل الدراسة بشكل منظم، فإن الإدارة كانت تقوم بفصل البعض من الطلاب. وأظن أن كل الطلاب المفصولين تقريبًا كانوا يعودون فيما بعد سالمين إلى الجامعة. لم يكن هناك اضطهاد مميز في الجامعة قبل الثورة. بدأ الاضطهاد مؤخرًا عندما جاءت السلطة الجديدة. أما في هذا الوقت فلم يكن موجودًا.

دوفـــــاكين: ولكن، ولتعذرني؛ فقد كنت موجودًا في زمن نظام كاسو؟[٢٥]

بــاخــتيـــن: كان موجودًا في زمني، نعم.

دوفـــــاكين: أظن أن كاسو سلَّم شخصًا ما إلى الجنود.

بــاخــتيـــن: في نهاية نظام كاسو، ولكن ينبغي القول إن كاسو... تعلم أن الذين كتبوا عن كاسو، عمومًا الذين كتبوا عن السياسة

في الجامعة وعن التعليم الشعبي كانوا من ذوي الميول الثورية، وقد شوهوا الحقائق بشكل مرعب. كان كاسو رجلا شديد الذكاء، مثقفًا، مثقفًا على الطريقة الأوروبية، كان رجلا أوروبيًا. وفي الواقع كانت سياسته حكيمة تمامًا: إن الجامعة أنشئت للعلم والحصول على المعرفة. وفي المستقبل، بعد الانتهاء من الجامعة، افعلوا ما شئتم...

دوفاكين: اندلعت فضيحة مدوية، على أثرها ترك جامعة موسكو كل الأساتذة الليبراليين.

باختين: نعم، نعم. حدث لدينا شيء مشابه في جامعة ليننجراد، ولكن أستاذًا واحدًا من الأساتذة المرموقين الذين كنا نقدرهم، لم ينتقل مطلقًا إلى صفوف المعارضة.

دوفاكين: هل كان الأساتذة مستشارين مدنيين فعليين؟ أم كانوا مجرد مستشارين مدنيين.

باختين: لم يكونوا جميعًا.

دوفاكين: ألم يكن هذا المنصب يمنحهم رتبة؟

باختين: لم يكن يمنحهم...، ولكن بقدر العلاوة التي يتقاضونها مقابل سنوات الخدمة، كان البعض يحصل على رتبة والبعض الآخر، الذي لم يتم سنوات الخدمة لم يكن يحصل عليها. ومعظم الأساتذة لم يتموا مدة الخدمة حتى يحصلوا بالفعل على رتبة مستشار مدني، والذين وصلوا لرتبة مستشار مدني كانوا يتركون الخدمة عادة بعدها.

دوفـــــاكين: أكانت هذه هي الرتبة الثالثة، على مـا أظـن؟ الفعليـة، السرية...

بـاخـتيـــن: لا، السرية هي أعلى رتبة.

دوفـــــاكين: السرية هي رتبة وزير.

بـاخـتيـــن: المستشار الفعلي السري هو الوزير. عـلاوة علـى أن الوزراء لم يكونوا بالضرورة مستشارين سريين فعليـين، وإنما مجرد مستشارين سريين، بل، على حد علمي، كـان هناك وزراء برتبة مستشارين مدنيين، وحتى غير فعليين.

دوفـــــاكين: يعني أن الرتب كانت: سري فعلي، مدني فعلي، مدني. وما أهمية الرتبة التي كانت أدنى من المدني؟ هل تذكر؟

بـاخـتيـــن: أظن أنه كان مستشار هيئة. لا أذكر الآن.

دوفـــــاكين: ليكن. عمومًا كان هناك أربع عشرة رتبة.

بـاخـتيـــن: نعم أربع عشرة طبقة.

دوفـــــاكين: هذا ما أقره بطرس الأكبر، أليس كذلك؟

بـاخـتيـــن: هذا ما أقره بطرس في الفقرة الخامسة.

دوفـــــاكين: ولم يتم إلغاؤها إلا على يد ثورة أكتوبر فقط.

بـاخـتيـــن: نعم، فقط.

دوفـــــاكين: لم تلغها ثورة فبراير.

بـاخـتيـــن: لا، ثورة أكتوبر لم تستطع أن تمسها، ولا أظن أنها نجحت في تغيير أي شيء.

دوفـــــاكين: إذن، أنت قضيت شهر فبراير طالبًا في جامعة بطرسبورج أو بتروجراد؟

باختين: نعم، ولكن، لم أشترك، بصفة خاصة، في أي من الحركات التي كانت تنمو آنذاك في الجامعة، كنت بعيدًا عنها كلية.

دوفاكين: كنت غير مُسيس تمامًا.

باختين: غير مُسيس، ولكن لم أكن متعاطفًا، بالطبع، مع المتطرفين: الأحزاب المتطرفة وكذلك مع المؤسسات التي كانت تعمل في مجال التعليم الشعبي. لم أتعاطف معها على الإطلاق. لم أتعاطف. كنت أرى أن الظروف التي كانت قائمة في الجامعة وفي التعليم الشعبي على وجه العموم كفيلة تمامًا بأن توفر للإنسان إمكانية أن يصبح عالمًا ومؤهلا للحياة.

ينبغي القول إن كلية الحقوق بالجامعة كانت أيضًا على أعلى درجة من القوة. أذكر أنني أنا نفسي وآخرين كنا نتردد للاستماع إلى محاضرات الأستاذ بتراجيتسكي، رجل القانون بتراجيتسكي(٢٦). وجدير بالذكر أن الاستماع إلى هذه المحاضرات كان أمرًا شاقًا؛ فقد كان يتحدث بلكنة بولندية شديدة للغاية. وعمومًا لم يكن خطيبًا. لكن محاضراته كانت شيقة بدرجة كبيرة.

دوفاكين: ها قد وصلنا معًا إلى عام ١٩١٧. تحدثت عن وجود حلقة *"Omphalos"* التي كنت عضوًا فيها. هل كنت منتميًا إلى أي جماعة أخرى.

باختين: لم أنضم إلى أية جماعة؛ لأنه سرعان ما أصبح وجود أي جماعات مماثلة أمرًا مستحيلا. لكنني كنت مشاركًا في الحلقات، الحلقات التي ظهرت بعد الثورة.

دوفاكين: في أية حلقات اشتركت؟ في الحلقات الأدبية؟ الفلسفية؟

باختين: الفلسفية، الفلسفية الدينية والتي تحمل طابع الدراسات الأدبية، تلك الحلقات ذات الطابع غير الرسمي.

دوفاكين: ألم تشارك في الجمعية الفلسفية المستقبلية؟[٢٧]

باختين: كنت أتردد عليها.. ولكن لم أشارك فيها بأي عمل ولو لمرة واحدة.

دوفاكين: كانت فكرة أندريه بيلي في الأساس.

باختين: نعم، كانت هذه الجمعية فكرة أندريه بيلي.

دوفاكين: إنه لأمر شيق لو نظرنا إليها من الداخل. هل كنت تحضر اجتماعاتها؟

باختين: نعم، كنت أحضر اجتماعاتها، ولكن ينبغي القول إنني لم أكن متعاطفًا بدرجة كبيرة مع الجمعية الفلسفية المستقلة. كانت "مكلمة" روسية عادية، مكلمة، لم تكن هناك محاضرات علمية جادة. لم يكن هناك سوى... بلاغة لفظية، يغلب عليها بصفة رئيسية الطابع الليبرالي الديموقراطي.

دوفاكين: ... وفي الوقت نفسه أيضًا الطابع المثالي الصوفي...

باختين: ... وجزئيًا الطابع المثالي الصوفي. اكتشفت بعد ذلك جمعية فلسفية دينية فواظبت على حضور اجتماعاتها. كانت على أية حال شيئًا أكثر أهمية.

دوفاكين: وجدت هناك ميريجكوفسكي، أليس كذلك؟.

باختين: صحيح، ميريجكوفسكي... آنذاك كان كارتاشيف رئيسًا للجمعية، وبعد ذلك لعب فيلاسوفاف دورًا مهمًا فيها.

دوفاكين: كيف تنطقه: فيلاسوفاف أم فيلوسافف؟

باختين: فيلاسوفاف. هكذا كان الجميع آنذاك ينطقونها "فيلاسوفاف" كما كان معارفه وأصدقاؤه كافة ينطقونه...

دوفاكين: لقد اعتدت على نطق الاسم "فيلوسافف".

باختين: ... هو نفسه كان ينطقه "فيلاسوفاف".. هذا هو النطق الصحيح.

دوفاكين: دعنا نركز الآن... لقد استوقفتك كثيرًا عند الجامعة؛ لأن لديّ مهمة خاصة – إذا جاز التعبير– باعتباري أقوم بمهمة المرحوم رئيس الجامعة وهي: تاريخ التعليم العالي في روسيا... لديّ عن جامعة موسكو الكثير، فباستثناء القليل من الثرثرة التي ذكرها شكلوفسكي، ليس هناك شيء. أنت أول من قدم لي في هذا المجال صورة كاملة للغاية...

باختين: أود لو أضفت هنا بعض الشيء بالنسبة لإدارة الجامعة.

دوفاكين: تفضل.

باختين: ينبغي أن أتذكر أن رئيس الجامعة ونائب الرئيس... هؤلاء لم يكونوا ليتدخلوا إطلاقًا في الأمور الدراسية. أضف إلى ذلك أنه كان هناك متخصصون في مجالات محددة. خذ مثلاً، جريفس،[٢٨] كان عالمًا في التاريخ...

دوفاكين: آه، كنت تعرف جريفس؟

باختين: طبعًا كنت أعرفه، إيفان ميخايلوفيتش، إذا لم تخني الذاكرة، وهؤلاء المختصون كانوا من رجالات العلم، وليسوا

موظفين، ليسوا موظفين على الإطلاق. ولم يتدخلوا في الجانب الدراسي. هؤلاء كانوا يسعون لخلق مناخ من الطمأنينة والهدوء اللازمين للعمل العلمي الجاد. وقد تحقق ذلك بدرجة كبيرة في لينجراد، لا أقصد لينجراد...

دوفاكين: في بتروجراد.

باختين: في بتروجراد، تحقق في بتروجراد بدرجة أو بأخرى. وقد تمتع هؤلاء العلماء بالاحترام من جانب أغلبية الطلاب، ولم يكن من الممكن إلا أن يتمتعوا بهذا الاحترام، الذي لم يلقه الآخرون من الأفظاظ السخفاء. أما رئيس... كيف كانوا يسمونه آنذاك؟... مدير شئون الطلبة... أوه، لا... لا...

دوفاكين: نائب رئيس الجامعة؟

باختين: ولا نائب رئيس الجامعة. كان موظفًا إداريًا بحتًا، يدير شئون الطلاب كافة، أرشيف الطلاب بين يديه. كان هذا هو إيفان سميونوفيتش سلونيمسكي. كان عجوزًا ودودًا، شخصية مقدسة. كان غاية في الطيبة والعطف والعطاء. عمليًا كان مديرًا لشئون الطلاب...

دوفاكين: إداريًا كان...

باختين: كان إداريًا، نعم، نسيت لقبه. وكان ابنه رفيقي. كان يكبرني، أنهى كلية الحقوق ثم التحق بكلية الدراسات اللغوية والأدبية. الكلية الثانية.

دوفاكين: هل كنتم تدفعون من مصروفات؟

باختين: نعم، كنا ندفع، ولكن يجب أن أقول إن المصروفات لم تكن كبيرة قط...

دوفاكين: كم كانت تكلف الجامعة في العام؟

باختين: أظن حوالي ثمانين روبلا – في العام.

دوفاكين: وهل كانت هناك منح؟

باختين: كانت هناك منح. وكان الحصول عليها يسيرًا. كلام فارغ. كان الأمر سهلا. ولكن، كانوا يرون أن من غير اللائق على أية حال أن يحصل الطالب على منحة. كانوا يسعون ألا يحصلوا عليها. أما الحصول عليها فلم يكن يستلزم أي جهد: توقيع من زميلين أنه يحتاجها فعلا. وكان الأمر عادة يتم على النحو التالي: يذهب الطالب إلى مكتب الإدارة ومعه الطلب ويصطحب معه أول طالبين يلتقي بهما بالمصادفة عند المكتب، ليسا بالضرورة من معارفه، يطلب منهما التوقيع، فيوقعان بالطبع. كان هذا هو التقليد المتبع آنذاك. وينتهي الأمر، وعمومًا كانوا يتيحون عددًا كبيرًا من المنح. ولعلي أقول لمن يحتاجها فعلا ولمن يخجل من الاعتراف بحاجته لها. ولكن يجب أن أقول إن الغالبية ممن كانوا في حاجة إليها لم يكونوا يطلبونها. هكذا كانت التقاليد.

دوفاكين: شعور بالحرج.

باختين: نعم.

دوفاكين: وكم كانت تبلغ المنحة؟ ثلاثون روبلا أيضًا؟

باختين: كانت المنحة هي الإعفاء من مصاريف الدراسة. وكانت هناك منح أخرى اسمية، كانت تعطى نظير استحقاق ما ذي طبيعة علمية بالطبع. لا أذكر الآن من...

دوفاكين: كانت تدفع من قبل الرعاة، أليس كذلك؟

باختين: نعم، من قبل الرعاة. المنح الاسمية. أما الأخرى فكانت الإعفاء من مصروفات التعليم.

دوفاكين: ولكن أربعون روبلا لنصف العام، هذا يساوي أقل من عشرة روبلات في الشهر.

باختين: أقل من عشرة روبلات في الشهر!

دوفاكين: عشرة، كانت بالطبع لها قيمة.

باختين: كانت نقودًا، كانت نقودًا. وعلى هذا كانوا يفضلون ألا يطلبوها، وخصوصًا أنه كان بإمكانهم أن يعطوا دروسًا خصوصية، وكان من السهل أن يتكسبوا بعض المال بسهولة من عمل أدبي سهل، مثل كتابة مقال نقدي... تعلم، وهذا ينبغي ذكره، أن مطعم الطلاب كان شيئًا رائعًا. حيث كان من الممكن للطالب، لا أذكر بالضبط، ولكن تقريبًا أن يتناول وجبة غذاء محترمة مقابل عشرة كوبيكات(*).

دوفاكين: في زماننا كانت وجبة الغذاء تكلفك ثلاثة وثلاثين كوبيكًا، وفوق ذلك كانت سيئة.

باختين: آنذاك كانت تساوي وجبة جيدة.

دوفاكين: ولكن في المقابل كان يمكنك أن تأكل خبزًا كما تشاء.

(*) الروبل يساوي مائة كوبيك. (المترجم)

باختين: كان الخبز عمومًا في هذا الوقت غير مقنن.. كل قدر استطاعتك...

دوفاكين: وكان الأمر على هذا النحو حتى عام ١٩٢٦ أيضًا.

باختين: نعم، كان الطعام جيدًا، بسيطًا وجيدًا. عادة ما كانوا يقدمون حساء الكرنب، وكان جيدًا، وكذلك حساء اللحم والعصيدة وكرات اللحم.

دوفاكين: عظيم. أنا نفسي كنت طالبًا بالمناسبة في النصف الثاني من مرحلة النيب(*) بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٠ وكنت أعيش على إعطاء الدروس الخصوصية. لم أكن أتقاضى أي منحة، فكنت ألجأ للدروس لزيادة دخلي. كنت أتقاضى روبلا على الساعة وبعد ذلك روبلا ونصف أحيانًا، وكانت تكلفة وجبة الغذاء في مطعم الطلبة ثلاثة وثلاثين كوبيكًا.

باختين: كان الطعام رديئًا للغاية.

دوفاكين: كان غذاء سيئًا، وكنا نقف من أجله طابورًا طويلا لمدة أربعين دقيقة.

باختين: لم تكن الطوابير قد ظهرت بعد على ما أظن.

دوفاكين: بالحجز...

باختين: عمومًا فإن تعبير ذيل(**) لم يظهر إلا بعد ذلك.

دوفاكين: لا، ظهر هذا التعبير في ١٩١٧، بل وفي عام ١٩١٦.

باختين: في عام ١٩١٦، ولكن ليس في كل الأماكن، وإنما على بعض الأشياء.

(*) النيب *NEP*: السياسة الاقتصادية الجديدة *New Economic Policy*.

(**) يطلق على الطابور في الاتحاد السوفيتي اسم الذيل. (المترجم)

دوفـــــاكين: على طابور الخبز بالمناسبة.

بـــاخـــتيـــــن: هذا صحيح.

دوفـــــاكين: لقد رسمت صورة واضحة للجامعة. ومـــن كـــان رئـــيس جامعة بطرسبورج آنذاك؟

بـــاخـــتيـــــن: كان جريفس رئيسًا.

دوفـــــاكين: كان جريفس مؤرخًا. كان عميدًا على ما أظن، أليس كذلك؟

بـــاخـــتيـــــن: شغل منصب العميد لفترة، ثم أصبح، على حـــد علمـــي، رئيسًا للجامعة. لا أتذكر الآن جيدًا. وجدير بالذكر أنه لـــم تكن هناك أية علاقة بين الطالب ورئيس الجامعـــة. كـــان بإمكانك أن تنهي الجامعة أو تقضي بها مـــا شـــئت مـــن السنين... لم تكن هناك سنوات محددة. كان هناك ما يعرف بنظام المواد، أي أنك تستطيع أن تتقدم لأداء الامتحانـــات في مادة ما، عندما تريد ذلك. بالطبع كانت هنـــاك مـــواد مستثناة، إذا أردت أن تتقدم لامتحانها فعليك أولا أن تحضر سميناراتها والدروس العملية وما إلى ذلك. أما بخلاف ذلك فأنت حر. إن شئت أديت وإن شئت انتظرت. الآن تتقـــدم بالتسجيل... في سجل خاص بـــذلك، ويمكنـــك أن تـــؤدى الامتحانات الحكومية خلال خمسة أو عـــشرة أعـــوام أو عشرين سنة... كان هناك طلاب مـــسنون... لا قيـــود... اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد...

دوفـــــاكين: لكن هذه سخافة!

بـــاخـــتيـــــن: نعم، اطلب العلم... وادفع مقابل التعليم. هذا هو المطلوب لا أكثر.

دوفـــــاكين: في كل الأحوال هذه سخافة، ألا تظن ذلك؟

باختين: بكل تأكيد الموضوع كانت له جوانب سلبية، كما كانت له جوانب إيجابية. كان هناك، إذا جاز التعبير، طلاب مسنون، وهؤلاء لم يكونوا في الواقع يتعلمون، ولكنهم كانوا بحاجة لوضع ما في الحياة، كانوا طلابًا خالدين، هكذا كانوا يسمون: الطلاب الخالدون. أما في ألمانيا، في الجامعة الألمانية فقد كان هذا الوضع موجودًا، بل وأكثر حرية. كانوا يعطونهم دفترًا عامًا، سجل الطالب، فتستطيع أن تؤدي امتحانًا في مادة في جامعة ومادة أخرى في جامعة أخرى. ومادة ثالثة... وجميعها صحيحة.

دوفاكين: إذن لم يكن هناك مفهوم للفصل الدراسي ولا للانتقال من فصل دراسي إلى الآخر؟

باختين: كان هناك في الواقع هذا الأمر الشكلي – في الواقع كان الحساب يتم ببساطة تبعًا لعدد السنوات التي درسها الطالب ثلاث سنوات... إذن فهو طالب في الصف الثالث...

دوفاكين: وماذا لو استمر في الدراسة ثماني سنوات. هل يقال إنه طالب في الفصل الثامن.

باختين: لا يعتبرونه كذلك... يقولون "أدى المادة الفلانية..." أو عنده "ذيل"؟

دوفاكين: إذن، هؤلاء طلاب "ذوو ذيول"؟

باختين: كان الطالب يدرس خمس أو ست سنوات ولكن لديه "ذيولا"؛ أي امتحانات كثيرة لم يجتزها. أما في ألمانيا فيمكنك أن تؤدي أي مادة في أي جامعة ألمانية: وهذا كان

شيئًا جيدًا؛ لأن الجامعات كان لديها أساتذة متنوعون. كل طالب كان يسعى لأداء الامتحانات عند أستاذ بارز، أفضل أستاذ في زمنه فيذهب إلى جامعة...

دوفاكين: جامعة أخرى.

باختين: نعم. يؤدي فيها ثم ينتقل إلى الأخرى... عندنا نسميه "طالبًا مسنًا" أو طالبًا خالدًا، وهناك يسمونه ***"bemooster Herr"***.
أي ذو الـ...

دوفاكين: اللحية؟

باختين: لا، سأخبرك الآن بترجمة أكثر دقة... ***"Moss"***، ***"bemooster Herr"*** ... يعني المغطى... بالطحلب! الطحلب، الطحلب. هذه هي الترجمة الأقرب للمعنى؛ الطالب المغطى بالطحلب. عندنا يسمونه "الطالب المسن" أو "الطالب الأبدي". أظن أن ليونيد أندرييف كتب مسرحية اسمها "الطالب المسن" أليس كذلك؟ أم أن لها اسمًا آخر؟(٢٩)

دوفاكين: أظن أن لها اسمًا آخر.

باختين: البطل الرئيسي في هذه المسرحية طالب مسن يحاول أن يتكيف مع الشباب أصحاب النزعة الثورية وما إلى ذلك.

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش.. لن نطيل في هذا... دعنا نتجاوزه أخبرني بمن من رجالات الثقافة الكبار التقيت في هذه الفترة؟ طبعًا التقيت بشليابين... من الذين تابعتهم بنفسك؟،

على من تعرفت؟، ليس بالضرورة أن تكون قـد تعرفـت عليهم عن قرب. كنت تتردد على المسرح الفنـي. مـاذا تذكر عن هذا المسرح؟. قل لنا رأيك...

باختين: المسرح الفني؟ بالطبع عرفت مسرح موسكو الفني. جـاء إلينا في جولة فنية.

دوفاكين: إلى أين جاء؟ إلى أوديسا؟

باختين: لا، جاء إلى بطرسبورج. صحيح أن المرة الأولـى فـي الواقع كانت في أوديسا، وعندما جاء إلى هناك.

دوفاكين: لتبدأ بشليابين وسوبينوف.

باختين: وما أدراك ما شليابين... وماذا بإمكاني أن أقول عنه؟ لقد ترك شليابين انطباعًا قويًا لديّ. أما سـوبينوف، لا أدري، كان تأثيره عليًّ أقل بشكل ما.

دوفاكين: طبعًا، فأنت رجل موسيقى.

باختين: نعم، ولكني لست متخصصًا في الموسيقى. أنـا موسـيقي بمعنى أنني كنت قريبًا من أجواء الموسيقى، ولكني لـست موسيقيًا بالمعنى المفهـوم. لقـد قمـت بالتـدريس فـي الكونسرفتوار، لكني درست هناك علم الجمال. بالإضـافة إلى ذلك كان من بين معارفي موسيقيون. خذ مثلا... ماريا فينيامينوفنا، كانت امرأة رائعة في...

دوفاكين: سنتحدث عنها فيما بعد.

باختين: فيما بعد. صحيح.

دوفاكين: سوف نتحدث عن ماريا فينيامينوفنا بشكل خاص.

باختين: نعم، هذه أحداث أبعد قليلا... إذن الآن... عمّ كنا نتحدث؟ قلت انطباعًا قويًا... أود أن أقول شيئًا ما جديدًا لم يكتبه أحد عن شليابين... منذ فترة غير بعيدة كانوا يستعيدون ذكراه، احتفلوا بيوبيله... ماذا بوسعي أن أضيف هنا؟ لقد ترك شليابين انطباعًا قويًا لديّ. ومن جانبي أقول، لم أستمع لمغنٍ من طبقة الباص أفضل منه. ولقد استمعت بعده إلى العديد من أبرز الفنانين.

لنعد الآن للحديث عن المسرح الفني. لقد تعرفت عليه للمرة الأولى في أوديسا، ثم بعد ذلك في لينينجراد. في موسكو لم أذهب لمشاهدة المسرح الفني، هذا إذا لم تخنني الذاكرة. أما الأوقات التي زار فيها لينينجراد فأذكرها جيدًا، سواء قبل الثورة أو بعدها.

دوفاكين: هل شاهدته بنجومه الكبار؟

باختين: بنجومه الكبار. نعم.

دوفاكين: أخبرني بتقييمك وانطباعك عن مسرح موسكو الفني. وبالنسبة لي يمثل لي مايرخولد أهمية خاصة... ولكن... سنتحدث عنه مؤخرًا بالطبع...

باختين: مايرخولد فيما بعد. أكثر ما عرفته عنه كان سماعًا. من بين معارفي أصدقاء مشتركون لمايرخولد... ولكنني عرفته هو نفسه ولكن قليلا، قليلا للغاية...

دوفاكين: موسكو هي البولشوي تياتر والمالي تياتر والمسرح

الفني...

باختين: آنذاك كان لا يسمى البولشوي، وإنما المارينسكي تياتر.

دوفاكين: أنت تتحدث عن بطرسبورج.

باختين: المارينسكي تياتر، نعم، والآن يسمى البولشوي على حد علمي.

دوفاكين: لا، لا، البولشوي في موسكو، أنا أتحدث عن موسكو، هل كنت تعيش في تلك الفترة في موسكو؟

باختين: كنت أذهب إلى موسكو، ولكن بشكل خاطف، لم أعش في موسكو في تلك الفترة. والواقع أنني لم أعش فيها إطلاقًا على نحو دائم، كنت أتردد عليها... أما بعد الثورة فقد أقمت في موسكو لأوقات أطول. ومن ثم لم أتعرف على مسرح موسكو الفني في موسكو. لقد شاهدته للمرة الأولى في أوديسا، وهناك كان كل النجوم القدامى. وبالطبع فقد ارتدت مسرحهم هناك...

دوفاكين: ما قولك في قسطنطين سيرجيفيتش؟

باختين: قسطنطين سيرجيفيتش... أذكر أنني ذهبت لمشاهدته... كان هناك "فندق لندن" كان به مطعم يقع بالطابق الأول ويتميز بنوافذه الكبيرة المطلة على الشارع. كنت أذهب إلى هذا المطعم في الوقت الذي كان ستانيسلافسكي يتناول غذاءه فيه هو وآخرون. كان من الرائع أن نتمكن من رؤية...

دوفاكين: ولكن، بصفتك مشاهدًا، فهل كنت تحب المسرح الفني؟

باختين: لا أستطيع أن أقول إنني كنت أحبه، كنت معجبًا به، وقد ترك لديّ انطباعًا... بعض الأعمال... أتذكر أنني شاهدت مسرحية "براند" وقد هزتني.

دوفـــــاكين: ومن لعب دور براند؟

بـــاخـــتيـــن: أظن أنه كاتشالوف. كاتشالوف.

دوفـــــاكين: و"الحضيض"؟

بـــاخـــتيـــن: تصور أنني لم أشاهد "الحضيض"، لم يتسنَّ لي مشاهدتها. وحيث إنني لم أكن إطلاقًا من المعجبين بجوركي، فإنني لم أسع لمشاهدة أعماله.

دوفـــــاكين: وهل شاهدت أعمال تشيخوف؟

بـــاخـــتيـــن: أعمال تشيخوف شاهدتها، ولكن عليّ أن أخبرك صـــراحة أنه قد بدا لي أنهم أساءوا فهم تشيخوف... لم يفهموه.

دوفـــــاكين: لم يفهموه؟ أساءوا فهمه؟

بـــاخـــتيـــن: نعم، لم يفهموه.

دوفـــــاكين: قد يكون السبب في ذلك أنهم حولوه إلـــى ثرثـــار ينطـــق بالتفاهات؟

بـــاخـــتيـــن: نعم، ثم أن... لقد اعتبر تشيخوف نفسه أن معظم أعمالـــه من نوع الفارس أو الكوميديا. مثلا "بستان الكرز" أســـماها مباشرة فارس. ولكن كان هذا من وجهة نظر نظرية الأدب أمرًا غير مؤكد تمامًا، أما كون أعماله تشتمل على العنصر الكوميدي والفارس بشكل قوي فهذا أمر لا يحتمل الـــشك وعلى هذا فإن تحويل هذا إلى دراما...

دوفـــــاكين: تجلب الدموع تقريبًا...

بـــاخـــتيـــن: نعم. فهـــذا مرفـــوض، إن قـــلب الأمر إلى ميلودراما... لا ينبغي إطلاقًا، وهذا ما فعلوه.

دوفـــــاكين: شيء مدهش.

بـــاخـــتيـــن: ينبغي القول إنه، فيما بعد، بطبيعة الحال، عنـدما تغيـر الممثلون وخاصة عندما راح يعمل وفق قواعد محددة وتم اعتباره معيارًا لكل المسارح الأخرى انهار تمامًا.

دوفـــــاكين: انهار تمامًا؟

بـــاخـــتيـــن: نعم، نعم، انهار. لقد قتلته القواعد المحددة. في هذا المعنى نرى حكاية معتادة: أن تضع قواعد محـــددة لأى ظـــاهرة ثقافية فإن هذا يعني أنك تقتلهـــا. مـــستحيل. إن الظـــاهرة الثقافية لا تتنفس إلا في مناخ الحريـــة والـــصراع الحـــر والمنافسة والنقد... عندما تحرم المسرح من هـــذا المنـــاخ فإنه سرعان ما يموت...

دوفـــــاكين: هذا عن المسرح والموسيقى، ماذا عن الشعراء؟

بـــاخـــتيـــن: الشعراء؟ ... عرفت الشعراء. لم أكن قريبًا بصفة خاصة من الشعراء الكبار، لكني عرفت الكثير جدًا من الشعراء، عرفتهم كلهم تقريبًا. لقد عرفت بشكل رئيسي، وإن لم أكن قريبًا منه أيضًا، على الرغم من أنه كان شاعري المفضل، وكإنسان فقد أعجبني للغاية، هذا هو فيتشيسلاف إيڤانوڤ. ولكني لم أكن قريبًا منه على نحو خاص.

دوفـــــاكين: وأين التقيت به؟

بـــاخـــتيـــن: التقيت به في ليننجراد، في إحدى الأمسيات، عرفوني به، ... المسألة أنه كان لي صديق حمـــيم... فولوشـــينوف... وهو الذي وضع كتاب "الماركسية وفلـــسفة اللغـــة" وهـــو

الكتاب الذي ينسبونه إليّ، هذا هو فالنتين نيكولايفيتش فولوشينوف.[٣٠] أما أبوه فكان صديقًا لفيتشيسلاف إيڤانوف، وأظن أنهما كانا يتحدثان معًا دون كلفة... ثم عرّفني عليه في إحدى الأمسيات الأدبية في لينينجراد. ثم التقينا فيما بعد في موسكو بعد ثورة ١٩١٧. وأذكر جيدًا بصفة خاصة اللقاءين الآخرين معه قبل رحيله إلى... باكو. وبعد سفره إلى باكو لم أره... كان وقتًا صعبًا للغاية، وقت المجاعة. آنذاك كان يعيش في مصحة في أرباط في حارة سباسو – نيوباليموفسكي إذا لم تخني ذاكرتي.

دوفاكين: لم يكن في أرباط، وإنما في شارع سمولينسكي، في حارة نيوباليموفسكي بالمنزل رقم ٣، ولم تكن هناك حارة باسم سباسو – نيوباليموفسكي وإنما في سباسو – بيسكوفسكي.

باختين: ربما.

دوفاكين: وهذه الحارة قريبة من ميدان زوبوفسكي. وهذه المصحة تعتني بأصحاب الأعمال الذهنية الذين يعانون من الإجهاد.

باختين: تمامًا، تمامًا.

دوفاكين: لقد زرتها إذ نزل بها أبي في العشرينيات بعد أن ألمّ به مرض عضال. وكان بونين رفيقه في الغرفة. أتعرف كيف كانوا ينادونه؟ الأخ إيفان ألكسيفيتش.

باختين: لكن هذا حدث فيما بعد. لقد كنت هناك في العشرينيات.

دوفاكين: في عام ١٩٢٠، صيف عام ١٩٢٠ على ما أذكر. كنت أربط دائمًا بين هذه المؤسسة وكتاب جرشينزون و...

باختين: وفيتشيسلاف إيڤانوف...

دوفـــــاكين: كتاب إيڤانوف كان اسمه "مراسلات من ركنين".

بـــاخـــتيـــــن: تمامًا، تمامًا. كنت بالمناسبة في هذه الغرفة، ولكن شخصًا واحدًا كان يرقد بها فقط وحده وهو فيتشيسلاف إيڤانوف، أما جرشينزون... إما لم يكن قد ظهر، لا أذكر بالضبط(٣١)...

دوفـــــاكين: وإما كان قد غادرها.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، إما لم يكن قد ظهر، وإما كان قد غادرها. أي أن هذا الحوار من ركنين، إما كان قد تم أو لم يكن قد بدأ بعد. أما الركنان فقد شاهدتهما. على أنه كان هناك في الركن الثاني شخص أيضًا مهم، شخص رائع. كان شاعرًا، وكان اسمه، لقد أصبحت ذاكرتي لا تطاق، هذا الشاعر أحببته باعتباره شاعرًا، ثم قدرّت مذكراته الرائعة كل التقدير... إنه خوداسيفتش.

دوفـــــاكين: آه! وهل كان لا يزال في موسكو، ألم يكن قد هاجر بعد؟

بـــاخـــتيـــــن: كان لا يزال في موسكو لم يغادرها بعد، وكان يشغل السرير الثاني في هذه الغرفة – ربما تكون مصحة أخرى، من طابقين، مبنى أبيض...

دوفـــــاكين: نعم، نعم، نعم، نعم.

بـــاخـــتيـــــن: مبنى أبيض من طابقين، كانت غرفة الطعام في الأسفل، على اليمين من المدخل، ثم يصعد السلم بعد ذلك إلى الدور الثاني.

دوفـــــاكين: لقد تمت تعلية هذا المبنى الآن، لقد عشت بجواره في المنزل رقم ١ في حارة نيو باليموفسكي، ولهذا أذكره.

باختين: ربما اختلط عليّ الأمر... لأن أرباط كان فيه عدد من هذه الحواري، ولكن أستطيع التأكد من ذلك لأن لديّ كتاب "مراسلات من ركنين".

دوفاكين: كتاب نادر.

باختين: نعم، هو بحوزتي الآن، ولكنه للأسف ليس ملكي، ولكنه قد يصبح كذلك لأن صاحبه لم يسأل عنه.

دوفاكين: إذن أنت لم تتعرف بصفة خاصة على جرشينزون؟

باختين: لا، لا، لكن فيتشيسلاف إيڤانوف كان موجودًا.

دوفاكين: وهل ربطتك بفيتشيسلاف إيڤانوف علاقة شخصية؟

باختين: ربطتني به علاقة شخصية بفضل فولوشينوف.

دوفاكين: ألم تلاحظ أنه كان إلى حد ما... حدثني عنه كإنسان؟ فقد كنت مهتمًا بدراسة حلقة *"Omphalos"* على أية حال، ولم يكن من الممكن تصور فيتشيسلاف إيڤانوف عضوًا بهذه الحلقة، يمكن أن نتصور فقط أنه كان هدفًا لحلقة *"Omphalos"*.

باختين: جزئيًا كان هدفًا لحلقة *"Omphalos"*، ولكن هذا لم يمنع تأثيره الهائل علينا، على كل أعضاء *"Omphalos"*. كان تأثيره عظيمًا وكان احترامنا له كبيرًا، وبالإضافة إلى ذلك كان أعضاء الحلقة يقرضون الشعر وفقًا للعَروض اليونانية القديمة...

دوفاكين: هل كنت تقدره تقديرًا رفيعًا كشاعر؟

باختين: كشاعر كنت أقدره، ولعلني كنت أقدره كشاعر تحديدًا أكثر من أي شيء آخر، كما كنت أقدره باعتباره عالمًا. الكتب التي تضم مقالاته غاية في الأهمية، بعضها كان رائعًا، وقد أصدر ثلاثة كتب.

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش، إذن نحن نتحدث عن الرمزية... تحدثت عن فيتشيسلاف إيفانوف، وقلت إن هذا الاتجاه كان قريبًا من الاتجاه اليوناني القديم، وهل لحقت بالشاعر إينوكينتي فيدوروفيتش أنينسكي؟

باختين: لا، لم ألحق به فقد توفي عام ١٩٠٩، لكني عرفت كتابه الأول بالطبع، كتاب جيد قرأته واسمه "أغاني خافتة" بتوقيع نيك – ت – و[٣٢].

دوفاكين: وهل كنت تربطك ببريوسوف علاقات ما...

باختين: نعم، التقيت ببريوسوف مرات عديدة، ولكننا لم نرتبط بأي نوع من العلاقات الحميمة، على الرغم من أنني أكن له احترامًا كبيرًا، والآن عندما أقرأ مذكرات خوداسيفيتش عن بريوسوف أشعر بالامتعاض الشديد.

دوفاكين: لم أقرأ مذكرات خوداسيفيتش، ولكن قرأت مذكرات تسفيتايفا...

باختين: مذكراتها أيضًا فظيعة.

دوفاكين: كان اسمها، على ما أظن، "الذئب".

باختين: أتصور أنها كتبت تعريفًا لها هو "تجاوز الافتقار إلى الموهبة".

دوفاكين: أتعرف من وراء هذا العنوان. إنه أيخنفالد[٣٣].

باختين: أيخنفالد هو الذي وضعه؟

دوفاكين: "تجاوز الافتقار إلى الموهبة".

باختين: ربما، ولكن العنوان متضمن في مقال تسفيتايفا؛ فقد رأت أيضًا أنه كان مفتقرًا إلى الموهبة، والحقيقة أنه استطاع

برأيه أن يتجاوز هذا الافتقار فلا يظهر في أعماله ولا يمكن اكتشافه، لقد نجح في صنع شيء ما.

دوفاكين: لا توافق إذن على هذا الرأي؟

باختين: لا أوافق على الإطلاق... لم يكن بريوسوف شاعرًا عبقريًا، كما لم يكن شاعرًا كبيرًا، ولكنه مع ذلك كان رجلا مثقفًا له قيمته في حياتنا الشعرية، لقد كان له دوره البارز في نهوض الثقافة الشعرية الروسية، وقد نجح في النهاية في أن يُقرّب لنا المدرسة الرمزية في الشعر الأوروبي الغربي، أضف إلى ذلك أنه استطاع بفضل ترجماته أن يقدم كثيرًا حتى نتمكن من فهم الشعر الكلاسيكي فهمًا صحيحًا، وخاصة الشعر الروماني المتأخر، الذي كان يعرفه معرفة جيدة، وأما من جهة كونه شاعرًا، فقد كان شاعرًا مطبوعًا، وإن كنت لا أراه شاعرًا عظيمًا، شاعرًا فحلا، وقد استطاع تجاوز هذا الافتقار، لقد وصفه خوداسيفيتش بصفات سلبية كثيرة كإنسان.

دوفاكين: وهل كان خوداسيفيتش نفسه شخصية منفرة؟

باختين: لقد كان خوداسيفيتش يترك انطباعًا مزدوجًا؛ فقد كان مظهره، عندما عرفته للمرة الأولى - غريبًا، كان نحيفًا، أقرب للهيكل العظمي، كان يبدو جسمًا ذا زاوية حادة، كانت هيئته تذكرني على الفور بلوحات خودلر، التي كانت لها شعبية كبيرة في ذلك الوقت، خودلر، خودلر[٣٤] لعلك لا تعرفه؟

دوفـاكين: خودلر، لا، لا أعرفه.

باختين: نعم، لقد جرى نسيانه بشكل ما.

دوفـاكين: خوداسيفيتش؟

باختين: نعم، تصور، كم كان هذا أمرًا عجيبًا، وهو ما كان يخلق لديه جاذبية خاصة.

دوفـاكين: شيء مثير للفضول، إنه حتى وقبل أن تتحدد شخصيته بشكل نهائي باعتباره مهاجرًا مناهضًا للنظام السوفيتي، وحتى آنذاك في فترة المهجر كان جوركي ينظر إليه بود واهتمام، كما كان يحب أشعاره.

باختين: جوركي، نعم، كما كان كامينيف يؤيده، إن شئت الدقة، كامينيفا هي التي كانت تؤيده.

دوفـاكين: أولجا دافيدوفنا كامينيفا؟

باختين: نعم، هل قرأت له "الممر الأبيض"؟[٣٥]

دوفـاكين: لا.

باختين: عمل شيق.

دوفـاكين: هل كتبه في المهجر؟

باختين: كتبه في المهجر، بمناسبة العام الأول لثورة أكتوبر، الممر الأبيض موجود في الكرملين، وهذا الممر تطل عليه غرف الزعماء الذين كانوا جميعهم يسكنون الكرملين آنذاك.

دوفـاكين: لا، لا، لم تتح لي الفرصة لقراءته، لقد قرأت القليل من أدب المهجر، الآن فقط عندما أصبح بعضه متاحًا... كنت صغير السن آنذاك، كنت أبلغ من العمر ثماني سنوات لا أكثر.

باختين: أظن أن هذا الكتاب كُتب ونُشر في عام ١٩٢٦، هناك في المهجر بالطبع.

دوفاكين: هذا يعني أنك أبرزت بالمناسبة إبداع خوداسيفيتش.

باختين: أما بالنسبة لفيتشيسلاف إيفانوف فقد كان شخصية معقدة للغاية، إذا جاز القول، كانت هناك آراء عديدة بشأنه... البعض اعتبره شخصية لا تطاق، شخصًا حادًا وما إلى ذلك...

دوفاكين: فيتشيسلاف إيفانوف؟ لقد كنت أظن أنه الجلال الكامل.

باختين: البعض كان يظنه كذلك... ولكن تبين أنه ليس كذلك، أظن أن أندريه بيلي وصفه أيضًا من جانب واحد، وفي الوقت نفسه كان بالفعل يتمتع بقدر من العظمة في شخصيته، وفي رأيي أن هذا الجانب كان الجانب الرئيسي فيه على أي حال.

دوفاكين: خدمة آلهة الإبداع، كما يقولون، لا تطيق البطلان، لقد فهمته من خلال هذا القول لبوشكين.

باختين: حقا.

دوفاكين: وهل كان ثمة علاقة بين بريوسوف وفيتشيسلاف إيفانوف؟

باختين: كانت بينهما صلات جيدة في رأيي، لم يتخاصما، لا في مجال الشعر، ولا في...

دوفاكين: لا، ولكن تذكر، على وجه العموم، أنهما كانا في العقد الأول من القرن العشرين خصمين: كان هناك معسكر بريوسوف في مقابل معسكر فيتشيسلاف إيفانوف وبلوك وتشولكوف.

باختين: نعم، ولكنهما على أية حال كانا يكنان لبعضهما بعضًا مشاعر الاحترام، كانا بطبيعة الحال شخصين مختلفين.

دوفاكين: وماذا عن بوريس نيكولايفيتش بوجايف المعروف باسم أندريه بيلي؟

باختين: عرفته أيضًا، عرفته.

دوفاكين: لديَّ عنه بعض الانطباعات، ولكن ما يهمني هو ما لديك أنت.

باختين: استمعت إليه للمرة الأولى في الحلقة الفلسفية...

دوفاكين: وهل استمعت إليه في الجمعية الفلسفية الحرة؟

باختين: لا، استمعت إليه قبل تأسيسها. بالمناسبة لم أستمع إليه في الجمعية الفلسفية الحرة، لم يقرأ فيها أي شيء عندما كنت أتردد عليها، إنما استمعت إليه قبل الجمعية الفلسفية في اجتماعات الجمعية الدينية الفلسفية، عندما كان يرأسها ميريجكوفسكي، وعمومًا فقد جاء بعده كارتاشيف(٣٦) ليرأس الجمعية.

دوفاكين: هذا صحيح، لقد تحدثت عن هذا سابقًا، حدثنا من فضلك عن الجمعية الدينية الفلسفية أكثر بعض الشيء.

باختين: ألقى بيلي فيها محاضرات مهمة للغاية، استمعت منها إلى اثنتين، لا أتذكر أسماءها.

دوفاكين: ولكنها ظهرت بعد ذلك في كتاب "المرج الأخضر"(٣٧) أليس كذلك؟

باختين: لا، لا، "المرج الأخضر" ظهر متأخرًا فيما بعد، كان ذلك في عام ١٩١٦.

دوفـاكين: وهل كانت الجمعية الدينية الفلسفية موجودة قبل...

باختين: قبل ثورة أكتوبر.

دوفـاكين: الأمر إذن هكذا؟ لقد اعتقدت أن أمرها انتهى مع بداية العقد الأول.

باختين: لا، ما خطبك! لقد حضرت آخر اجتماع لها، حيث ألقى رئيسها كاتارشيف محاضرة، وكان آنذاك وزيرًا للأديان، وكان أول وزير في الحكومة المؤقتة، وقد ألقى الكلمة الختامية، لم يتحدث أحد عن أن الجمعية ستغلق أبوابها، لكن الجميع شعروا أن هذا الاجتماع هو الاجتماع الأخير.

دوفـاكين: وهل كان بيلي يلقي محاضراته هناك، أم قبل ذلك؟

باختين: لم يكن بيلي موجودًا في الاجتماع الأخير، لقد استمعت إليه قبل ذلك، وقد استمعت بعد ذلك إلى سيرجي سولوفيوف، وكان قد أصبح قسيسًا(٣٨).

دوفـاكين: قسيسًا؟ أظن أنه مرض بعد ذلك مرضًا نفسيًا؟

باختين: الحقيقة أنه مرض قبل ذلك، كما حاول أن ينهي حياته منتحرًا، وبعد ذلك التحق بسلك الرهبنة.

دوفـاكين: ثم بعدها الرهبنة الكاثوليكية.

باختين: فيما بعد، ولكن آنذاك كان أسقفًا أرثوذوكسيًا، وألقى محاضرة عن القلنسوة البيضاء على ما أذكر، وهي عن أسطورة القلنسوة البيضاء التي يزعمون أنها انتشرت في روسيا بعد ذلك، وهذه المحاضرة اتسمت بأنها ذات نزعة قومية روسية، وأنها ذات مضمون أرثوذوكسي.

دوفاكين: لقد كان لديّ تصوري الخاص بصورة أو بأخرى عن سيرجي سولوفيوف، لا يهم على أي نحو... المهم أننا تجولنا هنا وهناك في هذه المسألة، ولعلك واحد من آخر جيل يستطيع أن يذكر وأن يقول لنا شيئًا عن الثلاثي: ميريجكوفسكي، جيبيوس، فيلاسوفوف.

باختين: نعم، هؤلاء كانوا يروحون ويغدون دائمًا معًا، المسألة أنه لم يكن لدى الجمعية الدينية الفلسفية مكان لعقد اجتماعاتها، وقد قدمت لهم الجمعية الجغرافية الروسية مكانًا عبارة عن دور كامل في حارة ديميدوفسكي.

دوفاكين: في موسكو؟

باختين: لا، في لينينجراد بالطبع.

دوفاكين: في بطرسبورج.

باختين: أعرف شوارع لينينجراد، ولكني لا أعرف شوارع موسكو، لم أذهب إليها كثيرًا، حارة ديميدوفسكي موجودة في لينينجراد، وكانت الجمعية تشغل قاعة في الدور الثاني توجد بها منضدة كبيرة عليها كتب؛ فقد كانوا يبيعون الكتب: سجلات الجمعية الدينية الفلسفية، بعض مؤلفات الأعضاء، وكانت القاعة التي تتم فيها الاجتماعات قاعة صغيرة، ربما لا تتسع إلا لمائتين أو ثلاثمائة شخص بحد أقصى.

دوفاكين: ثلاثمائة شخص؟ هذه مساحة لا يستهان بها على أية حال.

باختين: ربما كانت تتسع لمثل هذا العدد، ولكن الأرجح أنه لم يجتمع فيها مثل هذا العدد، كانت هناك مناضد وآرائك وكراسٍ، وعلى اليسار يقع المدخل، وعلى اليمين مائدة

طويلة يجلس إليها رئاسة الجمعية، وإلى جوار المائدة منصة، وفي الخلف يجلس أعضاء الجمعية الدينية الفلسفية، لم يكن عددهم كبيرًا، وكان العدد المواظب على الحضور قليلا دائمًا، أما باقي الحضور فلم يكونوا من بين أعضاء الجمعية، وإنما هم أعضاء منافسون إن صح التعبير، كانوا يرسلون لي جدول الأعمال، وعرفوني برئيس الجمعية – كارتاشيف، وقد تجاذبت معه أطراف الحديث فقام بتسجيلي، وقال لي: "سوف تتلقى الدعوات بانتظام"...

دوفاكين: ألم تكن هناك تكليفات محددة في هذه الاجتماعات؟

باختين: لم تكن هناك أية تكليفات على الإطلاق، وبالفعل بدأت في تلقي الدعوات بشكل دقيق منتظم مطبوعة بالآلة الكاتبة على ورق بردي موضح بها جدول الأعمال: المحاضرات التي ستلقى وما إلى ذلك، لم يكن المرء بحاجة لإبراز الدعوة، فلم يكن أحد من الأغراب يتردد عليها، كانت الدعوة لمجرد الإحاطة؛ إذ لم تكن هناك إعلانات خاصة في الصحف، عمومًا عادة ما كان ميريجكوفسكي يجلس إلى المائدة وإلى جواره دائمًا زيانيدا نيكولايفنا جيبيوس وخلف جيبيوس مباشرة يجلس فيلاسوفوف.

دوفاكين: هل تعرفت عليهم؟

باختين: على من؟

دوفاكين: على ميريجكوفسكي وجيبيوس وفيلاسوفوف.

باختين: لا، تعرفت عليهم معرفة سطحية، كنا نتبادل التحية، بالإضافة إلى أننا كنا نتلاقى في جانب تأدبها في السلوك:

كان فيها شيء ما غير أرضي، كأنما هي من حوريات البحر، ولا أدرى إن كان سلوكها هذا حقيقيًا... أم أنها كانت كذلك في الواقع... كأنما كانت تتنفس بصعوبة على الأرض، مثل حورية البحر.

دوفاكين: أظن أنها ظلت تتنفس حتى التسعين؟(٣٩)

باختين: يبدو أن هذا كان أسلوبها، كانت امرأة رائعة.

دوفاكين: هل كانت شقراء؟

باختين: لا أتذكر الآن لون شعرها، لكنها كانت ذات مظهر جذاب.

دوفاكين: لقد شاهدت صورًا لها، كانت ممشوقة القوام...

باختين: نعم، نعم، شاهدت صورة لها، لكنها بشكل ما كانت تترك انطباعًا أقوى بكثير مما تركته صورها، ربما لم تكن على هذا القدر من الجمال الذي تظهره صورها، تعلم أنهم يضيفون لمسات كثيرة للصور، ولكنها كانت امرأة جذابة مع شيء من الزيف.

دوفاكين: ماذا؟ اشرح لي؟

باختين: كان بها مزيج من الجاذبية مع زيف واضح للعيان.

دوفاكين: رائع!

باختين: زائفة بمعنى التكلف: كان تنفسها ثقيلا، مثل تنفس حورية البحر التي أخرجت لتوها من البحر إلى الأرض، وعمومًا يكتنفه التكلف والتصنع والتظاهر، وهو ما كان يخلق انطباعًا بالزيف، ولكن في الوقت نفسه كانت جذابة؛ لأنها كانت شديدة الذكاء، بل كانت حقا أشد ذكاء من ديمتري

ميريجكوفسكي ومن فيلاسوفوف لكن العلاقات الآن... ماذا أقول – الجميع يعلم أن هذا كان *ménage en trios*[٤٠] وفي سياق هذا كان ميريجوكوفسكي كما يقال...

دوفـــــاكين: الأخير.

بـــاخـــتيـــــن: الشخصية الأخيرة، نعم، الشخصية الأخيرة، لم يكن شـــديد الفحولة رغم لحيته، كل هذا...

دوفـــــاكين: كان رث الهيئة.

بـــاخـــتيـــــن: رث المظهر، يعطيك انطباعًا كما لو كان لونــه ضــاربًا للزرقة مثل غريق، كان أزرق، رث المظهر، ولهذا لم يكن يستهويني، جدير بالذكر أنهم كانوا عادة مـــا يحـــضرون متأخرين بعد أن يجتمع الحضور، يدخلون ثم يــضطرون إلى اختراق الصفوف في اتجاه تلك المنضدة؛ لأن البــاب كان في الجانب الأيسر والمنضدة فـــي الجانـــب الأيمـــن، وأذكر أن الناس كانوا يقفون عند دخولهم.

دوفـــــاكين: ماذا؟ الجميع يهبون واقفين؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، يقفون، ربما البعض لم يكن ليقف... لم يكــن وقوفًــا بيروقراطيًا على أية حال، وإنما مجرد انطباع أن الجميـــع قد وقف. ولعل الكثيرين كانوا يستمرون فـــي جلوســـهم، وخصوصًا أن كثيرًا من الحضور وسط هذا الجمهور كانوا يحتقرون ميريجكوفسكي، ولكن الأغلب أنه كان هناك دائمًا انطباع ما، ضجيج ما، وقوف وحركة...

دوفـــــاكين: كانوا يقابلون بحفاوة...

باختين: نعم، يدخلون، يتبادلون التحية مع العديد من الحضور ثم يجلسون إلى الطاولة: كان ميريجكوفسكي يجلس بالقرب من المنصة وخلفه زيانيدا جيبيوس ثم فيلاسوفوف، بالنسبة إلى فيلاسوفوف فلم يكن مواظبًا على الحضور أتذكر المرة الوحيدة التي شاهدته فيها بسبب اشتراكه في النقاش، قد يكون قد حضر بعدها، وربما لم يحضر.

دوفاكين: ومن كان فيلاسوفوف على وجه التحديد؟

باختين: كان رجلا ذكيًا، واسع المعرفة، أما كونه مفكرًا...

دوفاكين: هذا ما فهمته، كان كاتبًا أو شيئًا من هذا القبيل؟

باختين: كان كاتبًا بالطبع.

دوفاكين: يمكن اعتباره كاتبًا، لديّ تصوري على أي حال عن ميريجكوفسكي، أما كون فيلاسوفوف مفكرًا، لا أعرف... من أي زاوية...

باختين: في الحقيقة، أرى أنه – من وجهة نظري – لم ينشيء تيارًا جديدًا، ولم يطرح قضايا مهمة، كما أنني لم أسع لمعرفته، ولكن ينبغي القول إنه كان نبيلا.

دوفاكين: نبيلا؟

باختين: نعم، لم يكن ميريجكوفسكي يشبه النبلاء في شيء، كان يشبه رجلا أوشك على الغرق ثم ها هو يقف أمامك، وقد أخرج من الماء لتوه، على الرغم من أنه كان يعتني دائمًا بملابسه، أما فيلاسوفوف فقد كان نبيلا بحق، ولهذا لم يكن

يرتدي الملابس على طريقة النبلاء باختصار، هل تعرف ماذا يقولون عن الجنتلمان الإنجليزي: من هو الجنتلمان؟ هو الرجل الذي يرتدي أحيانًا قميصًا ذا ياقة متسخة، ولكنه يبدو دائمًا وكأن ياقته نظيفة تمامًا، كان فيلاسوفوف يتخير ملابسه جيدًا، وفي رأيي أن ملابسه لم تكن بهذا القدر من التألق مثل صاحبه، لكنها أكثر وقارًا... وإن كانت أكثر تواضعًا، لقد كان نبيلا بحق، وهو أمر كان من الممكن إدراكه في أمور كثيرة، فباعتباره نبيلا لم يكن يرهق نفسه في صنع وجهة نظر خاصة به، أو تأليف كتاب ما يتطلب...

دوفاكين: ... جهدًا كبيرًا.

باختين: نعم، لم يكن بالفعل ذلك، غير أنه كان ذكيًا، مثقفًا للغاية، وعندما كان يتحدث (والحقيقة أنني لم أستمع إليه سوى مرة واحدة في مناقشة له فلم يكن يقرأ محاضرات) كان يتحدث بلباقة ويدلي بالرأي السديد في الوقت المناسب.

دوفاكين: أما ميريجكوفسكي فلم يكن بالأحرى نبيلا، وإنما من طبقة التجار، أليس كذلك؟

باختين: ولا حتى من طبقة التجار، الذي كان من طبقة التجار هو... كنت أعرفه جيدًا... كان شاعرًا... سأخبرك باسمه الآن... لقد تألق اسمه في وقت ما باعتباره شاعرًا...

دوفاكين: روكافيشنيكوف؟

باختين: روكافيشنيكوف! نعم، هو، إيفان روكافيشنيكوف كان من طبقة التجار حقا، من بين أكثرهم ثراء، كان والداه من أصحاب الملايين، وربما أجداده أيضًا، لست متأكدًا، أما ميريجكوفسكي فالأرجح أنه كان، إذا جاز القول، مثقفًا رث الهيئة.

دوفاكين: اعذرني، لا أريد أن أشغل شريط التسجيل، ولكن أود أن أستوضح منك بعض الأمور، كنت أتناولها في أثناء المحاضرات التي كنت ألقيها بشكل ساحر... كان هناك كتاب، صادر على ما أظن، في المجر قبيل الثورة واسمه "الكُتّاب الروس في القرن التاسع عشر"،(٤١) وكان يحتوي على صور شخصية.

باختين: في أي عام صدر هذا الكتاب؟

دوفاكين: في عام ١٩١٠ تقريبًا، ومن بين هذه الصور، صورة ميريجكوفسكي، وسكيتاليتس... وزيانيدا جيبيوس في ثوب أبيض، امرأة رائعة تنطبق عليها ما تحدثتم به من أوصاف، أما ميريجكوفسكي... فهو شخص زائف... لقد قرأته كثيرًا، ولكن لم أحبه، ظهر جالسًا وقد تبدت لحيته...

باختين: كان ذا لحية فعلا.

دوفاكين: ... في مقعد أزرق، وكأنه يفكر بعمق، على طريقة تشيخوف، والواضح أنه كان متخذًا وضع من يتهيأ للتصوير...

باختين: وضعًا استعراضيًا.

دوفاكين: وتظهر في الصورة أرفف عليها كتب ثمينة، يبدو ذلك من أحرفها المذهبة، كتب قديمة، وجزء كبير من الحائط

خال... ثم هناك يعلق صليب ضخم... يمكن الحكم على ضخامته من النسبة والتناسب مع الحائط... بالمناسبة أولا الصليب كاثوليكي.

باختين: نعم، كان هذا...

دوفاكين: ... وثانيًا، أدهشتني تفصيلة أخرى معيشية تبدو غريبة على شخص متدين، لهذا الصليب المعلق على الحائط يستند على جرس كهربي.

باختين: هذا أمر في غير محله.

دوفاكين: أتعرف، الجرس الكهربي آنذاك كان من علامات الرفاهية.

باختين: صحيح.

دوفاكين: كانوا يستخدمونه لاستدعاء الخدم، وهو إشارة إلى رفاهية العيش والخيلاء، هذا ما ظل في ذاكرتي، فهل كنت على حق؟

باختين: على حق.

دوفاكين: وهل ينطبق هذا على انطباعاتك بشأن ميريجكوفسكي؟

باختين: فعلا، كان ميالا إلى الاستعراض والتأكيد على شخصه ودوره عندما يتناول أية قضية مهما كانت، لقد ذكر في معرض حديثة عن تولستوي على سبيل المثال، كلامًا فيه كثير من مديح الذات ثم أعقب ذلك بقوله: "إن لي الحق في أن أقول ذلك؛ فكثيرًا ما جادلت ليف نيكولايفيتش تولستوي في ذلك إبان حياته، ولكن ما الذي دفعه ليجادل أساسًا، إنه "الغرور"... هذا كل ما في الأمر.

دوفـــــــاكين: هل سمعت شيئًا من محاضراته؟

بــاخــتيـــــن: آنذاك، لم يقرأ شيئًا خصيصًا، عندما كنـت أتـردد علـى الجمعية، ولكنه كان يرى من الضروري أن يعلق على كل محاضرة تُلقى. بوصفه زعيمًا، جدير بالذكر أن أحاديثـه كانت شيقة، بالروح نفسها التي كان يكتب بها، وينبغي أن أذكر شخصية بارزة أخرى كانت موجودة في ذلك الوقت، ألا وهي ألكسندر ألكسندروفيتش ماير، وكان فـي البدايـة اشتراكيًا ديمقراطيًا، ثم أصبح مثاليًا متدينًا، وهو ألمـاني الأرومة، كان يعمل آنذاك أستاذًا في معهد ليسجافت، كان يقرأ دروسًا في التاريخ.

دوفـــــــاكين: ليسجافت، أليس هذا معهد الرياضة البدنية؟

بــاخــتيـــــن: (ضاحكًا) نعم، ولكنهم آنذاك كانوا يُدرِّسون به الفلسفة أيضًا، وعلومًا أخرى، وفي هذا المعهد عمل ماير بالتدريس، وقـد حقق فيه نجاحًا كبيرًا، وكان له تأثير كبير علـى تلاميـذه، عمومًا كان شخصية رائعة، رائعـة، وكـان إنـسانًا فـذًا، وبالمناسبة كان يتمتع أيضًا بالوسامة، كان وسـيمًا للغايـة، كان ما يميزه هي تلك الملامح الأشـورية، لحيـة غزاهـا الشيب، عينان زائغتان، وما إلى ذلك من صفات.

وقد انشغلت بدراسة قضيته رسميًا بشكل محـدد، وعلـى الرغم من أنني عملت فيها رسميًا، فإنني لم أكـن ملتزمًـا بتوجهه. لكني كنت أعرفه جيدًا، وقد زارني عدة مـرات (ولكني لم أزره إطلاقًا)، كما أني لم أشاركه آراءه، ولكن

حدث هذا بشكل رسمي: كان من الضروري على العموم آنذاك، كما تعلم، الارتباط بشيء[٤٢]، ما لم يكن هناك أحد يهتم بالحقيقة، كان يلقي الخطب، وكان يتبنى أكثر المواقف حدة وراديكالية، كان يرى، على سبيل المثال، (وكان ذلك حتى قبل ثورة أكتوبر، بل، وقبل ثورة فبراير)، أن من الضروري تعميق الثورة، وأنها ينبغي أن تكون اجتماعية، باختصار يجب الوصول بالثورة إلى القاع[٤٣].

دوفاكين: ثم أصبح مثاليًا دينيًا، أليس كذلك؟

باختين: كان قد أصبح فعلا.

دوفاكين: ولكن أندريه بيلي كان يتبنى الموقف نفسه، وقد كتب قصيدة بعنوان "قيامة المسيح"[٤٤] و...

باختين: هذا صحيح، لقد تبنى بيلي الموقف نفسه، بالطبع.

دوفاكين: ومع ذلك، اعتبروه بلشفيًا، على الرغم من أنه لم يكن في صفوف البلاشفة إطلاقًا.

باختين: لا، لم يكن من المحسوبين على البلاشفة، لقد أسس بيلي حلقته، جمعيته، بعد قيام الثورة، بعد أن توقفت الجمعية الفلسفية الدينية عن نشاطها، وهي جمعية كانت تمارس نشاطها سرًا، إن جاز التعبير، وقد كان هو الذي قام بتأسيسها بنفسه، وكان أكثر من انضم إليها هم من الشباب، وفي أحد اجتماعاتها، كما قيل لي (لم أحضر اجتماعاتهم، وكما قلت لك إنني لم أكن أشاركهم أفكارهم)... طرحوا عليه هذا السؤال "كيف ترى الأمر لو أن فلاديمير إيليتش

لينين حضر اجتماعاتنا، ماذا سيكون موقفه منا؟" وقد وصلوا إلى استنتاج مفاده أنه كان سيتخذ موقفًا إيجابيًا منهم، كان سيتفهم موقفهم التقدمي وما إلى ذلك، بالطبع كان هذا أمرًا غاية في السذاجة، غاية في السذاجة.

دوفاكين: هل كانوا يعتبرون أنفسهم ثوريين؟

باختين: نعم، كانوا يعتبرون أنفسهم ثوريين، ثوريين فحسب، لا يقرون استخدام العنف، الحقيقة أنهم كانوا يقرون العنف الثوري، وإنما بصورة مشروطة، لا أذكر الآن، كان ألكسندر ألكسندروفيتش ماير بالغ الطيبة والنقاء، وبالطبع لم يكن يتسم بالعدوانية، وكانت لديه نظريته الخاصة التي ترفض تبرير العنف، وإنما...

دوفاكين: وإنما تدعو للتعايش...

باختين: نعم، التعايش مع العنف، مع العنف الثوري.

دوفاكين: مفهوم، دعنا نعود للحديث إلى الزوجين ميريجكوفسكي وزيانيدا نيكولايفنا جيبيوس، هل تسنى لك الاستماع إليهما يلقيان الشعر.

باختين: الشعر؟ لا، لم أستمع إليهما.

دوفاكين: عمومًا... كيف كانت زيانيدا جيبيوس تلقي الشعر؟

باختين: لم تلق زيانيدا جيبيوس إطلاقًا شعرًا في وجودي، كانت تستعرض جمالها فقط.

دوفاكين: إذن، الآن استعرضنا قائمة الرمزيين، والتي لن تكتمل من دون الحديث عن بلوك.

باختين: بالطبع من دون بلوك لا يكتمل الحديث عن الرمزيين، لم أتعرف تقريبًا على بلوك بشكل شخصي، سمعت عنه ورأيته عدة مرات، واستمعت إليه مرتين، لم يكن يلقي خطبًا، وإنما شعرًا. كان لنا معارف وأصدقاء مشتركون.

دوفاكين: من؟ هل كنت تعرف يفجيني بافلوفيتش إيفانوف؟

باختين: نعم، كنت أعرفه جيدًا، كان دائم التردد على بيتنا أثناء سنوات إقامتنا الأخيرة في لينينجراد[٤٥].

دوفاكين: لقد كان صديقًا حميمًا لبلوك.

باختين: وقد أصبح صديقًا حميمًا لنا، وكان يطلق على نفسه "صديقكم ذو اللحية الشقراء"؛ فقد كانت له لحية شقراء.

دوفاكين: كانت فاتحة.

باختين: بالطبع، لم يكن فتى وسيمًا، بل كان يبدو غبيًا إذا ما تأملت ملامحه.

دوفاكين: صحيح، لم أكن أعرف من هو، وقد شعرت بالملل، وأنا أستمع لإحدى محاضراته، فيما بعد، راح هذا المسكين يبيع قصاصات من ألبومات المتحف الأدبي.

باختين: نعم، لقد مر بظروف قاسية شديدة الصعوبة.

دوفاكين: كان بونش يدفع له نقودًا تافهة، ولكنني عرفت بعد مرور وقت طويل أنه شخصية جديرة بالاعتبار.

باختين: هذا صحيح، كان شخصًا رائعًا بالطبع، وإن كان وجهه يعطيك انطباعًا بالغباء، وكان حديثه يفتقد إلى البيان، كان لسانه معقودًا تقريبًا، لم يكن قادرًا على التحدث بطلاقة، كان يبتلع الحروف، وفي رأيي أن هناك حروفًا لم يكن بمقدوره نطقها.

دوفـاكين: ومع ذلك هو الذي قدم لك بلوك... ما هي الانطباعات التي يمكنك في هذا الشأن أن تضيفها، أو تصححها؟ كانت لديه – على حد علمي – مراسلات.

باختين: نعم، يصعب عليَّ بالطبع أن ألخص الأمر: كانت علاقتي ببلوك سطحية، ولكنني أحببته جدًا كشاعر.

دوفـاكين: وهل كان هناك من أحب بريوسوف؛ فقد كان بريوسوف وبلوك قطبي الرمزية بدرجة ما.

باختين: حقا، بدرجة ما، فأنت تعلم على أي حال أن الناس عندنا ميالون للمبالغة، إنهم ميالون للتصادم وأن يذهبوا بالأمور إلى حد التطرف والتناقض إلى آخره، الأمر ليس على هذا النحو، وعلى أي الأحوال فمن المستحيل أن تفصل بين بريوسوف والرمزية، التي هو أحد روادها، كما لا يمكن فصل بلوك عنها أيضًا، وكان يصغره بسنوات عديدة، وهو يمثل الجيل الثاني من الرمزيين، وبالطبع لا يمكن فصل فيتشيسلاف إيڤانوڤ أيضًا، عمومًا، إذا أردت الحقيقة، كانت لهم جميعًا روح واحدة، ولم يكن بينهم أي تناقض، كانوا جميعًا في معسكر واحد بكل ما في هذه الكلمة من عمق، في معسكر واحد، وكان من الطبيعي أن يكون هناك تعدد للأصوات، وقد كان هناك هذا التعدد، وهو ما أضفى القوة عليهم، فاستطاعت مواهب عديدة أن تتطور، كما تطورت رؤاهم المتباينة.

لقد ترك بلوك انطباعًا قويًا للغاية، كان بلوك وسيمًا بهي الطلعة بلا شك، ممشوق القوام، وكان يلقي أشعاره على

نحو رائع، لم يكن إلقاءً، بل قراءةً، قراءةً على طريقته الخاصة، في فترة ما كان بإمكاني تقليده وأن أقرأ الشعر على نحو ما يقرؤه.

دوفاكين: استطعت؟

باختين: نعم، بشكل متعدد، ولكن الآن لا أستطيع.

دوفاكين: لا تستطيع؟

باختين: الآن لا أستطيع، الآن... أشعر فجأة كيف كان رجلا استثنائيًا، لم يكن من الطبيعة نفسها التي خلقنا منها نحن الخاطئون، كان به شيء ما سامٍ، شيء يشعرك أنه فوق كل شيء... هذا هو الانطباع الذي تولد لديَّ، كان أسمى حتى من ذاته، كان بلوك الأفضل في الشعر، ليس في كل الشعر، كما كان هناك بلوك الإنسان، أما أمر اتصاله بهذا وذاك فأمر يبعث على الجنون، كل تلك المبالغات حول الثورة البلشفية، كل هذا الهراء حول موضوعات: المثقفون الروس، الانفصال عن الشعب، المثقفون والشعب، المثقفون والثورة، كل هذه الأشياء عبَّر عنها بلوك بالطبع، وبلوك نفسه هو الذي تسامى فوقها في تلك اللحظات الرائعة، التي كان يمارس فيها إبداعه، وعندما ارتفع فوق كل هذه الأمور، ارتفع هو فوق بلوك ذاته، وعمومًا شعر المرء على الفور: هذا هو إنسان، وها هو شيء ما فوقه مرتفع... ولكن، ليس دائمًا. كان بإمكانه أن يجلس على كرسيه في مكان ما، أو يسير، أو يقرأ الشعر، أن ينظر في عيون

الجمهور، أي انطباع كان يتركه... لم يكن كل هذا يعكس بلوك كاملا، ولا بلوك الحقيقي، ولكن في النهاية كان لا بد أن يكون له جسد ما، وضع اجتماعي ما، عليه أن يفعل شيئًا ما، أن يرتدي ملبسًا... إلى آخره، عندما رأيته كان يرتدي قميصًا فضفاضًا، قميصًا من هذا النوع، الذي اعتاد الشعراء أن يرتدوه، الشعراء نعم، كانت هذه القمصان تأتي من فرنسا، في زمن ما كان الثوريون في الثورة الأولى يرتدونه، ثم أخذه عنهم الشعراء فالكُتّاب وهكذا.

دوفاكين: هذا ما كان محسوسًا.

باختين: نعم، كان محسوسًا.

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش، هل كنت على أي حال تقيّم ديوان "اثني عشر" سلبًا، استنادًا إلى ما ذكرته لتوك؟ ببساطة، منطقيًا...؟

باختين: أنا أقيّم هذا العمل على النحو التالي: بالطبع، هذا عمل مدهش، سواء من ناحية الموهبة، أو من ناحية عرضه للثورة، وهو من الناحية التعبيرية المجازية غاية في القوة، ما زلت أذكر وصفه لبطرسبورج التي غطتها الثلوج، ودوي الطلقات في جنباتها كافة، تسير في الشوارع، في شارع نيفسكي نفسه، الليل وقد أطبق الظلام على كل شيء، بعض الأشخاص يظهرون هنا وهناك بشكل غريب، أما صوت الطلقات فيدوي هنا وهناك، ولا أحد يعرف لماذا يطلقونها؟ دون سبب يذكر وقد نجح بلوك أن يرسم هذه

الصورة، أما تلك الأحاديث التي كان يدلي بها في البداية، الساذج منها والجاد؛ فقد كانت رائعة! رائعة! هذه العجوز، هذه السيدة، هذه البغي، و... "ينبغـــي أن يكــون، كاتبًـــا، خطيبًا" وهلمجرا... كل هذا كان رائعًا بالطبع! كـــل هــذا بداهة، كان من قبيل السخرية بدرجة ما، سخرية، وبالطبع كان هؤلاء الرجال الاثنا عشر من الحرس الأحمر مــدعاة للسخرية (لكن السخرية هنا كان لها مغزاهــا)، وقــد تــم تقديمهم على هذا النحو، وفي رأيي أن بلوك قد عبر عنهم على نحو إيجابي، فهم الاثنا عشر حواريًّا الذين مشوا وراء المسيح... نعم! لكن الموقف بأكمله تم تقديمه علــى نحــو سافر، وأزعم أن المسيح في هذه القصيدة... اتسم بــشيء ما... على الرغم من النموذج الشعري الرائع... "وفــوق العاصفة الثلجية" ماذا قال في القصيدة؟

دوفـــــــاكين: يسيرون في المقدمة حاملين راية مخضبة بالدماء.

وقد أخفتهم العاصفة الثلجية عن الرؤية

وقد سلموا من طلقات الرصاص...

بـــاخـــتيــــن: يمشون عبر الثلج المتلألئ.

دوفـــــــاكين: لا... عبر العاصفة

(يلقيان القصيدة معًا)

وفوق رواسب اللؤلؤ اللينة

وعلى رأسه إكليل من الزهور

يمضي المسيح في المقدمة

باختين: أبيات رائعة! وفي الوقت نفسه، فإن المشهد بأكمله يعكس نبرة ساحرة... نبرة وصف المجتمع في هذا الزمن، تعدد الأصوات في هذا الزمن – كل ذلك إجمالا جاء بلهجة ساخرة، ولكن ليس على الإطلاق... باختصار، هذا هو بلوك، كان هناك بلوك، وكان هناك "ما فوق بلوك" كما قلت لك.

دوفاكين: بشأن "ما فوق بلوك"... ما رأيك؟ لنقل، المجلد الأول، هل كان فيه "ما فوق بلوك"، قصيدة "كف اليد" على سبيل المثال؟

باختين: المجلد الأول؟

دوفاكين: نعم، أقصد "أشعار عن سيرة رائعة".

باختين: لا، لا، لا، بل كان كذلك في كل إبداعه، وفيما بعد أيضًا في أعماله الأكثر نضجًا، في كل أشعاره كان هناك "ما فوق بلوك"، هناك بلوك الشاعر، الرمزي، ثم، بصراحة، كان هناك، بلوك المرتد عن الرمزية، إن شئت القول...

دوفاكين: لقد قال فيما بعد:

من أعلى السطح
يرمقك بعيون متعاطفة قط رث
أنت تظن أنه شاهد على أفعالك؟
بينما هو لا يفكر في الإجابة على سؤالك
ففي هذه العربدة التي يحياها
إنما تكمن فضائله[٤٦].

باختين: نعم.

دوفـــــاكين: سخرية من الذات، بالمناسبة مقاله عن السخرية كان مقالا رائعًا بحق[٤٧].

بــاخــتيـــن: صحيح، كان يعرف السخرية ويفهمها.

دوفـــــاكين: إذن، هل يمكن القول إنك عرفته فأحببته كشاعر؟

بــاخــتيـــن: عرفته وأحببته، وحفظت كثيرًا من شعره عن ظهر قلـــب، والآن فإن ذاكرتي لا تقوى على استعادة أشعاره، وكنـــت أحفظها كلها تقريبًا، وكـــذلك كـــل أشـــعار فيتشيـــسلاف إيـڤانوف، ثم جاء بعد ذلك بلوك، بلوك الإنـــسان إن جـــاز القول، باختصار بلوك آخر، ليس في قامة بلوك الذي كتب هذه الأشعار الرائعة، والسبب في ذلك أنه في هذه اللحظة لم يكن متسقًا مع نفسه، ومن هنا أصبح بدرجة ما رمزيًـــا مرتدًا ــ إذا جاز استخدام كلمة "رمزي" في هـــذا المقـــام، مرتدًا عن المثقفين الروس...

دوفـــــاكين: أظن أن كلمة "مرتد" غير ملائمة هنا على الإطلاق.

بــاخــتيـــن: ... لقد انفصل في وقت ما عن المثقفين الروس.

دوفـــــاكين: على كل الأحوال، ففي رأيي، أن كلمة "مرتد" غير ملائمة هنا.

بــاخــتيـــن: نعم، ربما لا تكون ملائمة، غير ملائمة.

دوفـــــاكين: لقد كان الأمر هنا على أية حـــال نوعًـــا مـــن الانـــدفاع المخلص.

بــاخــتيـــن: هو نوع من الاندفاع المخلـــص، ولكـــن هنـــاك مرتـــدين مخلصين أيضًا، حقًا، اندفاع مخلص.

دوفـــــاكين: "مرتد" شيء ما على أي حال... في هذه الكلمة ما يـــوحي بالخيانة.

باختين: هذا صحيح.

دوفاكين: وهل تشعر بشيء من هذا في هذه الكلمة، ... كيف أعبر عن ذلك؟... لكن قل لي من فضلك، ما هي من وجهة نظرك تلك الأشياء الرائعة في "ما فوق بلوك"؟

باختين: "ما فوق بلوك"؟ نعم... تعرف. هذا أمر غاية في الصعوبة لأن هناك الكثير من هذه الأشياء... دعني أتذكر معك، باديء ذي بدء، ديوان "المجهولة". "المجهولة" من الأعمال المبكرة نسبيًا...

دوفاكين: صادر عام ١٩٠٦.

باختين: قرأه بلوك في "برج" فيتشيسلاف إيفانوف، كان برجًا شهيرًا، لم أذهب إلى هذا "البرج"، فلم أكن أعرف من يسكن فيه، لكني كنت أسكن غير بعيد منه، وكنت أحيانًا ألقى نظرة عليه، وأحيانًا ما أتذكر هذا "البرج"[٤٨]. كما قرأ فيه بلوك عددًا كبيرًا من أعماله الأخرى الرائعة، وخصوصًا أعماله المرتبطة بإبداعه الشعري: "إلى آلية الشعر" ومنها "شيء ما مكنون في ألحانك..."، عمل مدهش!

دوفاكين: وكيف ترى في رأيك نموذج الجهنمي فيها؟

باختين: الجهنمي و...

دوفاكين: (ينشدان معًا):

هذا اللهب الأرجواني الرمادي الباهت

يومًا ما كنت أنا هذا القرص الملتهب

باختين: لاحظ، يمكن فهمها على النحو التالي... أولا، تعني أنه هو نفسه كان متورطًا في هذا العالم الجهنمي، أما الأرجواني الرمادي، فهذه ألوان ڤروبل، وكان بلوك مفتونًا بـڤروبل.

دوفاكين: أتصور أن هذا القرص هو وهج جحيم دانتي، وهج الجحيم.

باختين: الجحيم، نعم، أضف إلى ذلك... الشياطين والنزعة الشيطانية عند ڤروبل. كان بلوك شديد الإعجاب بـڤروبل، وقد ظهر هذا في خطابه الذي ألقاه عام ١٩١٢، عندما انفصل عن المدرسة الرمزية...

دوفاكين: وماذا عن "العوالم الليلكية" في الرمزية....

باختين: تمامًا، تمامًا، لقد جاء في خطابه الذي ألقاه آنذاك: "عالم الظل المشبع بالآلام العظيمة، لـڤروبل الخالدة"(٤٩) كانت هذه كلماته.

دوفاكين: وماذا عن تلك القصائد مثل "أشعار إيطالية" و"رافينا".

باختين: رائعة! "رافينا" عمل رائع! كل الأشعار الإيطالية جيدة، وأنا أفضل رافينا أكثر، ثم هناك هذه القصيدة على موضوع الإبداع: "في الصيف القائظ وفي الشتاء العاصف" تعرفها بالطبع؟

دوفاكين: لست أحفظها عن ظهر قلب.

باختين: هذه أشعار رائعة.

دوفـــــاكين: ألا تعتبر... لا أستطيع هنا أن أقاوم إغراء الحديث معك، فهذا شيء غاية في الأهمية، ألا ترى أنه إلى جانب النزعة التراجيدية عند بلوك، التراجيدية الرفيعة، كانت هناك نزعة أخرى انحطاطية، بمعنى جنوح إلى التخريب، وأنــا هنــا أتكلم بكل حرية، ولا أقصد سبابًا. خذ مثلا "عالم رهيــب"، إنها تراجيديا رفيعة...

بـاخـتيـــن: صحيح.

دوفـــــاكين: ثم انظر إلى هذه الأبيات:

ألحَ عليَّ شحاذ غبي

– من نفس السلسلة –

كان يسير مقتفيًا أثري

سألته: أين نقودك؟ أجاب: أنفقتها في الحانة

سألته: أين قلبك؟ أجاب: ألقيته في حفرة.

هل تذكرها؟

بـاخـتيـــن: أذكرها.

دوفـــــاكين: ما الذي تستنتجه من ذلك... إنني أدعم هذه الفكرة باعتراف بلوك نفسه: "دراما تأملاتي..." بين قوسين: "قبل التراجيديا لم أكن قد نضجت بعد"(٥٠) ما رأيك؟

بـاخـتيـــن: في رأيي أن تراجيديا بلوك بها قدر من التخريب، ولكن إذا توخيت الحقيقة، فإن هذا القدر من التخريب موجود داخل كل شاعر. الإنسان الذي لا يعرف الفراغ لا يمكنه، من أي جانب من الجوانب، أن يتورط ولو بقدر صغير في الفراغ، كما لا يمكنه أن يدرك هذا الامتلاء الضروري للشاعر.

الفرح اللانهائي بالعالم
قد وهبه الله لقلب الشاعر
من هنا فإن الله لا يهب "الفرح اللانهائي لقلب الشاعر"
إلا لمثل هذا القلب الذي...

دوفاكين: أنت إذن لا تضع حدًّا بين التراجيدي الحقيقي، إن جاز القول، التراجيدي على أي حال هو التطهير، وبين تخريب هذا التطهير...

باختين: جوهر الأمر أن كلمة "تراجيدي" يساء الآن استخدامها.

دوفاكين: لقد امتهناها للغاية.

باختين: التراجيديا... التراجيديا الخالصة، كما أسسها اليونانيون القدماء، تراجيديا أسخيلوس وسوفوكليس، وحتى تراجيديا يوريبيدس، هي في الواقع تراجيديا ساذجة، ساذجة. هؤلاء لم يتعلقوا بالخواء إلا قليلا جدًّا، هؤلاء رأوا وعرفوا القليل عن الأشياء المخيفة، بل لم يكن باستطاعتهم أن يعرفوها، هؤلاء الكتّاب، على الرغم من قوتهم الاستثنائية وسموهم فقد كانوا في الواقع، أطفالا، وهنا تكمن قوتهم جزئيًّا. أما التراجيديا عندنا فلا يمكن أن تكون تراجيديا خالصة.

دوفاكين: أكثر فظاعة.

باختين: نعم، فهي تراجيديا مشبعة بهذا الإحساس بالخواء، وبالإضافة إلى هذا فهي تراجيديا لا تنفصل عن عناصر الكوميديا(٥١).

دوفاكين: هذه كانت فكرتك في كتابك عن "رابليه"... المهرجون.

باختين: المهرجون، المهرجون بالطبع.

دوفاكين: إعذرني، من واقع تخصصي نسميها: الكوميديا الغامضة...

باختين: يمكنك أن تسميها كذلك.

دوفاكين: هكذا يكتمل المعنى.

باختين: نعم، نعم، أرى أيضًا أننا إذا أخذنا – في النهاية – هذا الأمر على نحو واسع فإن بإمكاننا أن نضم ماياكوفسكي إلى هذا العالم، عالم بلوك وبريوسوف وبالمونت أيضًا، بدرجة أو بأخرى، وإن لم يكن بصورة تامة. ماياكوفسكي، ماياكوفسكي، وإن كان ماياكوفسكي على أية حال في جزء من إبداعه قد تنكر لهذا العالم وأصبح في الواقع متمردًا. انظر، لقد حمل الكثيرون له كثيرًا من الكراهية إبان حياته، وذلك لأنه ارتكب في حقيقة الأمر كثيرًا من الأمور البشعة، وأنت تعلم أن البعض انفضوا من حوله.

دوفاكين: كما انفضوا من حول بلوك أيضًا.

باختين: نعم، حدث هذا مع بلوك أيضًا، وإنما على نحو مختلف بعض الشيء، حدث ذلك، لقد كان التمرد من خصائصه، وأقول لك...

دوفاكين: سوف نعود لماياكوفسكي مرة أخرى، عندما نتحدث عن مقابلاتك، يتبقى لنا هنا تفصيلة صغيرة، لقد تكونت لدينا الآن صورة كاملة عن الرمزية.

باختين: عن الرمزية كلها.

دوفاكين: بالإضافة إلى... خوداسيفيتش.

باختين: خوداسيفيتش، وأنينسكي، لقد أحببته للغاية، وما زلت أحبه حتى الآن.

دوفاكين: ولكنك لم تلتق به، أليس كذلك؟

باختين: لا، لم أتمكن من لقائه؛ إذ فارق الدنيا في عام ١٩٠٩، لقد التقيت بأناس عرفوه عن قرب، التقيت بتلاميذه في ثانوية تسارسكويسيلو.

دوفاكين: التقيت بتلاميذه في ثانوية تسارسكويسيلو؟ ولم تلتق بأخيه؟

باختين: لا، لم أعرفه، في الحقيقة كان ينتمي إلى حلقة أخرى، وإلى عالم آخر مختلف تمامًا، كان سياسيًا، متقفًا من الطراز الليبرالي، السياسي نيكولاي أنينسكي، لم أعرفه.

دوفاكين: وهل التقيت بجوميلوف وأنًا أندرييفنا أخماتوفا؟

باختين: بالطبع، التقيت جوميلوف، الحقيقة أني لم أعقد معه إطلاقًا صداقة، ولم يكن من الممكن عقد مثل هذه الصداقة، ولكن رأيته عدة مرات، وقد أحببت شعره، وإن لم أضعه صنوًا لشاعر مثل فيتشيسلاف إيڤانوڤ، أو بلوك، مطلقًا، لكنني أحببت شعره، وفي الوقت الحالي فإني أقدر تقديرًا رفيعًا أشعاره التي كتبت مؤخرًا، وكان شخصية رائعة فريدة، ولكن لم يكن عميقًا، لم ألمس هذا، لم يسع للتعمق، أن يكون عميقًا، لم يسع لهذا، ولكنه كان يسعى للشهرة.

دوفاكين: للشهرة؟

باختين: نعم، للشهرة!

دوفاكين: أظن أنه كان أيضًا من حيث المظهر، كان رث الهيئة للغاية، أليس كذلك؟

باختين: إطلاقًا، من ناحية المظهر، كان فارع الطول، ممشوق القوام، نحيفًا إلى حد ما، لعلي أقول ذلك استنادًا إلى انطباع آخر لديَّ: كان به بعض الشبه بريلكة، الهيئة نفسها، المظهر الخارجي، وإن كانت عينا ريلكة أكثر وداعة وسكينة، أما جوميلوف فكانت له عينان أكثر شجاعة، عمومًا كان رجلا يتميز بالجرأة، وكان يحب ذلك، كان يبدو عسكريًّا رائعًا، قام في السابق بعدة رحلات، وتعرض لأنواع من المخاطر، آنذاك كان شأنه، شأن العديد غيره، باحثًا عن المخاطر معتبرًا أن أروع شيء...

دوفاكين: ... بين الحين والآخر تقترب منا الأسود.
ولكن لم يكن بيننا من يتسم بالجبن
كنا نطلق عليهم الرصاص، وكان هدفنا بين العيون[٥٢]...
هذا شيء فاسد، ألا تشعر بذلك؟... ألم يكن به شيء من التكلف؟ ألم يكن مدعيًا؟

باختين: نعم، إن شئت، كان متكلفًا، على أن شجاعته وحبه للحرب ولمخاطرها كان صادقًا فيها تمامًا، ويمكن القول إنه كان عاشقًا للحرب، متيمًا بها، كان يرى أنه لم يعش قبل الحرب؛ أما بشأن الرحلات، فهي مجرد هراء، والحب ... كل هذا هراء! الحرب! هذا هو الأمر!

دوفاكين: (ينشدان معًا)
ها نحن نواصل زحفنا لليوم الرابع
أربعة أيام لم نذق فيها الطعام
في هذه الساعة النورانية الحماسية

لأن كلمة الله

أفضل خبز يغذينا

الأسابيع الغارقة في الدماء

ساطعة ويسيرة علينا[٥٣]...

باختين: بالمناسبة، كل الأشعار التي قيلت عن الحرب، التي كتبها الشعراء آنذاك... كلها كانت أشعارًا روتينية.

دوفاكين: أشعارًا رديئة.

باختين: رديئة للغاية، أشعارًا روتينية.

دوفاكين: بالطبع أسوأ، هذه كانت أشعارًا مصطنعة، فالذين كتبوها في الواقع... لم يحبوا، لم يفهموا الحرب. كان من الصعب عليهم أن يتصوروا ما هي الحرب... ما الذي كان يمكن أن يفعله في الحرب، مثلا شخص مثل ميريجكوفسكي؟ بالنسبة إلى بلدك... كان بلوك رجلا شجاعًا، كلنا كنا نعرف أنه كان رجلا شجاعًا، لم يذهب إطلاقًا إلى الحرب، ولكنه كان قريبًا منها، لم يكن يخشى على أية حال دوي الرصاص.

باختين: عمومًا هذا أمر مدهش، لم يكن هناك في حربنا هذه، حربنا الأخيرة، شعراء كبار، شعراء فطاحل، أما عن سوريكوف، سميونوف، هؤلاء كتبوا...

دوفاكين: لكن أشعارهم كانت روتينية!

دوفاكين: لكنهم كتبوا شعرًا جيدًا على أية حال.

باختين: جائز، ولكن ماذا فعلوا هناك؟

دوفـــــاكين: كان هناك شعراء رائعون...

بـــاخـــتيـــــن: لكنهم كتبوا شعرًا مملا، شعرًا روتينيًا، ميتًا.

دوفـــــاكين: بريوسوف على سبيل المثال، كتب شعرًا رديئًا.

بـــاخـــتيـــــن: كتب شعرًا رديئًا، وكذلك كانت أشعاره الثورية غاية فـــي السـوء، وهـذه كتبها قبـل ذلك في عام ١٩٠٥، أشعار لا جدوى منها.

دوفـــــاكين: وهل شاهدت جوميلوف وهو يلقي أشعاره؟

بـــاخـــتيـــــن: وهو يلقي أشعاره، لا، لم أسمعه.

دوفـــــاكين: هل كان يتلعثم؟

بـــاخـــتيـــــن: أظن أنه كان يتلعثم بعض الشيء، ولكن نادرًا.

دوفـــــاكين: زينكيفيتش قال إنه: "كان عييًا".

بـــاخـــتيـــــن: ليس صحيحًا، هذه مبالغة من جانب زينكيفيتش، مبالغة، لم يكن عييًا بالطبع، ولكنه في رأيي أيضًا لم يكن يحسن إلقاء الشعر.

دوفـــــاكين: وهل اتفق واستمعت إليه وهو يلقي الشعر؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لم أستمع إليه إطلاقًا.

دوفـــــاكين: وأين كانت لقاءاتكما تتم؟

بـــاخـــتيـــــن: في البداية، كنت ألتقي به... لا أذكر الآن تمامًـــا... فـــي جمعية ما. آنذاك لم أكن قد تعرفت عليه، وإنما رأيته فقط ثم تعرفت عليه بعد ذلك في الجمعية الفلسفية الدينية. حقيقة أنني لم أره هناك سوى مرة واحدة قبيل الحرب مباشـــرة؛ أي قبيل التحاقه بالجيش. ثم رأيته بعد ذلك للمــرة الثانيـــة عندما عاد من الجبهة في إجازة قصيرة، وقد حضر فيهـــا

إلى الجمعية الفلسفية الدينية. كان وقتها يرتـدي الملابـس الرسمية، ملابس ضابط في الحرس... كما كانوا يُسمَّون آنذاك... كانت الشارات على رأسه وكتفيه... فرق الموت على ما أظن... كان ضابطًا في الخيالة! على أية حـال، كان يبدو رائعًا! أذكر بالمناسبة أنه كان يقف مع أخماتوفا على بسطة السلم، يدخنان. كان من الضروري الخـروج والصعود إلى أعلى للتدخين على بسطة تقع بين الطابقين، وهناك كانا يدخنان. وإذ بصوت يصيح، أظن أنها كانت أنًا أخماتوفا: "جوميلوف هنا!"، ثم انطلقت تهبط الدرج تمامًـا مثل عصفور يرفرف. دخلت في إثرها وكان المشهد على النحو التالي: رجل في زي عسكري يقف عنـد الطاولـة، شخصية رائعة. كان هذا هو جوميلوف. كان رائعًا! رائعًا! جوميلوف!

أدركت آنذاك أن هذا الرجل خُلق ليكون عـسكريًا، علـى الرغم من أنه لم يستمر عسكريًا سوى لفترة قصيرة للغاية. على الرغم من أنه حصل خلال هذه الفترة القـصيرة فـي الخدمة على وسام صليب جيورجي مـرتين. آنـذاك كـان الحصول على هذا الوسام أمرًا صعبًا، أما هو فحصل عليه مرتين... على الرغم من أنه لم يُصَب. حتى إنه كتب يقول:

لامست أناملي وسام جيورجي المقدس مرتين

(ثم ينشدان معًا):

ولم تمس طلقة رصاص واحدة صدري(٥٤)...

دوفـــــاكين: نعم، هذه من قصيدة "عمود النار".

بـــاخـــتيـــــن: أرى أنك تعرف الشعر بشكل جيد للغاية...

دوفـــــاكين: أعرف الشعر!

بـــاخـــتيـــــن: وليس الشعر القديم من...

دوفـــــاكين: أعرف، ويسعدني أنك تشعر بذلك.

الآن قارب شريط التسجيل على الانتهاء، وكذلك وقتـــي، ولكن حديثنا لم ينته بعد. والآن ســـنبدأ التـــسجيل التـــالي بأخماتوفا، لندخل عمومًا إلى الفترة السوفيتية.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، الفترة السوفيتية، ولكن ما بها قليل نسبيًّا.

أود أن أحكي شيئًا ما عن بعض الظواهر المهمـــة: عـــن الصالونات التي استمرت زمنًا طويلا.

دوفـــــاكين: حسنًا، لقد نجحت في أن ترسم لنا مناخ الأحداث بـــصورة رائعة، سوف نتوقف اليوم عند هذا الحد، سأغلق الجهاز.

المحاورة الثالثة

٨ مارس ١٩٧٣

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش. توقفنا إذن عند جوميلوف، والآن لنتحدث عن أخماتوفا.

باختين: عن أخماتوفا، نعم بالنسبة لأنا أخماتوفا فقد عرفتها كإنسان، أنا شخصيًا لم تكن معرفتي بها كبيرة، لقد قابلتها عدة مرات ولكني لم أتحدث معها سوى مرة واحدة، ولم يكن حديثنا ذا أهمية بوجه خاص. بالإضافة إلى ذلك، فقد بدا لي، أنها على نحو ما لا تحب أن تتحدث في تلك القضايا التي تخرج عن دائرة العلاقات العاطفية الحميمة. آنذاك، كان هذا منذ زمن بعيد بالطبع، ولكنها تغيرت بعدها بشدة.

وكما تعلم، لم يكن لدى أخماتوفا في أشعارها الأولى أية لمحات فلسفية على الإطلاق. كان شعرًا غنائيًا شخصيًا خالصًا، نسائيًا عاطفيًا للغاية. وهذا بالطبع لا ينفي أن هذا الشعر كان شعرًا عاطفيًا رفيعًا من الناحية الفنية، ولكنها في تلك الفترة المبكرة، عندما عرفتها، لم تطرح في أشعارها تلك القضايا العميقة، فلم تكن قد ظهرت في حياتها بعد، كما بدا لي. كان ما يهمها هو الناس. لكن

مشاعرها تجاه الناس كانت تتحرك بطريقة مــا.. تحديــدًا على نحو أنثوي، كما تشعر المرأة تجاه الرجل. هكذا كانــت تشعر: كل الناس لديها كانوا إما لطفاء أو سخفاء. وهو مدخل أنثوي صرف. لعلني لهذا السبب لم أعجب بها شخصيًا.

بالإضافة إلى ذلك فقد لاحظت أن فيها قدرًا كبيــرًا مــن الغطرسة؛ فقد كانت تنظر إلى العاديين من النــاس كمــن ينظر من أعلى إلى أسفل. وقد سمعت هذا فيما بعــد مــن أناس آخرين، كانوا على صلة بهــا، وقــد ظــل شــعور الغطرسة هذا لديها حتى تقدم بها العمر، لدرجة أنــه بلــغ لديها حد التطرف: فعندما ذهب إليها، على سبيل المثــال، موظفون من هيئة التحرير، فإنها لم ترد على تحيتهم ولــم تدعهم للجلوس، فظلوا واقفين أمامها، كانت تــرد علــى ملاحظاتهم التحريرية بإشارات تفيد موافقتها أو رفــضها، ولكنها، وأكرر، لم تعاملهم قط معاملة إنسانية. هذه كانــت خصالها. ربما يكون الأمر، بالطبع، غير ذلك، من يعلــم؟ لعل لدى أحد ذكريات ما، فهي أمور جد ذاتية، وقد تكون مصادفة. ولعل البعض قابلها عندما ساءت بها الأمور: فقد راحوا يضطهدونها طوال الوقت، ظلوا يضطهدونها حتى الأيام الأخيرة من حياتها. ولعلها تغيرت في تلك الفتــرة، عندما أصبحت تعاني قسوة الاضطهاد... ولكــن ينبغــي القول إنني سمعت من آخرين، من كثير من الناس عن هذا الصلف، بل ولعلي أقول بعض الفظاظة.

دوفاكين: هل استقبلت في بيتها أناسًا جاءوا إليها في شئون عملية على هذا النحو؟

باختين: نعم، أناس عاديون جاءوا في شئون عملية. أما مع الذين كانت تعتبرهم بارزين على نحو أو آخر...

دوفاكين: دائرة معارفها.

باختين: نعم، دائرة معارفها. فقد كان الأمر مختلفًا بطبيعة الحال. وما كانت تفعله ينطبق على كثير من الناس. لقد لاحظ جوجول كيف يتغير الإنسان تبعًا لمن يتحدث معه: هل هو أدنى درجة أم أعلى. وقد وصف ذلك على نحو رائع للمرة الأولى في كتابه عن متملقي تيكاري؛ حيث صور أولئك الذين يقلدون من هم أرقى منهم. هكذا يتحدث مع صاحب الدكان... وهكذا يتحدث مع أحد اللوردات... (باختين هنا يغير نبرته: ففي الحالة الأولى يتحدث بعنجهية وفي الحالة الثانية يتحدث بخنوع) عندئذ وباختصار يتغير الإنسان من حال إلى نقيضه، إن كان الأمر يمينًا فيمينًا وإن كان يسارًا فيسارًا. إنه يغير وجهه في كل مرة.

دوفاكين: وهل يبدو لك المتملق صنوًا للبيروقراطي؟

باختين: المتملق؟ لا.

دوفاكين: يحدث أن... هذا البيروقراطي... يتحرك "إلى أسفل وإلى أعلى" تبعًا لقائمة المناصب.

باختين: نعم، نعم، في هذا المجال يُفرض على الإنسان هذا الوضع، حقًا. ولكن المتملق على وجه العموم ليس مجرد

بيروقراطي... فالأمر لا يقتصر بالنسبة للمتملق على النظر إلى ما هو أعلى وما هو أدنى. وإنما في تناول القضايا الأخرى، في مجال الفن مثلا وغيره من مجالات. فالمتملق على سبيل المثال، يجلس في المسرح ليشاهد مسرحية ما جديدة، إنه يظل صامتًا، لا ينبس ببنت شفة، ينتظر ما سيقوله شخص ما ذو نفوذ من بين النظارة. بعدها سوف يتكلم، سوف ينقض على رأى الآخر، وينحاز إليه، عندئذ فقط سيبدأ في شجاعة في مديح المسرحية، أو على العكس، سيروح في شجاعة أيضًا يسبها ويلعنها. ما الذي شعر به هو نفسه وقد شاهد الرواية، هذا أمر لا يهمه، إنه لا يثق في رأيه، كل الأمر أنه هو نفسه غير موجود، بغض النظر عن الرأي العام، بغض النظر عن أصحاب المقام الرفيع في شتى المجالات: ثقافية أم فنية أم موسيقية وهلمجرا. هذا هو المتملق. وللأسف هؤلاء المتملقون أصبحوا لدينا أكثر من ذي قبل. كانوا أقل كثيرًا فيما مضى، في الماضي كان للناس آراء مستقلة وكانوا لا يخافون الجهر بها. أما الآن فلا شيء من ذلك بالطبع.

دوفاكين: ولكن بالنسبة لأخماتوفا لم تقل أنها كانت متملقة؟

باختين: لا، لم تكن متملقة. لكن شيئًا من هذه الخصلة كان بها.

دوفاكين: تقصد أن علاقتها بالناس لم تكن متساوية؟

باختين: صحيح. وعلى وجه العموم فإن ازدراء الناس والاستخفاف بهم إلى حد معلوم لم يظهر لديها في مجال الفن والأدب

والعلم والسياسة، وإنما ظهر تجاه العاديين من الناس، العاديين. ماذا بإمكاني أن أقول عنها أكثر، في الواقع...

دوفاكين: لا، لا، إنما أريد أن تخبرني عن رأيك فيها كشاعرة؟

باختين: كشاعرة؟ أقدرها بشدة بالطبع كشاعرة. إنهم يضعونها الآن في مصاف عظماء الشعراء. أعتقد أن هذا الأمر فيه بالطبع كثير من المبالغة. لقد كان لديها على أية حال مدى ضيق للغاية بالنسبة لشاعر كبير، ضيق، ضحل. وبالنسبة لطبيعتها الإنسانية لم تكن طبيعة إنسان عظيم. لا، لم تكن.

دوفاكين: تتحدث عن الطبيعة الإنسانية. إن لدى هؤلاء الناس المبدعين، أصحاب المزاج العصبي بالذات.. وقد ذكرتم بالفعل في لحظة مناسبة أن هذا الإنسان الذي ظل مضطهدًا طوال حياته قد ظل متماسكًا بقدر كبير من الكبرياء...

باختين: نعم، لقد ظلت متماسكة بكبرياء.

دوفاكين: إذن كيف تراها باعتبارها قارئًا وعالمًا في الأدب؟... تعرفون تقييم أيخنباوم لها، تذكرون كتيباته القديمة؟...

باختين: إنني أقدرها بكل تأكيد كشاعرة، لقد كانت واحدة من أبرز الشاعرات، بل كانت أفضل من كثير من الشعراء في زمانها وفي دائرتها.

دوفاكين: هل تتفق ورأي أيخنباوم الذي أكد فيه أنها فتحت صفحة جديدة... تذكر؟ فيما يتعلق بالكلمة وما إلى ذلك... لقد كتب عن الذرويين ككل، ولكنه تحدث بصفة خاصة عن أخماتوفا(١) بالتحديد. وهو ما لم أتفق معه فيه بالمناسبة.

باختين: الأمر ليس بالطبع على هذا النحو، لقد بالغ أيخنباوم على أية حال في تقديرها. وقد تناول أعمالها، إن جاز القول، من مواقف شكلانية، أخماتوفا على أية حال لم تقل كلمة جديدة في الشعر. لقد كانت لها نبرة جديدة، هذا صحيح، ولكنها نبرة نوعية، أنثوية، ولكنها لم تقل كلمة جديدة الطبع. كانت شاعرة جيدة، شاعرة رائعة. ينبغي القول إن كل هذه الحلقة من الذرويين التي كانت تنتمي إليهم - لم يكن فيها أفضل من جوميلوف...

دوفاكين: وماذا عن ماندلشتام وجوروديتسكي وناربوت...

باختين: أعلم أنها كانت تقدر ماندلشتام تقديرًا رفيعًا، ولكنها لم تكن تقدر جوروديتسكي. أما هذا... الشاعر... كوزمين. فقد انضم أيضًا إلى حلقة الذرويين ولعله كان أفضل الذرويين من الناحية الفنية.

دوفاكين: أعتقد على أية حال أن ماندلشتام.

باختين: ماندلشتام، حقا هو أيضًا...

دوفاكين: إذا تحدثنا عن الشعر الغنائي النسائي، أي الشعر الذي عبرت فيه أخماتوفا عن نفسها؟ ماذا لو أخذنا ثلاثة أسماء... لقد عبرت عن رأيك بحقد شديد للغاية عن واحدة منهن... والثلاثة هن: زينايدا نيكولايفنا جيبيوس، أخماتوفا، مارينا تسفيتايفا. أيهن في رأيك أعظمهن كشخصية شاعرة؟

باختين: أتعرف؟ لعلها مارينا تسفيتايفا.

دوفاكين: لم يساورني شك.

باختين: حقا، مارينا تسفيتايفا، إن لديها هذا العمق الذي تفتقده.

دوفاكين: ... أخماتوفا وبالأحرى جيبيوس.

باختين: ماذا أقول عن جيبيوس؟ جيبيوس بكاملها مصطنعة مصطنعة، شعرها مصطنع، هي نفسها مصطنعة، أخماتوفا.. بالطبع كان لديها شيء ما، في شخصيتها... وعلى أي الأحوال لم يكن شعرها مصطنعًا.

دوفاكين: عمومًا أنت إذن تنتمي أكثر بعلاقاتك وميولك إلى حلقة الرمزيين؟

باختين: الرمزيون، الرمزيون، أكثر شعرائهم قيمة بالنسبة إليَّ... وهو ليس مجرد شاعر، وإنما مفكر وعالم، هو فيتشيسلاف إيفانوف، والذي ما زلت أحبه حتى اليوم.

دوفاكين: هل تحبه من ناحية نظمه وعَروضه؟

باختين: أحبه جدًا من ناحية نظمه وعَروضه.

دوفاكين: هذا ما لا أفهمه.

باختين: إن شعره قد يبدو عجيبًا مفعمًا بالروح العلمية، ولكن فيه روعة وجمال.

دوفاكين: أي دواوينه في رأيك أكثرها أهمية؟

باختين: أكثرها أهمية؟ *"Cor ardens"* في مجلدين.(٢)

دوفاكين: هذا الديوان أعرفه بالمناسبة.

باختين: ودواوينه الأولى أيضًا... ذات قيمة كبيرة، وما تلاها. الحقيقة أنني لا أعرف جيدًا إنتاجه الشعري في المهجر، لقد كنت أحتفظ بديوان له مكتوب على الآلة الكاتبة، ولكن

هذا الديوان يعد تقهقرًا في إبداعه، فلم تظهر فيه القوة التي كانت في أعماله الأولى، وعلى وجه الخصوص في ديوان *"Cor ardens"*، الجرس نفسه، والموضوعات نفسها، ولكن الشكل أضعف، ولكنه على العموم شخصية مهمة، كان لديَّ المجلد الأول... والآن في بلجيكا، في بروكسل، يصدرون الأعمال الكاملة له، طبعة فاخرة، صدر المجلد الأول، وقد تسنى لي الحصول عليه وقراءته، المجلد الأول يحتوي على مقال افتتاحي شيق، ومواد بيوجرافية عن فيتشيسلاف إيفانوف، تتناول السنوات الأخيرة من حياته، ووفاته[٢].

دوفاكين: في أي عام توفي؟

باختين: أظن أنه كان يبلغ من العمر أربعة وثمانين عامًا عندما توفي، وقد دُفن في روما، وقد أُستقبل استقبالا رسميًا من جانب البابا، ودار بينهما حديث، التفاصيل موجودة في أعماله، وقد دُفن في مقبرة الدومينيكان.

دوفاكين: ماذا؟ هل اعتنق الكاثوليكية؟

باختين: لا، لم يعتنق الكاثوليكية، كان موقفه من الكاثوليكية هو نفس موقف فلاديمير سولوفيوف. وقد استند ببساطة على هذا التوازي، هذا هو تحديد لمواقف فلاديمير سولوفيوف، الذي صٍُنف في إطاره، والذي لم يستطع... مع فهمه لمعنى الانشقاق الشرقي ***Schism***... اعتناق الكاثوليكية، ولكنه كان مقتنعًا أن هذا التوحيد سيحدث إن آجلا

أو عاجلا.

دوفاكين: توحيد المسيحية الشرقية والغربية.

باختين: نعم، إنما كان فقط كما لو - أقصد أن هذا التنبؤ، جاء قبل الأوان، قبل الأوان، التوجه لمقابلة...

دوفاكين: ... ولكنه لم يهجر الأرثوذكسية؟

باختين: نعم، لم يهجر الأرثوذكسية، الأمر نفسه بالنسبة إلى فيتشيسلاف إيفانوف، لقد كان فيتشيسلاف إيفانوف ببساطة... قريبًا طوال حياته من الكاثوليكية، كم من سنوات قضاها في بلاد تدين بالكاثوليكية، في إيطاليا، في فرنسا... في البداية، عندما كان يدرس... عندما كان تلميذًا لمومزين، كان مرتبطًا بالثقافة الألمانية، وبالمذهب البروتستانتي إلى حد ما، ثم ارتبط بعدها بالكاثوليكية، وقد قام بالتدريس في المعاهد الدراسية الكاثوليكية في إيطاليا...

دوفاكين: إذن، ميخائيل ميخايلوفيتش، دعنا نعود إلى حلقة الذرويين، هل كانت لقاءاتكم مع أخماتوفا على أرضية محايدة، أم...؟

باختين: على أرضية محايدة تمامًا، لقد التقينا في بيت ماريا فنيامينوفنا يودينا، على ما أذكر على قدح من الشاي.

دوفاكين: إلى هذا الحد إذن... انظر، لقد سنحت لك الفرصة لتزداد معرفة بها.

باختين: صحيح، لكن الحقيقة أن هذا قد حدث لاحقا، أغلب الظن أنه كان اللقاء الأخير.

دوفاكين: كنت على معرفة بها آنذاك، أليس كذلك؟

باختين: مع من؟

دوفاكين: مع ماريا فنيامينوفنا.

باختين: كيف أوضح لك؟ بالطبع كنت أعرفها، آنذاك كانت أخماتوفا ما تزال...

دوفاكين: حسناً، سنعود إلى هذا الموضوع في الجزء الختامي من محاورتنا، وأنت هل كنت منتميًا إلى حلقة الذرويين؟

باختين: لا، لم أكن منتميًا، لم أكن منتميًا على الإطلاق.

دوفاكين: إذن، فلم تكن تعرف لاناربوت ولازينكيفيتش...

باختين: عرفتهما كأسماء فقط...

دوفاكين: ... لم تعرف أيضًا سيرجي ميتروفانوفيتش جوروديتسكي؟

باختين: وهذا أيضًا لم أعرفه، وإنما رأيته بضع مرات في ظروف غير سارة إلى حد ما، فقد كان من المقرر أن يلقي بالمونت محاضرة، وقد تجمع عدد كبير من الناس لسماعها، ظهر بالمونت، وجلس إلى المنصة، كان ممسكاً في يديه بكتاب، ثم أخذ يترنح، يترنح، ثم سقط على جانبه.

دوفاكين: من الذي سقط؟ بالمونت أم سيرجي ميتروفانوفيتش؟

باختين: بالمونت، بالمونت، كان في حالة سكر، سكر بيِّن، على العموم كان دائمًا يعاني من السكر في السنوات الأخيرة، وكان يسرف في الشراب حتى يسقط، وهنا ظهرت هذه الشخصية فارعة الطول... المدعو جوروديتسكي، فأمسك به وأخذه تحت إبطه إلى الكواليس، ثم خرج إلى الناس، وقال لهم للأسف...

دوفـــــاكين: ... إنه يمر بوعكة صحية...

بـــاخـــتيـــن: نعم، وعكـــة صحية، ومـــن ثـــم فقد أُلغيت المحاضـــرة، ولا أذكر ما الذي حدث بخصوص التذاكر، كانت هذه هي المرة الأولى التي رأيت فيها هذا العملاق، لكنني تعرفـت على شعره بشكل جيد، أقصد جورودينسكي، ثـم إذا بـه يتغير وعلى نحو حاد، لقد لعب هذا الرجل دورًا مهمًا في حياة فيتشيسلاف إيفانوف كما تعلم... عندما كان إيفانوف والراحلة جانيبال، زينوفيفا جانيبال، ما يزالا يعيشان هنـا (في موسكو – المترجم).

دوفـــــاكين: كانت جانيبال زوجته، أليس كذلك؟

بـــاخـــتيـــن: نعم، كانت زوجته، كانت زوجته الثانية، كان لديهما اقتناع خاص في فهم الحب، إذ رأيا أن الحب لا يمكن أن يقـف عند حدود اثنين، وأن من الضروري وجود طرف ثالث، إنه مرة أخرى نوع من *ménage en trois*. وقد بحثا عـن هذا الثالث، وهنا ظهرت شخصية الرفيـق ذي الـشباب النضر والوسامة الفائقة المدعو جورودينـسكي، فقـبلاه معهما باعتباره ثالثهما، ولكن خاب سـعيهما علـى أيـة حال(٤).

دوفـــــاكين: لقد نجح مثل هذا الأمر مع ميريجكوفسكي، ولكنـه مـع هؤلاء، لم ينجح؟

بـــاخـــتيـــن: ولكن ميريجكوفسكي لم يسع لهذا...

دوفـــــاكين: كان إذن فيلاسوفوف.

بـــاخـــتيـــن: نعم، أذكر أن إرادته ورغبته تحققتا.

دوفاكين: (ضاحكًا)، ولكن مسألة *ménage en trois* يمكن تحقيقها من خلال رؤوس المثلث؛ أي يمكن أن تكون هناك امرأة ثالثة...

باختين: وهذا بالضبط ما أراده... لكن شيئًا من هذا لم يحدث، ثم حدث أن فنانًا ما كان من المفترض أن يدخل إلى هذه الحلقة ثالث ثلاثة، ولم يفلح الأمر أيضًا، ثم سرعان ما توفيت زينوفيفا – جانيبال في زهرة شبابها.

دوفاكين: أظن أنه ظل وحيدًا بعدها، صحيح؟

باختين: لقد ظل بالطبع وحيدًا مخلصًا لذكراها[٥].

دوفاكين: ولكنه، من وجهة نظري، أثار ضجة كبيرة عندما ظهرت الذروية...

إنه آدم نفسه الذي يقول:

أيها الماء الآسر

أيها الكون الضبابي

سامحاني...

أتذكر؟

باختين: أذكر.

دوفاكين: لقد أصبح شعره فيما بعد بمثابة إعلان الذرويين، لقد ورد ذلك في ديوان "أبوللون".

باختين: نعم، أذكر ذلك.

دوفاكين: سعادة أكثر في هذه الريح الشفافة

ستوهب لحياة هذه البلاد التي وُلدت من عدم[٦].

باختين: لكن فيتشيسلاف إيفانوف لم يكن ذرويًا على الإطلاق.

دوفـاكين: هذا صحيح، إذن كان لهؤلاء الذرويين تأثير كبير على أوساط كبيرة من الشعراء، وخاصة شعراء لينينجراد، أكنت بعيدًا عن هذا؟ ولكن أخبرني، هل كنت تتحاشى المستقبليين؟

باختين: المستقبليون – نعم! كنت أتحاشاهم، لقد التقيت بهم، رأيتهم، لكني...

دوفـاكين: وهل قابلت خليبنيكوف أيضًا؟

باختين: لم أعرف خليبنيكوف، لم أعرفه شخصيًا، لم أعرفه إطلاقًا.

دوفـاكين: ألم تحضر أمسيات المستقبليين؟

باختين: لا، لم أحضرها، ينبغي أن أذكر هنا، أننا آنذاك، أقصد حلقتنا، كانت تتعامل معهم بشيء من الاستخفاف والسخرية، معتبرين أن هذه الحركة مجرد موضة عابرة، وأن شيئًا حقيقيًا لن تسفر عنه هذه الحركة، والحقيقة، من المهم أن أقول إننا كنا نستثني ماياكوفسكي، نستثنيه بعض الشيء؛ فحلقتنا عمومًا لم تقبله.

دوفـاكين: ومن كان أعضاء حلقتكم الجامعية. إنك تحكي هنا عن أعوامك الدراسية الأخيرة، كم سنة قضيتها في جامعة بطرسبورج بعد أن غادرت أوديسا؟

باختين: درست بها أربع سنوات.

دوفـاكين: أربع سنوات أخرى؟ هناك سنتان وهنا أربع؟

باختين: لا، سنة واحدة هناك.

دوفـاكين: خمس سنوات إذن، أمر طبيعي.

باختين: نعم، خمس سنوات، ولكن هذا أمر غير طبيعي، المفروض أن أنهي الدراسة في سنوات أربع، وقد كان من النادر أن شخصًا...

دوفاكين: مفهوم، لقد حدثتنا في المرة السابقة عن مدرسي الجامعة، أما عن الوسط الطلابي، فقد تحدثت أقل، لقد تحدثت عن، نسيت، عن الكلمة اليونانية، "سرة الأرض"...

باختين: نعم، تحدثت عنها، لقد كنت قريبًا من هذه الحلقة، وكانت تضم متخصصين في فقه اللغة والأدب، وهؤلاء كانوا ينظرون بشيء من الشك وعدم اليقين إلى كل ما هو مفرط في حداثته سواء إلى حركة المستقبليين، وحتى جزئيًا إلى الذرويين، وبدرجة ما أكثر إلى تلك الظواهر اليسارية الثورية، وإلى شعراء تلك الفترة.

دوفاكين: بالطبع، لم يكن كاتبًا مثل سكيتاليتس يستهويك...

باختين: سكيتاليتس؟ بطبيعة الحال! ولكني قرأت في الحقيقة بعض أعماله بشيء من السرور، كانت شيقة، مثلا: "بقايا الشموع"، "بقايا الشموع".

دوفاكين: وماذا عن جوركي؟

باختين: لم أتعاطف معه بشكل خاص، مع بعض أشيائه فقط، كنت أدرك بالطبع، وجميعنا كان يدرك قيمته كفنان وما إلى ذلك، ولكننا لم ننعم عليه بالكثير، لم يكن أسلوبه يعجبنا. بالإضافة إلى ذلك فقد كنا نفهم شخصيته، وهو أمر لم يكن يجذبنا نحوه بشكل خاص، كان شخصًا مدهشًا، ضائعًا

تمامًا فيما يتعلق بإرادته، كان لديه طابع أنثوي، فكان يؤمن بما يؤمن به الشخص القريب إليه في هذه اللحظة، فتارة تراه إلى جانب الثورة، وتارة تراه ضدها، باختصار، كان متقلبًا، فإذا ما جاء إليه، لنقل، أناس من غير ذوي الميول الثورية فإنه يتحدث معهم ويوافقهم على كل ما يقولونه، فإذا ما جاءه من يمثل الدوائر الثورية فإنه يتحدث معه، ويوافقه أيضًا على ما يقوله، لم تكن لديه إرادة في هذا المجال، في مجال العقيدة كان رجلا لا إرادة له، لم تكن لديه القدرة على الاختيار مرة واحدة وإلى الأبد، كان يختار أمرًا ثم يتركه لأمر آخر وثالث، صحيح أن ظروف الحياة أرغمته على اختيار أمر واحد في النهاية، ولكنه على أية حال كان ينتقل من النقيض إلى النقيض، ولا يمكن تفسير ذلك بأنه نوع من التكيف، مطلقًا، وإنما كان نوعًا خاصًا من فقدان الإرادة، لا، لم يكن تكيفًا، فلم يكن جوركي يسعى في ذلك لتحقيق أي نوع من المصالح، أي نوع.

دوفاكين: لقد كان لديه على أية حال هذه الرحابة، أنت تقصد أن وجهات النظر لديه لم تكن قد تشكلت، وإنما كانت تتبدل؟

باختين: نعم، كانت تتبدل، هذا هو جوهر الأمر، عمومًا لم تكن لديه فكرة مكتملة يمكن أن تتشكل أو يمكن ربطها بشكل ما بفكرة أخرى وهلمجرا، بالطبع لا يمكن أن نصف آراء جوركي بالتوفيقية، لقد كان يؤمن ببعض الأفكار ثم ما

يلبث أن يهرع للإيمان بأفكار أخرى، لعلك قرأت مذكرات خوداسيفيتش عن جوركي؟

دوفـــاكين: لا، لم أقرأ هذه المذكرات.

بـاخـتـيـن: إنها بالمناسبة مذكرات رائعة عمومًا فقد كان موقف خوداسيفيتش من جوركي موقفًا إيجابيًّا.

دوفـــاكين: عمومًا، فقد كان خوداسيفيتش يؤيده بشدة.

بـاخـتـيـن: يؤيده، هذا صحيح، بيد أن خوداسيفيتش ظل خوداسيفيتش، أعني أنه تحدث عنه بشيء من الضغينة، تحدث من وجهة نظره، أن جوركي كان يحب الخداع والمخادعين، وعندما كان يتعرض للخداع هو نفسه، فقد كان يصبر على هذا الخداع ويعفو عنه، وكان هو نفسه يحب أن يخدع الآخرين، باختصار كان المخادع، النصاب، شخصًا جذابًا بالنسبة إليه، ويمكن القول إنه كان يتعاطف مع هذا الصنف من البشر، وقد كتب هو نفسه عن ذلك.

دوفـــاكين: خوداسيفيتش كتب عن ذلك؟

بـاخـتـيـن: نعم، خوداسيفيتش أورد عددًا كبيرًا من الأحداث من حياة جوركي، بالإضافة إلى ذلك فقد تعرفت على شخصية كانت تعمل... كان هذا هو البروفيسور سيرجي فاسيليفيتش أدريانوف، مؤرخ، كان مشهورًا أكثر من أنه زوج زويا لودي(٧)، لعلك سمعت عنها؟

دوفـــاكين: لا.

باختين: ولو لم تسمع عنها، كانت زويا لودي مغنية رائعة، ولكنها لم تكن مغنية أوبرا، وإنما مغنية حجرة، كانت ماهرة على نحو فريد، كانت تؤدي أعمالا نادرة، ثم راحت بعد ذلك تؤدي أعمالا قومية، وقد قضت عدة سنوات خصيصًا لدراسة اللغة الإيطالية في إيطاليا.

كان زوج زويا لودي يكبرها كثيرًا في العمر، ولكنها ماتت أيضًا في سن مبكرة، كانت حدباء قليلا، لكنها كانت تمتلك وجهًا رائع الجمال، بالمناسبة فإن ضريحها يحظى الآن بشهرة كبيرة، فقد قام على تصميمه أحد كبار فنانينا، لا أتذكر الآن اسمه، وقد قص على سيرجي فاسيليفيتش كثيرًا عن جوركي؛ إذ كانت تربطه به علاقة قوية، ولكن الأمر الأهم هنا، أنه التقى به في مجلة "ديلو" ("القضية").

دوفاكين: التقيا في هيئة تحرير مجلة "ديلو"؟

باختين: تمامًا، وكانا يلتقيان طوال الوقت في مبادرات أخرى، أدبية أيضًا، وقد تحدث هو الآخر عن هذا التقلب الجاد في آراء جوركي.

دوفاكين: بصراحة، إن رأيك يتفق تمامًا مع الوصف الذي أعطاه إياه لينين، هل تتذكر؟: "جوركي في السياسة لا لون له".

باختين: نعم، نعم، هذا صحيح، ولكن ليس في مجال السياسة فقط، وإنما في مجال العقائد على وجه العموم، فبالنسبة إلى مسألة الدين، على سبيل المثال، تجده تارة ملحدًا متطرفًا، وتارة... لعلك قرأت عن لقاءاته بالأكاديمي بافلوف،

الاختلاف الحاد نفسه... أما القول بأنه أصبح على أية حال مؤمنًا في النهاية، فهذا يستحيل قوله، باختصار لم يكن متدينًا، يحكي بلوك كيف أنهما دخلا في جدل حاد بعد لقائهما في مكان ما، وبينما تبنى بلوك وجهة نظر ملحدة راح جوركي يحاول إثبات أن روح الإنسان شيء خالد.

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش، ألم يتسن لك أن تلتقي بجوركي شخصيًا؟

باختين: ألم ألتق شخصيًا بجوركي، وإن كنت قد رأيته فقط عدة مرات، ولكن، فيما بعد (لا داعي أن تسجل هذا) عندما سُجنت أرسل جوركي برقيتين إلى الجهات المختصة...

دوفاكين: جوركي؟

باختين: نعم، دفاعًا عني.

دوفاكين: هذا تحديدا ينبغي تسجيله.

باختين: كان على علم بكتابي الأول[٨]، وعمومًا كان قد سمع عني، إذ كان لنا أصدقاء مشتركون.

دوفاكين: جوركي أرسل برقية؟

باختين: نعم، أرسل...

دوفاكين: ... إلى ن. ك. ف. د.[*]، أم ماذا كانت تسمى آنذاك؟

باختين: لقد أرسل التماسًا إلى ما كان يعرف بـ "ج. ب. أو".[**]

(*) ن. ك. ف. د: قوميسارية الشعب للشئون الداخلية. (المترجم)

(**) ج. ب. أو: إدارة الدولة للشئون السياسية. (المترجم)

دوفـــــاكين: في أي سنة حدث هذا؟

بـــاخـــتيــــن: كان هذا في عام ١٩٢٩.

دوفـــــاكين: ثم توقف جوركي عن التدخل.

بـــاخـــتيــــن: توقف عن التدخل في القضية فيما بعـــد... لكــن جــرى الاستناد إلى هاتين البرقيتين فيما بعد عند الشروع في نظر القضية.

دوفـــــاكين: أمر لا يصدق!

بـــاخـــتيــــن: لقد توقف بعدها...

دوفـــــاكين: لقد كانت لزوجته يكاترينا بافلوفنا مآثر كثيرة.

بـــاخـــتيــــن: حقا، يكاترينا بافلوفنا، لم أكن أعرفها، لكن زوجتي ذهبت لزيارتها عدة مرات، كانت تربطهما علاقة طيبة، وتعاطف كل منهما مع الآخر، كانت يكاترينا بافلوفنا آنذاك رئيـسة لما كان يسمى...

دوفـــــاكين: الصليب الأحمر.

بـــاخـــتيــــن: نعم، الصليب الأحمر السياسي. كان فينافير هو رئيـسه، وكانت هي نائبته. ولكن في الواقع كانت هـــي روح هــذا العمل(٩).

دوفـــــاكين: نعم. لقد كان الجميع يذكرونها بخير.. لكن هــذا العمــل أصبح بلا مغزى، ثم تلاشى.

بـــاخـــتيــــن: حقا، أصبح هذا الأمر بلا مغزى.

دوفـــــاكين: لقد كانت آراؤك بشأن جوركي شديدة الأهمية، ولكننا نجد هنا ضفيرة من أحاسيس شتى متضاربة عاطفيًا؛ لأن مـــا ذكرته هو بمثابة توصيف سلبي...

باختين: نعم، ولكن ليس إجمالا.

دوفاكين: بالإضافة إلى ذلك فقد قدم مساعدات كبيرة ومتنوعة للناس بصدر رحب. ترى ما الذي ميز جوركي عن فاسيليفيتش روزانوف؟ انظر كيف مد له يد العون في عام ١٩١٨.

باختين: صحيح. صحيح.

دوفاكين: لقد كان جوركي في تصرفاته رحب الصدر على أية حال.

باختين: رحب الصدر. ثم إنه كان يتميز بالطيبة، طيبة لا حدود لها، لا حدود لها. وبعد ذلك، هناك عالم الدراسات الأدبية، لعلك تعرفه، وهو جاتشيف، أظنه تتلمذ على يديك، جاتشيف.

دوفاكين: أعرفه اسمًا فقط.

باختين: إنه من الحلقة نفسها التي كانت تضم علماء في الدراسات الأدبية مثل كوجينوف وبوتشاروف. وقد أصدروا "تاريخ الأدب" في ثلاثة مجلدات...

دوفاكين: نعم، لكن كوجينوف هو الوحيد من بينهم الذي تتلمذ على يدي.

(يُسمع مواء القط)

باختين: قط مسكين!

دوفاكين: ما العمل؟ من الذي علينا أن نسجل معه: أنت أم القط؟ (ضاحكًا) أظن أنه سكت.

باختين: لقد كتب جاتشيف بحثًا مهمًا للغاية، لم ينشر حتى الآن، ولكنه سوف ينشر في الوقت المناسب، إنه بحث عن جوركي، بالتحديد عن فترة الصعلكة في حياته، وعن

مسرحيته "في الحضيض"، عن جوركي بوجه عام. في هذا البحث يتحدث عن أن جوركي في جوهر الأمر كان تجسيدًا لمبدأ الكرنفال.

دوفاكين: لقد طور فكرتك.

باختين: نعم، نعم... (عمومًا جانشيف تلميذي، إذا جاز القول، بمعنى أنه كان تلميذًا غير رسمي. فقد درس في جامعة موسكو)... لقد كان تجسيدًا لمبدأ الكرنفال؛ فقد كان يقبل الحياة فقط إذا كانت بعيدة عن القوالب المعتادة. تلك الحياة التي كانت تنساب من كرنفال إلى كرنفال، متحررة من مسارها المعتاد، آنذاك كان جوركي يشعر أنه إنسان هذه الحياة. وقد قدم جانشيف تحليلا لقصص جوركي الإيطالية الشيقة[١٠]. تذكر كيف وصف جوركي في هذه القصص إضراب سائقي الترام؟

دوفاكين: نعم، نعم، أذكر.

باختين: لقد وصفه كما يوصف الكرنفال... لقد كان يبحث هنا تحديدًا عن الخروج على السياق العادي للحياة.

دوفاكين: ومن جانب آخر، كانت لديه أيضًا قصة "حياة ماتفي كوجيمياكين" و...

باختين: لقد كانت لديه بالطبع، قصة أخرى، ليس هنا ما يستحق الذكر، على أي حال الأمر الرئيسي...

دوفاكين: .... وكانت له قصة "كليم سامجين".

باختين: كان جانشيف يرى أيضًا أن "كليم سامجين" هي في جوهر الأمر عمل كرنفالي، هذا كرنفال ضارب في العمق.

دوفاكين: إنه كرنفال مرح، له طابع الأعياد...

باختين: نعم، كرنفال له طابع الأعياد. ولكن هنا كما لو أنه ليس مرحًا وليس له طابع الأعياد، ولكنه في الوقت نفسه عبارة عن مجموعة كاملة من... موكب أقنعة. لا يوجد هنا وجه واحد. بالمناسبة، هؤلاء الناس الذين أسميتهم أنا ***agelasts*** لم يكن جوركي يحبهم على الإطلاق.

دوفاكين: ومن هؤلاء؟

باختين: هؤلاء قوم يتمتعون بالجدية الصارمة، لا يقرون ولا يفهمون الفكاهة أو النكات أو الخدع. مشعوذون. هؤلاء لم يكن يحبهم جوركي. وها نحن في "كليم سامجين" بالتحديد لا نجد أثرًا لهم، فلم يظهرهم على نحو إيجابي. على سبيل المثال كان أبطاله الشيوعيين، وعلى رأسهم... كوتوزوف.

دوفاكين: البطل الإيجابي في الأدب السوفيتي! اسمح لي!.

باختين: لا، لا، لم يتعامل جوركي معه على نحو إيجابي. لقد اتخذ منه موقفًا سلبيًا... بل إنه أضفى عليه طابع الجفاء والقسوة. إنه مغنٍ، ولكنه، من ناحية أخرى، يغني دون روح. بالنسبة له كان هذا هو الشكل فقط، قدمه هنا من ناحية الشكل. ولكنه على وجه العموم لم يكن مؤهلا – على نحو ما – أن يفهم الناس بطريقة صحيحة.

بعد ذلك، تأتي مسرحية "في الحضيض" لقد ذهب جانشيف في تفسيره لهذا العمل لأن يعتبر البطل الحقيقي، الإيجابي

بالنسبة لجوركي هو لوقا بطبيعة الحال. (لقد فسر الجميع لوقا على نحو غير صحيح تمامًا) حتى إن جوركي نفسه كان يرى في لوقا شخصية إيجابية. على هذا النحو فهمه الناس وفقًا للمسرحية وهكذا ظهر على الناس...

دوفاكين: وفقًا للمسرحية حدث هذا، ثم بعد ذلك، في عام ١٩٣٣...

باختين: "بعد ذلك"! الذي حدث بعد ذلك ما أصابه من ضعف الإرادة العقائدي... فقد أقنعوه أن الأمر ليس على هذا النحو، وأن لوقا... لوقا يكذب... صحيح أنه طيب، ويحاول أن يساعد الناس، ولكن كيف؟ إنه يخلق أوهامًا. أباطيل، من شأنها، ربما أن تساعد الناس على نحو ما في حياتهم، لكن هذا أمر غير مقبول.. إنه يمس هيبة الناس وكرامتهم... وقد صدق هذا... ومن ثم راح يعيد تأويل مسرحيته.

دوفاكين: الأمر إذن هكذا! أمر شيق... على أية حال... لنستمر... بالمناسبة، معذرة حدثني قليلا عن نفسك، كيف سارت بك الحياة بعد ذلك؟ أنهيت الجامعة؟

باختين: نعم.

دوفاكين: وفي فبراير؟

باختين: نعم، في فبراير... اندلعت ثورة فبراير.

دوفاكين: كنت لا تزال طالبًا؟

باختين: كنت لا أزال طالبًا، لقد أنهيت الجامعة بالمناسبة كما تعلم في لينينجراد... كان ما يزال اسمها بتروجراد... وعندئذ بدأت المجاعة شديدة القسوة.

دوفاكين: لقد بدأت المجاعة بعد ثورة أكتوبر.

باختين: بعد ثورة أكتوبر. ولكن في فبراير كانت الأمور سيئة للغاية.

دوفاكين: منذ فبراير... بدءًا من صيف عام ١٩١٧... هل لديك ذكريات مهمة عن هذه الفترة تختفي منا هذه الفترة كأنها لم تكن؟

باختين: نعم، سوف أخبرك بأنبائها، ولكن لا داعي لتسجيل ذلك.

دوفاكين: يمكن أن نزيلها... ويمكن ألا نعيد تسجيلها. لا بأس.

باختين: لم أرحب بثورة فبراير. وبالإضافة إلى ذلك، لقد اعتبرت، لنقل لقد رأت حلقتنا أن هذه الثورة ستنتهي نهاية سيئة للغاية. كنا نعرف عن قرب بعض أناس، من الذين شاركوا في ثورة فبراير هذه، والذين احتلوا مركز الصدارة بفضل هذه الثورة.

دوفاكين: من الكاديت.

باختين: من الكاديت، نعم، وأيضًا من هؤلاء الـ....

دوفاكين: *S.R*

باختين: ترودوفيسكي. ترودوفيسكي،(*) الذين كان كيرينسكي نفسه ينتمي إليهم، باختصار هذه كانت الطائفة التي انضم إليها أتباع كيرينسكي. كنا نرى أن هؤلاء المثقفين جميعهم لا يصلحون لإدارة الدولة وأنهم غير مؤهلين للدفاع عن

(*) ترودوفيسكي (الكادحون): الحزب الديموقراطي للبورجوازية الصغيرة يمثله نواب للفلاحين والمثقفون الشعبيون في مجلس الدوما في دورته من الأولى إلى الرابعة (١٩٠٦ – ١٩١٧) وينادي برنامجه بالديموقراطية والحرية وتأميم الأراضي، عدا تلك الأراضي التي يمتلكها الفلاحون وذلك بالطرق السلمية. في يوليو عام ١٩١٧ اندمج الحزب في الاشتراكيين الشعبيين، وكانت صحيفة "ترودوفوي نارود" (الشعب الكادح) هي الصحيفة الناطقة باسم الحزب. (المترجم)

ثورة فبراير (هذا إن كانت بحاجة إلى هذا الدفاع) ولهذا تجاوزوا حتمًا أكثر عناصر البلاشفة اليسارين تطرفًا. هذا ما حدث. وقد كانوا مقتنعين تمامًا بذلك.

دوفاكين: ولكن قلة قليلة من البلاشفة على السطح كانوا آنذاك...

باختين: ... قلة قليلة، نعم. لم يكن أحد يعرفهم. لكنهم كانوا يعرفون اليساريين من الاشتراكيين الثوريين، كما كانوا يعرفون، على نحو أكبر، المتطرفين اليساريين من الاشتراكيين الثوريين، الذين عملوا بعد ذلك مع البلاشفة. ثم انخرطوا بعد ذلك في حلقة الاشتراكيين الثوريين، وفي حلقة الاشتراكيين الديموقراطيين أناس أكثر يسارية ومن ذوي الميول الراديكالية، الذين انضموا بعد ذلك إلى الحزب الشيوعي وهلمجرا. ومن الذين نالوا شهرة آنذاك تروتسكي... زينوفيف وإن كان في الحقيقة بدرجة أقل. هذا هو الأمر.

دوفاكين: بالمناسبة فإن تروتسكي لم ينضم إلى البلاشفة إلا في مايو.

باختين: نعم. كثيرون انضموا، ديرجينسكي... لا. ديرجينسكي لم ينضم إلى الحزب. في رأيي أنه لم ينضم إلى أي حزب، لقد كان ببساطة شخصًا شديد التدين، وكان يستعد لدخول سلك الرهبنة.

دوفاكين: معقول؟

باختين: نعم. في الكنيسة الكاثوليكية. لقد كان كاثوليكيًا متدينًا متطرفًا، ثم إذا به ينتقل إلى ... على العموم لقد كان استثناءً، إذا جاز القول، لم يكن عاديًا مقارنة بالبلاشفة، لم

يكن عاديًا، أبدًا، أبدًا... كان رجلا من طراز مختلف، من عجينة مختلفة. ثم، خذ مثلا... فيشينسكي هذا الاشتراكي الديموقراطي، لقد ظل اشتراكيًا ديموقراطيًا ثم إذا به يصبح بلشفيًا، بل وزد على ذلك...

دوفاكين: لقد ظل منشفيًا حتى عام ١٩٢١.

باختين: هو؟

دوفاكين: نعم. لقد ظل طوال فترة الحرب الأهلية(*) معاديًا للبلشفية، وعندما انتصر البلاشفة، هنا فقط انضم إليهم.

باختين: وما قولك في الصحفي زاسلافسكي.

دوفاكين: نعم.. هذا من العاملين في صحيفة "كييفليانين".(**)

باختين: صحيح. وقد ألقى محاضرة، لم أحضرها، ولكن زملائي حضروها وقصوا عليّ ما جاء فيها، كان هذا بعد ثورة فبراير... قبل أكتوبر... لا، بل كان بعد أكتوبر... حيًا فيها صعود جيش الجنوب التطوعي(***)، وقدم في هذه المحاضرة خطة الكفاح ضد البلاشفة.

(*) الحرب الأهلية (١٩١٨ – ١٩٢٠): قامت في روسيا بين العمال والفلاحين بقيادة الحزب الشيوعي بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ ضد أعداء الثورة من الرأسماليين والإقطاعيين وكبار ملاك الأراضي من الفلاحين (الكولاك) وضباط الحرس القيصري، إلى جانب العناصر الخارجية. (المترجم)

(**) كييفليانين (مواطن مدينة كييف): صحيفة ملكية (١٨٦٤ – ١٩١٩) ناطقة باسم ملاك الأراضي الروس في مدينة كييف، تبادل على تحريرها ف. ى. شولجين، د. إ. بيخنو، ف. ف. شولجين. (المترجم)

(***) الجيش التطوعي: القوة الأساسية للثورة المضادة في جنوب روسيا إبان الحرب الأهلية تأسس في البداية من المتطوعين من الضباط وطلاب الكليات العسكرية والطلاب ذوي الميول=

هكذا كان الوضع. وقد رأيت آنذاك، أن أكثر الأحزاب تطرفًا هو الذي سيأتي إلى السلطة في روسيا، فإما الملكية *monarchy* أو حكم الدهماء *ochlocracy*...

دوفاكين: عفوًا، هل أنت الآن في حالة استعادة لذكريات الماضي في ضوء ما حدث بعد ذلك؟...

باختين: لا، لا، لا، لا، هذا ما كنت أفكر فيه آنذاك.

دوفاكين: إذن لقد كنت تشعر بصورة ذاتية في شهر فبراير، أنه إما الملكية وإما المتطرفون.

باختين: نعم، نعم. أما بالنسبة للملكية باختصار... حتمية انتصار العناصر المتطرفة، بالإضافة إلى ذلك، فلعلي أقول، إن مزاجنا كان تشاؤميًا: لقد اعتبرنا أن الأمر قد انتهى. بالطبع كان من المستحيل إحياء الملكيةِ، ولم يكن من الممكن على الإطلاق أن يعتمد أحد عليها، وأن من المحتم أن تنتصر هذه الجماهير من الجنود، الجنود والفلاحين، الذين يرتدون سترات عسكرية، والذين لم يكن لديهم شيء يخشون ضياعه، البروليتاري، الذي لا يمثل طبقة تاريخية، والذي لا يملك، من وجهة نظري، أي قيم. هذا البروليتاري ظل طوال حياته يصارع من أجل منافع مادية ضيقة. وها هم جميعًا الآن سوف يستولون على السلطة تحديدًا؛ لأن كل هذه الإنتلجنسيا ليست مؤهلة لهذا.

=الرجعية، وكان على رأسه كل من م. الكسييف، ل. كورنيلوف، أ. دينيكين. وقد تم القضاء على هذا الجيش على يد الجيش الأحمر في الفترة من أكتوبر ١٩١٩ إلى مارس ١٩٢٠، وانضمت فلول جيش دينيكين إلى الجيش الأحمر بقيادة الجنرال فرانجيل. (المترجم)

دوفاكين: أيعني هذا أنك لم تشارك في أية اجتماعات؟

باختين: لا، لم أشارك في أية اجتماعات. إطلاقًا. لقد جلست في بيتي، وعندما أعادوا التدفئة، رحت أجلس في المكتبات[١١]. ولكنني إطلاقًا لم أشارك في الاجتماعات.

دوفاكين: ألم تستمع إلى خطب كيرينسكي؟

باختين: استمعت إلى كيرينسكي مرتين تقريبًا. وأدركت على الفور أنه مخلوق بائس. تسلق إلى مرتبة عالية جدًا وهو غير مؤهل لها على الإطلاق... بالمناسبة، كنت أرتبط بعلاقة صداقة حميمة بإحدى الأسر، وكان الزوج صديقي، وقد توطدت علاقتي بعد ذلك بزوجته، البارونة السابقة، وهذه المرأة كانت آخر عشيقات كيرينسكي، كان يزورها كل يوم، فيقضي لديها فترة المساء، كانت آخر امرأة أحبها هنا، وقد يكون قد أحب امرأة أخرى بعد ذلك.

كان صديقي يؤيد وجهات نظري، كان يقول: "ماذا دهاك؟ ألا ترى، إنهم لن يسقطوك لا اليوم ولا غدًا". كان يقول: "معذرة فأنا أعرف كل شيء، إننا نقتفي أثر البلاشفة، لا تقلق، إنهم لن يستطيعوا فعل أي شيء". كان هذا آخر ما قاله لي قبل بضعة أيام بالضبط من الانقلاب وقبيل هروب كيرينسكي بثلاثة أو أربعة أيام. ينبغي القول إن كيرينسكي كان يتمتع آنذاك بالحب... بين جماهير عريضة... وكان له نفوذ كبير.

دوفاكين: نفوذ لا، وإنما كانت له شعبية.

باختين: نعم، كانت له شعبية، ولكنها من هذا النوع السطحي. وقد قصَّ على صديقي أيضًا عندما ذهب إلى شقته للمرة الأولى (كان يعيش آنذاك في معهد البوليتكنيك، في حي ليسني بتروجراد)، فقد راح البواب يمسح دموعه وهو يتمتم، "كان كيرينسكي هنا، كان هنا، كان هنا" ثم انفجر بالبكاء من شدة التأثر.

دوفاكين: وأنت بصفتك عالمًا في أدب اللغة على أية حال، ألم تشعر بالشفقة تجاهه وهو الذي كان موهبة خطابية رائعة؟

باختين: لا، وهو لم يكن موهبة خطابية رائعة على الإطلاق. هذا محض اختلاق وترهات. لقد استمعت إليه مرة أو مرتين. إنه شخص تافه للغاية، بدائي، لعلي أقول لك إنه من هذا النوع الديماجوجي بالطبع.

دوفاكين: إنه، إن شئت القول، نموذج كرنفالي أيضًا.

باختين: نعم، ولكنه، نموذج كرنفالي على غير إرادة منه، وحتى على خلاف طبيعته، بالطبع كان هناك شيء ما كرنفالي فيه...

دوفاكين: إذن فهو لم يأسرك على نحو من الأنحاء؟

باختين: لم يأسرني أبدًا بأي قدر، لم يأسرني بأي قدر.

دوفاكين: ولكنك لا تستطيع إلا أن تحترم موقف شخص مثل بافل نيكولايفتش ميليوكوف؟

باختين: أنت هنا على حق، لقد كنت أكن له على كل حال كل مشاعر الاحترام، ولكني كنت أعتبره شخصًا لا حول له ولا قوة، وأن أناسًا على شاكلة ميليوكوف (هذا ما تصورته آنذاك) لا يمكنهم على الإطلاق أن يحكموا روسيا.

دوفـــــاكين: ولكنهم حكموها... وإنه لأمر مثيــر... وكــأني أواصــل الحديث مع شولجين[١٢].

بـــاخـــتيــــن: حقا، إنه لأمر مثير.

دوفـــــاكين: هل تعلم، حتى شولجين في مذكراته كان يــدرك أن هــذه الحلقة من الناس الذين حكموا روسيا كانــت غايــة فـــي الضعف... لا لأنه جرى إسقاطها وخلعها مــن الــسلطة، وإنما يمكن القول لأنها كانت قد اهترأت بالفعل.

بـــاخـــتيــــن: نعم، هذا صحيح.

دوفـــــاكين: الحقيقة أنه لم يكن هناك أحد سوى ستوليبين.

بـــاخـــتيــــن: نعم، لا أحد...

دوفـــــاكين: ... شخصية إلى حد ما مهمة.

بـــاخـــتيــــن: ... حقا، كان ستوليبين شخصية عظيمة الأهمية، بل لعله أكثر أهمية مما كانوا يظهرونه عليه في العادة، كان رجلا بعيد النظر. وقد كان على صواب عندما افترض أن إنقاذ روسيا من الثورة يمكن أن يتم بطريقــة وحيدة صحيحة ألا وهي خلق طبقة متوسطة من الفلاحين ميسوري الحال، أصحاب ملكيات صغيرة، أصحاب عِزَب. كان يــرى أن الملكية تصنع إنسانًا... أقول... محترمًا و...

دوفـــــاكين: ... مستقرًا.

بـــاخـــتيــــن: ... ومستقرًا، نعم. ولكن الأمر لم يسفر عن شـــيء، لــم يتسن له أن يصل بإصلاح الريف إلى نهايته آنذاك. نعم...

دوفـــــاكين: هذا أمر دخيل على الطبيعة الروسية القومية.

بـــاخـــتيــــن: أتعتقد ذلك؟

دوفاكين: إنه يتناقض إلى حد كبير والتاريخ الروسي.. وفي هذا الصدد كان جوركي أكثر قومية.

باختين: نعم، ولكن في هذه الحالة علينا أن نصل إلى المزارع الجماعية. لكن أمر هذه المزارع لم يستقر بعد؛ ليس عندنا فقط، وإنما في البلاد السلافية الأخرى، لم تنجح في أي مكان. لكن ليس هذا هو الأمر. إنما كنت أسترجع ما حدث آنذاك، والآن فأنت على وجه العموم... وحتى في تلك الفترة فقد كنت قليلا ما أفكر في هذه المشكلات، قليلا جدًا. كون النظام القديم كان آخذًا في التفسخ، فهذا أمر كان واضحًا للجميع. هذه كانت القصة التي حدثت مع راسبوتين، لقد كانت قصة، إذا جاز القول، مفجعة ونبوئية. هذا هو الأمر.

دوفاكين: أمر مثير حقا. ولكن لنعد الآن إلى جهاز التسجيل، إلى الدراسات اللغوية والأدبية. إذن مرت ثورة فبراير وثورة أكتوبر... وحلت المجاعة في بتروجراد، من ناحيته، ومن ناحية أخرى، جاء عصر المقاهي في الشعر الروسي.

باختين: ولماذا "المقاهي"؟

دوفاكين: لأن الشعر توقف عن أن يصبح في متناول المجلات، وأصبح...

باختين: آه! نعم! أصبح في متناول المقاهي، فهمت.

دوفاكين: هل تعايشت مع خصائص هذه الفترة أم أنك بفضل نزعتك الأكاديمية الوقورة لم تتنازل فتقبل بها؟

باختين: لم أتنازل بالطبع. على فكرة، لقد عرفت هذا الشكل قبل ذلك بفترة، أذكر مثلا مقهي "الكلب الضال".

دوفاكين: وهل كنت تتردد على مقهي "الكلب الضال"؟

باختين: لقد ترددت بطبيعة الحال على مقهي "الكلب الضال"، وإنما بصفتي ضيفًا فحسب، لم أكن معروفًا عن قرب بصفة خاصة.

دوفاكين: بصفتك "صيدليًا"...

باختين: هذا هو بالضبط.

دوفاكين: ... كما كانوا يسمون الضيوف؟

باختين: صحيح. كما كنت أتردد أيضًا على مقهي "موقف الممثلين".

دوفاكين: ها أنت إذن ما تزال تذكر مقهي "الكلب الضال" و"موقف الممثلين"؟ أود لو أستمع منك في هذا الصدد.. لقد استمعت إلى صوت البوهيميين، إذن كانوا يطلقون عليكم (لست أنت تحديدًا، وإنما هؤلاء الناس الضيوف) اسم "الصيادلة"...

باختين: نعم، كنت على أي حال "صيدليًا". ولهذا كنت على وجه العموم أتردد على هذه المقاهي قليلا جدًا.

دوفاكين: مَن مِن الشعراء استمعت إليهم هناك؟

باختين: شعراء من كل لون، لعلي أقول لك، إنه كان شعرًا رديئًا. الوحيد، في رأيي، الذي استمعت إليه... وكان شاعرًا رائعًا... هو كوزمين!

دوفاكين: في مقهي "الكلب الضال"؟

باختين: نعم، استمعت إليه في مقهى "الكلب الضال".

دوفاكين: وكان هذا إبان الحرب؟

باختين: وربما في مقهى "موقف الممثلين"، لا أذكر الآن. ولعلي استمعت إليه في الاثنين.

دوفاكين: في مقهى "الكلب الضال" ومقهى "موقف الممثلين"، كان هذا في بطرسبورج.

باختين: كان هذا في بطرسبورج.

دوفاكين: وماذا عن موسكو، كانت مقاهي "بيتوريسك" و"مقهى الشعراء"... الأمر هنا مختلف.

باختين: لم أتردد عليها... تصادف ذات مرة أن كنت في شارع نيفسكي. كان هناك مقهى يسمى "مقهى الشعراء" ذهبت إليه مرة واحدة. وجدت فيه عددًا من الرجال ذوي اللحى جالسين وقد اعتمروا تلك القبعات الفرنسية، مقلدين الشعراء الفرنسيين. لم يعجبني الأمر، وجدته لا يتسم بالجدية.

دوفاكين: هل تذكر روكافيشنيكوف؟

باختين: أذكر روكافيشنيكوف، وقد عرفته.

دوفاكين: لقد كان هو الآخر يشبه في لهجته عالمًا، على الرغم من أنه لم يكن كذلك، على أية حال كان مثل شينجلي...

باختين: شينجلي، نعم...

دوفاكين: ... جيورجي أركاديفيتش شينجلي، وهو لم يترك منصة إلا واعتلاها ليلقي منها شعره.

باختين: ولكن أي شاعر كان؟

دوفـــــاكين: لم يكن شاعرًا على الإطلاق.

بـــاخـــتيــــن: لقد كان مترجمًا أيضًا، وفي الواقع كان مترجمًا ســـيئًا... وقد اتفق أيضًا أن كان عالمًا رديئًا.

دوفـــــاكين: لقد تشكل يسينين في هذا الوسط بشكل نهائي.

بـــاخـــتيــــن: يسينين؟ (شاردًا) نعم، نعم.. تشكل.. لكن قضية يـــسينين على أية حال يكتنفها الغمـــوض. بالمناســـبة فقـــد اهـــتم كوجينوف بهذه القضية. يسينين... لقد كانوا عادة يظهرونه على النحو التالي: رجلا بدائيًا، فلاحًا روسيًا غرًا جاء إلى موسكو ولينينجراد، وقد أفسدته، إن جاز القول، هذه البيئة، فجعلت منه سكيرًا وجعلت منه فاجرًا... إلخ إلخ.

ولكنني استمعت من كوجينوف غير ذلك تمامًا: فقد كـــان منضمًا إلى الحركة الثقافية قبل أن يأتي إلـــى العاصـــمة، وأنه كان على صلة بنفر من الأصدقاء، كان يتراسل معهم وهلمجرا. وينبغي القول إنه قد صاغ وجهات نظره قبل أن يؤثر فيه أصحاب النزعة البوهيمية. فهؤلاء بدّلوا الأكثـــر جدية فيه، أفكاره ومنهجه في الإبداع[١٣].

دوفـــــاكين: الأكثر جدية، كانت هذه إذن صالونات الرمزيين، هـــؤلاء كانوا ميريجكوفسكي وجيبيوس.

بـــاخـــتيــــن: ميريجكوفسكي وجيبيوس، حقا، جزئيًا، بعد ذلك كان هناك شخص، لم يثبت اسمه بدقة... لكن كوجينوف توصل إليه، وعرف من هو. كان هذا... سأذكر لك اسمه الآن... يـــا للذاكرة!

لقد ورد ذكره في مذكرات تسفيتايفا، لقد ذكرت فيها زيارتها لبيت ما؛ حيث استمعت هناك لكوزمين يلقي أشعاره. ألا تتذكره؟

دوفاكين: ورد ذكره في نثر مارينا تسفيتايفا؟

باختين: في نثر مارينا، مارينا تسفيتايفا. وفيه وصف لهذا البيت الذي التقوا فيه. لقد كان صاحب البيت دائم التشبه بالسلوك الإنجليزي. كان رجلا شهيرًا، وقد بنى مدرعة شهيرة أيضًا، لكن اسمه لم يذكر، كما لم تذكر أسماء ابنيه. كان أحدهما شاعرًا... إما الابن أو صديقه، الذي كان شاعرًا. كان هذا الشاعر يعرف يسينين جيدًا وقد ترك أثرًا كبيرًا عليه. ولكن من كان هذا الشاعر؟ لم تذكر مارينا تسفيتايفا اسمه(١٤).

دوفاكين: وهل اهتدى إليه كوجينوف؟

باختين: نعم، اهتدى إليه كوجينوف.

دوفاكين: يجب أن نسأله. الحقيقة أنه لم يعد يتصل بي تليفونيًا.

باختين: الحقيقة أنه كان يواصل أبحاثه في هذا الاتجاه... هنا يعيش على مقربة منا ديوريك إيفنيف.

دوفاكين: لقد سجلت معه؟ لكنه لم يتذكر، لن يتذكر. بالمناسبة لقد كان عضوًا في حلقة يسينين. ولكنه لن يتذكر. لقد تجاوز الثمانين الآن بكثير <....> إنه لا يهتم سوى بهذا الأمر، وأظن أنه الأخير من الأحياء من حلقة يسينين.

دوفاكين: لا، هناك فنانون...

باختين: فنانون موجودون...

دوفـــــاكين: هناك... كوماردينكوف...(١٥) وقد سجلت معه أيضًا. كان مساعدًا لياكولوف.

بـــاخـــتيـــــن: ألم تسجل مع كروتشينيخ؟

دوفـــــاكين: تهرَّبَ. ثم وافته المنية، كان يخشى شيئًا ما. ولم أعرف ما كان يخشاه. كان شكاكًا.

بـــاخـــتيـــــن: لقد عرفته في سنوات عمره الأخيرة، والحقيقة، ليس في آخرها تمامًا بالطبع. كانت المرة الأخيرة التي التقيته فيها منذ عشرين عامًا مضت...

دوفـــــاكين: وهذا يعني أنك على أية حال كنت تلتقي بالمستقبليين؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، وقد أدهشني آنذاك... كان يبلغ من العمر وقتها ستين عامًا.

دوفـــــاكين: وكان يبدو أقل من عمره.

بـــاخـــتيـــــن: كان يبدو شابًا على نحو مدهش، متوسط القامة، يتمتع بحيوية غير عادية! وكان حديثه شيقًا للغاية. وقد حدثني عن أعمال صديق له، كان مهتمًا بدراسة الأسماء عند دستويفسكي، وكان حديثه عنه شيقًا وغاية في الأهمية.

دوفـــــاكين: لقد كان رجلا ذا مكانة رفيعة... لم يكن عالمًا، ولكنه كان موهوبًا في الدراسات الأدبية.

بـــاخـــتيـــــن: صحيح، صحيح، بكل تأكيد، وهذا التحليل الذي ذكره للأسماء عند دستويفسكي، وإن لم يكن له، والحق يقال، الفضل فيه، فقد استطاع على أية حال أن ينقله على نحو مقنع تمامًا.

دوفاكين: أظن أنك وفقًا لمنظومة أفكارك لا تتخذ بالضرورة موقفًا رافضًا من فكرة الغموض في اللغة.

باختين: لا، لا أتخذ منها موقفًا رافضًا، ولماذا ينبغي عليّ أن أفعل، مطلقًا، لا أتخذ منها موقفًا رافضًا.

دوفاكين: المسألة ببساطة أنك، في سياق ذكرياتك، ذكرت أن جميع الذين...

باختين: نعم، في سياق ذكرياتي، استخففنا بالطبع...

دوفاكين: ... وقلت إنه لا شيء لديهم ذو أهمية...

باختين: نعم، نعم، فهمت قصدك... ليست المسألة في أنه لم يكن لدى هؤلاء شيء ذو أهمية وإنما...

دوفاكين: كان خداعًا.

باختين: نعم، مداعبة للدهماء، الدهماء تحديدًا.

دوفاكين: خداعًا.

دوفاكين: خداعًا ومداعبة للدهماء(*) هذه هي المسألة. لكني لم أرفض الأمر مطلقًا. وعلى العموم فأنا أعتبر خليبنيكوف شاعرًا رائعًا، رائعًا.

دوفاكين: إذن يمكن أن نقول إجمالا إن موقفك من خليبنيكوف قد تغير. وإنه الآن...

باختين: لقد كان موقفي آنذاك... لقد كنت أميز خليبنيكوف آنذاك على أية حال، ثم على وجه الخصوص...

(*) الكلمتان خداع ودهماء لهما الجرْس نفسه في اللغة الروسية – بليف وبلبيس. (المترجم)

دوفاكين: وما الذي يعجبك في خليبنيكوف؟

باختين: كل شيء. حتى نمط أو أسلوب تفكيره يعجبني؛ فقد كان رجلا في حقيقة الأمر كرنفاليًا للغاية. هو بالتحديد كرنفاليًا ولا شيء أكثر. لم تكن كرنفاليته ظاهرية – رقصة أو قناع خارجي، وإنما في صورته الباطنية ومعاناته الذاتية وفي تفكيره الأدبي وهلمجرا. لم يستطع أن يندرج داخل أي أطر، كما لم يستطع أن يقبل أي من المباديء السائدة، كان يدرك ماذا تعني، إذا جاز القول، الواقعية، الفكر الواقعي. أقصى ما يمكن اتهامه به أنه كان قصير النظر وقد لعب... لا.

دوفاكين: ولكنه كان غائبًا عن كل هذا تمامًا.

باختين: لا، هو لا، لقد كان يدرك الظروف ويعرف الواقع حوله جيدًا، وكان يفهم الناس. كان يعي ذلك على نحو رائع، ولكن، إذا أردت الحقيقة، فقد ابتعد عن كل هذا، ولكن لا لصالح أفكار ما مجردة مثل الآخرين، لا، كانت لديه أفكاره المجردة، وهذه الأفكار كانت تحمل طابعًا رمزيًا، بل وحتى صوفيًا. وكانت نوعًا من الرؤى النبوية. ولكن لم يكن من الممكن أيضًا أن تدرج فقط في إطار تلك الصوفية التي كانت سائدة آنذاك وكانت متطورة إلى حد كبير.

دوفاكين: ذات طابع رمزي.

باختين: نعم، لا... ببساطة لا يمكن إدراجها في هذا الاتجاه. لقد كانت هذه رؤية صوفية خاصة. لقد كانت صوفية بلا غموض. في الواقع لقد كان يتصور الصوفية من خلال

مقولات واسعة للغاية، كونية، ولكنها ليست كونية – تجريدية.

دوفاكين: هذا أمر لا أفهمه على نحو تام.

باختين: لقد كان باستطاعته بالمناسبة، وهذه كانت إحدى خصائصه؛ ولهذا أقول: إنه كان بالأساس كرنفاليًا، كان باستطاعته أن ينفصل عن الجزئي وأن يمسك بشيء ما لا نهائي، شيء كامل لا حدود له، كامل، لنقل، مثل الكرة الأرضية. ألم يكن أحد رؤساء الكرة الأرضية... والكون بأكمله، لقد استطاع، على نحو ما، باطنيًا، أن يعاني هذا الشعور وأن يحوله إلى كلمات. ولكننا إذا فهمنا هذه الكلمات باعتبارها كلمات عن أشياء ومعاناة شخصية، وعن أناس بعينهم، عندئذ سيكون من المستحيل علينا أن نفهم، أن ندخل في تيار تفكيره الكوني الواسع، عندئذ سوف يبدو لنا كل شيء مفهومًا ومشوقًا إلى أقصى درجة، لقد كان شخصًا رائعًا، شخصًا رائعًا. وفي كل الأحوال كان المستقبليون الآخرون أقزامًا أمامه. أقزامًا كانوا... أناسًا لا قيمة لهم. أما كروتشنيخ نفسه ومن على شاكلته فهؤلاء كانوا أكفاء وكانوا موهوبين – بورليوك و... دافيد وهذا...

دوفاكين: نيكولاي.

باختين: نيكولاي، نيكولاي، ربما كان موهوبًا هو أيضًا.

دوفاكين: وهل عرفت هؤلاء؟ هل رأيتهم؟

باختين: رأيت بورليوك. ورأيت دافيد، ولكني لم أتعرف عليه بصفة شخصية، ولكنني عرفته من خلال... لقد حكوا لي عنه وعن أعماله، كان شخصًا شيقًا.

دوفاكين: كان هناك أيضًا فنان يُدعَى فلاديمير.

باختين: كان هناك أحد الفنانين، ولكني لا أعرفه. أما دافيد بورليوك فلم يكن ذا قيمة كبرى سواء كفنان أو ككاتب. وقد تبين فيما بعد أنه رجل أعمال من الطراز الأول؛ فقد استطاع أن يجني ثروة كبيرة في أمريكا، ثم أصبح له صالونه فيما بعد. وكان كل المثقفين من الراديكاليين اليساريين الأمريكيين يترددون على صالونه، وكان يقيم احتفالا كبيرًا كل عام بمناسبة ثورة أكتوبر، فينظم حفل استقبال في منزله. لقد كان شخصية فريدة من نوعها.

دوفاكين: والآن حان الوقت والمكان لنتحدث عن ماياكوفسكي أيضًا. ألم تلتقِ بماياكوفسكي في شبابه ولو مرة واحدة؟

باختين: لم ألتق بماياكوفسكي الشاب ولا مرة. فقد أمضى معظم سنين حياته في موسكو.

دوفاكين: غير صحيح. فقد عاش في بطرسبورج بالمناسبة طوال سنوات الحرب.

باختين: لكني لم ألتق به هناك.

دوفاكين: ولا في مقهي "الكلب الضال"، ولا في مقهي "المصباح الوردي"؟

باختين: لا، حتى هناك لم ألتق به، لعله كان يتردد عليها... الآن (ضاحكًا) ماياكوفسكي هو الآن ماياكوفسكي. ولكنه آنذاك

كان واحدًا من العشرات الذين كانوا يرفعون عقيرتهم والذين كنا نتعامل معهم بحرص بالغ.

دوفاكين: ألم تكن لديك انطباعات شخصية عنه؟

باختين: أبدًا، فقط عندما...

دوفاكين: إذن حدثني عن... أظن أن لقاءين قد تما بينك وبين مایاكوفسكي بعد الثورة. عمومًا سوف نستكمل الحديث بعد ذلك.

باختين: جرى أول لقاء في حارة ستوليشنيكوف، في منزل من عشرة أدوار؛ حيث كان يوجد، على ما أظن، القسم الأدبي.

دوفاكين: منزل من عشرة طوابق؟ هذا المنزل لم يكن في حارة ستوليشنيكوف، وإنما في بولشوي جنزدنيكوفسكي.

باختين: بولشوي جنزدنيكوفسكي بالطبع، معك حق، يوجد هناك الآن دار نشر "سوفيتسكي بيساتل" (الكاتب السوفيتي) ومسرح "رومين"(*) وما إلى ذلك. آنذاك كان فاليري ياكوفلفيتش بريوسوف، يرأس القسم الأدبي.

دوفاكين: وهل كان القسم الأدبي للجنة الشعبية للتثقيف، الذي كان يرأسه بريوسوف، موجودًا في هذا البيت؟

باختين: نعم كان موجودًا في هذا البيت.

دوفاكين: كان ذلك عامي ١٩٢٠ – ١٩٢١.

باختين: نعم، كان هذا عامي ١٩٢٠ – ١٩٢١. وكنت أتردد عليه. وذات مرة أعلن عن أمسية الشعراء هذه، ومن ثم عرجت

(*) مسرح رومين (تياتر رومين): مسرح الغجر في موسكو. (المترجم)

على مكتب بريوسوف، الذي لم يكن موجودًا وإنما كان هناك نائبه كوزيكو(١٦). كان كوزيكو نائبًا لبريوسوف في القسم الأدبي، ويمكن القول إنه كان واحدًا من البلاشفة القدامى، على الرغم من أنه كان ما يزال شابًا. كان فتى أشقر وسيمًا، بالغ اللطف والرقة. جلسنا نتجاذب أطراف الحديث. كنت قد تعرفت عليه في مكان ما قبل ذلك، لكني لا أذكر جيدًا أين. أظن أنني التقيته للمرة الأولى في أكاديمية الفنون، لكنني لم أكن وثيق الصلة به. وها نحن نتحدث فإذا به يحكي لي عن لقاءاته مع فياتشيسلاف إيفانوف على وجه الخصوص، ثم تحدث بإسهاب عن بريوسوف وأعرب في حديثه عن الاحترام الذي يكنه له باعتباره شاعرًا وعالمًا. الحقيقة أن كوزيكو نفسه كان واسع الاطلاع متنوع المعارف ولكنه لم يكن على الإطلاق عالمًا. ولكنه كان متواضعًا، ودودًا للغاية وليبراليًا إلى أقصى درجة، على الرغم من أنه كان مدفوعًا من الحزب لمراقبة بريوسوف.

دوفاكين: كان بمثابة جاسوس على بريوسوف؟

باختين: نعم، نعم كان جاسوسًا في الواقع على بريوسوف.

دوفاكين: وكان قد التحق لتوه بالحزب.

باختين: نعم كان قد التحق بالحزب، وقد حكى أن بريوسوف، في رأيه، كان ضعيف الشخصية جدًا، وأنه، وإذا جاز القول، كان ... يخاف... وقد قال لي "جاءني خصيصًا لنلعب الشطرنج، وأخذ يستدرجني للحديث عن أحوال الحزب

وكيف ينظرون إليه وإن كانت هناك على أية حال فرص لبقائه وتثبيته أم أنهم في النهاية سيطردونه وهلمجرا". باختصار هذه المشاعر الإنسانية التافهة تظهر لك قدرًا معلومًا من الذعر الذي كان سائدًا، والتي لم يستطع تجاوزها. وهكذا أخذنا ننتظر بريوسوف ولكنه لم يحضر. وفي هذه الأثناء كان هناك أناس يحضرون لقضاء شئونهم لديه باعتباره نائبًا عن بريوسوف وإذا برجل طويل القامة، أدركت للوهلة الأولى أنه ماياكوفسكي: كنت قد رأيت صورته ولعلي رأيته أيضًا ذات مرة. كان يرتدي آنذاك ملابس على الموضة، بينما كان الناس يرتدون في هذه الأيام ملابس رثة. كان يرتدي بالطو متسعًا من أسفل كانت هذه هي الموضة آنذاك. عمومًا كان كل ما يرتديه جديدًا، معاصرًا، وكان المرء يشعر أن ماياكوفسكي كان يدرك طوال الوقت أنه يرتدي ملابس بالغة الأناقة مثل غندور... (يضحك). ولكن في الحقيقة أن الغندور لا يشعر على أي نحو يرتدي ملابسه. وهذه أولى علامات الغندرة. أن يرتدي ملابسه بحيث يبدو أنها لا تضفي عليه أي أهمية. ولكن يبدو أن صاحبنا كان يعاني طوال الوقت من أنه يرتدي بالطو متسعًا من أسفل، وأنه على الموضة وما إلى ذلك، وأن هذه هي شخصيته، باختصار لم أكن معجبًا إطلاقًا بهذا الأمر.

بعد ذلك أعطاه كوزيكو، أذكر ذلك جيدًا، كتيبًا (كان صادرًا بالمناسبة لتوه) أظنها كانت مجلة، طبعة خاصة من

إصدارات القسم الأدبي، آنذاك لم تكن المجلات تحظى باحترام كبير، وكان منشورًا بها أشعار لماياكوفسكي، راح ماياكوفسكي يثني على العدد ثم تصفح تقريبًا أشعاره المنشورة. وبدا أنه يتلذذ بقراءة أشعاره. ولعله كان يتلذذ أكثر بأنها قد نشرت.. ها هم ينشرون له! باختصار فقد ترك هذا الأمر انطباعًا سيئًا لديّ. على أنه ينبغي القول، إن هذا أمر يحدث مع كل الناس عمومًا، صحيح. ولكن، مع ماياكوفسكي، الذي كان على أية حال شخصية كرنفالية، والذي كان في منزلة أرفع من هذا، كنت أتوقع أن ينظر إلى ملابسه وإلى نشر أشعاره هكذا باحتقار. وهنا نجد مفارقة: فقد كان سعيدًا بنشر أشعاره شأن أصغر شاعر، على الرغم من أنه كان مشهورًا منذ زمن وكانوا ينشرون أعماله. لقد بدا هنا مثل الموظف الصغير، لو تذكر، في قصة تشيخوف، الموظف الذي سقط تحت أقدام الحصان، ولما شاع خبر سقوطه، كان في أشد حالات السعادة لأن الصحف كتبت عنه. هذا ما لم يعجبني فيه. لا أتذكر ما الذي قاله آنذاك، لم يتحدث معي، لكنه تحدث مع كوزيكو ثم غادر المكان، وأنا غادرته بعده.

دوفاكين: هل كان هذا هو اللقاء الوحيد...؟

باختين: لا، كانت المرة الثانية التي رأيته فيها بعد ذلك، إذا لم أكن مخطئًا، في المكان نفسه، ومرة أخرى في أمسية للشعراء، كان الشعراء يلقون بأشعارهم، وكان كل شاعر يلقي بشعره باعتباره ممثلا عن اتجاه ما، كانت هذه الاتجاهات

آنذاك، كما تعرف، ظلام دامس. مَن مِن الشعراء لم يلقِ بأشعاره هناك! وقد ألقى فاليري بريوسوف بأشعاره. لم يلق بها وحده، كان على المنصة. ألقى بقصائده لا أنكرها... ولكنى أتذكر هذا المقطع: ...*Klassische Walpurgisnacht*

أم أنهم في موسكو السوفيتية قد حددوا ليلة "فالبورجيف الكلاسيكية"[١٧](*) *"Klassische Walpurgisnacht"*

وعلى هذا النحو كان شعراء لا أعرفهم إطلاقًا يلقون أشعارهم.

وهناك أيضًا كان ممثلو الفنون الأخرى يعرضون أعمالهم. أذكر أن في هذا الوقت تأسست جماعة الواقعيين الجدد في مجال النحت. وهؤلاء كانوا يصنعون من ورق الصحف تماثيل نصفية صغيرة. لعلي أقول إنها كانت ملفتة للانتباه. كان الناس هناك من أصحاب المواهب، ولكن، بطبيعة الحال، لم يكن من الممكن أن يستمر الأمر على هذا النحو أو يصيبه التطور. إطلاقًا. وهكذا، في رأيي، انتهوا عند هذا الحد. وها هو ماياكوفسكي يلقي هناك بقصيدته... "مغامرة..."

دوفاكين: "مغامرة غير عادية". حديث مع الشمس.

باختين: نعم. وقد أعجبني.. أعجبني حضوره على المنصة. وقد تصرف بالمناسبة على المنصة بتواضع. وكان يلقي

(*) ليلة فالبورجيف: ليلة الأول من شهر مايو، وهو عند الألمان القدماء بداية الربيع، وينسب إلى القديس الكاثوليكي فالبورجيا، الذي تتوافق ذكراه مع هذا اليوم. (المترجم)

أشعاره على نحو رائع! على نحو رائـــع!... لقـــد كـــان متحفظًا في إيماءاته... الآخرون كانوا يقولون إنـــه كـــان يطلق لمشاعره العنان... لا، لقد كان متحفظًا. كنت أقـــول لنفسي "والآن، اجلس أيها النجم"، وهو كان يبدو عظيمًـــا وكنت أفكر كيف...

دوفـــــاكين: تدعوه...

بـــاخـــتيــــن: نعم. لقد أعجبني إلقاؤه، أعجبني جدًا وأعجبتني أعماله.

دوفـــــاكين: وأنت كنت مقلا في قراءته عمومًا في هذا الوقت؟

بـــاخـــتيــــن: لا، كنت أقرأ له على أية حال. قرأت له الكثير. في ذلـــك الزمن كنا نقرأ كثيرًا، كنا نبتلع كل شيء بما فـــي ذلـــك السخافات، بالطبع كنت أعرف ماياكوفسكي...

دوفـــــاكين: هل تعرفت وقتها على "غيمة في بنطلون"؟ "غيمـــة فـــي بنطلون"، "الحرب والسلام"، "الإنسان"؟

بـــاخـــتيــــن: كنت أعرفها. نعم، كنت أعرفها، أتذكر جيدًا أن... "الحـــرب والسلام" أعجبتني، كانت تتضمن مقاطع شعرية شيقة، مقاطع جميلة للغاية، ولكنها كانت تتـــضمن أيـــضًا أبياتًـــا زائفـــة، مصطنعة وملفقة، أبياتًا متعمدة، ينبغي القول بالمناسبة، إنه لم يستطع أن يتجنب، حتى نهاية عمره، الاصـــطناع والتعمـــد، حتى في قصيدته "بأعلى صوت" كانت هناك هذه السمات... ولكن أيضًا كانت هناك أبيات رائعة، رائعة!

دوفـــــاكين: وما الذي شعرت أنه مصطنع ومتعمد في قصيدته "بأعلى صوت"؟

باختين: في الحقيقة لا أذكر أبياتًا بعينها. ولكن هناك الكثير منها... لنقل مثلا، هذه الأبيات:

أعرف قوة الكلمات، أعرف الكلمات المنذرة بالخطر

إنها ليست تلك الكلمات التي تصفق للكذب

بعد ذلك تأتي أبيات رائعة:

(ينشدان معًا)

من هول هذه الكلمات تنكشف القبور

تسير على أرجلها الأربع المصنوعة من البلوط

يحدث أن يلقي بهذه الكلمات، فلا تطبع، ولا تنشر

لكن الكلمة تنطلق وقد شدت أعنتها

باختين: تجلجل القرون وتدب القطارات

وتُقبّل الشعر...

دوفاكين: وتلعق.

باختين: ماذا؟

دوفاكين: لا "تُقبّل"، وإنما... هنا تستخدم الكلمة على نحو بلاغي...

باختين: عفوًا، "وتلعق الشعر..." لا، لا، "تلعق"، أنا أتذكر هذا، "... الأيدي الخشبية". ماذا كان يعني هنا، ماذا تظن؟

دوفاكين: المهم هل أعجبك هذا الشعر أم لا؟

باختين: أعجبني بالمناسبة.

دوفاكين: إذن. "... وتدب القطارات تلعق الشعر..." هذا بالضبط ما يشغل الناس في العالم كله في الوقت الحالي، مثلما كان يشغله منذ خمسة عشر عامًا مضت، إذا جاز القول، وإنما

تشكل على نحو مبتذل تمامًا، مثلما تشكلت مشكلة علماء الفيزياء والشعراء على يد سلوتسكي (ضاحكًا) وها هو مایاكوفسكي على أي حال يذكر: أن الشعر فوق كل شيء! وأن القطارات سوف تلعق...

باختين: هذه أبيات قوية بالمناسبة. ثم بعدها: "... ترهة"، "... تبدو ترهة..."

دوفاكين: هذه من المقطع الذي ورد فيه:

أعرف قوة الكلمات: تبدو كترهة
سقطت كورقةَ زهرة أسفل كعوب الرقص
لكن الإنسان، بروحه وشفاهه، وهيكله...
هذه قصيدة لم تكتمل...

باختين: هذا بالمناسبة بيت رائع: "... الإنسان بروحه وشفاهه، وهيكله..."

وكونه لم يكتمل – فهو أمر ليس سيئًا. مفهوم تمامًا. لم تكن هناك حاجة للإثبات. هذا جيد وكفى...

دوفاكين: لقد كانت لديكم، بالطبع، ثقافة بلاغية مختلفة تناسب معرفتكم الواسعة.

باختين: نعم، كان لديَّ ثقافة بلاغية أخرى. ولكن، قد ترون أن هناك على أي حال جانبًا آخر ينبغي الإشارة إليه: لقد كنت على معرفة جيدة آنذاك بالشعر اليساري في الغرب، وخاصة في فرنسا. وقد ابتعدوا هناك بالشعر بعيدًا جدًا، لا أقل ابتعادًا عن الشعراء المستقبليين عندنا. إن مستقبلينا

على أي حال يبدون أطفالا بالمقارنة بهم، بل إنهم كانوا مقلدين لهم في البداية. بما فيهم ماياكوفسكي بدرجة ما.

دوفاكين: أمر مهم للغاية.

باختين: إن الشعر الذي أبدعه، بالطبع، وكل ما كتبه كان من صميم إبداعه.

دوفاكين: هل ترى أن ماياكوفسكي أبدع شعرًا جديدًا على نحو ما؟

باختين: أرى أنه أبدع شعرًا جديدًا، نعم. ولكن ماذا تعني "بشعر جديد"؟

دوفاكين: لا، لا أقصد بمعنى ... الجديد في علم الشعر... وإنما بمعنى المبدأ.

باختين: نعم. دون شك، أظن أنه أبدع...

دوفاكين: وهل أدخل مبدأ جديدًا إلى الشعر الروسي؟

باختين: نعم، نعم. بكل تأكيد.

دوفاكين: وفيم تمثل هذا المبدأ في رأيكم... على أي نحو تحددونه؟

باختين: انظر، الأمر غاية في الصعوبة، فأنا لست مُنظِّرًا للشعر ولكن عادة ما يحددونه باعتباره نبرة جديدة، هنا نبرة جديدة، ليست مجرد نبرة قديمة، ليست مقاطع هجائية. وإنما هي نبرة جديدة.

دوفاكين: إذا قلنا مثلا إن الشعر كان محققًا في نبرة المقطع الهجائي، فإن الجديد في هذا الشعر تمثل في نبرة الأداء...

باختين: نعم، في الأداء... نبرة جديدة، وبعد ذلك، في أنه قد قارب إلى أقصى حد بين هذا الشعر وبين ذلك الكلام... أقصد

تلك الخطابة، الخطابة الخالية من الكلفة، التي كان يستخدمها، لنقل، خطباء عصر كوميونة باريس وهلمجرا: صياح، تقريبًا صياح، عمومًا كان شعره مقاربة لها طابعها بين الشعر وصياح الميادين، الصياح تحديدًا(١٨). حتى إنه هو نفسه كان دائمًا يقول عن نفسه "أنا أصيح"، "أصيح"، أنا "لا أكتب"، لا "أغني"، وإنما – "أصيح". كان صياحًا مميزًا وقد استطاع أن يصنع من هذا الصياح، بشكل ما ــ شعرًا.

دوفاكين: الكرنفالية هي الفكرة الأثيرة لديك.. بالإضافة إلى أنك تضع مضمونًا كبيرًا في هذا الاصطلاح.

باختين: نعم.

دوفاكين: في البداية لم أفهم، ولكني قرأت كتابك عن رابليه، منذ ثلاث سنوات خلت على نحو جيد. وكان ما يزال يُعد كتابًا جديدًا آنذاك. وفي البداية لم أستطع أن أفهم الأمر، فالكرنفال، إذا جاز القول، هو الكرنفال... وقد تناولتم الكرنفال باعتباره أحد المظاهر العامة للفن، الفن الكبير.

باختين: نعم، نعم، هذا صحيح.

دوفاكين: ولهذا اخترتم رابليه... وبعد ذلك... وعلى العكس من ذلك كتبتم عن دستويفسكي... وحدة هذه الأضداد... وفي هذا السياق فإن ماياكوفسكي، هو شخصية استثنائية تمامًا في هذا النطاق.

باختين: إن لديه (ماياكوفسكي – المترجم) على وجه العموم كثيرًا من الجوانب الكرنفالية.

دوفاكين: "الغموض" و"الهزل" موجودان لديه في كل أعماله.

باختين: في كل أعماله، هذا صحيح، صحيح.

دوفاكين: أتعلم، حتى عندما كان يصنع تفاهات كرنفالية؛ بمعنى أمور دعائية وما إلى ذلك، إذن في مغزى هذه الدعايات وما إلى ذلك، تبرق فجأة لديه صور ما غاية في الجدية، والعكس. إنني سعيد أنكم قد تحدثتم عن ذلك على هذا النحو، بدقة وعلى نحو صحيح... إن هذا يسير على عكس ما هو شائع، ولكن ... بالنسبة لكونه ينتمي إلى ... فإن كل شيء هنا يسير في سياقه ... أتصور بشدة... أن الأمر يمكن أن يكون على هذا النحو؛... بمعنى أن ذلك كان يحدث في عام ١٩٢١ أليس كذلك؟

باختين: نعم.

دوفاكين: ولكن ليس بعد عام ١٩٢٢؟

باختين: ليس بعده، ليس بعده.

دوفاكين: إذا كان ذلك قد حدث في خريف ١٩٢٢، إذن فقد كان باستطاعته، بعد رحلته الأولى إلى الخارج، إلى لاتفيا، أن...

باختين: في رأيي أن ذلك حدث حتى قبل هذا.

دوفاكين: ربما كان قبل ذلك؛ أي أنه قد عمل في الأعوام ١٩، ٢٠، ٢١ في روستا(*)، وهناك راح يجلس مرتديًا معطفًا قصيرًا وغطاء رأس من فرو الأستراكان(**)...

(*) روستا (وكالة الأنباء الروسية): المؤسسة الإعلامية المركزية للدولة السوفيتية في عام ١٩١٨ إلى ١٩٢٥. بعدها تحولت إلى وكالة تاس (وكالة أنباء الاتحاد السوفيتي). (المترجم)

(**) فرو الغنم.

باختين: وكان الطقس باردًا.

دوفاكين: ... وحذاء طويلا من اللباد وفوقه حذاء من المطاط.

باختين: لقد كان صيفًا آنذاك. ربيعًا...

دوفاكين: زد على ذلك أنه في طفولته وفي شبابه كان يرتدي بالمناسبة ملابس رثة. ولكن هناك ذكريات عديدة، صورة خاصة أيضًا... هناك كان يظهر أيضًا على نحو شاذ ... ليست غندرة، وإنما على نحو كرنفالي تحديدًا... آنذاك كان يعتمر قبعة عالية.

باختين: لكن بورليوك كان يعتمر أيضًا قبعة عالية.

دوفاكين: بورليوك هو الذي ألبسها له. بعد ذلك ظهرت "صفعة للذوق العام..." وهرع طلبة الفخوتيماس... وهو المعهد العالي للتصوير والنحت والعمارة ليشاهدوا ماياكوفسكي، الذي كان يمر بالمعهد الذي خرج منه مطرودًا قبل ذلك... كان الجميع قد اعتادوا على رؤيته في حذاء رث... وفجأة إذا به يأتي إلى هنا في ملابس قشيبة، لديّ تسجيل لهذه المناسبة، ومن جميع الأدوار هرع الجميع ليلقوا نظرة عليه: "يا إلهي، من هذا؟ ماياكوفسكي؟!" "ويعتمر قبعة عالية!"، "الصعلوك". أما هو فكان يعشق... لم يكن إلى هذا الحد... بالطبع لم يكن غندورًا. لم يكن به ميل للغندرة.

باختين: لا، ليست غندرة، إطلاقًا.

دوفاكين: أنت محق تمامًا لقد كانت لحظته التالية... لحظة استعراض.

باختين: في الختام، لقد شاهدت هذه اللحظة، ولم تكن لحظة عابرة آنذاك، لعلي أدركت، بطبيعة الحال، ما في هذا المشهد من كرنفالية.

دوفاكين: كان هذا مثل بقعة على حائط.

باختين: نعم، نعم.

دوفاكين: فعلا، لقد أصبح بإمكانه أن يفعل ما يتراءى له في هذا الصدد. لقد كان يقامر طوال الوقت. لقد كان إنسانًا مفرط الحماس إلى حد التهور.

باختين: نعم، كان مفرط الحماس.

دوفاكين: انظر كيف كان يقامر! بطريقة وحشية!

باختين: حقا؟ هل كان مقامرًا بارعًا؟

دوفاكين: يقامر بوحشية! بوحشية. تصور أنهم آنذاك كانوا عندما يبدءون لعب الورق لا يتوقفون حتى يقامروا بآخر سروال! "ضعه على المائدة!"، هذا ما حكاه لي فولبين[١٩]. عشر مرات زحف الرجل ليختبيء أسفل المائدة، وماياكوفسكي يطلب ذلك منه، حتى استجاب.

باختين: إن القمار أيضًا... الولع بالقمار هو أيضًا ظاهرة كرنفالية عميقة.

دوفاكين: حسنًا، إذن ماياكوفسكي هو، إذا جاز القول، مجرد مشهد، ولذا لم تتقاطع حياتك ولا تطورك الأدبي معه إلا قليلا.

باختين: قليلا، قليلا.

دوفاكين: هذا ما استشعرته. لقد تصورت ذلك؛ لأنني كنت قد سمعت قبل ذلك أنك التقيت بشكل ما مع جماعة من شباب

لينتجراد، كانت تتجمع أحيانًا حول مارشاك وهي جماعة أوبيريو(*). والحقيقة أنني عندما سمعت عنك، فقد فكرت بالدرجة الأولى: "أخيرًا وجدت من سأستمع منه عن جماعة أوبيريو..." أولا، من كنت في تلك الفترة؟ هل كنت أديبًا مستقلا؟

باختين: في تلك الفترة؟ نعم، في تلك الفترة.

دوفاكين: كنت قد أنهيت الجامعة؟

باختين: لم أكن قد أنهيت الجامعة تمامًا.

دوفاكين: من الذي كان يدفع لك أقساط الدراسة في بطرسبورج في الأعوام ١٨- ١٩-٢٠-٢١؟

باختين: لا، المسألة تتلخص في أنني غادرت بطرسبورج في عام ١٩١٨، الأمر كان على النحو التالي: كان ليف فاسيليفيتش بومبيانسكي واحدًا من أقرب أصدقائي، في الحقيقة، منذ شبابنا، وقد حدثتك عنه من قبل. كان آنذاك يؤدي الخدمة العسكرية، وقد قضى الخدمة في مدينة نيفيل الصغيرة حيث الطبيعة الساحرة... عمومًا فالمكان هناك رائع. وهناك قضى فترة التجنيد الإلزامي، كان يعرف الجميع

(*) أوبيريو: اختصار للاسم "جمعية الفن الحقيقي" وهي جماعة أدبية كانت موجودة في لينتجراد في عام ١٩٢٧ وإلى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، وكانت تضم الشعراء فاجينوف، فيدينيسكي، زابولوتسكي، خارمس وهؤلاء اعتبروا أنفسهم "مبدعين ليس فقط لغة شعرية جديدة، وإنما مبدعين لإحساس جديد بالحياة" تميزت أعمالهم بفقدان المنطق والنزعة العبثية والمبالغة. (المترجم)

وكان الجميع يعرفونه. وقد سافر بالمناسبة إلى بتروجراد في وقت المجاعة، عندما لم يكن هناك أي شـــيء علـــى الإطلاق وقد أقنعني بالسفر إلى نيفيل: فهناك من الممكـــن أن أكمل، وهناك يتوفر الطعام وما إلى ذلك وهذا ما فعلته، كان هذا عام ١٩١٨.

دوفـــــــاكين: وماذا كنت تعمل هناك؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، لقد تم نقل ثانوية نوفوسفينتسيانسكايا. وقد تبين أن مـــدير هذه الثانوية هو أستاذي السابق في مادة الرياضيات، وقد أصبح هنا مديرًا بعدما اشتعل رأسه شيبًا، وأصبح شيخًا، أما أنا فقـــد عملـــت مـــدرسًا فـــــي ثـــانـــويـــة سفـــينتسيـــانسكـــايـــا، أو نوفوسفينتسيانسكايا (فالمدرسة السابقة قد تم إخلاؤها ولاحتلها الألمان)، لم أعمل بها طويلا، أظن شهرين، ثلاثة أشهر، وبعد ذلك قاموا بتحويل المدرسة إلى مدرسة للعمال لكـــن الوضـــع آنذاك بقي على حاله: بقي تلاميذ المدرسة حتى ينتهـــوا مـــن دراســـتهم، وبقـــي المدرســـون، وحتـــى بافـــل آدامـــوفيتش يانكوفيتش[٢٠]، المدير، صديقي، صديقي القديم، بقـــي أيـــضًا، ولكنه لم يعد مديرًا. وإن استمر في الواقع في العمل.

دوفـــــــاكين: إذن فقد واصلت العيش هناك طوال عام ١٩١٨؟

بـــاخـــتيـــــن: وعام ١٩١٩ أيضًا لقد عشت هناك عامين.

دوفـــــــاكين: آه، أخيرًا... فأنا لم أستطع أن أفهم، لماذا حدث لديك هـــذا الانقطاع في التسلسل، ولماذا لم تتذكر المقـــاهي... إذ إن

الأحداث قد تشكلت على هذا النحو في تلك الفترة. لقد غادرتم بطرسبورج، وأقمتم هناك، إذا جاز القول، طوال أشد فترات المجاعة وطأة.

باختين: أقمت هناك فترة ذروة المجاعة. وبقيت فيها حوالي عامين... ثم انتقلت مع صديقي بومبيانسكي إلى فيتيبسك، وهي عاصمة المحافظة. وكانت الثقافة في فيتيبسك آنذاك في أوج ازدهارها: إذ انتقل إليها كثير من أبناء لينينجراد هربًا من الجوع، مؤقتًا بطبيعة الحال.

دوفاكين: وهناك كان شاجال.

باختين: وهناك كان شاجال، لكن شاجال كان مقيمًا هنا، كان من سكانها – وكان طويل الساقين.

دوفاكين: وهل تعرفتم على شاجال؟

باختين: قليلا، نعم، تعرفت عليه، لكنها معرفة قليلة، لا أتذكر كم من الوقت اقتربت منه، لكنه سافر بعد ذلك، غادر البلاد.

دوفاكين: هذا يعني أنكم في عام ١٩٢٠ كنتم ما تزالون هناك؟[٢١]

باختين: كنت ما أزال هناك.... في الأعوام ٢٠، ٢١، ٢٢.

دوفاكين: عفوًا، ولكنكم في عام ١٩٢١؟...

باختين: آه، سافرت إلى موسكو وإلى لينينجراد. سافرت إلى موسكو ولكن لم أقم بها، عمومًا لقد سافرت من لينينجراد (إلى نيفيل – المترجم) ثم عدت بعد ذلك إلى لينينجراد، لقد كنت أذهب إلى موسكو في زيارات خاطفة.

دوفاكين: الآن أصبح الأمر واضحًا.

باختين: عمومًا لم أحب موسكو.

دوفاكين: لم تحب موسكو؟

باختين: لم أحب موسكو، لا، ولكني أقمت في نيفيل عامين... زد على ذلك، أن أمرًا له دلالته في تلك السنوات قد وقع في نيفيل: لقد تأسست هنا جمعية نيفيل العلمية[٢٢]. ولم يكن هذا عبثًا على الإطلاق. بالمناسبة فقد كنت أنا رئيس هذه الجمعية وكان أعضاؤها هم بومبيانسكي، ماتفي إيسايفيتش كاجان، والفيلسوف الكيميائي كوليوباكين[٢٣]. وهذا الرجل للأسف...

دوفاكين: وافته المنية؟

باختين: نعم، على الأرجح، توفي، لا أعرف بالضبط، ولكنني عندما رأيته في المرة الأخيرة (وكان رجلا موهوبًا للغاية)، كان مدمنًا للأفيون بصورة شديدة، مدمنًا لا رجاء في شفائه. أما بالنسبة لهذه الجمعية، فقد كانوا يدفعون لنا، تقررت لنا رواتب. صحيح كانت رواتب تكفي بالكاد... بالطبع...

دوفاكين: وهل كنتم تتلقون جراية ما؟

باختين: جراية – نعم كنا نتلقى جراية. ينبغي هنا أن أذكر أنه طوال العام والنصف، التي قضيتها في نيفيل، كان الأمر بالنسبة للطعام على ما يرام. كل شيء كان متاحًا.

دوفاكين: هذا يعني أنك لم تتضور جوعًا على الإطلاق مثل أهل بطرسبورج؟

باختين: إطلاقًا وكنت أرسل بالطعام لذويّ من نيفيل.

دوفـاكين: وهل كنت متزوجًا آنذاك؟

بـاختـيـن: آنذاك، لا. لم أكن متزوجًا.

دوفـاكين: ومن كانوا "ذويك" هؤلاء؟ والديك؟

بـاختـيـن: ذويَّ؟ أبي وأمي وإخوتي. من الضروري أن أذكر هنا أن أمي وثلاثة من إخوتي لقوا حتفهم إبان حصار لينينجراد[٢٤].

دوفـاكين: وهل لقوا حتفهم من الجوع؟

بـاختـيـن: نعم، ماتوا من الجوع، ماتوا من الوهن والضعف... إبان الحصار... كانت أمي عجوزًا...

دوفـاكين: وهل كان أبوك ما يزال على قيد الحياة؟

بـاختـيـن: أبي مات قبل ذلك. مات قبلها على نحو أفضل، نسبيًا بالطبع.

دوفـاكين: وكم لبثتم في فيتيبسك.

بـاختـيـن: الأمر في فيتيبسك يدعو للاهتمام. لماذا؟ لقد تجمع فيها العديد من ممثلي الإنتلجنتسيا الكبيرة في بطرسبورج، بتروجراد[٢٥] وهؤلاء أسسوا هنا كونسرفاتوار جيد، رفيع المستوى بكل معنى للكلمة[٢٦]. وكان مالكو هو مدير هذا الكونسرفاتوار، ومالكو هو قائد أوركسترا، القائد الرئيسي لأوركسترا مسرح مارينسكي.

دوفـاكين: أوه!

بـاختـيـن: شخصية بارزة، وموسيقى رائع، موسيقى رائع. ثم جاء بعد ذلك دوباسوف، شخصية بارزة للغاية[٢٧]. وقد شغل رئاسة فصل البيانو. كان معلمًا رائعًا. وقد درس على يديه العديد من مشاهير الموسيقى بعد ذلك.

وإلى هنا جاء بريسنياكوف[٢٨]، كان أستاذًا للباليه في مسرح المارينسكي، وكان يمتلك ضيعة صغيرة في إقليم نيفيل وقد عاش هنا أيضًا بدوره، بل كانت هناك شخصيات عديدة أخرى، يعني أن هذا الكونسرفاتوار كان ببساطة شيئًا رائعًا...

فيما بعد، تأسس في فيتيبسك معهد للفنون لم يكن مديره سوى كازيمير ماليڤيتش[٢٩].

دوفاكين: معقول؟!

باختين: نعم... مؤسس السوبرماتيزم *supermatism*.

دوفاكين: هذا إذن عصر "المربع الأسود"[٣٠] أليس كذلك؟

باختين: نعم، ربما كان هو مدير المعهد، وكان له مبنى رائع عاش فيه في يوم من الأيام رجل من رجال البنوك يُدعى فيشنياك[٣١] كان بيته وكان من طراز فريد، وقد وهبه لمعهد الفنون. كان ماليفيتش الروح المحركة لهذا المعهد، وكان شخصًا رائعًا للغاية.

دوفاكين: وهل تعرفتم على ماليفيتش؟

باختين: تعرفت عليه. وقد تقابلنا في هذه الفترة، التي كان موجودًا فيها في فيتيبسك وكانت زوجتي تحبه جدًا، كانت معجبة به. وكنا نقضي معه الوقت في هذا المعهد[٣٢].

دوفاكين: زوجتك؟ هل كنت متزوجًا وقتها؟

باختين: كنت متزوجًا آنذاك.

دوفاكين: أين تزوجت. في نيفيل؟

باختين: لا، في فيتيبسك. زوجتي من فيتيبسك. ما علينا. بالإضافة إلى ذلك كان ماليفيتش مهتمًا بعلم الفلك.

دوفاكين: ماليفيتش؟

باختين: نعم، ماليفيتش، كان لديه...

دوفاكين: لعل ذلك بتأثير خليبنيكوف؟

باختين: ... تليسكوب صغير ... بالطبع كان، جزئيًا بتأثير خليبنيكوف...[٣٣]. وكان يذهب ليلا لتأمل نجوم السماء وما إلى ذلك، بنفس تأمل خليبنيكوف للكون. كان يمتلك قدرة كبيرة على عرض أفكاره على نحو مقنع، سواء باعتباره فنانًا أو باعتباره مفكرًا متفردًا، على الرغم من أنه لم يتلق هذا النوع من التعليم. بالطبع كان لديه تعليم فنيّ... أما ذلك التعليم... كان رجلا واسع الاطلاع، رجلا عليمًا...[٣٤].

دوفاكين: هذا يعني أنه كانت لديه أفكار جمالية ما؟

باختين: حقا. وكان يعبر عنها دومًا. وقد كتب أيضًا كتيبًا لكنه اختفى فيما بعد[٣٥].

دوفاكين: إذن فقد كان بالفعل هو الذي أسس في التربة الروسية ما نسميه اليوم بالمذهب التجريدي ***abstractionism***.

باختين: نعم. ولكنه كان في شكل خاص.

دوفاكين: وما هو السوبرماتيزم؟ "سوبريم" ***supreme*** تعني الأسمى[٣٦].

باختين: السوبرماتيزم؟ لا، الفكرة هنا، الأعلى، الأخيرة في الفن.

دوفاكين: سوبريم؟

باختين: نعم، سوبريم، سوبرماتيزم. والآن فهو، خلافًا للتجريديين

على أية حال... يعد استمرارًا لتقاليد خليبنيكوف – الكونية...

دوفاكين: أها... العالمية والشمولية.

باختين: الكونية، بمعنى العالم الكبير *macrocosmos*. الكون، هذا هو ما كان يشغله.

دوفاكين: ... يثيره...

باختين: كان يقول، في واقع الأمر، إن الفن لدينا في إطار ضيق، في فضاء ثلاثي الأبعاد، في ركن، زاوية، في... غرفة صغيرة، خزانة لا أكثر... في مساحة لا تكفي هذا الفن ومن ثم فقد كان يسعى، إذا جاز القول، أن ينفذ خلال الكون. أتذكر المرة الأولى التي تعرفت عليه فيها. كنت قد ذهبت إلى هناك مع شخص ما، لا أتذكره الآن، ببساطة لكي أتعرف عليه وعلى مدرسته. وقد استقبلنا بترحاب شديد، وقادنا إلى الفصول شارحًا لنا الأوضاع بها. أتذكر أول شرح قدمه لنا، فقد اقترب من أحد التماثيل وقال: "هاكم هذا التمثال. هنا أبعاد ثلاثة كما لو كان..." وأخذ في عرض كل شيء... كان بإمكانه علاوة على ذلك أن يفعل كل ذلك بدقة متناهية. "وأنا، الفنان الذي أبدع هذا العمل، أين مكاني من هذا التمثال؟ إذ إنني أقف خارج هذه الأبعاد الثلاثة التي قمت بإبداعها. أنت تقول: وأنا أيضًا موجود في أبعاد ثلاثة. لكنها أبعاد ثلاثة أخرى، مختلفة. أتأملها سواء باعتباري فنانًا متأملا أضع عيني في اتجاه هذه

الأبعاد الثلاثة، في البعد الرابع، إذا ما حسبناها على نحـو رياضي. لكن حسابها رياضيًا أمر مستحيل، فلا يمكن أن نقول: ثلاثة أبعاد، إنها ثلاثة وثلاثـون بعـدًا، ثلاثمائـة وثلاثون وهلمجرا، إنها أبعاد ثلاثية لها. وهكذا فإنني أضع عيني فقط على الأبعاد العالمية، الأبعاد الكونية، المسكونية بالطبع فإنني، باعتباري إنسانًا بطبيعة الحال... باستطاعتك أن تضربني وأشياء من هذا القبيل، لكن حاول أن تضربني باعتباري فنانًا... إن عيني بعيدة عن عينيك..."[٣٧]

دوفـاكين: إن عيني التي أرى بها لا يمكنها أن تؤثر فيك... أليس هذا ما تقصده؟

باختين: نعم، نعم، هذا هو الأمر. لا تستطيع أن تفعل لي شيئًا. كل هذا كان مقنعًا للغاية بشكل ما، لأنه كان إنسانًا... إنه لـم يخترع شيئًا من عنده، ولم يكن متكلفًا، إطلاقًا. كان مقتنعًا بعمله. وكان لديه بعض الهوس. ولكن الأمر انتهى به في مستشفى المجانين بالمناسبة[٣٨].

دوفـاكين: معقول؟

باختين: لقد مات في مستشفى المجانين في فقر مدقع...

دوفـاكين: أين؟

باختين: في موسكو على ما أظن.

دوفـاكين: ألم يهاجر؟

باختين: لا، لا، لم يهاجر بالطبع فقد انتشرت مؤلفاته في كل مكان، لقد لاقت أعماله الإنشائية في أمريكا، والتي عرفت باسـم

السوبرماتيزمية، نجاحًا كبيرًا إبان حياته. على أنه صرح أن هذه الأعمال لم توضَّح على النحو الصحيح، إذ كان ينبغي أن توضع في وضع أفقي، لا في وضع رأسي كما فعلوا. على أي حال ستبقى السوبرماتيزمية هي السوبرماتيزمية، فهذا الوضع لن يقوض مغزاها الفني، ولكن اكتمال الفكرة يتضح على أية حال، إذا جاز القول، في هذا الوضع تحديدًا. عمومًا فقد حظيت أعماله بنجاح كبير في أمريكا آنذاك(٣٩).

دوفاكين: آنذاك؟

باختين: آنذاك، آنذاك. لقد راجت إنشاءاته في أمريكا... كانوا يستخدمونها...

دوفاكين: وعندنا؟ ... أعرف أنه قام بالتدريس هناك، ثم ماذا حدث له بعد ذلك؟

باختين: عاش في فقر مدقع ثم أودع مستشفى الأمراض النفسية. بعد مغادرته لـڤيتيبسك بوقت قصير للغاية، حتى أنا لا أعرف أي مرض أصابه، لا أعرف قد يكون ... من يعرف؟... في ذلك الزمن كان من الصعب...

دوفاكين: من الصعب التحقق من الأمر.

باختين: ... ذهان حاد... ربما عصاب وليس ذهانًا، لقد كان هزيلا.

دوفاكين: كان هزيلا.

باختين: لم يكن كذلك عندما كنا نعيش في ڤيتيبسك لأن الطعام هناك كان جيدًا، كان بإمكانك أن تشتري ما تشاء. آنذاك

كان رجلا، لعلي أقول، بدينًا، رجلا بدينًا... كان وجهه... كان رجلا قويّ الإرادة.

دوفـاكين: وهل كان على شاكلة جيل مایاكوفسكي بصورة نموذجية؟

بـاختين: صحيح. لقد كان تسعينيًا، صحيح، صحيح. لم يكن متقدمًا في السن. ربما كان أكبر مني في السن قليلا على أية حال، لا أتذكر ذلك الآن، ولم أكن أعرف سنه بالضبط. كان أكبر مني قليلا. وفي الوقت نفسه ينبغي القول إن تلاميذه وتلميذاته كانوا يحبونه إلى درجة العبادة وقد أدمنوا جميعًا هذا التأمل شبه الصوفي لأعمال الكون وما إلى ذلك. وجميعهم خرجوا من إطار الفضاء العادي في أعمالهم الفنية. وقد آمنوا جميعًا بهذا بشكل مقدس. لقد حدث الأمر على هذا النحو بالفعل، وأكرر، لا يوجد هنا زيف أو أي شكل من أشكال التلاعب[٤٠].

دوفـاكين: هذه صورة غير متوقعة له.

بـاختين: نعم، اسمع، عمومًا فقد كان شخصًا شيقًا للغاية، وكان الحديث معه أمرًا مثيرًا للاهتمام. ولكنه كان مع ذلك نزيهًا للغاية. لم يكن يسعى لنجاح أو منصب أو مال أو طعام جيد، لم يكن بحاجة إلى أي شيء من هذا. كان مقتنعًا عن إيمان أنه يكتشف شيئًا مطلقًا وأنه نجح في النفاذ في أعماق الكون، الذي لم يتسنَّ لأحد أن يلقي نظرة عليه.

دوفـاكين: من كان أيضًا في ڤيتيبسك؟ هذه المدرسة الفنية... كان مديرها هو ماليفيتش، أليس كذلك؟

بـاختين: كان ماليفيتش هو المدير، نعم. ولكن كان هناك شخص أفضل أستاذ اسمه بن[٤١]. كان بن فنانًا وكان ذائع الصيت ولكنه كان عاديًا على وجه العموم.

دوفـــــاكين: هل كان شخصية عادية؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، كان شخصية عادية، كان بالتحديد واقعيًا من أتبـــاع مدرسة البيريدفيجنيكي[*] *peredvizhniky*، لم يكن ذا شـــأن ولكنه كان يمتلك بطبيعة الحال...

دوفـــــاكين: أظن أن شاجال درس على يديه.

بـــاخـــتيـــــن: جائز. فلم يكن من الممكن بالطبع الدراسة إلا على يديه.

دوفـــــاكين: عرفت الآن كيف عرفته: الذي حدثني عن شـــاجال هـــي ألكسندرا ڤينيامينوڤنا أزرخ[٤٢]. وأنت ألم تتعـــرف علـــى ألكسندرا ڤينيامينوڤنا، ألكسندرا ڤينيامينوڤنا أزرخ، والتي حملت اسم جرينوفسكايا بعد ذلك، على الرغم مـــن أنهـــا ربما كانت تحمل اسمًا آخر قبل الزواج؟

بـــاخـــتيـــــن: لا أتذكر.

دوفـــــاكين: لقد حدثتني عن شاجال... وعن ميخويلس، وكان يعـــيش هناك أيضًا (في ڤيتيبسك – المترجم).

بـــاخـــتيـــــن: ميخويلس كان هناك، صحيح. ولكنني لم أتعرف عليه.

دوفـــــاكين: ألم يكن هناك معهد للفنون المسرحية؟

بـــاخـــتيـــــن: لم يكن هناك معهد للفنون المسرحية. ولكن جرى إنـــشاء حلقة مسرحية تابعة للكونسرفاتوار...

دوفـــــاكين: وكان من بين أفرادها ميخويلس.

(*) البيريدفيجنيكي (الانتقاليون): فنانون واقعيون انضموا إلى الجمعية الفنية الديموقراطية الروسية. انشقوا عن النزعة الجمالية المثالية الأكاديمية واتبعوا منهج الواقعية النقدية والتوجه نحو التصوير الصادق للحياة وتاريخ الشعب. (المترجم)

باختين: ميخويلس؟ نعم، على الأرجح أنه كان منضمًا لها.

دوفاكين: هذا معناه إذن أنه بالرغم من أنها كانت مدينة صغيرة، فإن هذه الجماعة لم تكن ذات كيان واحد.

باختين: لا. ولكن المدينة لم تكن صغيرة. لقد كانت مدينة كبيرة في محافظة ومثقفة للغاية. وقبل ذلك كان هناك العديد من المثقفين المنحدرين من ڤيتيبسك، العديد...

دوفاكين: يمكن أن نخص بالذكر كاجان – بريك، ليلا يوريفنا، التي أنهت المدرسة الثانوية فيها[٤٣].

باختين: وفيها أيضًا أنهي الفيلسوف لوسكي؛ البروفيسور لوسكي، المدرسة الثانوية، وهو أستاذي في الجامعة.

دوفاكين: هذا الرجل الذي عاش حتى عام ١٩٦٥.

باختين: وقد علمت منذ فترة أن والد ديلفيج عاش هناك مدة طويلة، ديلفيج زمن بوشكين، وقد حضر ديلفيج إلى هناك لزيارة والده في ڤيتيبسك وكان بها كوكبة من هؤلاء الأعلام...

دوفاكين: إذن يمكن وصف ڤيتيبسك بأنها واحدة من تلك المراكز الثقافية...

باختين: ... كانت عشًا، نعم، بكل تأكيد. وفي تلك الفترة كانت... ثم بعد ذلك، بطبيعة الحال، مرة أخرى... حدث ذلك... عندما اهتز كل شيء وتفرق الجميع، فهاجر مالكو وبريسنياكوف وغيرهم ممن كانوا يعيشون فيها، ثم هاجر هذا ... ماليفيتش، ومات بعدها.

دوفاكين: إذن كان هذا العش موجودًا على وجه العموم، وخصوصًا أنه قد ترعرعت هناك... تلك القوة، مثل شاجال، وفي الوقت الذي كانت بتروجراد تعاني من الفاقة، كان هناك ازدهار.

باختين: حقا، كان هناك ازدهار.

دوفاكين: وأنتم، كم لبثتم في ڤيتيبسك؟

باختين: مدة طويلة للغاية، حتى عام... حتى عام ١٩٢٣ تقريبًا؛ أي ثلاثة أعوام كاملة، وفي العام الرابع سافرت، عدت...[٤٤].

دوفاكين: أي أنك جئت إليها ما بين عام ١٨ – ١٩ وظللت بها أعوام ٢١، ٢٢، ٢٣؟

باختين: نعم، وقد عقدت قراني بالمناسبة في عام ٢١، في مايو عام ٢١[٤٥].

دوفاكين: وهل كانت زوجتك من أهل البلد؟

باختين: إطلاقًا، لم تكن من أهل البلد.

دوفاكين: وما اسمها؟

باختين: كان أبوها رجلا بارزًا، موظفًا كبيرًا، في هذه المحافظة قبل الثورة، بالإضافة إلى أنهم كانوا يملكون ضيعة صغيرة بالقرب من بولوتسك[٤٦]. وقد عشت فيها صيفين أو ثلاثة عندها، وكان والداها ما يزالان على قيد الحياة. وقد وُلدت زوجتي في هذه الضيعة تحديدًا وكانت بالقرب من بولوتسك، والتي تبعد عن ڤيتيبسك بضع خطوات.

دوفـــــاكين: وما هو اسم زوجتك ولقبها؟

بـــاخـــتيـــــن: يلينا ألكسندروفنا أوكولوفيتش.

دوفـــــاكين: أوكولوفيتش.

بـــاخـــتيـــــن: أوكولوفيتش، نعم بيرش – أوكولوفيتش.

دوفـــــاكين: بيرش؟ ما هذا، هل هو اسم يهودي؟

بـــاخـــتيـــــن: "بيرش" مثل... مثل "فون" أو "دي" في اللغـــة الفرنـــسية (متذمرًا) "دي" أو "فون" كانت تضاف إلى ألقاب العائلات النبيلة، "بيرش" ليست اسمًا لعائلة. بيرش – أوكولوفيتش، هذا هو المعنى... لا أتذكر الآن جيدًا... لقد كانـــت مـــن أصل بلغاري نبيل. وهذا الأصل البلغاري قديم جدًا، وكان والداها من الروس الأقحاح.

دوفـــــاكين: الآن فهمت، إذن موسكو لم تكن بالنسبة لك سوى محطـــة انتقال.. انتقلتم بعدها؛ أي في عام ١٩٢٣ إلى بتروجراد، حيث عشتم فيها حتى عام ١٩٢٩؟

بـــاخـــتيـــــن: عشت فيها حتى عام ١٩٢٩.

دوفـــــاكين: ما زلت أذكر كتابكم(*)، ولكن... ولكنكم لم تحظوا بشهرة مدوية...

بـــاخـــتيـــــن: لا، وإنما حظيت بالشهرة في عدد من الحلقـــات الـــضيقة فقط. كانـــت حـــولي حلقـــة تعـــرف الآن باســـم "حلقـــة بـــاخـــتيـــــن"... بدءوا الآن يكتبون عنها أحيانـــا فـــي

(*) المقصود كتاب باختين "مشكلات إبداع دستويفسكي" الصادر عام ١٩٢٩. (المترجم)

الآونة الأخيرة. على رأس هذه الحلقة بومبيانسكي، بافل نيكولايفيتش ميدفيديف(٤٧)، فولوشينوف. بالمناسبة فقد عاشوا جميعًا في نيفيل، اللهم إلا ميدفيديف.

دوفاكين: ميدفيديف، أليس هو الذي كتب أيضًا عن بلوك بعد ذلك؟ أو عن بريوسوف؟

باختين: نعم، كتب عن بلوك. كان أول كتاب له هو "الطريق الإبداعي لبلوك"(٤٨).

ثلاثتهم عاشوا في ڤيتيبسك أيضًا وهناك، في واقع الأمر، وضعت بذور هذه الحلقة التي تأسست فيما بعد في لينينجراد... وهناك كنت أقرأ المحاضرات على نحو خاص تمامًا في بيتي... في الفلسفة في البداية، فلسفة كانط (كنت آنذاك شديد الولع بكانط)، ثم ظهرت لدينا بعد ذلك عمومًا موضوعات أكثر اتساعًا(٤٩).

دوفاكين: ألم تقم بالتدريس في جامعة بطرسبورج أو لينينجراد؟

باختين: أنا، لا، لم أدرس، لم أتمكن. كان من الضروري أن أقوم بالتدريس. ولكني لم أتمكن.

دوفاكين: ألم تشارك في حلقتي بوجاطيريف وشكلوفسكي؟

باختين: لا، لا.

دوفاكين: وحتى لم تنشأ بينكما أي علاقات، أي اتصالات؟

باختين: لم يحدث، في رأيي، لم تكن هناك أي اتصالات.

دوفاكين: بوجاطيريف، شكلوفسكي، فينوكور، ياكوبسون...

باختين: المسألة أن... نعم، فينوكور... فينوكور؟ كانت هناك ثمة علاقة معه، تعرفت عليه.

دوفـــــاكين: إنه على أي حال من جماعة أوبوياز...

بـــاخـــتيــــن: نعم، ولكن فينوكور لم تكن له علاقة بأوبوياز، في رأيي لم تكن له علاقة بها.

دوفـــــاكين: عمومًا فقد كان فينوكـــور تلميـــذاً لأوشـــاكوف، وكـــان أوشاكوف تلميذاً لفورتوناتوف.

بـــاخـــتيــــن: نعم، نعم، كان استمرارًا لفورتوناتوف الشهير... المدرسة الروسية لا مدرسة بطرسبورج...

دوفـــــاكين: ألم يكن من بينهم بودوين دي كورتينيه؟

بـــاخـــتيــــن: ... بودين دي كورتينيه، حقا، حقا.

دوفـــــاكين: ألم تلحق ببودوين دي كورتينيه؟

بـــاخـــتيــــن: لحقت بدي كورتينيه، وكيف لا، بالطبع لحقت به واستمعت إلى محاضراته. (...)

انظر عمن أيضًا نستطيع أن نتحدث. لقد غادرتها وكـــان اسمها بطرسبورج وعدت إليها وقد أصبحت لينينجراد.

دوفـــــاكين: كيف يكون الأمر على هذا النحو؟ في عـــام ١٩٢٤؟ لقـــد كانت ما تزال تُسمى بتروجراد في عام ١٩٢٣.

بـــاخـــتيــــن: صحيح. ولكن سرعان ما أصبحت لينينجراد.

دوفـــــاكين: لقد أصبحت لينينجراد في مايو ١٩٢٤.

بـــاخـــتيــــن: صحيح، صحيح، في عام ١٩٢٤، وسواء أكان الأمر على هذا النحو أو ذاك فقد عشت فيما بعد في لينينجراد، وكـــان الأمر على النحو التالي... كانت هناك عدة صـــالونات... صالونات أدبية. وكان صالون شيبكينا - كوبرنيك علـــى

وشك الاختفاء وقد حضرت هذا الصالون في الأعوام الأخيرة من وجوده[٥٠].

دوفاكين: وماذا عن صالون شيبكينا – كوبرنيك هذا، وهل كان على قدر من الأهمية على أية حال؟

باختين: لا، لم يعجبني كثيرًا... على أية حال... كان هناك بعض الشخصيات "أنتيكة" من قبل الطوفان...

دوفاكين: مثله مثل صاحبته.

باختين: بالضبط، مثله مثل صاحبته، جنرالة(*) روسية سابقة. ثم انتمت إلى أسرة من المحامين، المحامين القدامى البارزين. والحقيقة أن هذا الصالون لم يكن صالون شيبكينا – كوبرنيك بقدر ما كان صالون زوجها، بولينوف نيكولاي بوريسوفيتش بولينوف. كان أخًا للأكاديمي بولينوف[٥١]. كان محاميًا... طيب القلب، مثقفًا. كان مغرمًا بالفلسفة وبعلم الجمال على وجه الخصوص وبالفن والشعر. وهناك أيضًا محاضرات متنوعة وقرأت بعض البحوث وما إلى ذلك.

دوفاكين: أوه. حاضرت هناك؟

باختين: حاضرت أيضًا.

دوفاكين: كلها محاضرات في موضوعات فلسفية؟

باختين: نعم، فلسفية وفي علم الجمال بصفة رئيسية، فلسفية – جمالية.

دوفاكين: باعتبارك كانطيًا؟

(*) يطلق الروس عادة وصف جنرالة على زوجة الجنرال. (المترجم)

باختين: نعم.

دوفاكين: وسمحت لنفسك بهذا الترف، إذا جاز القول، أنا طبعًا أقول هذا من باب الدعابة، سمحت لنفسك بهذا الترف أن تقرأ محاضرات في الفلسفة وفي لينتجراد عام ١٩٢٤ باعتبارك كانطيًا؟

باختين: نعم، وباعتباري كانطيًا.

دوفاكين: لعل هذا ما ذهب بك بعد ذلك وراء الشمس؟

باختين: نعم، هذا ما ذهب بي إلى هناك، لم يكن هناك آنذاك ما يخيف... ثم ظهرت بعد ذلك مقالة... مقالة الأخوين تور، اسم مستعار...

دوفاكين: اسم مستعار؟

باختين: نعم. أي دون ذكر الأسماء الحقيقية، كاتبا المقال كانا معروفين باسم الأخوين تور، واستنادًا إلى المواد...

دوفاكين: هل كان مقالا هجائيًا؟

باختين: استنادًا إلى ما لديهم من مواد... نعم، شيء يشبه المقال... مقالا هجائيًا...

دوفاكين: استنادًا إلى مواد ذكرتها في هذا الصالون؟

باختين: ملفات، نعم، ... في مي.. جي. بي.

دوفاكين: أخ! هذا ما حدث بعد ذلك.

باختين: في جي بي أو أولا.

دوفاكين: مهلا، في عام ١٩٢٤ لم يكن هناك سوى!

باختين: كلا، لقد كان هذا صحيحًا بالطبع، إما في عام ٢٩ أو عام ٣٠. لقد ذكر هؤلاء أنني قرأت محاضرات في فلسفة كانط وما إلى ذلك. ومن ثم اتهمت بأنني أقرأ محاضرات ذات طابع

مثالي بصورة غير رسمية. وفي الحقيقة فلم يوجه إلى اتهام.. كان هناك استجواب وحيد.. ينبغي القول إن جي. بي. أو في هذا الوقت كانت لا تزال تتبع تقاليد ديرجينسكي، كانوا لا يزالون متمسكين بتقاليد ديرجينسكي. ولهذا فلم تكن هناك حاجة بي مثلا لأن أقدم شكوى، كان استجوابًا مهذبًا من جميع النواحي.

دوفاكين: ألم يشتموك ويضربوك؟

باختين: أبدًا، أبدًا، أبدًا! كلا، كلا. كان المدعو إيفان فيليبوفيتش بتروف هو رئيس القسم الثاني آنذاك، وكان هو نفسه أديبًا متواضعًا، كان مهذبًا للغاية، متعاطفًا بشكل واضح معي باعتباري باحثًا في الأدب، وكان المحقق يدعى سرومين سترويف، رجلا فاضلا أيضًا[٥٢]. بعد ذلك أعدما رميًا بالرصاص لعلاقتهما بقضية مقتل كيروف؛ لأنهما كانا على علم ببعض الأمور، ومن ثم تطلب الأمر إزاحتهما، وقد تم إزاحتهما وتخلصوا منهما.

دوفاكين: مفهوم.

باختين: على هذا النحو سار الأمر، ظهرت آنذاك المقالة باسم "رماد أشجار البلوط".

دوفاكين: "رماد أشجار البلوط".

باختين: "البلوط"، نعم، "رماد أشجار البلوط". "البلوط" هم كانط وفلاديمير سولوفيوف وغيرهم، أما نحن...

المحاورة الرابعة

١٥ مارس ١٩٧٣

دوفـــــاكين: إذن، ميخائيل ميخايلوفيتش، لنواصل حديثنا ولننتهي مما توقفنا عنده في المرة السابقة، بشأن مقالة ما.

بـــاخـــتيـــن: آنذاك نشرت صحيفة "كراسنايا جازيتا" (الصحيفة الحمراء) المسائية، وكانوا يسمونها آنذاك "بيرجيفكا"؛ لأنها كانت بالفعل تشبه صحيفة "بيرجيفى فيدوموستى" القديمة التي كانت تصدر قبل الثورة، مقالة الأخوين تور(*) بعنوان "رماد أشجار البلوط"(١) وصفا فيها دائرة من المثقفين الذين تعرضوا للاضطهاد على يد أمن الدولة (جي. بي. أو) وفي هذه المجموعة كان هناك أناس يمثلون أجيالا مختلفة. وفي الواقع، جماعات مختلفة. ولكن هذه المقالة شملت كل الجماعات. الحقيقة فقد تعرضت المقالة لهذه وتلك من شتى الجماعات، ولكنها لم تحدد أشخاصًا بعينهم، اللهم إلا ممثلي الجيل القديم فقط: مثل الأكاديمي بلاتونوف...(٢)

دوفـــــاكين: بلاتونوف؟ أليس هو نفسه...؟

بـــاخـــتيـــن: وزيرًا، نعم، نعم، نعم.

(*) الأخوان تور: اسم مستعار لاثنين من كتاب المسرح ومؤلفي القصص البوليسية: ليونيد توبيلسكي (تو) (١٩٠٥ – ١٩٦١) وبيتر ريجي (ر) (١٩٠٨). (المترجم)

دوفاكين: (ساخرًا) لقد كان الأمر مقررًا، وفي رأيي، حتى بدون علمه. ربما لم يعلم هو نفسه بذلك.

باختين: عمومًا الأمر كله هراء، كلام فارغ!. شخص ما هناك، لا أدري، تبدو عليه مظاهر سكير في حانة باريسية، خطرت له فكرة وضع قائمة أسماء، يمكن تعيينها إذا ما سقط البلاشفة، هذا هو الأمر ببساطة، من يعلم؟!.

دوفاكين: لا، لا، المسألة.. لقد كان هذا هو الحزب الصناعي نفسه، بقيادة رامزين....

باختين: نعم، أعرف.

دوفاكين: هذا ما أوردته الصحف. تعيين مجلس وزراء. هؤلاء لم يكونوا من المهاجرين. وفي القائمة، في رأيي، (قد أكون مخطئًا)، رئيس الوزراء، كان يجب أن يكون بلاتونوف، ثم رامزين في منصب آخر، وتارلي وزيرًا للخارجية.

باختين: نعم، نعم، لكن المسألة أن الأمر في البداية قد ظهر على نحو مختلف تمامًا: كما لو أن هذه القائمة قد جرى إعدادها في المهجر، وكما يبدو فإن رامزين قد أحضرها معه من الخارج.

دوفاكين: جائز، ولكني لا أعرف هذا الأمر...

باختين: ما علينا، على أي حال. هذه مسألة، باختصار، لا تهمنا.

دوفاكين: لا علاقة لهذا بموضوعنا.

باختين: هذه ترهة غاية في السخافة وبالطبع لا تارلي ولا بلاتونوف حصلا على مناصب وزارية. وقد ظهر

بعدها هناك أيضًا رئيس الجمعية الدينية الفلسفية المدعو كارتاشيف بصفته وزيرًا للأديان. وهذا الرجل كان بالفعل وزيرًا للأديان في حكومة...

دوفاكين: .... كيرينسكي...

باختين: نعم، نعم. في واحدة من الحكومات الأولى، في الحكومة المؤقتة، نعم، نعم. وقد حضرت آنذاك الاجتماع الأخير للجمعية. وقد ألقى علينا وقتها محاضرة بصفته وزيرًا، لا رئيسًا للجمعية.

دوفاكين: فلتستكمل حديثك عن المقالة.

باختين: حقا! إذن لقد ورد في هذه المقالة أن هناك ممثلين للمثقفين السوفيت لا يزالون يواصلون تمسكهم بالتقاليد القديمة، تقاليد ما قبل الثورة، تقاليد أناس، مثل ... هؤلاء العلماء، مثل كانط وهيجل، مثل.. فلاديمير سولوفيوف وغيرهم.

دوفاكين: باختصار، يواصلون التأكيد على الفلسفة المثالية.

باختين: الفلسفة المثالية، والظلامية الدينية وهلمجرا. وأنهم، بالطبع، قد فقدوا التربة التي يقفون عليها. وأن هؤلاء لا مكان لهم. وأن كانط والآخرين كانوا مثل أشجار البلوط، أما هؤلاء فليسوا سوى مجرد رماد لها: وأن التربة التي أنبتت تلك الأشجار لم يعد لها: منذ زمن بعيد، وجود الآن. هذا تقريبًا مغزى المقالة.

دوفاكين: في الحقيقة كان الرماد هو هذه الأفكار؟

باختين: كانت... نعم، الأفكار. الحقيقة أنهم كانوا يريدون أن يقولوا إن هذه الأفكار قد فقدت أيضًا أي تربة صالحة لها، أي تربة،

ومن ثم فإن أولئك الذين يبشرون بهذه الأفكار، ليسوا أشجار بلوط، وإنما مجرد رماد لهذه الأشجار، هذا هو الأمر.

دوفـــــاكين: أهذا ما كتبه الأخوان تور؟

بــاخــتيـــن: نعم، هذا ما كتبه الأخوان تور. أظن أنهما لا يزالان على قيد الحياة، ومن حين لآخر يمكن أن تقابل اسـمهما. لـم يكونا أخوين، وربما هما يكونان كذلك بطريقة أو أخــرى. باختصار، أحدهما، توبيلسكي، والآخر- ريجي. توبيلسكي - تو.. والآخر ر- ريجي.

دوفـــــاكين: آه، لم أكن أعرف ذلك، هذا إذن تفـسير لـشفرة الاسـم المستعار؟ مثل الاسم المستعار "الكوكرينيكسيون"؟(*)

بــاخــتيـــن: تمامًا، والأخوان تور من أوديسا، ولكنهما آنذاك، لـم يعـودا كذلك بالطبع، وإنما من سكان بتروجراد، وكانـت تربطهمـا علاقات بأمن الدولة، ولهما مقالات أخرى استندا فيهـا إلـى معلومات استقياها من أمن الدولة. كان أمن الدولة آنذاك يمـد هؤلاء الصحفيين "التقدميين"، من أمثال الأخوين تور، بمـواد من هذا القبيل عن طيب خاطر (مبتسمًا ابتسامة ساخرة).

ومن ثم بدأت بعد ذلك ملاحقة العديد من المثقفـين الـذين جرى اعتقالهم ونفيهم . وكنت واحدًا من بينهم.

(*) الكوكرينيكسيون: اسم مستعار مكون من المقاطع الأولى لأسماء ثلاثة رسامين: كوبريانوف، كريلوف، سوكولوف، كانوا يقومون بعمل رسوم كاريكاتورية لاذعة ينتقدون فيها المشكلات اليومية الداخلية والعالمية من الثلاثينيات وحتى السبعينيات، كما قدموا رسومًا توضيحية لأعمال الكتاب الروس: سالتيكوف – شيرين، أنطون تشيخوف، جوركي، كانوا يعملون بشكل جماعي أو فردي وحصلوا على جوائز عديدة من الدولة (المترجم).

دوفاكين: أي أن الجميع، الذين كانوا... لم يرد ذكر أحد... لكن الذين كانوا مقصودين، عند ظهور المقالة، تم اعتقالهم؟

باختين: تم اعتقالهم وفي رأيي تم نفي الجزء الأكبر منهم.

دوفاكين: هل أُدينوا؟

باختين: نعم، أُدينوا بل وتم نفيهم بناء على الحكم الصادر بحقهم.

دوفاكين: وهل استمر حبسهم طويلا؟ هل احتجزوا في لوبيانكا(*) طويلا؟

باختين: لا، ليس في لوبيانكا. وإنما في بيت الحبس الاحتياطي (دي. بي. زي) في لينينجراد. في شارع شباليرنايا. ففي هذا الشارع يقع بيت الحبس الاحتياطي، أما في شارع جوروخوفايا فتقع وزارة أمن الدولة (مي. جي. بي) نفسها.

دوفاكين: تقصد إدارة أمن الدولة (جي. بي. أو)

باختين: نعم، نعم، جي. بي. أو في شارع جوروخوفايا. ولكن ينبغي أن أذكر أنهم تعاملوا معنا، ومعي على وجه الخصوص في مي. جي. بي (مصححًا) أقصد في جي. بي. أو باحترام. يحضرني هنا بالمناسبة موقف طريف (يضحك) ولكن ليس من الضرورة تسجيله. الذي حدث، باختصار، أن هناك امرأة، خادمة، كانت تقول: "ابني؟ ابني غير موجود. إنه مسافر طوال الوقت إلى أمريكا: إما إلى تشي كاغو، وإما إلى جيبيوجو(**) وما إلى ذلك"، وهي تقصد (ضاحكًا) أن فتاها مسجون دائمًا. نعم...

(*) لوبيانكا: اسم الميدان الذي يقع فيه مبنى أمن الدولة في قلب مدينة موسكو (المترجم)

(**) التلاعب هنا بالألفاظ فالحروف الأولى من تشيكاجو وهي تشي كا تعني بالروسية لجنة الطوارئ وهي إحدى لجان أمن الدولة والحروف الأولى من جيبيوجو وهي جي. بي. أو تعني لجنة أمن الدولة. (المترجم)

دوفـــــاكين: دعنا من الطرائف، وأصل.

بــاخــتيـــن: نعم... كانت المعاملة لائقة تمامًا: لم تتخذ أيــة إجــراءات قسرية. كان الناس مهذبين للغاية، وكانوا علـــى درايـــة، وبالأخص، بالأدب (وقفة) لن نسميهم.

دوفـــــاكين: كان ذلك؟ ... أقول لك لماذا؟ ربما كان هذا إبـــان فتــرة ديرجينيسكي(*).

بــاخــتيـــن: لا، كان هذا في فترة مينجينسكي، لكن تقاليد ديرجينيسكي، الذي كما تعلم، لم يكن يــسمح باســتخدام القــسوة مــع المساجين، كانت سارية. كان رجلا، بصفة عامة، مهــذبًا، مهذبًا للغاية.

دوفـــــاكين: ما الحكم الذي صدر بحقكم إذن؟

بــاخــتيـــن: كانت أحكامًا متنوعة.. لكن أهمها...

دوفـــــاكين: عمومًا، من كانوا؟ اذكر لي أسماء هذه الجماعة، هــؤلاء "الرماد". من منهم دخل إلى المعتقل؟ وهل كانوا يكوّنــون بالفعل حلقة؟

بــاخــتيـــن: لا، هؤلاء لم يكوِّنوا حلقة كانت هنــاك حلقــات ببــساطة... باختصار، لم يكن هناك تنظيم(٣) ... و.... لم تثبت جي. بي. أو وجود أي تنظيم، وإلا لصدرت أحكام من نوع آخر. آنذاك كان أهم شيء هو معرفة إن كان هناك تنظيم أم لا. لم يعثروا على أي تنظيم. وإنما كانت هناك حلقات، ببساطة كانت هناك علاقات، علاقات صادقة، ثم كانت هناك محاضرات تُلقى في البيوت على وجه الخصوص، أنا، على سبيل المثال، قــرأت

العديد من المحاضرات في البيوت.

دوفاكين: وما دلالة هذا الأمر؟ لقد ذكرت تارلي وبلاتونوف...

باختين: تارلي وبلاتونوف وبعدهما... إيجور يفجينيفيتش أنيتشكوف وبعد ذلك...

دوفاكين: كارتاشيف؟

باختين: لا، كارتاشيف لم يكن من بينهم. كارتاشيف كان في الخارج بعد ذلك... كوماروفيتش[٤].

دوفاكين: ومن كان كوماروفيتش؟ مؤرخًا؟

باختين: لا، كان متخصصًا في الأدب، كان رجلا موهوبًا للغاية، موهوبًا للغاية، موهوبًا حقا. ألف كتابًا باللغة الألمانية. "Urgeschichte der Bruder Karamasoff" مصادر "الإخوة كارامازوف"[٥]، وهو عمل هائل طبع في ألمانيا، وبالإضافة إلى ذلك فقد كتب وأصدر عندنا كتابًا رائعًا. "أسطورة مدينة كيتيج"[٦] لقد قام في هذا الكتاب بدراسة تفصيلية لنشأة هذه المدينة وللأساطير العديدة التي دارت حولها. ثم إن لديه مقالات، مقالات قيمة للغاية عن دستويفسكي في المنتخبات التي صدرت في تلك الفترة عن دستويفسكي والتي أصدرها دولينين. وفي هذا الخصوص له مقالة عن "البناء الفني عند دستويفسكي في رواية (المراهق)"[٧].

دوفاكين: أعرف هذا.

باختين: الأرجح، بالطبع، أنك تعرف ذلك. وقد عاد بعد ذلك، خرج من السجن مبكرًا، أعتقد أنه قد حكم عليه بثلاث سنوات

فقط، وأنهم أرسلوه في هذه السنوات الثلاث إلى جوركي(*)، وكانت لا تزال تسمى آنذاك... نيچني. وبالمناسبة كان أبوه طبيبًا شهيرًا يعمل في جوركي؛ أي أنه، في الحقيقة، عاد إلى بيته (ضاحكًا) ثم عاد وظل يواصل العمل تلو العمل في معهد البحوث. أصدر عددًا من المقالات. وقد أرسل لي شخص طيب هذه الأعمال، فصولا وببليوجرافيا لكل ما أصدره. حتى إنني لا أعرف من في لينينجراد الذي أرسلها إليّ. كان هذا منذ زمن طويل، عندما كان المناخ مختلفًا. هكذا كان الأمر ثم توفي هذا الرجل في زمن الحصار(**)، كما توفي فيه أيضًا إنجلجاردت.

دوفاكين: وهل كان إنجلجاردت منضمًا أيضًا؟

باختين: لا، لم ينضم إنجلجاردت إلى هذه المجموعة، لقد جرى التنكيل بإنجلجاردت فيما بعد(٨).

دوفاكين: آه! هو أيضًا تعرض للتنكيل؟

باختين: نعم، تم اضطهاده، وقد ارتبط اعتقاله بحادث مروع: كان اسم عائلة زوجته قبل الزواج جارشينا. من عائلة جارشينا.

دوفاكين: ابنته. ابنة أخيه؟

باختين: أظن ابنة أخيه. وكانت تعاني من نوبات الصرع نفسها، التي كان يعاني منها جارشين، وكانت هذه النوبات تداهمها

(*) جوركي: مدينة عند مصب نهر أوكا في نهر الفولجا. (المترجم)

(**) المقصود حصار القوات الألمانية لمدينة لينينجراد والذي استمر ٩٠٠ يوم من عام ١٩٤١ إلى ١٩٤٣. (المترجم)

من حين لآخر، ولم يكن باستطاعتها السيطرة على نفسها. وعندما اقتادوه، وكانوا يقطنون في الطابق الخامس، على ما أظن، كان هناك سلم واحد، فقد تم إلغاء السلالم الخارجية آنذاك، وقد هرعت لتلحق به من الطابق الخامس، عندما كانوا ينزلون به، ألقت بنفسها فسقطت دون حراك وهكذا عندما نزل مع مرافقيه وجدوا جثتها أسفل البيت وقد تشوهت.

دوفاكين: يا له من كابوس!

باختين: كانت قصة مرعبة. فيما بعد، عندما عاد إنجلجاردت وجد لنفسه زوجة أخرى من بين تلميذاته السابقات، ثم ما لبث أن توفي إبان الحصار.

دوفاكين: إذن وماذا عن الآخرين؛ أعني، بلاتونوف، تارلي... كوماروڤيتش، أنيتشكوف... وهؤلاء ... على الرغم من أنهم كانوا جميعًا من موسكو..؟ ألم ينخرط أحدهم فيما عرف باسم "رماد البلوط"؟ ألم يؤخذ في الحسبان أيضًا الفلاسفة المثاليون أم أنهم أرسلوا إلى السجون أيضًا؟ ماذا عن فرانك وإيلين.. ؟

باختين: لا، هؤلاء لم يذهب أحد منهم إلى السجن؛ لأنهم كانوا آنذاك خارج البلاد.

دوفاكين: إذن الذين اقتيدوا للسجن، أرسلوا إليه قبلها بعام، في عام ١٩٢٣[٩] على الأرجح.

باختين: قبلها بعام، نعم، ماذا، في عام ١٩٢٣؟ لا، ليس قبلها بعام، ماذا دهاك؟! لم يحدث الأمر في عام ١٩٢٣، وإنما حدث في عام ١٩٢٨.

دوفاكين: آه، حقا، هذا صحيح، صحيح!

باختين: وهكذا فقد استقر بهم المقام في الخارج منذ زمن بعيد.

دوفاكين: إذن كان هناك إجراء متبع في عام ١٩٢٣، مثل النفي خارج البلاد. فقد كان هناك في الوقت نفسه إجراء آخر، إما النفي، أو معسكر الاعتقال؟ أو الإبعاد إلى سولوفكي؟

باختين: كانت سولوفكي من نصيب جماعتنا.. سولوفكي، كيم، كازاخستان - كانت هذه أماكن للنفي، ذهبت أنا إلى شمال كازاخستان[١٠] أما أندرييفسكي و... نعم، أندرييفسكي قد ذهب إلى سولوفكي[١١]، وإلى سولوفكي أيضًا ذهب واحد من جماعتنا، من أصدقائنا.

دوفاكين: معنى ذلك أن كل هذا حدث في نهاية عام ١٩٢٨.

باختين: في نهاية عام ١٩٢٨، وبداية عام ١٩٢٩[١٢].

دوفاكين: والآن لنعد إلى موضوعنا الرئيسي، إلى البرنامج، إن صح التعبير.

باختين: نعم (...).

دوفاكين: إذن... عدتم إلى بتروجراد في عام ١٩٢٤. قبل وفاة لينين أم بعد وفاته؟

باختين: بعد وفاته. فقد توفي لينين في مطلع شهر يناير...

دوفـــــاكين: في الرابع والعشرين من يناير.

بـــاخـــتيــــن: نعم، أما نحن فقد وصلنا في مطلع الربيع.

دوفـــــاكين: أي أنكم وصلتم في مارس – أبريل؟

بـــاخـــتيــــن: في أبريل تقريبًا. في أبريل على ما أظن.

دوفـــــاكين: إذن، في أبريل. أي إنك في الفترة من أبريل عـــام ١٩٢٤ وحتى ديسمبر من عام ١٩٢٨ عشت فـــي لينينجـــراد ... السوفيتية، بعد أن تغير اسمها من بتروجراد إلى لينينجراد.

بـــاخـــتيــــن: نعم كانت بتروجراد قد تغير اسمها لتوه.

دوفـــــاكين: لقد تغير اسمها في عام ١٩٢٤؛ أي أنك وصلت بعـــد أن أصبح اسمها بالفعل لينينجراد.

بـــاخـــتيــــن: أظن أنني وصلت إلى لينينجراد بعد أن أصبحت لينينجراد.

دوفـــــاكين: نعم. كان الاسم لا يزال مفاجئًا وطازجًا. وهنا انـــضممت إلى الأوساط الأدبية، وشاركت في الحياة الأدبية، وبـــدأت في كتابة أول أعمالك، وتعرفت على عدد من أهم ... في ذلك الوقت، ربما، لم يكونوا قد أصبحوا بعد، وإن أصبحوا لاحقا، أهم الشخصيات والشعراء. مثل هؤلاء المطيعـــين، قنسطنطين فاجينوف، والآن، لعلك تذكر لنـــا شـــيئًا عـــن زوبولوتسكي. باختصار شديد، وسوف لـــن أتفـــرغ فـــي الأسئلة أكثر من ذلك. سأترك لك الكلمة لتحدثنا اليوم عن خمس سنوات، خمس سنوات كاملة تقريبًا. نحن نـــصغي الآن إليك.

بـــاخـــتيــــن: نعم ... التقيت في لينينجراد بعدد من ممثلي الجيل الأقـــدم،

وعلى وجه الخصوص، مع فيودور سولوجوب. آنذاك كان سولوجوب رئيسًا لفرع اتحاد الكُتّاب في لينتجراد.

دوفاكين: أم اتحاد الشعراء؟

باختين: لا، الكُتّاب، الكُتّاب.

دوفاكين: متأكد أنه هو.

باختين: نعم، نعم، هو... كان الاتحاد يضم الأدباء، وكان سولوجوب آنذاك أديبًا أكثر منه شاعرًا.

كان سولوجوب، آنذاك، رجلا صارمًا للغاية، إذا جاز القول، صارمًا. تشعر بما يحمله من حقد، حقد على المستوى الشخصي لا على المستوى السياسي، وليس على ... ليس هذا ... ولكنه فقد زوجته. وكما هو معروف فقد ماتت غرقًا، بعد أن ألقت بنفسها ...

دوفاكين: ألا تعرف السبب وراء ذلك؟ هل كان ذلك اضطرابًا نفسيًا أم...؟

باختين: الأرجح أنه كان كذلك. على أية حال، لم تكن مجنونة، على الإطلاق لم تكن، لكن الظروف تضافرت على نحو بالغ السوء. ومن ثم فقد ألقت بنفسها... زد على ذلك أنهم لم يعثروا على جثتها لمدة طويلة. ثم إذا بالمياه تلقي بها... سحبتها إلى مكان ما. باختصار، فقد ذهب للتعرف عليها، وقد عرفها، من مظهرها...

دوفاكين: كان اسمها شيبوتاريفسكايا؟

باختين: شيبوتاريفسكايا، نعم.

دوفاكين: وهل ألقت بنفسها في نهر النيفا؟

باختين: وقد ألقت بنفسها في نهر النيفا على ما أظن، نعم، في نهر النيفا[١٣]، وهكذا كان لديه هذا المزاج الحاقد. وعدا ذلك، كما هو معروف، فقد كان صاحب نزعة تشاؤمية، مغني الموت، سمرتياشكين* كما وصفه...

دوفاكين: ... جوركي.

باختين: جوركي، نعم، نعم. ولكنه في الوقت نفسه جمع حوله شباب الكتاب والمتخصصين في الأدب. حتى إن بعضهم كان يقرأ في شقته محاضراته. على سبيل المثال فقد قرأ صديقي بومبيانسكي، كما أتصور، محاضرتين أو ثلاثًا في شقته. أذكر أنه أعجب بمقال له ألقي عن ثلاث "شخصيات". كان هذا مقال ليف فاسيليفيتش الذي لم ينشر[١٤] والثلاث "شخصيات" هم جوركي وديرجافين وبوشكين، كان مقالا في المقارنة الأدبية التاريخية.

وفي الوقت نفسه، وعلى الرغم من مزاجه الصارم المتشائم، كان، على سبيل المثال، ميالا للنساء الجميلات الشابات. لعل من الأفضل ألا نسجل هذا؟

دوفاكين: ميالا أم غير ميال؟

باختين: ولكن سرعان ما وافته المنية.

دوفاكين: في عام ١٩٢٧.

باختين: نعم، نعم، مات سريعًا. وباعتباره رئيسًا للاتحاد فقد كان يتصرف على نحو مستقل، مستقل للغاية؛ في الوقت الذي

(*) سمرتياشكين: كنية مشتقة من كلمة سمرت الروسية وتعني الموت. (المترجم)

أصبح ممثلو هؤلاء النقاد – الشيوعيون والماركسيون – يظهرون ويلتحقون بالاتحاد... مثل جورباتشوف، الذي كان ناقدًا ذائع الصيت آنذاك[١٥].

دوفاكين: وهل كانت الجمعية الروسية للكتاب البروليتاريين RAPP موجودة آنذاك؟

باختين: نعم، كانت موجودة. وأذكر كيف قبلوا جورباتشوف في الاتحاد. زد على ذلك أنه كان يتعامل مع أعضاء الإدارة بود واحترام، كان سولوجوب ينادي على الآخرين بقوله "أيها الرفاق، أيها الرفاق..." أما إذا تعلق الأمر بجورباتشوف فكان يقول "اليوم لدينا السيد جورباتشوف (يقولها بلهجة ازدراء) السيد جورباتشوف تقدم إلينا بطلب. ما رأيكم أيها الرفاق؟..."، على هذا النحو كان متماسكًا، مستقلا للغاية.

دوفاكين: هذا تحدٍ. استفزاز تقريبًا. (ضاحكًا).

باختين: حقا. (مبتسمًا ابتسامة ساخرة) ولكن...

دوفاكين: وكيف كان رد فعل جورباتشوف تجاه هذا السلوك؟

باختين: لم يظهر جورباتشوف بعد ذلك. لقد تقدم بطلبه... ثم بدءوا هم في النظر في هذا الطلب... فيما بعد، بداهة كانوا سيستدعونه لو أنهم قبلوه. وقد ظل الرجل متماسكًا مستقلا تمامًا. لم يمسوه بالطبع. في هذا الوقت كانوا يأخذون في الاعتبار مثل هؤلاء الناس فكانوا لا يمسونهم وعلى الرغم

من أنهم كانوا يعرفون الكثير عن ميوله، فقد كانوا على الأرجح يعرفون أكثر من هذا، كانوا يعرفون أنه غير مُسيَّس، وهو أمر صحيح تمامًا، لقد نزع غضبه، ولكنه كان شخصًا لا يبالي بالسياسة إطلاقًا، كان محايدًا. وقد نظم الاتحاد أمسية مفتوحة شارك فيها فولينسكي.

دوفاكين: وهل كان لا يزال على قيد الحياة؟

باختين: كان فولينسكي لا يزال حيًا. كنت أعرفه.

دوفاكين: أكيم فولينسكي؟

باختين: نعم، أكيم فولينسكي[١٦] كنت ألتقي به في واحد من الصالونات الأدبية، وفي هذا الصالون ألقى بالكلمة الافتتاحية ذكر فيها، على ما أذكر، أن "فيودور تيتيرنيكوف، عندما كان مدرسًا، مدرسًا صغيرًا، كان يمشي مرتديًا سترة مبقعة..."[١٧].

دوفاكين: هل تحدث أكيم فولينسكي على هذا النحو؟

باختين: نعم، هذا ما حدث كما يزعمون، والآن هو الذي... أما... ذلك الآخر... فقد أبدى ملاحظة، الحقيقة، إذا جاز التعبير، لا بشكل علني، وإنما من وراء الكواليس (كنت أنا أيضًا هناك). كانت الملاحظة على النحو التالي (هامسًا). متى كنت أمشي مرتديًا سترة مبقعة؟! ما هذه الأكاذيب التي يفتريها؟ لقد كنت دائمًا أرتدي ملابس جيدة ومهندمة للغاية. (يضحكان) وقد أطلق هذا الرجل هذا الكلام... حتى يبين نزعته الديموقراطية (مبتسمًا). في النهاية فقد كان أكيم فولينسكي قد بلغ من العمر

أرذله، وكان الأمر شاقًا عليه. كان دائم التشكي. كان يقول على سبيل المثال: "لا أستطيع أن أعمل دون شاي ثقيل"، و"هذا الشاي يحتاج إلى سكر، والسكر غير متوافر" (يضحك ساخرًا) هذا هو فولينسكي. وهكذا كان الرجل يحاول أن يتواءم مع الأمور بعض الشيء.

دوفاكين: أظن أن أكيم فولينسكي ألّف كتابًا عن الباليه في هذا الوقت[١٨].

باختين: نعم، ولكن لا أعرف أنه ألفه آنذاك.

دوفاكين: وقد ظهر لسولوجوب أيضًا في هذه الفترة عدد من الكتب: "الكأس السحرية" ... "قصة حب"..[١٩].

باختين: نعم، نعم. ثم كتب بعد ذلك أشعارًا ظهرت الآن مخطوطاتها، لكنها لم تنشر آنذاك...

دوفاكين: وهل تعرف حقيقة أو كذبًا، أو إن كان الأمر محض إشاعة كاذبة، ما يزعمون من أن سولوجوب بالمناسبة قد طلب في عام ١٩٢٦ – ١٩٢٧، قبيل وفاته، تصريحًا بأن يغادر البلاد إلى الخارج؟.

باختين: انظر. أظن أنه طلب التصريح له بمغادرة البلاد قبل ذلك، قبيل وفاة زوجته ولكن الرفض، أو البيروقراطية، إن شئت الدقة، كانت أحد أسباب وفاة زوجته[٢٠].

دوفاكين: آه، إذن فقد كانت راغبة بشدة في الرحيل؟

باختين: كانت راغبة بشدة في الرحيل، نعم كان هذا أحد أسباب وفاة الزوجة. ولكن، فيما بعد، لا أعرف، لا أظن، لم أسمع أنه طلب الرحيل.

دوفـــــاكين: إذن فقد وافته المنية في عام ١٩٢٧، بينما ماتت زوجتـه بعده بعامين...

بـــاخـــتيـــــن: على أي حال لم أكن لأعرف عن هذا الأمر شـيئًا. لقـد تعرفت عليه ورأيته للمرة الأولى بعد وفاة زوجته.

دوفـــــاكين: هل تعرفت عليه في عام ١٩٢٤؟

بـــاخـــتيـــــن: كلا، لقد تعرفت عليه بعد ذلك بفترة وجيزة.

دوفـــــاكين: أي في العامين ١٩٢٥، ١٩٢٦؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، في عام ١٩٢٦ على وجه التقريب.

دوفـــــاكين: لقد قابلت أخت زوجته. كانت تعمل في دار الأدباء، مديرة للمكتبة، كانت كنيتها أيضًا تشيبوتاريفيسكايا... لـم يكـن اسمها أناستاسيا وإنما، على مـا أظـن، أنًـا، لا أذكـر اسمها[٢١]. إذن فقد تحدثت عن العجائز حديثًا شيقًا... وبات عليك الآن أن تقدم لنا سولوجوب الإنسان والـشاعر فـي إيجاز...

بـــاخـــتيـــــن: سولوجوب؟ انظر. لقد كنت دائمًا أعتبر سولوجوب شاعرًا موهوبًا على نحو نادر، وكنت أقدر شعره تقديرًا رفيعًـا. وبالإضافة إلى ذلك فإنني أعتبر أن واحدة مـن رواياتـه، وهي رواية "الشيطان الصغير"، هي من أفـضل روايـات القرن العشرين، إنها رواية رائعة، عميقة، شـيقة للغايـة وفوق هذا... تنبئية تمامًا[٢٢].

دوفـــــاكين: إنها رواية مقززة جدًا...

بـــاخـــتيـــــن: جائز... لكن الأكثر سوءًا، في نظري، الأكثر إثارة للتقزز موجود في رواية "السحر"، الأخيرة[٢٣].

دوفـــــاكين: عن هذه الرواية حدث ولا حرج...

بــاخـــتيــــن: الروايــة الأولــى، "أحلام ثقيلة". ليست بالرواية الرديئة، لا بأس بها، ولكن "الشيطان الصغير" رواية رائعة. وشخصية بيريدونوف واحدة من أروع الشخصيات في أدبنا.

دوفـــــاكين: ينبغي إذن إعادة قراءة أدبنا – ما رأيك؟ أن نبدأ القراءة من دستويفسكي بطبيعة الحال، ولكن في الوقــت نفــسه مــن شيدرين أيضًا.

بــاخـــتيــــن: ربما القليل من شيدرين.

دوفـــــاكين: لنقل من يودوشكا.

بــاخـــتيــــن: نعم، من يودوشكا. ولكن هنا، لعلي أقول... على أي حال فإن يودوشكا رجل من عصر مختلف تمامًا. أمـــا أمثـــال بيريدونوف فهم موجودون بـــوفرة الآن... ومـــنهم مـــن يعملون بالتدريس... إن كل مدرس في مدرسة ثانوية لدينا كان منذ فترة قريبة يعد نفسه بيريدونوف، وقد تبقى مـــنهم الكثير حتى الآن. لقد أصبحت البيريدونوفية ظاهرة علـــى نحو ما. وهناك في مكان ما باتوا يـــصفون بيريـــدونوف باعتباره استثناء. أما مديره خريباتش فإنه، إذا جاز القول، لم يكن يحبه وما إلى ذلك، وقد أراد أن يتخلص منه بأسرع ما يمكن. أما عندنا فراحوا يقدرون أمثـــال بيريـــدونوف تقديرًا رفيعًا، إلى أبعد حدود التقدير. وقد أشاعوا ذلك فـــي الأوساط المدرسية، وخاصة الريفية، بل وفي موسكو وفي لينينجراد...

دوفاكين: نعم، ينبغي إعادة قراءة هذا الأمر. ولكن، ألا ترى معي أن الموقف نفسه يستحق الكتابة... فبيريدونوف، إذا جاز القول، هو على أي حال نموذج، إنه نموذج للشخص الحقير.

باختين: إنه حقير على نحو مفزع. وقد وصفه سولوجوب باعتباره حقيرًا.

دوفاكين: وقد كان سولوجوب معجبًا به بدرجة ما.

باختين: كلا. انظر، كان سولوجوب يعرف هذا الوسط جيدًا؛ لأنه هو نفسه كان مدرسًا، معلمًا، زد على ذلك أنه كان مدرسًا في مدرسة صناعية، مدرسة صناعية على ما أظن في لينينجراد وكان مفتشًا في فترة ما...

دوفاكين: أظن أنه كان يعمل في مدينة فيليكي لوكي(*).

باختين: كانت بدايته فيها، ثم انتقل إلى لينينجراد. وهناك أصبح شاعرًا شهيرًا، كانت شهرته تتألق أيام الأربعاء، على ما أظن، عندما كان الكتاب والشعراء ورجال المسرح، وعلى وجه الخصوص مايرخولد وغيره، يجتمعون لديه. كان هذا قبل الثورة واستمر بعدها. وكان عليمًا بهذا الوسط منتميًا له بدرجة ما، وربما انتقلت إليه هو نفسه عدوى هذا الوسط، ولكنه بالطبع، لم يكن على شاكلة بيريدونوف. لقد كان ببساطة رجلا ذا شخصية فظة، هذه حقيقة، لم يكن رجلا جذابًا، كلا، على الرغم من أن الجميع أدركوا أن

(*) مدينة تقع في محافظة بسكوف. (المترجم)

لديه فكرًا وموهبة وتفوقًا ما على الآخرين. لم يكن من الممكن وصفه بأنه ضيق الأفق، وإنما كان ذكيًا، بل ويمكن القول إنه كان بارزًا بكل تأكيد. على الرغم من أنه لم يكن جذابًا على الإطلاق كان رجلا فظًا، هذا هو سولوجوب. ولكنه ظل مستقلا، كما قلت، وكان هذا مثارًا لمشاعر الاحترام تجاهه بطبيعة الحال. بعد ذلك، كتب أشعارًا رائعة. رائعة. كان شاعرًا رائعًا، تعرف ذلك بالطبع. هذا هو سولوجوب.

دوفاكين: صديقي القديم، شيطاني المخلص
غن لي أغنية تقول:
"إن بحّارًا ظل طوال الليل يسبح في البحر الخالي
وعند الفجر كان قد غرق في الأعماق
لقد ظلت الأمواج الرمادية ترتفع أمامه
وتصل رغوتها حتى أقدامه
لكن حبه العظيم
كان أكثر بياضًا من زبد البحر
كان هناك ثمة نداء يسمعه البحار وهو يسبح
نداء يقول "ثق بي، فلست بالمخادع"
لكن شيطاني وسوس لي قائلا:
تذكر، أن هذا البحّار قد غرق عند الفجر في الأعماق.
هذا من قريحة سولوجوب[٢٤].

باختين: وهذه منها أيضًا:

أيها الموت، أنا رهن إشارتك
لا أرى على المدى سواك
كم بت أكره هذه الدنيا الفاتنة...
وله شعرٌ آخر رائع أيضًا، شعر غاية في القوة ينتهي هكذا:
لا يليق بي (كلمة ما لا أنكرها).. المتسم بالكتمان
وجمالك الخارق
يدفعني ألاَّ أجثو عند أقدامه.
وفي قصيدة.. "عند أقدام الحياة" يقول:
عندما سقطت عليها
دموعك الباردة
الشفافة مثل بللور نقي[٢٥]
أشعار رائعة، كئيبة للغاية ورائعة.
أو فانظر إلى هذه القصيدة عن الموت، الذي حلم به الشاعر نفسه كما يبدو، وفي وقت ما... عن الانتحار. إليك بعضًا منها:
أمزج الدم بالماء
أقدمه لشفاه جففها العطش
ما حدث، سيعود من جديد
ما حدث، سوف يتكرر.
ثم انظر لهذه المقاطع:
وفيما بعد سوف يوقدون المدفأة
وسوف تجلس هادئًا بجانب الحمَّام...
وبعدها:

ثم يتسلل فتور الهمة إلى عروقي الخاوية...

ثم تنتهي مرة أخرى بالمقطع نفسه:

ما حدث، سيعود من جديد

ما حدث، سوف يتكرر...(٢٦)

هذا أيضًا شعر رائع، لكنه كئيب بالطبع.

دوفاكين: تعلم، على نحو خاص، أن سولوجوب – في تعبير مُركّز – ينطبق عليه فنيًا بالطبع، مفهوم "الانحطاطية".

باختين: نعم، هذا مفهوم عام... لكنه لم يكن يعد نفسه انحطاطيًا إطلاقًا.

دوفاكين: إذن من كان سولوجوب آنذاك؟

باختين: باعتباره إنسانًا فقد كان الأقل انحطاطية. كان إنسانًا، يمكن القول إنه كان رجلا جديرًا بالاعتبار: مدرسًا، مفتشًا، كانت تحت تصرفه، في الواقع، مدرسة كبيرة، وحتى في هذه المدرسة، أكاد أقول إنه في قاعة الاحتفالات فيها، كان يدير حلقات أدبية؛ أي أنه كان يجمع لديه ضيوفًا وما إلى ذلك. كان هذا قبل تشيبورتاريفسكايا.

دوفاكين: ليس هذا ما أقصده، وإنما نموذج الشاعر سولوجوب... لقد انتقلت كلمة "الانحطاطية" منه لتشمل الجميع؛ إذ لم يكن من الممكن الحديث عن شخص غيره في هذا الأمر بمثل هذا التحديد.

باختين: لعلي أقول هنا، باختصار، إنه من بين جميع الشعراء، الانحطاطيين والرمزيين في زمنهم، بمن فيهم شعراء مثل بيريوسوف وفيتشيسلاف إيڤانوف، كان سولوجوب أقلهم

انحطاطية بل كان أكثرهم رزانة واحترامًا. إلى أي شـــيء ترمي؟ لم يكن من الممكن أن تنتظر منـــه أيـــة نـــزوات انحطاطية أو سلـــوكًا خارقًا للمألوف بقصد إثارة الدهـــشة أو شيء من هذا القبيل، لقد كان رجلا محترمًا.

دوفـــــاكين: هذا موضوع آخر، أتدرى..؟

بـــاخـــتيـــــن: لقد كان شعره، لقد كان شعرًا، كان شعرًا خالـــصًا. ومـــن المستحيل القول بأنه كان شعرًا انحطاطيًا، لا يمكن.

دوفـــــاكين: بمعنـــى مـــا، ولكـــن الانحطاطيـــة... لنقـــل بالفرنـــسية decadence بالفرنسية تحديدًا، لقـــد كانـــت هـــذه هـــي الانحطاطية الحقيقية وفقًا لمعناها بالفرنسية(*).

بـــاخـــتيـــــن: صحيح...

دوفـــــاكين: .. أي شعر السقوط، الاضمحلال، الفناء. "الانحطاطية" في النهاية، على أية حال... هي اصطلاح...

بـــاخـــتيـــــن: على العموم، ينبغي القول على النحو التالي: إنني باعتباري مُنظّرًا، باعتباري مؤرّخًا ــ لا أعترف بهذا الاصـــطلاح الذي طرحه، وأعجب به عدد قليل من الشعراء، من صغار الشعراء تحديدًا، الذين فهموا كلمـــة "انحطاطيـــة" بالـــذات باعتبارها موقفًا متكلفًا محددًا، مفيدًا، شيقًا بالنـــسبة لهـــم، وهؤلاء كانوا يرتدون حتمًا ملابس سوداء وما إلى ذلـــك.

(*) الانحطاطية *decadence*: اسم عام يطلق على عدد من ظواهر أزمات التدهور في الفن في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، تميزت بالنزوع نحو التشاؤم الفردي والضجر من الحياة واللامبالاة بالعدم. (المترجم)

خذ مثلا هذا الشاعر المدعو دوبروليوبوف، الذي كان أحد ممثلي هذه النزعة البارزين...[٢٧]..

دوفـــــاكين: ألكسندر؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم هو، بطبيعة الحال.. هذا ... شاعر.

دوفـــــاكين: نعم، نعم.

بـــاخـــتيـــــن: كان يسير دائمًا وقد ارتدى قفازات سوداء حتمًا ولم يكـــن ينزع هذه القفازات السوداء أثنـــاء جلوســـه فـــي غرفـــة الاستقبال.

دوفـــــاكين: لا أتذكر، أحدهم أخبرني بهذا.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نعم، هذا أمر معروف.. كان مثيرًا للانتباه، هـــؤلاء كانوا الانحطاطيين. أما كبار الشعراء فلم يكن لهم علاقـــة بهذا، هؤلاء لا ينطبق عليهم هذا الاصطلاح الذي كان من مظاهره هذا التكلف أو تلك القفـــازات الـــسوداء. هـــؤلاء الشعراء الكبار جميعهم لم يكونوا على هذا النحو!

دوفـــــاكين: هذه مسألة جديرة بالاهتمام فهذه الكلمة دخلت إلى اللغة.

بـــاخـــتيـــــن: دخلت إلى اللغة، هذا صحيح.

دوفـــــاكين: أما كلمة المعاصرة modernism فهي على العموم كلمـــة أسلوبية أكثر Stylistic.

بـــاخـــتيـــــن: هذا أمر مختلف تمامًا... هذا الاصطلاح ليس مقبولا هنـــا على وجه العموم. فنحن نطلق على المعاصرين... بالنسبة لنا كلمة "معاصر" كلمة فاحشة. وكان من المفـــروض أن تكون هذه الكلمة بالنسبة لنا، على العكس من ذلك، مديحًا..

دوفاكين: ليس الأمر هكذا، لنأخذ مثلا كلمة "انحطاطي" إذا قبلنا ما قلته الآن... وتذكرنا كلمات تشيخوف... هل تذكرها؟ يقول بونين، على ما أظن: "أنطون بافلوفيتش، ما هو موقفك من الانحطاطيين؟". "من الانحطاطيون؟ ومن قال إنهم انحطاطيون؟! إنهم رجال أشداء حبذا لو ضموهم إلى سرية المساجين"(٢٨).

باختين: هذا الرأي، كما تعلم...

دوفاكين: هذا رأي شخصي...

باختين: نعم...

دوفاكين: ... أي أن الانحطاطية قد جرى استيعابها باعتبارها تكلفًا خالصًا. هذا أمر، لنقل، يمكن قبوله، ولكن كيف نطبقه على... ميريجكوفسكي؟

باختين: بصعوبة أيضًا.

دوفاكين: إذن. وكيف، وفقًا لتصنيفكم، ينطبق الأمر على مدام جيبيوس.

باختين: لعلها أيضًا كانت كذلك...

دوفاكين: وعلى دوبروليوبوف، ربما.

باختين: وعلى دوبروليوبوف، نعم. وقد أصبح فيما بعد أقل انحطاطية، لقد كان باحثًا دينيًا.

دوفاكين: من ناحية أخرى، يمكن أن نضفي على كلمة "انحطاطي" معنى أكثر جدية، موقفًا من العالم؛ أي، إذا جاز القول، معنى أقرب إلى كلمة "تراجيدي" ولكن بحيث لا يكون

متطابقًا معه تمامًا؛ أي كما يجري في الأدب منذ مينسكي، من قبيل، إذا جاز القول، العدم، السقوط، أي إضافة شيء فلسفي، ليس نظريًا، وإنما عاطفيًا بدرجة معروفة.

باختين: موقفًا، نعم، ولكن انظر، عندئذ إما لن ينضم إلى هذا الموقف أحد... أو ينضم إليه كثيرون للغاية؛ لأن هذا الموقف الكئيب، التشاؤمي في الواقع، الانحلال، والنهاية وما إلى ذلك، قد التزم به كثير من شعراء الماضي الكبار، ربما ليوباردي، فعندئذ يمكن أن يكون في الواقع الانحطاطي الأكثر وضوحًا وسوف يكون بايرون انحطاطيًا، بل سيكون الانحطاطي الأكثر جلاءً.

دوفاكين: إذن، وهنا، وفي القرن العشرين، فقد أخذها الجميع، بطبيعة الحال، من "أزهار الشر" لبودلير.

باختين: هذا أمر غير مؤكد أيضًا. وإن كان ممكنًا؛ ذلك لأن بودلير، إلى جانب أنه كان في الواقع شاعرًا كبيرًا، شاعرًا رائعًا، كان لديه عنصر التكلف، كما كان الأمر على وجه العموم لدى أصحاب هذا الاتجاه في هذه الحلقة التي كان بودلير ينتمي إليها آنذاك. وإلى هذه الحلقة كان ينتمي أيضًا تيوفيل جوتيه، والذي لا يمكن أن نسميه انحطاطيًا، على الرغم من أن تيو، كما كانوا يسمونه في تلك الحلقات، في السنوات الأخيرة من حياته، كان كئيبًا إلى حد كبير، متشائمًا حتى النخاع، لكن أحدًا لم يعتبره انحطاطيًا. هذا أمر مختلف!.

دوفاكين: في التربة الروسية، إذا ما استخدمنا هذه الكلمة... على الرغم من أنها، من جانب آخر، كانت موجودة، بطبيعة

الحال، تقريبًا لدى ممثلي الشعر كافة في هذا العصر. وعند بلوك، لو تتذكر، توجد، على ما أظن، في خطاب له إلى بيلي، وربما، في مذكراته، نسيت، عبارة رائعة: "كم أمقت انحطاطيتي وأندد بوجودها لدى الآخرين، أندد بوجودها لدى الآخرين، الذين، ربما، يكونون أقل ذنبًا بشأنها مني"(٢٩)، ولكن في هذا النص...

باختين: نعم، لكن بلوك هنا... يقصد الانحطاطيين أيضًا؛ أي شعراء عصره، ثم إنه بعد ذلك يستخدم هذا المصطلح، الذي دخل آنذاك إلى اللغة وإنما بمعنى مختلف قليلا، هذا نيتشه الذي كان يتحدث دائمًا عن الانحطاطية، والذي كان دائمًا يفضح الانحطاطيين ويعتبرهم ظاهرة سلبية، واضعًا في مواجهتهم السوبرمان الحقيقي للمستقبل، وكما تعلم فقد رأى نيتشه أن فاجنر انحطاطي، وخاصة في "بارسيفال" وهلمجرا. كان نيتشه يفضح الانحطاطي بداخله، وكان يحاول أن ينتصر تحديدًا على الانحطاطي في داخله، أن ينتصر على الانحطاطي. كان يتغنى بالسعادة اللانهائية للحياة، قبول الوجود، لا الحياة، وإنما الوجود، أما تلك "العودة الخالدة"، في الواقع، فتعني بالدرجة الأولى المعنى العاطفي: أقبل كل شيء ومستعد أن أعيش الحياة مرات عديدة لا تنتهي. هذه هي الانحطاطية، ولكن مرة أخرى، هذا أمر مختلف تمامًا. هذه الانحطاطية. إن نيتشه نفسه

كان يعني بالطبع، وهو الكلاسيكي، كـان يعنـي عـصر الانحطاطية الكلاسيكية، الانحطاطية الرومانيـة بالدرجـة الأولى، بالمناسبة، إليك هذه القصيدة (يأخذ في التذكر وقد أخذته العصبية)... يا للمصيبة!.. التي كتبها أنينسكي:

أنا الروماني شاحب الوجه القادم من زمن الردة
أنا الذي لم يجتح رواقه هدير المذابح
أمارس أسلوبي ببطء في جمع الأحرف الأولى من القصائد
هناك حيث يحتضر الألق الأخير للغروب.
أموت دون زهور على صدري، وإنما مختنقًا بالملل[٣٠].

وهلمجرا.

هذا تصور للسقوط، للانحطاطية، التي كان يعنيها نيتـشه وما إلى ذلك، هذا هو الأمر بالتحديد – نعم... ولكـن مـا علاقة هذا بألكسندر دوبروليوبـوف؟ ومـا علاقـة هـذا بسولوجوب وما إلى ذلك؟ كلا لقد كان موقفه تـشاؤميًا – وهذا أمر آخر، أمر آخر، كانت هذه نزعة تشاؤمية مـن نوع آخر... كانت تشاؤمية شعرية، وإلى حد ما فلـسفية. شعرية. ينبغي أن نقول بشكل مباشر... مَن مِن ملحنينـا الذي قال: "هل تعرفون الموسيقى المرحة؟ أنا لا أعـرف موسيقى مرحة". لعله تشايكوفسكي الذي قال هذا. ولكن إذا أردت شعرًا مرحًا، فليس هناك، في الواقع، ولـن يكـون هناك شعر مرح. إذا لم يكن هناك عنصر ما من النهايـة،

من الموت، في شكل ما، في هاجس ما، فلن يكون هناك شعر؛ لأن الشعر على أية حال هو بدرجة ما... وإلا لما أصبح شعرًا، وإلا أصبح حماسًا صبيانيًا غبيًا، وهذا غير موجود في الشعر ولن يكون... خذ مثلا بلوك. لقد أدرك بشكل رائع، ما هو الحماس:

الفرح اللانهائي للعالم
وُهب لقلبي الطروب.

ولكنه يقول بعد ذلك: "السعادة والمعاناة شيء واحد..." وهلمجرا. الموت، الموت، ثم الموت. ويقول - "الأمر سواء: إني أقبلُك".

برغم السقوط، برغم الموت، أعرف
أن الأمر سواء - إني أقْبلك[٣١].

هذه من قصيدته الشهيرة "أيها الربيع، الذي لا نهاية ولا حدود له"... قل لي بربك - هل هذه انحطاطية؟!

دوفاكين: (يقتبس من القصيدة): ... ربيع لا نهايةَ له ولا حدود[٣٢].

باختين: أهذه انحطاطية؟

دوفاكين: أيتها الحياة، سأتعرف عليك، وأقْبلك
وأرسل لكِ التحية عبر صليل الدرع!

باختين: حقا. هذا هو الشعر! وكل الشعر، إن أدرت، في أشكال مختلفة. إنه شعر يقبل الحياة ليس كما تقبلها البهائم، وإنما كما يقبلها الناس، الذين يعرفون ويدركون، أن الحياة على

أية حال تحتوي على الموت باعتباره عنصرًا ضـــروريًا وأن النهاية، والخلود، النهاية، النهاية أمر ضروري هــذا هو الأمر.

"Respice Finem" كما يقول الرومان. "أيتهــا النهايــة المحترمة"، "انظر إلى النهاية". "العبرة بالنهاية" كما يقــول الروس. باختصار هذا العنصر يظل موجودًا وفــي هــذا السياق فإن الشعر بأكمله مثل الموسيقى بأكملها، هي...

دوفــــــاكين: أي، تريد أن تقول الفنون كلها؟

بــاخــتيــــن: نعم، الانحطاطية... ربما، الفنون كلها، نعم. ربما الفنــون كلها، وفي النهاية، فهي بدرجــة أو بــأخرى، فــي كــل الأحوال، بقدر ما نعرف، - كانت الفنــون كلهــا دائمًــا مرتبطة، على أي حال، بذكرى الأسلاف، بالذين مــاتوا، بالمقابر والدموع... إلخ إلخ؛ لأن من الضروري أن نؤكد على الذي لا يزال حيًا، ولكن... هو لــيس بحاجــة إلــى الذكرى، للتأكيد على وجوده. هو ليس بحاجة لأن يتغنى به أحد. سوف نتغنى به عندما يغيب عنا.

وحتى يتغنى الناس بنا أبد الدهر

لا بد أن تصرعنا الحياة أولا...

هذا هو جوكوفسكي. جوكوفسكي. هذه الأبيات من ترجمته لديوان "آلهة اليونان"[٣٢]. وإن كان لــدى شــيللر بعــض الاختلاف. ولكن لا بأس.

دوفــــــاكين: ميخائيل ميخايلوفيتش، على العكس من ذلك... أنت تؤمن

بشدة، كما فهمت...

باختين: نعم.

دوفاكين: على العكس من ذلك... أنت تريد أن تقول إنه إذا لم تكن هناك نظرة إلى المقابر...

باختين: نعم.

دوفاكين: ... لن يكون هناك فنون. أليس الأمر كذلك؟

باختين: نعم، إن شئت، نعم. لكن ليس بهذا المعنى البدائي.

دوفاكين: فهمت، على عكس ما قيل لا ينبغي قبول الأمر بشكل بدائي – مثل الحماس الصبياني. لا أتفق معك بشأن عدم إمكانية وجود شعر مرح... أتعرف... يوجد بالطبع، لعلي لا أعرف، ولكنه موجود، ببساطة قد تكون أشياء لا تتسم بالموهبة... شيء من ذلك الشعر موجود، لنفترض... موجود عند فاسيلي كامينسكي في قصيدة هجائية له اسمها "تفاؤل منيع". عمومًا هي هجائية ذاتية نقتبس منها:

لقد طفت بأرجاء الأرض كلها.

ووجدت الحياة هنية والعيش رغدا!

هذه أبيات كتبها رجل ظل طوال عمره لا يفكر سوى في الموت، – أكثر ما يتبقى من هذا الشعر، بالنسبة للقاريء، هو النتيجة...

باختين: أنه يؤكد...

دوفاكين: نعم، النتيجة، أتعلم... الأمر هنا كما ذكره ماياكوفسكي على نحو رائع في مناسبة أخرى: "الجدل الأبدي للمتفائل والمتشائم حول ما إذا كان نصف الكوب فارغًا أم أن نصفه ملآن".

باختين: حقا، هذا أفضل تعبير.

دوفاكين: وهو ما يمكن قوله بشأن الفن، بما فيه الفن التراجيدي، الكبير، فهو دائمًا يتحدث على كل حال عن أن "تصف الكأس ملآن"، وأن الحياة مستمرة، إذا جاز القول... وبشأن ما ذكرتموه الآن، فقد فاتكم بشكل ما... وأنت المتخصص.

باختين: لا.

دوفاكين: ... تكافؤ الأضداد وكذلك التطهير catharsis. وفي رأيي أن الانحطاطية هي تراجيديا بلا تطهير.

باختين: حقا.

دوفاكين: عند بلوك يمكن أن نجد التطهير هنا أو هناك، ويمكن ألا نجده...

باختين: بطبيعة الحال! ولكن التطهير على أية حال...

دوفاكين: ... موجود... أما عند سولوجوب (لعلي أعرفه على نحو أسوأ) فإنني لا أراه مطلقًا؛ لأنه حيث يوجد الخواء الروحي لا توجد قوة.

باختين: نعم... لا يمكن أن يكون الأمر على غير ذلك. حيث يوجد الخواء الروحي لا توجد قوة، بل لا يمكن أن يكون هناك أقل قدر من الشعر الحقيقي. أما فيما يتعلق بهذا التفاؤل، كالذي في هذه الأبيات لمايكوفسكي، والتي استشهدتم بها: "الحياة هنيئة والعيش رغد"... إلخ، و"في ضجيجنا" ... وفي بيت ما آخر... "المضطرم... والأفضل"، هنا أشياء بيروقراطية كثيرة، هنا الكثير من الرياء! على أية حال عند ماياكوفسكي... يسيطر التشاؤم، ولكن، في الفترة الأخيرة،

بالطبع، عندما أصبح شاعرًا شهيرًا... لكن ما ورد هنا ليس إلا رياءً بطبيعة الحال... انظر هذا البيت مثلا: "وشرطتي تسهر على حراستي"، أظن، شيء من هذا القبيل؟.

دوفاكين: عفوًا – عفوًا، هنا كرنفالية!

باختين: كلا، "شرطتي تسهر على حراستي"، ليس فيها أي كرنفالية. حسن جدًا...

دوفاكين: "تسهر على حراسة..."، "شوارعي، منازلي..."

باختين: "منازلي" وهو الذي لم يكن باستطاعته أن يحصل على شقة محترمة في منازله أو في منازل أصحابه ولم يستطع أن يوصي بشقة... (يضحك).

دوفاكين: فعلا لم يحصل على شقة!

باختين: لم يحصل على شقة، أليس كذلك...؟

باختين: وهذا يعني تمامًا أنه لم ينافق؛ لأنه لو كان قد مارس النفاق لامتلك شقة. في ذلك المناخ.. كان من الممكن أن يكون كل شيء على عكس ذلك.

دوفاكين: هذا صحيح، لكن أن يقول ذلك فهو هنا ينافق على أية حال. لكن أحدًا لم يشعر بنفاقه، وعلى أية حال لم يكن رجلهم، لم يكن رجل المُلاّك أصحاب السلطة، الذين كان باستطاعتهم فعلا أن يقولوا عن أنفسهم (ساخرًا): "هذه منازلنا، صحيح أنها ليست ملكنا، لكنها منازلنا..." ولكن أن يقول "شرطتي تحرسني..." ما هذا الهراء؟! لقد أحسنت أخماتوفا حين قالت: "خذوا مثلا تيوتشيف، يصعب أن نجد

ملكيًا أكثر منه، ولكنه لم يكن ليقل إطلاقًا أن "البوليس القيصري يسهر على حمايتي".

دوفاكين: "حراستي..."

باختين: حقا... لم يكن ليقل هذا إطلاقًا. لم يكن لسانه ليطاوعه على قول ذلك[٣٤]. أما هنا فالأمر مختلف. لا، الأمر هنا، لو أردت الحقيقة، ربما يكون به عنصر من عناصر السخرية، ولكن هذه السخرية، كما يحدث كثيرًا عند...

دوفاكين: السخرية ستأتي فيما بعد ... هناك في هذه الأبيات ...
بعيدًا عن المدينة تمتد الحقول، وفي الحقول تنتشر القرى
وفي القرى يعيش فلاحون، لهم ذقون تشبه المكانس.
يجلس الرجال هنا. كل منهم داهية.
يُقلِّبون الأرض، ويقرضون الشعر.
أليس هذا هزلا؟!

باختين: هذا هزل بطبيعة الحال، عمومًا فإن لدى ماياكوفسكي كثير من الكرنفال، كثير للغاية. ولكنه لا يظهره بالمناسبة إطلاقًا ولا يبرزه. وهذا أحد أقوى مظاهر القوة لديه، وأعني الكرنفال كظاهرة طبيعية. وقد ظهر الكرنفال عنده، بالطبع، في إبداعه المبكر أولا، في الفترة المستقبلية.

دوفاكين: وحتى النهاية، وفي كل أعماله!

باختين: حتى النهاية، نعم. كل ذلك كان لديه. ولكنه في الوقت نفسه قد ألحق بنفسه ضررًا كبيرًا... لماذا فعل ذلك؟ لماذا أراد فجأة أن يصبح شاعرًا بيروقراطيًا، مُشرِّعًا حكوميًا وما إلى ذلك وهلمجرا؟!

مثله مثل سيئ الحظ مايرخولد، الذي كان على استعداد أيضًا، كما يبدو، أن يعتقل خصومه الأيديولوجيين في الحركة المسرحية. أظن أن الأمر وصل به إلى تهديد شخص ما، لا أتذكر من هو، قائلا له: "سوف أعتقلك؛ لأنك ضد السلطة السوفيتية!" والحقيقة أنه ليس بسبب أنه كان ضد السلطة السوفيتية، وإنما لأنه كان ضد نظرياته هو. وقد كان تصرفه هذا ينم عن شخص أكثر كرنفالية!

دوفاكين: لقد كان لدى مايرخولد ما هو أكثر من ذلك... أتعلم... كان لديه نزعة انحطاطية أكثر ذكاء... أما مايكوفسكي فقد كانت لديه جوانب ضعف أخرى، ربما كانت ثقافته أقل، ولكن لم تكن لديه أشياء زائفة على الإطلاق...

باختين: كانت هذه الأمور موجودة على أية حال... في تلك الظروف... إذ لم يكن بإمكانه ألا يدرك ما يحدث حوله... لا يمكنه ألا يدرك. لا يمكنه ألا يدرك، أنه في الأحوال كافة، من المستحيل أن يقبل كل ذلك دون قيد أو شرط.

دوفاكين: وعلى الرغم من ذلك نجد هنا تحديدا تلك الشاعرية التي تربط، ربما، بين ماياكوفسكي وتسفيتايفا! لعلك تذكر قولها "ما الذي عليّ أن أفعله تجاه اللانهائية، في عالم مليء بالقيود؟!". لم يستطع بالطبع... أنت على حق... فهو باعتباره شاعرًا كان يقول "ثوريّ"، وقد قبل الأمر برمته.

باختين: نعم، قَبِل الأمر برمته، أفهم ذلك.

دوفاكين: قبل الأمر برمته. وهذا، إذا جاز القول، إثم فلسفي عام، بمعنى أنه رأى أن الغاية تبرر الوسيلة. وقد اقتسم هذا الإثم مع العديد من الكبار في العالم.

باختين: نعم.

دوفاكين: وقد كان من الطبيعي أن تكون نهايته، بطبيعة الحال...

باختين: ينبغي القول إن تلك الثورة، التي كان يعرفها عندما كتب قائلا "ثورتي"... كان فيها الشيء الكثير من الكرنفالية في واقع الأمر. وقد سمع ذلك. ولكنه عندما...

دوفاكين: كان فيها شيء ما من العظمة!

باختين: كان بها، نعم، وقد كانت هذه العظمة موجودة بدرجة ما...

دوفاكين: وقد أصبح مثل قطعة من الدم المتخثر في هذه العَظَمة وفي هذا الهزل الماجن. ومن هذا الهزل استمد شعره أيضًا... وقد كان يتلاعب بالفعل... وعندما كان يتلاعب آنذاك بالكلمة، وعندما كان يقول: "على الرغم من الصياح الشعري، أرى أنه لا يوجد في أي مكان شعر، ما عدا في موسسيلسبروم"(*)، "هناك يكون الشعر في أعظم حالاته". لماذا؟ لأن الشعر، كما يقول، هو معالجة للكلمات، وأن من الممكن عمل الشعر بأي مادة، أي مادة! هذا الموقف هو الذي أدى إلى...

باختين: ... إلى النهاية. نعم، نعم.

دوفاكين: ... إلى النهاية. وهو لم يستطع أن يتخذ موقفًا ما بنسبة ثلاثة أرباع، ولهذا كانت الأحكام حول "لا، ألا ترون..."، إنه، كما يقول، منذ انضم إلى جماعة راب (الجمعية

(*) موسسيلسبروم: مجمع زراعي صناعي في موسكو. (المترجم)

الروسية للكتاب البروليتاريين)، فقد قتل نفسه بيديه، وقد كانت هذه الأحكام مهينة له. ولأنهم كانوا يناقشون: "كان أمامه طريق الشعر البروليتاري، وها قد أصبح شاعرًا بروليتاريًا، أم تراه لم يصبح؟ بنسبة ثلثين، أم بنسبة ثلاثة أرباع..." هذا ما لم يستطع أن يكونه. لقد كان إنسانًا؛ وكإنسان كانت له جوانب متعددة، كان مركبًا. ولكنه كشاعر لم يستطع أن يكون كذلك... لم يكن شاعرًا من أصحاب الصوت الخفيض.

أما أنا فلا أستطيع أن أتفق مع هذا التعبير، الذي يقول إنه ليس من الممكن أن يكون هناك شعر مرحٌ، ولكن بالنسبة للموسيقى، لا أعرف...

باختين: نعم، شعر مرح... ليكن... نعم... ولكنه شعر.. على أية حال... ولكن، مجرد شعر مرح؟ – لا يمكن ... الأمر هنا هو – "دمعة باردة"...

دوفاكين: عندما دوى هدير الرقص
اهتز كل شيء في القاعة الكبيرة
تشققت الأرضية الخشبية
تحت دق الكعوب
اهتزت الأطر
الآن اختلط الحابل بالنابل
حتى نحن، معشر النساء
انزلقت أقدامنا على الألواح ذات الطلاء الناعم

أما في القرى والمدن
فما يزال الرقص محتفظًا بألوانه القديمة:
الوثبات الرشيقة، الكعوب، شوارب الرجال
كل شيء على حاله القديم، لم تغيره
الموضة الطائشة، أو حاكمنا المستبد،
أو أمراض الروس الجدد[٣٥].

باختين: نعم، ولكنه مجرد شعر مرح... هذه عناصر...

دوفاكين: هذا شعر، هذا شعر مرح.

باختين: عناصر! نعم، نعم. ولكنه ليس شعرًا مرحًا... إذ إن الشعر المرح...

دوفاكين: أليس هذا شعرًا؟ شعرًا! أليس مرحًا؟ مرحًا!

باختين: شعر مرح للغاية، ربما، نعم. لكن شعرًا مثل هذا، في مجمله، ثم إبداع الشاعر، مرة أخرى، في مجمله، لا يمكن ألا يحمل في طياته ذلك الـ...

دوفاكين: آه !!! هذا هو مربط الفرس! حسنًا، اتفقنا إذن.

باختين: وقد يكون في نهاية الأمر...

دوفاكين: عندئذ نكون متفقين. وهنا أجيبك بأبيات من ماياكوفسكي نفسه:

اذهبي، أيتها الأخطار، ارجعي إلى بيتك
عانقي الأرواح وانفذي إلى عمق البحار
فمن يظل واضحًا دائمًا
هو، في رأيي، ليس سوى أحمق.

هذا صحيح. إذن فقد وصلنا سويًا فيِ هذا المعنى إلى نقطة اتفاق مشتركة.

باختين: نعم، نعم.

دوفاكين: بالمناسبة، حان الوقت لنغير دفة الحديث. لقد أسرفنا في الكلام عن سولوجوب وحده.

(انقطاع في التسجيل)

دوفاكين: ... كنتم تتحدثون عن بلوك؟

باختين: نعم. هذا رجل من طينة أخرى تمامًا. وكلنا من طينة تختلف عن طينة بلوك. أما بلوك، فهو استثناء. كان يتمتع بطلعة بهية. ورغم أن قراءته للشعر كانت ضعيفة، لم يكن هناك إلقاء تقريبًا، إلا أن شيئًا ما كان يميز صوته، كان صوتًا سماويًا إذا جاز القول، بمعنى أنه... باختصار، كنا نبدو صغارًا، بينما كان يبدو كائنًا مختلفًا، جبارًا، من طينة أخرى، يمتلك صوتًا مختلفًا تمامًا عن أصواتنا. كان ينطق الكلمات نفسها بجرس هائل، لا كما ننطقها نحن، فتخرج من فمه بشكل مختلف فتحمل معنى آخر. هذا هو الانطباع الذي تركه لديّ. لكنني لم أستطع التعرف عليه فيما بعد. غادرت المكان آنذاك... وفي تلك السنوات استقر بي المقام في لينينجراد بصفة دائمة...

دوفاكين: ... كان قد توفي حينئذ.

باختين: ... كان قد توفي. تذكرت أمرًا للتو. ذات يوم ونحن في ڤيتيبسك وصلتنا أنباء تقول إن الوضع المالي لبلوك سيء

للغاية، في الواقع أن الجوع كان ينهشه على أية حال بدرجة أو أخرى. ولكن كيف عجزوا عن أن يطعموا رجلا مثله؟ ما هذا السخف؟! ما هذا السخف؟! كانوا جميعهم يأكلون في الكرملين حتى التخمة. ليس في الكرملين فحسب وإنما في كل مكان. أذكر أنه لم يكن هناك في ڤيتيبسك، حيث عشت، أحد يعاني من الجوع.

دوفاكين: لقد عاش الناس في ڤيتيبسك...

باختين: هل كان من الصعب عليهم أن يمدوا يد المساعدة لأناس مثل بلوك؟! والأمر المفزع هو هذا التجاهل، هذه اللامبالاة، وخاصة من جانب الرفاق، ومن جانب السلطات أولا، أولا. ثم راحت الشائعات تصل إلينا... عندئذ نظمنا أمسية لصالح بلوك. وفي هذه الأمسية ألقى أحدهم كلمة، وكان قادمًا من بطرسبورج، من بتروجراد... صحفي... كان مرموقًا آنذاك... وقد اتضح فيما بعد أنه كان من بين الذين تم نفيهم فورًا بعد ذلك... سأخبرك الآن باسمه...

دوفاكين: من صحفيي قبل الثورة؟

باختين: كان من صحفيي قبل الثورة، نعم، نعم، قبل الثورة. كان رجلا متقدمًا في العمر... جاء فألقى كلمة. وبعده ألقى ميدڤيديڤ هو الآخر، باڤل نيكولايڤيتش...

دوفاكين: ومن كان هذا الصحفي؟ ألم يكن يكتب في الصحف السوڤيتية؟

باختين: نعم، كان يكتب، كان يكتب.

دوفـــــاكين: كان يكتب؟

بـــاخـــتيــــن: كان يكتب، نعم، نعم. كان على علاقة باتحاد الكتاب.

دوفـــــاكين: كان هذا أولشيڤسكي؟

بـــاخـــتيــــن: لا، لا.

دوفـــــاكين: كان أولشيڤسكي، أم تـــراه توجندخولـــد... كـــان مـــن المسنين...

بـــاخـــتيــــن: لا هذا ولا ذاك. كان من جيل أصغر على أية حال، لكنـــه بدأ قبل الثورة ونال شهرة قبلها...

تُوفي (بلوك – الناشر) نتيجة لمرض القلب. وقد اتخذ هذا المرض لديه أشكالا حادة بسبب الأسقربوط. والأســـقربوط كما تعلم هو من نتائج سوء التغذية.

دوفـــــاكين: وهل هناك ما يؤكد أنه مات نتيجة لداء الأسقربوط؟

بـــاخـــتيــــن: بداء الأسقربوط؟ أنه كان مريضًا بهذا الداء؟ هذا في رأيي أمر مؤكد في كل المراجع.

دوفـــــاكين: لم أقابل هذا إطلاقًا.

بـــاخـــتيــــن: حقا؟ أعتقد أنه تحدث عن الأسقربوط حتى في مذكراته – الإصابة بداء الأسقربوط وما إلى ذلك.

دوفـــــاكين: إن هذا الداء له أعراض طبية دقيقة.

بـــاخـــتيــــن: نعم، وكان واضحًا أنه يعاني من هـــذا المـــرض. نعـــم، وعندما وصلت إلينا هذه الإشاعة سارعنا بتنظيم الأمسية.

دوفـــــاكين: وصلتكم في ڤيتيبسك، صحيح؟

باختين: نعم، في ڤيتيبسك. كانت القاعة مليئة بالناس، الذين جمعوا مالا كثيرًا كان عليهم إرساله إلى بلوك. بل إنهم، على ما يبدو، قرروا شراء كل ما يمكن من طعام في ڤيتيبسك، وفي ڤيتيبسك كان كل شيء متاحًا. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت ڤيتيبسك مدينة يهودية. وكان اليهود يجيدون التلاعب في الأوقات الصعبة. وبفضل ما لديهم من علاقات دائمة، وبفضل أسلوبهم العملي، وبفضل دأبهم، كانوا ينجحون دائمًا في الحصول على كل شيء. المهم تقرر أن يرسلوا إليه ما جمعوه. وفي هذا الوقت وصلت أخبار عن وفاته. تأخرنا! ومن ثم لم ترسل إليه الأشياء.

دوفاكين: وماذا كان مصير كل هذه الأطعمة؟

باختين: لا أذكر لمن أرسلوها. أرسلوها، على الأرجح، إلى عائلته، إلى لوبوف ديمتريڤنا، على الأرجح، لم أهتم بهذا الأمر. شاركت في هذه الأمسية بقراءة الشعر... لا ... بل ألقيت محاضرة على ما أظن... محاضرة قصيرة عن "بستان البلبل"... قلت شيئًا ما عن "بستان البلبل". ثم قرأت شيئًا من شعره... هاك إياه...(٣٦)

الآن سأقرؤه عليك...:

عندما تصبح منهكًا مطحونًا

محرومًا من عطف الناس وحنانهم

عندما يرقد تحت لوح القبر

كل ما كان يفتن لبك... -

وهلمجرا. أبيات رائعة!

دوفـــــاكين: "عندئذ تستطيع أن تفخر بسعادتك..."[٣٧] هذا بيــت مــن القصيدة، أليس كذلك؟

بـــاخـــتيـــن: لا، لا، ليس هكذا، وإنما على النحو التالي:

عندما تصبح منهكًا مطحونًا

محرومًا من عطف الناس وحنانهم

عندما يرقد تحت لوح القبر

كل ما كان يفتن لبك

عندما تعود إلى بيتك

عبر صحراوات المدينة

يائسًا ومريضًا

ورموش عينيك مبللة بالندى،

عندئذ، توقف لحظة،

أصغ إلى صمت الليل:

ستسمع عندئذ... حياة أخرى،

لم يتسن لك من قبل أن تعرفها

ستدرك مداها على نحو جديد

الشارع الممتد يغطيه الثلج

ودخان المشعل يتصاعد في السماء

والليل يتحرق شوقًا إلى الصباح

يُسدل ستره فوق الحديقة البيضاء المهملة
أما السماء... فكتاب بين الكتب
من جديد، ستجد في روحك الخاوية
صورة الأم الحانية
وفي هذه اللحظة خالدة الذكر
سترى في زخارف زجاج المصباح
وفي البرد الذي يجمد الدم في العروق
حبك الذي خمد أواره.
كلُ شيء سيبعث في القلب النبيل
وعندها ستبارك كل شيء
بعد أن أدركت أن الحياة السرمدية
أكبر بما لا يقاس من إرادة براند صاحب الـ Quantum
satis وأن العالم رائع، كعهده دائمًا(٣٨).
قصيدة رائعة! رائعة...!

دوفــــاكين: رائعة حقا. وأنت قرأتها على نحو رائع.

بــاخـتيـــن: مهلا، لقد كنت في زمن ما أقرأ الشعر على نحو جيد، أما الآن فلا أستطيع. لم يعد لديّ صوت أو نَفَس...

دوفــــاكين: على أي حال فإن إلقاءك لا يزال جيدًا.

بــاخـتيـــن: حسنًا، أذكر أنني قرأت هذه القصيدة آنذاك.

دوفــــاكين: نسيت أن تقول شيئًا ما عندما كنت تتحدث عن ڤيتيبسك.

بــاخـتيـــن: نعم، لنعد الآن إلى بلوك. بعد ذلك مباشرة عاد إلى

لينينجراد أيضًا صديقي المقرب، باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ. لقد سبقني إلى هناك. لقد قام هو وبومبيانسكي بدرجة كبيرة على إعداد عودتي إليها. وقد ازدادات علاقته قربًا بزوجة المرحوم بلوك. حسنًا، وقد انتشرت الشائعات التي تقول إنه كان عشيقًا لها. وفضلا عن ذلك فقد سمعت هنا أيضًا أنه...

دوفاكين: من، ميدڤيديڤ؟

باختين: ميدڤيديڤ، نعم، سمعت أنه كان زوجها رسميًا أيضًا. كلام فارغ. كنت أعرف ميدڤيديڤ جيدًا. أعرفه جيدًا. حسنًا، أما بشأن ارتكابه الفحشاء معها، فهذا أمر لا أعرفه بالطبع، ولا أستطيع أن أؤكده، لكنه لم يكن زوجها أبدًا. وقد سَمَحَتْ له بالاطلاع على أرشيف بلوك. وبذلك كان أول من عمل على أرشيف بلوك. وهو الذي أصدر كراسات بلوك ومذكراته. أول من أصدرها غير مكتملة(٣٩).

دوفاكين: نعم، وبإهمال...

باختين: بإهمال شديد، صحيح، ولكنه أصدرها مع ذلك. ثم ها هو يكتب كتابًا صغيرًا عن بلوك أسماه "مسيرة بلوك الإبداعية". كتاب تافه.

دوفاكين: لا قيمة له.

باختين: سقط متاع، نعم، كلام فارغ. على أن هناك أمرًا شيقًا هنا. هذا الجدل الذي ثار حول وضع صليب على قبر بلوك. هل سمعت عن ذلك؟

دوفاكين: هذا شيء لا أعرفه.

باختين: نعم... ليس هناك في الوقت الحالي أي صليب عند قبر بلوك. الحقيقة أنه تم نقل هذا القبر كما هو معروف. ولكن هل كان هذا الصليب موجودًا عند استخراج رفاته ونقله أم لا؟

دوفاكين: لا أعرف. ولكن متى تم نقل رفاته، ولماذا؟

باختين: تم نقل رفات بلوك إلى مقابر الكُتَّاب، الأدباء.

دوفاكين: إلى جبانة ڤولكوڤي.

باختين: نعم، نعم. نقلوه إلى هناك.

دوفاكين: وأين كان مدفونًا قبلها.

باختين: في جبانة سمولينسكي، في سمولينسكي.

دوفاكين: في بتروجراد، ولكن في جبانة أخرى؟

باختين: نعم، في جبانة أخرى. الأهم، أنه لم يكن مدفونًا آنذاك وسط الأدباء، وإنما بين قبور ما غير معروفة. ومن هنا احتدم الجدل، في الخارج، ليس عندنا بالطبع، حول ما إذا كان هناك صليب عند قبر بلوك؛[٤٠] لأنهم عندنا كانوا يعتقدون، على سبيل المثال، أن بلوك كان ملحدًا تقريبًا. هذا ما حدث. لكن آخرين كانوا يؤكدون أنه لم يكن كذلك، وأن بلوك لم يكن ملحدًا في وقت من الأوقات، وأنه كان لا يؤمن فقط بالمسيح، ربما لا يوجد في هذا العالم شاعر كبير لم ينكر وجود المسيح على نحو ما، وإن ظل ظاهرًا؛ فضلا عن أن يكون ملحدًا على الطريقة الماركسية. كل

هذا هراء بطبيعة الحال! إذن... وقد راحـــوا يثبتـــون أن بلوك، بالطبع، لم يمت ملحدًا على أية حال، وأن صليبًا قد وضع على قبره، وأنه قد وُضع بناء على وصية كتبها قبل موته. إلى أي حد كان صادقًا من قال هذا - لا أعـــرف. يهمني أن أتحقق. لقد وقف باڤل نيكولايـڤيتش ميدڤيديـڤ عند قبر بلوك القديم. وما أن وصل إلى لينينجــراد حتـــى ذهب على الفور إلى هذه المقبرة والتقط صورة لها. وفـــي كتابه المسمى "الطريق الإبداعي لبلوك"... توجد صـــورة قبر بلوك، على أني لا أتذكر إن كان هناك صـــليب أم لا. أظن أنه كان هناك صليب، وإن كنت غيـــر متأكـــد مـــن ذلك[٤١].

دوفـــــاكين: ولكن إذا كان هناك ثمة صليب فعلام كان الجدل إذن؟

بـــاختـــيـــن: لقد نسي الجميع أمر هذا الكتاب، إذ كان كتابًـــا ســـخيفًا. (انقطاع في التسجيل).

دوفـــــاكين: حسنًا ميخائيل ميخايلوڤيتش، كنا قد توقفنـــا فـــي حـــديثنا السابق عند بلوك. واليوم ننطلق إلـــى موضـــوع جديـــد: سولوجوب وكل ما أحاط به. ماذا لديك أيضًا من انطباعات كبرى تستطيع أن تلقي بالضوء عليها في إطار عصرنا؟

بـــاختـــيـــن: قبل أن أتحدث عن لقاءاتي الأدبية في هذه الفتـــرة، أود أن أذكر بضع كلمات عن أين جرت هـــذه اللقـــاءات تحديـــدًا. بعض المواقع إذا جاز التعبير. أولا، كانت هناك صـــالونات

أو حلقات. لم تكن هناك في هذا العصر، بالطبع، صالونات بمعنى الكلمة وما كان من الممكن أن توجد، لكن تلك الحلقات كانت تؤدي الوظيفة نفسها تقريبًا، وهي حلقات تقوم على آراء مشتركة، اهتمامات مشتركة، علاقات شخصية وهلمجرا. وإليك الآن الصالونات – الحلقات التي كنت أتردد عليها في ذلك الزمن وأين التقيت بممثلي الأدب.

حسنًا، أولا، هذه حلقة أتباع روجيڤيتش. لم تكن صاحبة الحلقة نفسها، أنّا سيرجييڤنا روجيڤيتش(٤٢)، أديبة، بل كانت طبيبة، لكنها كانت وثيقة الصلة بدوائر الأدباء والفنانين ثم الموسيقيين بوجه خاص، فقد كانت حفيدة وواحدة من ورثة المرحوم أنطون روبنشتاين. وكانت تتقاضى مبلغًا كبيرًا من المال عند عرض أوبرا "الشيطان". عمومًا كانت الممثلة الوحيدة في روسيا لورثة روبنشتاين.

كان زوجها روجيڤيتش مهندسًا، وكان أيضًا مثقفًا واسع المعرفة. كان والده بمثابة مساعد... وزير المالية آنذاك، قبل الثورة. روجيڤيتش. كان بولنديًا ورحل بعد ذلك إلى بولندا؛ حيث شغل المنصب نفسه هناك في الجمهورية البولندية. كانت حلقة من الناس تجتمع لديهم من أرباب الأدب والموسيقى والفنون الأخرى. وهنا التقيت بنفر من الشعراء كان من بينهم كليويف.

كليويف. إذن. ترك في نفسي في البداية انطباعًا قويًا، جيدًا. استمعت إليه للمرة الأولى عام ١٦... لا، بل عام ١٧، بعد ثورة فبراير، في الجمعية الدينية الفلسفية، حيث قرأ أشعاره بعد محاضرة القاها أندريه بيلي. آنذاك قرأ قصيدته "الأبجدية الروسية"، وهي شرح لمختلف الحروف، مجاز شعري أخلاقي لكل حرف من الحروف. عندئذ لم يعجبني، لم يعجبني. كان مقلِّدًا للغاية: ميالا للتلوين والبهرجة بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة، ومن ثم كان انطباعي السيىء عنه... فيما بعد، عندما قابلته في ظروف أخرى، بعد مرور سنوات عديدة، أعجبت به إعجابًا كبيرًا. أولا، كان يلقي أشعاره بطريقة رائعة؛ زد على ذلك جودة الشعر ذاته.

دوفاكين: هل كان ديوانه "الحوت البرونزي" قد صدر آنذاك؟ أم أنه صدر قبل ذلك؟ "الحوت البرونزي"، ديوانه[٤٣].

باختين: آه... صدر بعد ذلك، ربما. "البرونزي..." – كيف، عفوًا؟

دوفاكين: كان لديه ديوان اسمه "الحوت البرونزي" إذن.

باختين: نعم. أما الآن فأنا لا أتذكر هذا الديوان. أتعرف ما الذي كان يعجبني؟ شعره .... في تلك الفترة... صدرت قصيدته: ملاك الأمور الإنسانية البسيطة

اندفع داخلا إلى بيتي الريفي مثل عصفور...[٤٤]

يأتي الحديث بعد ذلك عن البيت الريفي الروسي، عن

روسيا القديمة ببيوتها الريفية، بكل التصورات المألوفة، إذا جاز القول، عن الحياة الريفية الروسية الخالدة.

بالمناسبة فإن كاتبًا، مثل بيلوف، يعد كاتبًا معاصرًا...

دوفاكين: آه، أليس هو ذلك الذي كتب عن القلعة القديمة؟

باختين: لا، إنه كاتب من ڤولوجدا. بيلوف[٤٥]. كاتب ريفي. لا أتذكر الآن حتى أسماء أعماله...

دوفاكين: آه، بيلوف، لقد خلطت بينه وبين بيلاييف...

باختين: لا، بيلوف. ما علينا... لقد كتب (كليويف – المترجم) عددًا من الأشعار الأخرى، كما أن له أشعارًا مكرسة لثورة فبراير. لكنه لم يكتب أشعارًا مكرسة لثورة أكتوبر.

كان القلب مثل جرس مُعلق على قوس الحصان
في موكب عُرس، وقد راحت الطيور
تلتقط الحب، بينما كان الهواء ذهبيًا... –
وهلمجرا[٤٦].

أو مما كتبه بعد أكتوبر، بعد ثورة أكتوبر – هذه القصيدة: "وصلت القافلة قادمة من الشرق" "وصلت القافلة قادمة من الشرق..." نسيت... "بلون الفيروز..." "تخطو على جراحنا..."[٤٧] – هذه القافلة... نسيت... كان يقرأ أشعاره فيما بعد، لم تترك لديّ القصائد المكتوبة هذا الانطباع، الذي تركته عندما استمعت إليها.

دوفاكين: أرأيت؟ هذا نفس ما قالوه عن ماياكوفسكي: لكن الأمر كان على النقيض من ذلك: عندما تقرؤه بعينيك – يكون الأمر

غير عادي، لا تفهم شيئًا، سخف. أما إذا استمعت إليه – فانطباعاتك أمر آخر. ولكنك عندما تعود إلى شعره بعد قراءته، إلى ما أصبح باهتًا في ذاكرتك بعد استماعك، يبدو كأنني لم أستمع إلى مثله من أحد، وحتى أنا، لا أتعرف عليه... لم أحب ماياكوفسكي عندما استمعت منه... "تامارا والشيطان"، ثم رحت أقرؤها في المجلة – حتى تكشف معناها لي. أما تلك القصائد التي يقرؤها الشاعر...

باختين: تبدو جيدة، ثم يتضح أنها سيئة؟

دوفاكين: حقا.

باختين: ليست سيئة، ولكنها سرعان ما تبهت بشكل ما...

دوفاكين: ... لقد كتبوا كثيرًا من الشعر آنذاك.

باختين: كثيرًا منه، نعم. ولعلي أقول إن كليويف كان من هؤلاء. ولكنه على أية حال كان شاعرًا حقيقيًا. كان شاعرًا مطبوعًا. على الرغم من أن كثيرًا من أشعاره كانت تافهة، مصطنعة...

دوفاكين: وخاصة أشعاره الأخيرة.

باختين: ... بها كثير من التكلف. لقد وصف نفسه، على سبيل المثال، في تلك الفترة، عندما عرفته، وصف نفسه باعتباره إنسانًا غريبًا تمامًا عن ثقافة المدينة. على سبيل المثال كان يقول وهو يقترب من دولاب كتبه: "وهذه الكتب بأي لغة كُتبت؟". في الحقيقة كانت هذه الكتب باللغة الألمانية. وقد كان قارئًا جيدًا للغة الألمانية، وإن كان ينطقها في الحقيقة

بصورة سيئة، وهذه مسألة أخرى، أما من جهة القــراءة، فقد كان يقــرأ ويفهــم، أمــا أن يصــف نفسه بأنه إنسان لا يستطيع حتى التعرف على اللغة التي كتبت بهــا هــذه الكتب، فقد كان يكذب بالطبع[٤٨].

دوفـــاكين: بالطبع كان يكذب.

بـاخـتيـن: كان يكذب، كان يكذب.

دوفـــاكين: وحتى بلوك كان يراه فلاحًا بحق.

بـاخـتيـن: نعم. في واقع الأمر لم يكن الرجل بطبيعة الحال...

دوفـــاكين: بالطبع!

بـاخـتيـن: ... لم يكن هكذا، لم يكن هكذا، نعم. كان مثقفًــا بمعنــى الكلمة، و... إنسانًا واسع الاطلاع، واسع الاطلاع.

دوفـــاكين: كان فلاحًا واسع الاطلاع، ثم أصبح مثقفًا، وإن حــاول أن يظل على صورته القديمة.

بـاخـتيـن: نعم، على صورته القديمة.

دوفـــاكين: لقد شاهدته مرة واحدة.

بـاخـتيـن: لكنه كان مخلصًا في أن هذه الــصورة كانــت الــصورة الحقيقية بالنسبة له على وجه العموم، وأن الصورة التــي يظهر عليها الآن، باعتباره مثقفًا، ليــست هــي صــورته الحقيقية، وإنما هي مجرد صورة مختلفــة. أمــا إمكانيــة العودة إلى ما أسماه روسيا الحقيقية، مــا أســماه روســيا الأكواخ الريفية وهلمجرا، وأنه يمكن أن نعود إليها، فــلا

أظن أنه كان مؤمنًا بذلك. كان يتصور شيئًا ما آخر، ولكنه شيء قريب من هذا الشيء الغابر، من روسيا المجهولة، ولكنه ليس قريبًا من هذا الخليط الثقافي، الذي كان يشكل الحياة المعاصرة بالنسبة له. حسنًا، فضلا عن ذلك، كانت لديه تحيزاته الشديدة ومشاعر الكراهية. كان يكره بريوسوف...

دوفاكين: يكره بريوسوف؟

باختين: يكره بريوسوف. "بريوسوف مهدد بقلم منتهك". هذا ما قاله عن بريوسوف.

دوفاكين: وكان يحب بلوك.

باختين: نعم، كان يحب بلوك. حسنًا، كما هو معروف، كانت هناك مراسلات بينهما، كثير من الخطابات، لا أعلم كم يبلغ عددها؛ لكن عددها كبير. كان بلوك معجبًا في وقت ما بهذه النزعة الشعبية، عندما كان يفكر في، ثم كتب، بعد ذلك، كتابه المسمى "الإنتليجنسيا والشعب"، هذا هو الأمر. وكان يتصور أن كليويف ممثل للشعب. لكن هذا لم يكن صحيحًا على الإطلاق. وسرعان ما أدرك بلوك ذلك بنفسه فيما بعد.

دوفاكين: وقد كان كليويف أيضًا يكره ماياكوفسكي.

باختين: بالطبع، كان كليويف أيضًا يكره ماياكوفسكي، حقا، كان لديه الكثير من...

دوفاكين: إذن، ألم تر كليتشيكوف بالقرب منه؟ ألم يحدث ذلك؟

باختين: أظن أنه كان يعرف كليتشيكوف، لكني لا أعرف كيف كانت علاقته به.

دوفاكين: لقد كانوا جماعة واحدة ... هل تذكر قصيدة يسينين التي جاء فيها: "ها هو كليويف يختار له لقبًا، ميكولاي المسالم..."(٤٩)

باختين: هذا صحيح. لكني لم أتحدث معه عن كليتشيكوف.

دوفاكين: وأنت، ألم تقابل كليتشيكوف؟

باختين: لا، لا أتذكر كليتشيكوف.

دوفاكين: ألم يكونوا جماعة واحدة؟

باختين: في رأيي أنهم كانوا كذلك. على أي حال، كانوا جماعة، حسنًا، كانوا أصدقاء. لكني لا أتذكره.

دوفاكين: لا تتذكرهم معًا؟

باختين: لا أتذكرهم معًا. على أي حال، هناك، حيثما كنت...

دوفاكين: يعني أنه في حلقة روجيفيتش نفسها... كان كليويف حاضرًا... أما... كليتشيكوف فلم يكن موجودًا.

باختين: نعم. كانت لديه مشاعر الحب والكراهية.

دوفاكين: إذن كانت حلقة، إجمالا، جديرة بالاحترام، لا تضم بوهيميين؟

باختين: محترمة، لا تضم بوهيميين، لا تضم بوهيميين إطلاقًا. لقد كان كليويف، بصفة خاصة، حكاءً ماهرًا للقصص الشعبي، هذا القَصَص، الذي لم يسجله أحد في أي مكان ولم يُنشر... لقد قام، بعد أن استمع إليه في بيته، في محافظة أولونيتسك، بإعادتها للحياة بنفسه فيما بعد من

جديد، إذا صح التعبير. ومن الضروري أن نقول إنه يحكي هذا القصص على نحو رائع. نعم على نحو رائع! هنا كان في حكيه شيء ما صادق، أكثر صدقًا من...

دوفـــــاكين: من الشعر.

بـــاخـــتيـــــن: ... الشعر، نعم. ولكن هذا القَصَص كان شفاهيًا. هكذا كان يحكي، يجلس ويبدأ في الحكي، وعلى نحو رائع.

دوفـــــاكين: حسنًا، وهل وُلد بالفعل في أسرة ريفية ميسورة؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نعم.

دوفـــــاكين: ألا تعرف أين تلقى تعليمه؟

بـــاخـــتيـــــن: لا أعرف. كان يتظاهر بأنه فلاح ساذج، وفي رأيي أنه لم يكن يتحدث حتى في هذه الموضوعات. كان يقول لي إنه "لم يتعلم في أي مكان، وإنه تعلم على يد الشعب، تعلم من الكتب".

دوفـــــاكين: ومن كان هناك أيضًا؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، الآن سنتحدث عنه... سأكمل حديثي فقط. يعني كـــان الرجل يحكي ببراعة...

دوفـــــاكين: هذه حقيقة.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، بعد ذلك حدث ذات مرة أنه قص علينا في صالون آل روجيفيتش حكاية فاحشة. وقد حكاها بـــصورة ممتـــازة، لكنها كانت حكاية فاحشة للغاية.

دوفـــــاكين: احكها!

بـــاخـــتيـــــن: وبعدها توقفوا عن دعوته إليهم – ولم يكن هذا عدلا منهم.

دوفـــــاكين: وهل كانت الحكاية جيدة حقيقة؟

بـــاخـــتيــــن: كانت جيدة للغاية.

دوفـــــاكين: باعتبارها حكاية؟

بـــاخـــتيــــن: نعم.

دوفـــــاكين: حسنًا احكها إذن.

بـــاخـــتيــــن: ولكني لا أتذكرها الآن على النحو الذي كانت عليه... لقد حكاها على نحو لو تمت إعادتها، إن جاز القـــول، بلغـــة مختلفة، لما تركت تأثيرًا. وخاصة أنه كان يُصفِّر آنـــذاك بطريقة ما، عندما يتطلب الأمر، ويخرج كل ما يمكن من أصوات، وخاصة إذا كـــان الحكي يـــدور حول العفاريت أو عرائس البحر وما إلى ذلك...

دوفـــــاكين: آه يا له من أمر شيق!

بـــاخـــتيــــن: كان شيئًا رائعًا نعم رائعًا، وها هم يتوقفون عن دعوتـــه. ومرة أخرى ألتقي به في صالون آخر، لم يطـــردوه منـــه بالطبع على الإطلاق(٥٠). ولكنهم ببساطة كانوا يتوقفـــون عن دعوته إذا ما تصادف وكانت هناك سيدات مجتمع من اللائي لا يستطعن، بطبيعة الحال، هضم هذا الصنف مـــن العروض... (يضحك)

دوفـــــاكين: إذن كانت من الصنف البذيء جدًا، أليس كذلك؟

بـــاخـــتيــــن: نعم... الآن: الصالون الثاني، صالون – حلقة – كان يعقد في بيت ميدڤيديڤ، باڤل نيكولايڤيتش، الذي حدثتك عنـــه من قبل أكثر من مرة. كانت مجموعة من الكتّاب، كتّـــاب

تافهون في الواقع، كانوا يجتمعون هناك. وكان كليويف يذهب إلى هناك أيضًا. وقد قرأ أشعاره. أشعارًا مكتوبة. أذكر جيدًا قراءة له... كانت في وفاة يسنين:

صلِّ، أيها الشيطان، على يسينين

على هذه الحلوى(*) المصنوعة من بقايا صابون الحمامات... لعلك تتذكر هذا؟ لقد أسقطتُ هنا كلمة...(٥١)

دوفاكين: حلوى؟..

باختين: "... من بقايا صابون الحمامات"

دوفاكين: "... من بقايا صابون الحمامات..." بقايا الصابون... آه. يعني حلوى مصنوعة من بقايا صابون الحمامات، الذي يلزم تقديمه في القُداس... وسوف يقوم الشيطان بتأبين يسينين؟

باختين: يسينين، نعم.

دوفاكين: عمومًا هذا شعر قوي!

باختين: قوي، قوي. وبعد ذلك ترد أشياء غاية في القوة. كان لديه أشياء عاطفية للغاية.

دوفاكين: وكيف كان يبدو؟ مظهره.

باختين: كان يرتدي شيئًا ما بمثابة المعطف. چاكت وما إلى ذلك، لم أشاهده قط يضع ياقات. أظنه على الأرجح لم يضعها

(*) المقصود بالحلوى هنا طعام من الأرز أو أية حبوب أخرى مخلوط بالعسل أو الزبيب يقدم في ولائم التأبين وقدّاس الميت. (المترجم)

مطلقًا. كان معطفًا رجاليًا، ولكن لم تكن ملابسه في الوقت نفسه ملابس الرجال.

دوفاكين: هل كان يصف شعره على شكل حلقات؟

باختين: نعم، كان شعره مصفوفًا على هيئة حلقات، ولكنه لم يكن يدهنها بالكفاس*، كان شعره مهندمًا لا أكثر ولا أقل.

دوفاكين: ولكن... لقد أصابه الصلع فيما بعد... أليس كذلك؟

باختين: ربما، كان أصلع في أخريات حياته.

دوفاكين: هذا يعني أنكما كنتما تتقابلان حتى النهاية؟ حتى عام ١٩٢٩؟

باختين: نعم، حتى النهاية.

دوفاكين: وهل ... معك ... أم بعدك؟

باختين: جرى نفيه؟

دوفاكين: نعم.

باختين: أظن أنهم نفوه بعدي بقليل. نفوه...

دوفاكين: وهل لقي حتفه على أي حال؟

باختين: لقد قضى نحبه هناك، نعم.

دوفاكين: لم يعد، صحيح؟

باختين: لم يعد، نعم، نعم.

دوفاكين: وهل تعرف إذا ما كانوا قد ردّوا له اعتباره؟

باختين: لا أستطيع أن أجزم. الأرجح أنهم ردّوا له اعتباره، فهو لم

(*) الكفاس: شراب روسي حمضي. (المترجم)

يُنف في قضية سياسية، وإنما هل تعرف، كانوا قد بدعوا آنذاك في ملاحقة الشواذ جنسيًا[٥٢].

دوفاكين: وهل كانت له علاقة بهذا الأمر.

باختين: كانت له علاقة، نعم، علاقة كبيرة.

دوفاكين: لقد كان ذلك في الثلاثينيات.

باختين: وهو لم يُخف هذا، مثلما فعل ذلك... شاعر آخر شهير...

دوفاكين: شاعر؟ زوباكين؟

باختين: لا.

دوفاكين: ومن كان مشهورًا أيضًا هناك بهذا الأمر؟..

باختين: مهلا، زوباكين لم يكن سوى شويعر، أما الآخر فكان شاعرًا فحلا.

دوفاكين: أخ، كوزمين!

باختين: كوزمين، بالطبع. إذن. كوزمين. وكليويف هو الآخر لم يُخف ذلك، ولكنه بطبيعة الحال لم يكن يتحدث عن ذلك في كل خطوة يخطوها. وإن لم يجعل من الأمر سرًا. أتذكر أن مختصًا في هذه القضية حضر إلى روسيا، كان ألمانيًا، ألمانيًا شديد الجدية، وكان يعاني من الأمر نفسه. حسنًا، لقد كتب مجلدًا ضخمًا، تسنى لي أن أطلع عليه عندما سمعت بـ ...

دوفاكين: ما الذي تقوله...؟!

باختين: ... هذه الانحرافات. وكانت وجهة نظره أنه لا يمكن مقارنة هذا الأمر بأي عمل إجرامي، وأنه قانوني تمامًا،

وأنه لا توجد، في الحقيقة، معايير للحياة الجنسية يمكن أن تكون محظورة وأن تخضع للملاحقة. أما إذا تعلق الأمـــر بالاغتصاب وما إلى ذلك – فالمسألة هنا لا...

دوفـــــاكين: ماذا، والاغتصاب أيضًا لا يخضع للملاحقة؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، هذا يخضع للقواعد، أما الأمر الآخـــر فـــلا يخـــضع للملاحقة. وقد أسس ذلك علميًا، هناك مادة هائلة، تبدأ من الحضارة الإغريقية والرومانية القديمـــة وحتـــى العـــصر الحاضر. ومن بين المثليين الذين ورد ذكرهم في الكتاب، وهؤلاء عددهم كبير للغاية، أناس يشتغلون بالثقافة والشعر والموسيقى.

دوفـــــاكين: بدءًا من تشايكوفسكي في الموسيقى.

بـــاخـــتيـــــن: حسنًا، تشايكوفسكي أيضًا ورد ذكره في الكتاب بطبيعـــة الحال، وقد قدم المؤلف عرضًا طويلا للغاية عنه في كتابه بالألمانية...

دوفـــــاكين: بالدقة الألمانية المعهودة.

بـــاخـــتيـــــن: بدقة وما إلى ذلك. وها هو يصل إلينا. وبالطبع عرَّفـــوه بـــ...

دوفـــــاكين: ... بكليويـــف.

بـــاخـــتيـــــن: بكليويـــف، نعم. وكان يجتمعان معًا. وبطبيعة الحال فإنني لم أحضر هذه الاجتماعات، لكن بعضهم أبلغني علـــى أي نحو كانا يتبادلان الحديث. وأن كليويـــف ذكر، على سبيل المثال، أن ربنا، المسيح، كان مثليًا أيضًا.

دوفـــــاكين: مستحيل؟!

باختين: نعم. "... كان مرتبطًا بالحواري يوحنا، تلميذه الأثير، وكان شخصًا أنثويًا". ثم واصل قائلا...

دوفاكين: معقول كليويف... الرجل، إذا جاز القول، النابغة...

باختين: ... على إثر المسيح...

دوفاكين: ... على إثر المسيح، على إثر الأرثوذوكسي...

باختين: نعم.

دوفاكين: ... على إثر الفلاح، فضلا عن ذلك... هذا هو الأمر إذن...

باختين: على إثر الفلاح، نعم ... ورغم ذلك، فقد ذكر هذه الأشياء.

دوفاكين: لم أكن أعلم أن...

باختين: حسنًا، لعلك على الأرجح قرأت... كوزمين – ديوان "الأجنحة"[٥٣].

دوفاكين: قرأته، ولكني أذكره على نحو سيىء.

باختين: على العموم فهذا الديوان من الناحية الفنية...

دوفاكين: الديوان ليس لديّ.

باختين: ... ديوان شيق من الناحية الفنية، عمل فريد. وهو أيضًا عمل يتسم بالصراحة، الصراحة المطلقة من وجهة النظر هذه، الصراحة التامة...

دوفاكين: لا أتذكره جيدًا.

باختين: حسنًا، لقد انتهى الأمر آنذاك بأن قام العديد من هؤلاء الناس، وكان كوزمين قد توفي[٥٤]، إلى الهجرة، بسبب

ذلك، بعيدًا عن الوطن. ومن بين الذين هاجروا بسبب هذا الأمر أيضًا كان كليويف، ولكنهم كانوا قد وجهوا له، بطبيعة الحال، اتهامًا بصفة رسمية بارتكابه هذا الفعل، وبناء على تلك المادة أرسل إلى المنفى. كانوا بالطبع يعرفون ميوله وموقفه من السلطة السوفيتية، وربما كان ذلك هو السبب الرئيسي في نفيه.

دوفاكين: إذن على هذا النحو كان الأمر بالنسبة لهاتين الحلقتين. ومَن مِن بينهم أيضًا كان عظيمًا.

باختين: عظيمًا؟ لم يكن هناك ربما من يمكن اعتباره عظيمًا على وجه الخصوص. ولكن من الضروري أن نتذكر أن حلقة باقل نيكولايفيتش كانت تضم كُتّابًا سرعان ما أسدل النسيان أستاره عليهم. ولكن، إليك على سبيل المثال واحدًا مثل كوزاكوف، ميخائيل كوزاكوف.

دوفاكين: أذكره. كان أديبًا عظيمًا، أديبًا مشهورًا.

باختين: أديبًا مشهورًا، نعم. وقد انتهى الأمر به أيضًا إلى المنفى(٥٥). وقد عاد من هناك بعد إعادة الاعتبار له، ولكنه لم يعش طويلا، وأظن أنه لم يكتب شيئًا بعد عودته. وبالمناسبة فقد كان أيضًا صديقًا حميمًا لميدفيديف. والحقيقة أن حكاية ما قد شاعت عنهما فيما بعد وكانت وراء انفصالهما.

فيما بعد، كان هناك كاتب، اكتسب شهرة واسعة في

زمنه... لقد فقد عقله... ماذا تريد؟ (متحدثا إلى قطِــه)... سأحدثك عنه فيما بعد.

في هذه الحلقة كان هناك شعراء أيضًا. وكان أهم شـــاعر في حلقة ميدڤيديڤ هو فسيڤولد روچديستـڤينسكي، وكان لا يزال في عنفوان شبابه آنذاك. كان قد أنهى لتوه الخدمة العسكرية، التي قضاها في الأسطول. كان غواصًا، نعـــم، وهي رتبة متدنية بالطبع، غواصًا. وقد حقق نجاحًا كبيـــرًا في تلك الفترة. كانوا يقولون آنذاك أيـــضًا إن هنـــاك مـــا يعرف رسميًا باسم مدرسة ليننجراد للشعراء.

دوفـــــاكين: صحيح!

بـــاخـــتيــــن: وأنهم كانوا يضعون على رأسها...

دوفـــــاكين: فسيڤولد روچديستـڤينسكي، هذا صحيح، نعم.

بـــاخـــتيــــن: وقد انضم إلى هذه المدرسة فـــي المقـــام الأول نيكـــولاي تيخونوف... وانضم معه فـــي الوقـــت نفـــسه ڤـاجينوڤ، وسوف أحدثك عنه لاحقا، هو وغيره.

دوفـــــاكين: جيتوڤيتش.

بـــاخـــتيــــن: آه، جيتوڤيتش، نعم، نعم.

دوفـــــاكين: بروكوفييـــڤ، سايانوف..

بـــاخـــتيــــن: بروكوفييـــڤ، سايانوف – كل هؤلاء، نعم، هذه المدرسة.

دوفـــــاكين: ولكن، ألم تكـــن تعـــرفهم؟ بروكوفييـــــڤ، ســـايانوف، جيتوڤيتش؟

بـــاخـــتيــــن: لا، لم أكن أعرفهم. لا، لا.

دوفاكين: وهل كنت تعرف فسيڤولد روچديستڤينسكي؟

باختين: كنت أعرفه جيدًا.

دوفاكين: وهل ما يزال على قيد الحياة؟

باختين: ما يزال على قيد الحياة.

دوفاكين: أعلم أنه ما يزال على قيد الحياة. وكان كثيرًا ما يقرأ آنذاك أشعاره في حلقة باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ، ثم قرأ بعد ذلك أيضًا، على ما أظن، في صالون شيبكينا كوبرنيك، إذا لم تخني ذاكرتي. كل هذه الأشعار التي قرأها كانت أشعارًا رائعة بمقياس ذلك الزمان. كانت أشعارًا عاطفية خالصة، عاطفية خالصة! لم يشبهها، إذا جاز القول، أي موضوع وطني على الإطلاق. كان إلقاؤه رائعًا! وعندما قرأت هذه الأشعار نفسها بعد ذلك مكتوبة، لم تترك في نفسي ذلك الانطباع.

دوفاكين: ألا تتذكر بعضًا من هذه الأشعار؟

باختين: من أشعاره الأولى؟ لا، أتعرف... أنه ليس على أية حال شاعرًا من العيار الثقيل. أذكر هذه الأبيات من قصيدته المبكرة "في موت بلوك"، على سبيل المثال. أبياتًا رائعة.

دوفاكين: حسنًا، وكيف كان يلقي شعره. هل لديك ذكريات ما شيقة عنه؟ هل كنت تلتقي به أحيانًا في حلقة ميدڤيديڤ؟

باختين: في حلقة ميدڤيديڤ، نعم. هناك كان يشارك في الصراع الأدبي الدائر في زمنه. بالطبع لا يمكنني الآن أن أتذكر شيئًا ما من أشعاره. أتصور أن له ديوانًا، على سبيل

المثال، يسمى "الدب الأكبر"[٥٦]، يضم، في ظني، أشـــعارًا عن روسيا، حيث يقول "كانت هناك... كبرى..." – تتحدث القصيدة عن الغرب –

كانت هناك دولة كبرى غبية
ولكنكم لن تنجحوا أبدًا
أن تُغنوا، مثلما تُغني هي أحيانًا![٥٧]

أشعار جيدة وقوية.

دوفـــــاكين: "كانت هناك دولة كبرى غبية، أن تغنوا، مثلما تغني هي..."

بـــاخــتيـــن: "... مثلما تغني هي أحيانًا..."

دوفـــــاكين: "لن تنجحوا أبدًا". هذا موجه للغرب، أليس كذلك؟

بـــاخــتيـــن: بالطبع، نعم، نعم، نعم. أو فلتنظر مثلا إلى هذه الأشعار... سوف أتذكرها الآن...

على هذه الأرض التي أدفأها ضوء النجم
نغني بصعوبة وقد أمضّنا الحزن
وها هي الملائكة وقد نزلت إلى الأرض
لسبب ما تستند على الشعراء
تقودهم كما لو كانوا عميانًا أو أطفالا
وكجوّالين لا يعرفون الكلل
رحنا نستمع إلى الأصابع الحانية
في يد رفاقنا الطيبين.

هذا حسن للغاية.

دوفـــــاكين: نعم.

باختين: يا ملاكي الطيب
الذي لا يعرف أبدًا ما يريده
أعرف أنك ستصبحين زوجًا لي
أنت أيتها الفتاة اللعوب في حدائق الأرض
ومن أجل الأيام التي لا تتكرر
مغادرًا ... صوت الأرض
في غرفتي التي انقلب فيها كل شيء
رأسًا على عقب
تزيلين الغبار وتعيدين الأشياء إلى صوابها
وعندها ... (هنا شيء لا أتذكره)
تصبحين قيثارة بشرية...[٥٨]
انظر، ها هو قد ضل الطريق.

دوفاكين: مفهوم.

باختين: لقد تمعنت قليلا في أسلوبه، وفي جرسه بعض الشيء قدر المستطاع، بالطبع فأنا لا أستطيع في الوقت الحالي...

دوفاكين: هنا شيء من باسترناك، ومن يسينين.

باختين: نعم، بعض من هذا، ومن ذاك. بل ومن بلوك أيضًا، من بلوك هناك...

دوفاكين: عمومًا فقد بدأ في كتابة الشعر إبان بلوك.

باختين: نعم، بدأ إبان بلوك...

دوفاكين: هل لديه ذكريات عن ...

باختين: بالطبع بدأ إبان بلوك، نعم.

دوفـــــاكين: يجب البحث عنه. هل ما يزال على قيد الحياة، ألا تعرف؟

بـــاخـــتيــــن: حي، حي. وهو متخصص في بوشكين، يدرس بوشــكين؟ نعم.

دوفـــــاكين: هل يعيش هناك...؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، في لينينجراد، كان بها.

دوفـــــاكين: وبقي هناك؟

بـــاخـــتيــــن: نعم.

دوفـــــاكين: ألم أقل لك، يا لها من ثروة لديك؟

بـــاخـــتيــــن: حسناً... هنا شيء آخر... ما هو؟... حسناً، عن بلوك، ما زلت أذكر...

... للمرة الأولى ... في روسيا

محطات القطار الصغيرة، عمال التلغراف، ليلا.

المناجم وخيوط الفجر الأولى...

للمرة الأولى...

شيء من هذا القبيل:

ليلا...

كنت صديقته

تتصرفين بطيش ليلا...

ودون صليب

للمرة الأولى... (هنا كلمة ما) مثل عاصفة ثلجية...

تقبّلين ثغره للأبد...

هذا أيضًا شعر رائع.

دوفـــــاكين: أهذا روجديستفينسكي عن بلوك؟

باختين: عن بلوك، نعم، نعم. هذا هو الشعر. ثم ينتهي على ما أظن على النحو التالي: "تقبّلين ثغره إلى الأبد". وبعد ذلك:
"ثلاثة عيون خضراء داكنة..." ... أو مثل
"مثل أجنحة متكسرة، هذه الأيدي في سترة سوداء..."(٥٩)
وهلمجرا. هكذا كانت أشعاره جيدة للغاية، رائعة.

دوفاكين: أيعني هذا أنكم كنتم تجتمعون في هذه الحلقات لمجرد قراءة الشعر؟

باختين: كنا نقرأ الشعر. وفي ضيافة باڤل نيكولايڤيتش كنا نحتسي الشاي، ونشرب النبيذ أحيانًا ونتناول المقبّلات وما إلى ذلك.

دوفاكين: وهل كنتم تقرءون المحاضرات؟

باختين: وكنا أيضًا نقرأ المحاضرات أحيانًا.

دوفاكين: وأنت ماذا كان دورك؟ هل كنت تقرأ الشعر؟

باختين: أنا – لا، الأغلب أنني كنت موجودًا... لدى باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ، كان عدد المحاضرات التي تلقى قليلا. كانوا يقرءون الشعر والنثر والقصص القصيرة من تأليفهم. ثم يتناقشون.

دوفاكين: وكنت تكتفي بالمشاركة في النقاش...

باختين: كنت أكتفى بالمشاركة، وكنت قليلا ما أتحدث، كنت أستمع أكثر. أما في حلقة ڤاجينوڤ فكنت أكثر فعالية.

دوفاكين: وهل كنت تقرأ المحاضرات عند روجيڤيتش؟

باختين: نعم، كنت أقرأ هناك المحاضرات. قرأت محاضرات. ثم... قرأ فسيڤولد روچديستڤينسكي أشعاره، وهناك أيضًا كان ڤاجينوڤ يقرأ أشعاره.

دوفاكين: إذن حدثني عن ڤاجينوف لننهي حديثنا به.

باختين: بعد ذلك، كان يعقد بالمناسبة آنذاك لدى ماريا ڤينيامينوڤنا يودينا ما يشبه الصالون، حيث كان كل من فسيڤولد روجديستڤينسكي وڤاجينوف وڤالنتين نيكولايڤيتش ڤولوشينوف يلقون أشعارهم، وكان ڤولوشينوف ينشر أشعاره آنذاك، لكنه توقف عن ذلك فيما بعد، بعد أن أدرك أنه شاعر صغير للغاية، ولا يرغب في مواصلة هذا النشاط، وخاصة أنه كان موسيقيًا في الوقت نفسه ومؤلفًا للموسيقى. ينبغي أن أقول لك، إن بيت ماريا ڤينيامينوڤنا كان مليئًا، بطبيعة الحال، بالموسيقى. وكانت تعزف على البيانو على نحو رائع، لم أستمع إليه في حفلاتها إطلاقًا!

دوفاكين: حسنًا، لا تتحدث عن ماريا ڤينيامينوڤنا، سنتحدث عنها لاحقا. والآن إلى ڤاجينوف.

باختين: لنعد إلى ڤاجينوف – نعم، ولكنني، ربما، أتحدث عنه أيضًا لاحقا. أما الآن فقد جاءت إلينا جالينا تيموفييڤنا[٦٠]. و(ضاحكًا) حسنًا...

دوفاكين: هل لديك شيء ما عن ڤاجينوف، إذا جاز القول...؟

باختين: حسنًا، قليل، نعم، سوف أحدثك عنه بشيء من التفصيل، لأنهم نسوه تمامًا، وهذا ظلم، إنهم لم يدرجوه حتى في الموسوعة. لا شيء عنه إطلاقًا...

دوفاكين: تمامًا؟ في الأدبية؟

باختين: لا شيء إطلاقًا. لم يدرجوه في الموسوعة الأدبية.

دوفـــــاكين: حقا، هذا ظلم.

بــاخـــتيـــن: نعم، ظلم بيِّن.

دوفـــــاكين: وماذا عن روچديستـڤينسكي... أود ببساطة أن أســألك... بما أنك رأيته، حدثني قليلا عن مظهره، عن أسلوبه...

بــاخـــتيـــن: أتعرف؟ كان بالغ الطول، إنسانًا رشيقًا للغاية، وحتى ربما أقول شديد الوسامة، ولكن ثمة شيء كــان فــي قــسمات وجهه، تمامًا مثلما كان في شعره أحيانًا، شيء ما غامض، مبهم... لم يكن هناك شيء قاطع، حازم. لم يكن هنا شيء من هذا. باختصار كان، على حد قول الإنجيل، - "عــصًا تهزها الريح". كان هذا بالفعل ما يميزه. وظهر ذلك أيضًا، إذا صح التعبير، في موقفه من الــصراع الأدبــي: كــان يتملص ويراوغ، يتهرب ويتأرجح، باختصار، لــم يكــن حازمًا، وفي رأيي، لم يكن لديه أي قدر من الشجاعة.

دوفـــــاكين: الشجاعة؟

بــاخـــتيـــن: لم يكن لديه أي قدر من الشجاعة. أي قدر. كان يبدو رشيقًا للغاية بالنسبة للكثيرين، وخاصة عندما كان يلقي الــشعر، وكان يقرؤه على نحو رائع. لقد استمعت إليه بمزيد مــن الاهتمام والدهشة. ولكنني عندما قرأته بعد ذلك مكتوبًا، لم يترك لديّ هذا الانطباع، على الرغم من أنني لا أســتطيع الاعتراف بأنه كان شعرًا رديئًا...

دوفـــــاكين: حسنًا، ماذا لو وضعناه إلى جانب أنتوكولسكي مثلا... من منهما تراه أفضل؟

باختين: يصعب القول. انظر، أنتوكولسكي أكثر ثقافة بكثير وأكثر اتساعًا.

دوفاكين: ومن روجديستفينسكي؟

باختين: نعم، وأكثر منه ثقافة. أنتوكولسكي- رجل مثقف. أما الآخر - يجب القول، لم تكن لديه ثقافة رفيعة. كان شاعرًا غنائيًا. وعندما كان يتحول إلى موضوعات من قبيل... وطنية، سياسية، وأحيانًا فلسفية، عندئذ كان يتوقف عن أن يكون شاعرًا كما ينبغي.

دوفاكين: إذن ما الذي فيه قريب من يسينين؟

باختين: كان قريب الشبه من يسينين. نعم، نعم، نعم.

دوفاكين: كشخصية شاعرية؟

باختين: كشخصية شاعرية، نعم.

دوفاكين: وماذا عن الأسلوب... هل يصح القول إن هذه المدرسة كانت ذات توجه من ناحية الأسلوب... هذه الجماعة من شعراء لينينجراد وعلى رأسها فسيفولد روجديستفينسكي والتي تعلمت في الأغلب على يد الذُرويين؟

باختين: نعم، تعلموا على يد الذُرويين.

دوفاكين: أكيد؟

باختين: وعلى يد بلوك بدرجة ما.

دوفاكين: إنما أتحدث عن تصوراتي الخاصة.

باختين: نعم، نعم. لا، هذا أكيد، إنهم تعلموا في الأغلب، ربما على يد الذُرويين تحديدًا.

دوفاكين: إذن تعلموا على يد جوميلوف وأخماتوفا...

باختين: نعم، نعم.

دوفاكين: وكذلك على يد الذُرويين الأقل أهمية نسبيًا. هؤلاء الذين تعرفهم، لنقل، لوزينسكي، شرڤينسكي، زينكيڤيتش؟

باختين: حسنًا، بطبيعة الحال، ألم تكن جماعة بطرسبورجية، صحيح؟

دوفاكين: وماذا عن قنسطنطين ڤاجينوڤ هل تستثنيه من بينهم باعتباره أكثر أهمية؟

باختين: أستثنيه لا باعتباره أكثر أهمية... لعله بالفعل أكثر أهمية، ولكن لا باعتباره... – فباعتباره شاعرًا، كان شاعرًا كبيرًا أيضًا، – ولكن باعتباره أديبًا.

دوفاكين: باعتباره أديبًا؟

باختين: نعم. لم يكن يستحق النسيان فيما بعد. وباعتباره أديبًا فقد كان رائعًا. شيقًا للغاية. مبتكرًا. وحتى الآن لم ينل حظه من الفهم والتقدير على الإطلاق. بينما قدروه في الغرب حتى آنذاك بما يستحقه كشاعر. وقالوا حينها، إليكم شاعر فريد في الاتحاد السوڤيتي، وأنهم لن يفهموه هناك ولن يقدروه.

دوفاكين: إذن. هذا يعني، أننا سنستمر في الحديث الآن عن ڤاجينوڤ، ثم... سوف أنتظر على أية حال... أحسب أنه كانت لديك علاقة مع جماعة "أوبيريو"(*). هل ستحدثنا عن أعضاء "أوبيريو"؟

(*) أوبيريو: اختصار للاسم "جمعية الفن الحقيقي"، وهي جماعة أدبية كانت موجودة في لينينجراد في عام ١٩٢٧ وإلى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، وكانت تضم الشعراء: ڤاجينوڤ، ڤيدينسكي، زابولوتسكي، خارمس، وهؤلاء اعتبروا أنفسهم "مبدعين ليس فقط للغة شعرية جديدة"، وإنما "مبدعين لإحساس جديد بالحياة"، تميزت أعمالهم بفقدان المنطق والنزعة العبثية والمبالغة. (المترجم)

باختين: لا، لا. ما أعرفه عنهم قليل جدًا. في الحقيقة لا أعرف سوى ڤاجينوف. ڤاجينوف وحسب.

دوفاكين: وزابولوتسكي، ألم تكن تعرفه؟

باختين: لا، لم أكن أعرفه، وإنما عرفته بعد عودته من المنفى، وقد كانت معرفتي به محدودة للغاية. كان يسكن آنذاك بالقرب من ماريا ڤينيامينوڤنا؛ في واحدة من تلك العلّيات في شارع بيجوڤايا.

دوفاكين: نعم، أعرف، على طريق خروسيڤسكايا . <...> حسنًا، الحقيقة أن ما حققناه اليوم، لم يكن ذكريات، بقدر ما هي دردشة. ولكن الأمر كان شيقًا بحق.

باختين: نعم، نعم، نعم.

دوفاكين: هل تشعر الآن بالتعب ميخايلوڤيتش؟

باختين: لا، لم أتعب إطلاقًا.

دوفاكين: حسنًا، شكرًا جزيلا لك، ميخائيل ميخايلوڤيتش.

باختين: عفوًا، عفوًا.

دوفاكين: الآن سوف أوقف الجهاز عند هذا الحد... لكننا لم نصل إلى خاتمة حديثنا بعد...

باختين: لم يتبق لنا بعد ذلك سوى الحديث عن ماريا ڤينيامينوڤنا.

دوفـــــــاكين: لا، إنما لا يزال مستمرًا على أية حال عن ... ڤاجينوڤ، زابولوتسكي، وبعدها ما تتذكره حـــول جماعـــة أوبيريـــو وعلاقتك بهم. وبعد ذلك نتحدث بشكل مستقل عن ماريـــا ڤينيامينوڤنا. حسنًا، سأتوقف هنا.

المحاورة الخامسة

٢٢ مارس ١٩٧٣

دوفاكين: والآن ميخائيل ميخايلوڤيتش لنبدأ العمل في محاورتنا الخامسة، والتي من المفترض أن تكون المحاورة الأخيرة.

باختين: الأخيرة، الأخيرة، بالطبع سيكون الأمر جيدًا.

دوفاكين: (مبتسمًا): إذن كنت تظن أن الأمر سوف لن يستغرق سوى وقت قصير. ولكني أعرف، استنادًا إلى خبرتي، أنه ما يزال بجعبتك الكثير. إذن اتفقنا أننا سننتهي بالحديث عن ذكرياتك عن يودينا، أما الآن فيمكنك أن تستكمل حديثك عن ...

باختين: ... عن ڤاجينوف.

دوفاكين: ... عن شعراء وكتّاب لينينجراد في الأعوام من ٢٤ إلى ٢٩ ... قنسطنطين ڤاجينوف. أنا أيضًا أذكر هذا الاسم، أذكر كتابه المسمى "أنشودة الجَدي"، كان لديّ، ولكن، بصراحة، ليس لديّ أي تصور عن شخصية هذا الشاعر.

باختين: انظر. لقد كان قنسطنطين قنسطنطينوڤيتش ڤاجينوف واحدًا من أهم وأبرز ممثلي مدرسة شعراء لينينجراد. كان ما يزال آنذاك شابًا أنهي لتوه جامعة لينينجراد. كان

متخصصًا في الدراسات الأدبية، وواسع الاطلاع، مولعًا بالكتب. كانت لديه مكتبة مهمة جمع فيها بصورة رئيسية أعمال الشعراء الإيطاليين في القرن السابع عشر.

دوفاكين: أووه!

باختين: عمومًا فقد كان عاشقًا... أولا، لا للأدب اليوناني الكلاسيكي، وإنما للهلينية، الهلينية. بل إنه كان يمتلك أشعار "الهلينيستيين"، من مثل: "نحن الهلينيستيون..." وهلمجرا[1]. ثم أشعار القرن السابع عشر، الباروك، الباروك الإيطالي – سلفاتور روزا وغيره. كانت لديه أيضًا أعمال هؤلاء الكتاب التي وضعت في القرن السابع عشر. وهو شيء نادر وثمين...

(جزء خالٍ من التسجيل. تشويش)

دوفاكين: تفضل.

باختين: هل جرى تسجيل هذا؟

دوفاكين: لا. وأيضًا ما قلته عن الرعاة أيضًا.

باختين: نعم. إذن... بعض الرعاة الذين دعوه على الغذاء.

دوفاكين: وهل كان لديه رعاة؟

باختين: نعم، نعم. كان هناك آنذاك... رعاة... مثل... إيليا جروزديف...

دوفاكين: كاتب سيرة جوركي، أليس كذلك؟

باختين: كاتب سيرة جوركي، نعم، نعم. كان يعمل آنذاك في دار النشر الحكومية وفي دار النشر اللينينجرادية الحكومية، وقد

كتب الكثير[٢] من الأعمال. كانت مقالته عن أقنعة الكتّاب مقالة غاية في الأهمية، كانت شيئًا مبتكرًا في تلك الفترة... في علم الأدب. كان رجلا مهيب الطلعة، يحسن تدبير أموره، وفي الوقت نفسه كان يقدم المساعدة للشباب وللكتّاب الذين يعانون الفاقة، وهؤلاء كانوا كثيرين. كان الكتّاب الشباب الذين يتضورون جوعًا أمرًا معتادًا في ذلك الزمن. كانوا يذهبون عادة إلى دار النشر الحكومية. يجتمعون هناك، يزورون بعضهم بعضًا. كان الواحد منهم يقول: "لديّ ما يؤكل... تعالوا لتأكلوا طماطم!" فيذهبون ليأكلوا الطماطم. كانت الطماطم تعد طعامًا طيبًا؛ إذ إن الكثير لم تكن لديه حتى الطماطم. ينبغي أن نقول إن هذا كان هو الأمر الشائع، لكن نيكولاي لم يبلغ هذا القدر من الجوع... إيه...

دوفاكين: تيخونوف؟

باختين: نعم تيخونوف؟ كان يسير مرتديًا معطفه العسكري القديم... كان يعيش على نحو بوهيمي شديد... كان لديه براد شاي، فكان يقدم الشاي، أحيانًا مع الخبز، وأحيانًا دون خبز، لرفاقه الكتّاب وهلمجرا.

لكن ڤاجينوف، كما قلت سابقًا، كان وحيدًا للغاية. لم تكن تربطه علاقات وثيقة مع كل هؤلاء الكتّاب. كان يكسب عيشه من طبع أشعاره، وبعد ذلك راح يساعد الكتّاب

الشباب بالمساهمة في تحرير كتبهم وتقديم المشورة. وقد نجح في طبع أشعاره أيضًا وبعض الملاحظات في مجلة كانت تسمى "مذكرات مسرح جوّال".

آنذاك كان المسرح الجوّال يحقق نجاحًا كبيرًا. كان مدير هذا المسرح ومؤسسه جايديبوروف... وسكارسكايا. كان جايديبوروف ممثلا، ذا شهرة عريضة في زمنه. أما سكارسكايا فقد كانت أيضًا ممثلة. كانت شقيقة ڤيرا فيودوروفنا ڤوميسارچيفسكايا[٣].

دوفاكين: الأمر إذن على هذا النحو! وهل كانت أختًا شقيقة؟

باختين: أظنها كذلك. سكارسكايا، أعتقد، هو اسمها الفني. هل كنت تعلم شيئًا عن هذا المسرح؟

دوفاكين: لا.

باختين: لقد جرى نسيانه هو ومسرحه تمامًا، على أنه كان قد حظي آنذاك بشهرة عريضة.

دوفاكين: في بطرسبورج؛ أي أن...

باختين: نعم مسرح بطرسبورج الجوّال.

دوفاكين: وأين كان يتنقل؟

باختين: انظر، إن اسم المسرح الجوّال وفكرته مأخوذان من الفنانين الجوّالين، الذين كانوا ينقلون معرضهم عبر الأقاليم. على هذا النحو كان يعمل، إذا جاز القول، فنانو موسكو وبطرسبورج، يخدمون علاوة على ذلك، ما

يسمونه اليوم بالريف. وعلى هذا النحو كان يعمل مسرح جايديبوروف أيضًا. كان هدفه الرئيسي أن يكون مسرحًا من مسارح العاصمة، وفي الوقت نفسه يقوم بخدمة الريف، أن يُعرِّف الريف بأحدث الاتجاهات في الحياة المسرحية. وقد نجحوا في ذلك بدرجة ما.

دوفاكين: ولكن أي نوع من المسارح كان هذا المسرح من ناحية أسلوبه؟ هل كان مركبًا من المسرح المالي والمسرح الفني؟...

باختين: نعم، على هذا النحو كان... على أنهم في هذا المسرح امتلكوا أشياء أكثر... كانت لديهم تيارات يسارية: كان الرمزيون يقدمون هناك مسرحياتهم، ثم إنهم اختاروا بعد ذلك أعمالا قليلة الشهرة. على سبيل المثال، قدموا أعمالا عديدة لمسرحيين من دول إسكندناڤيا.

دوفاكين: كانت هذه هي الموضة السائدة آنذاك. والتي انتشرت بعد إبسن.

باختين: تمامًا! انتشرت بعد إبسن، نعم. وبالطبع فقد قدموا إبسن أيضًا. لكنهم قدموا بشكل أساسي هؤلاء المسرحيين الذين كانوا أقل شهرة. كان مسرحًا جيدًا، بالطبع، مسرحًا جيدًا بمقاييس ذلك العصر. كان مسرحًا حيويًا؛ لأن جايديبوروف نفسه كان شخصًا حيويًا، وكذلك كانت سكارسكايا. وها هم يصدرون مجلتهم، التي كانت تُسمى

"مذكرات مسرح جوّال". كان رئيس تحريرها هو باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ. وكان من أقرب أصدقائي في تلك الفترة.

دوفاكين: حقا، حقا. لقد سبق وأن تحدثت عنه.

باختين: لقد أشرف على تحرير هذه المجلة. كان محنكًا، كان قادرًا على تجنب كل العقبات الممكنة والتي كانت عديدة في تلك الفترة في الأدب وفي الفن أيضًا؛ وكان رجلا يمتلك الشجاعة الكافية كما كان يمتلك المبادرة. وها هو ينشر أعمال ڤاجينوف. بينما لم تنشر المجلات الأخرى أعماله. وفي هذه المجلة نشر ڤاجينوف تلك الأشعار التي لا يمكن الآن تصور نشرها في هذا الوقت. ها هي إحدى القصائد التي نشرت آنذاك، وهذه القصيدة التي كتبها ڤاجينوف بالمناسبة هي قصيدة سيرة ذاتية...

أعيش راهبًا في شارع قنال يكاترينا رقم ١٠٥
(العنوان صحيح)
خلف النوافذ تنمو أزهار الأقحوان والبرسيم البري،
ومن وراء البوابات الحجرية المحطمة
أسمع صرخات چورچيا وأذربيچان
انهار معبد الجسد
وفي البراري تغني القبيلة
وقد اندفعت خاضعة خلف الراية الحمراء
تطير مستكينة
وتندفع بصوت مسموع

اليوم تجازفين يا روسيا بإطلاق الفضيحة
وفي الكرملين يصعد مُحمدُكِ السلم
على درجاته يظهر محمد أوليان:
"وقد يكون اسمه رحمن!"
تصطف الفرق وتندفع مرة أخرى
يدعون الصين أن ترفع العلم الأحمر القاني بشجاعة
(بعد توقف يعود فيصحح)
تندفع مهرولة
يدعون الصين أن ترفع العلم الأحمر القاني بشجاعة
والآن نواصل... انظر أي شعر... هذا الشعر منشور في مجلة[٤].

دوفاكين: في أي عام من العقد الثاني؟

باختين: تقريبًا في العام العشرين...

دوفاكين: الأرجح في عام ٢٣؟

باختين: لا.

دوفاكين: هنا يرد ذكر أوليان هذا باعتباره حيًا. أثناء حياته؟

باختين: لا، كان هذا بعد وفاته.

دوفاكين: ولماذا كان يصعد السلم؟ أم أنه سلم الضريح؟

باختين: نعم... كلا، ربما، كان هذا إبان حياته. حدث هذا عام ٢٤ على وجه التقريب، عام وصولنا.

دوفاكين: حقا!... حسنًا، ليس من المدهش إذن أنه، إذا جاز القول...

باختين: نعم. فيما بعد:

أنا في مقتبل عمري، أعيش وقد امتلأ قلبي بالسكينة
وها أنا أشاهد غروب شمس الإمبراطورية العظيمة
والشاسعة... التي فيها حياتي.

هذه على العموم واحدة من موضوعاته الأساسية – غروب الإمبراطورية العظيمة.

دوفاكين: "... التي فيها حياتي..." ماذا؟ "انعكست"؟ أم ماذا؟

باختين: حياته في هذه الإمبراطورية ببساطة. لا داعي هنا لاستخدام فعل.

وها أنا أشاهد غروب شمس الإمبراطورية العظيمة الشاسعة
التي فيها حياتي...

الأبيات، كما ترى، مبتكرة للغاية، فريدة. العنوان صحيح تمامًا. بالفعل فقد عاش...

دوفاكين: حسنًا، كان هذا موجودًا في القصيدة.

باختين: أضف إلى ذلك هذه الملامح الخاصة بلينينجراد في هذا الوقت: الأبواب الحجرية المحطمة، صيحات چورچيا وأذربيچان، عمومًا كل ذلك... ممثلو الأقليات الذين راحوا يغرقون بطرسبورج.

دوفاكين: ولماذا؟

باختين: لأنها كانت مكانًا رحبًا بالنسبة لهم. كان باستطاعتهم أن يمارسوا نشاطهم فيها. الروس يتكيفون على نحو أسوأ مع

الظروف القائمة. ناهيك عن أن المميزات الممكنة كافةً وغيرها كانت متوافرة بالنسبة لهذه الأقليات.

ثم إنه بالفعل كانت زهور الأقحوان و"البرسيم البري: كانا ينموان. لقد زرته مرات عديدة وأستطيع أن أؤكد أن...

دوفاكين: حسنًا، هذه مرة أخرى لينينجراد؛ أي بطرسبورج، فترة التدهور الاقتصادي. أنا هنا لم أشعر بالنيب ***NEP*** (*).

باختين: النيب هنا، في الواقع، لم تكن قد ظهرت بعد. أقصد أن سياسة النيب هذه كانت موجودة، ولكن أثرها لم يكن قد ظهر بعد(٥).

دوفاكين: لم يكن لها أي أثر على الإطلاق... وقد كان هذا الأسلوب مستخدمًا من قبل. أولا، استخدمه ماياكوفسكي ومن بعده استخدمه الآخرون: "أسكن في شارع بولشايا بريسنا رقم ٢٤. المكان يلفه السكون والصمت. ما رأيك؟.."

باختين: صحيح، إجمالا، نعم. ولكن، من وجهة نظري، كان هذا بعد ڤاجينوڤ.

دوفاكين: ماذا دهاك! قبله بزمن طويل...

باختين: نعم، نعم، صحيح، صحيح. أنت على حق.

دوفاكين: حدث ذلك في بداية الحرب(٦).

باختين: فعلا، حدث ذلك في بداية الحرب.

دوفاكين: ثم بعد ذلك لدى الآخرين. فيما بعد راح لوجوفسكي يكرر الأمر نفسه، وكذلك شخص ما.

(*) ***NEP*** *(New Economic Policy)*: السياسة الاقتصادية الجديدة.

باختين: فعلا. هذا هو الجانب الرئيسي...

دوفاكين: حسنا، فضلا عن ذلك، ينبغي أن نقول مباشرة، إنه كان يكتب شعرًا معاديًا بصورة فظة للثورة، شعرًا به شيء ما يتجاوز الحياد، لقد عاش وكانوا على أية حال ينشرون أعماله.

باختين: نعم. في الحقيقة، لم يكن هناك شعر محايد؛ لأن الحياة نفسها لم تكن محايدة، لم يبق هناك، في الحقيقة، ركن واحد محايد. على أي حال، كان رجلا وحيدًا، وكان، كإنسان، محايدًا بكل معنى الكلمة.

حسنًا، ماذا يمكنني أن أضيف أيضًا من أعماله البارزة؟...

دوفاكين: ألا تحفظ له شيئًا؟ كان الأمر سيبدو شيقًا لو ...

باختين: تذكرت، على سبيل المثال، مطلع إحدى قصائده. الآن، الآن. الآن...

ألا فلتصنع من قشرتي
تمثالا له رنين
لكي يقف ويغني،
بعد أن يتحرر من الأسر،
عند بوابات حائط بابليون
عن حياتي الثمينة
وعن صديقتي الوحشية(٧).

بالمناسبة، كان لديه العديد من هذه الأصداء الأسطورية التي...

دوفاكين: هذه أصداء الأصداء.

باختين: نعم، هذا...

دوفاكين: تشعر هنا بوجود بريوسوف.

باختين: كلا، بريوسوف هنا غير محسوس. ربما فيتشيسلاف إيڤانوف. والمقصود هنا تمثالي ممنون.

دوفاكين: لا، وإنما أنا اقصد الحديث لا عن استشهادات محددة، وإنما عن أمور عامة...

باختين: نغمة مشتركة، نعم.

دوفاكين: نغمة مشتركة، نغمة خاصة ببريوسوف. وإن كان بريوسوف قد حولّها لصالح الثورة، أما في تلك القصيدة، فالأمر على العكس من ذلك.

باختين: في هذه القصيدة، نعم.

دوفاكين: وهل كان لديه، بخلاف هذا الكتيب، "أغنية الجَدي"، شيء ما آخر؟

باختين: هذه ليست من "أغنية الجَدي"، هذه أشعاره. كان لديه ديوانان. لا أتذكر أنا أيضًا عنوانيهما...(٨)

دوفاكين: ولكن ألم يرد ذكره في الموسوعة الأدبية، المعاصرة الميسرة؟

باختين: لم يرد ذكره على الإطلاق. غير مفهوم لماذا لم يذكروه. لقد نسوه تمامًا(٩). وهذه كانت من أشعاره.

دوفاكين: وماذا عن نثره؟

باختين: كان نثره أكثر أهمية. على الرغم من أن أشعاره كانت مهمة أيضًا، مهمة وذات طابع مميز. أما عن نثره... فقد

كتب روايتَين، روايتين كبيرتين للغاية. كانت الأولى تسمى "أغنيــة الجــدَي"، والثانيــة تــسمى "حيــاة وأعمــال سڤيستونوف"(١٠).

دوفـــــاكين: عفوًا، إن "أغنية الجَدي" هي ديوان شعر؟

بـــاخـــتيـــن: كلا، كلا، هذه رواية. رواية.

دوفـــــاكين: وماذا كان اسم ديوان الشعر؟

بـــاخـــتيـــن: حسنًا. لا أتذكر الاسم.

دوفـــــاكين: لا تتذكر اسم هذا الديوان ولا الديوان الآخر؟

بـــاخـــتيـــن: لا أتذكر اسم هذا الديوان ولا ذاك. لا هذا ولا ذاك.

دوفـــــاكين: وماذا عن رواية "أغنية الجَدي"، هل كانت تاريخًا أيضًا؟

بـــاخـــتيـــن: لا، لم تكن تاريخًا على الإطلاق. لاحظ أن العنوان "أغنية الجَدَى" نفسه هو ترجمة حرفية للاسم الإغريقي "تراجيديا". أي "أغنية الجَدَى". بطل هذه الرواية هو شخص طريــف، غير عادى يدعى تيبتيلكين. تيبتيلكين. وعمومًا نقابل هــذا الاسم أيضًا في أشعاره وهلمجرا. وهذا الاسم هــو الــذي اختاره.

دوفـــــاكين: تيبتيلكين البطل التراجيدي.

بـــاخـــتيـــن: تيبتيلكين البطل التراجيدي.

دوفـــــاكين: هذا البطل يشير إلى نوع أسلوبي ...

بـــاخـــتيـــن: نعم. البطل التراجيدي، الذي هــو... تراجيــدي وغيــر تراجيدي – مضحك وغريب الأطوار، أخرق وتراجيــدي أيضًا على نحو عميق. هذا هو تيبتيلكين.

هذا التيبتيلكين اكتسب في هذه الرواية شكل السيرة. وهذه السيرة تبدأ، بطبيعة الحال، لا من الطفولة، ولا من الشباب، وإنما من ثورة أكتوبر. هذا التيبتيلكين هو عالِم على نحو استثنائي، غارق في العلم حتى أذنيه. يسافر إلى الريف في وقت المجاعة. وقد صور فيها نشاطه في الريف. إنه نموذج للعالِم الذي لا يعرف على الإطلاق ولا يدرك الحياة من حوله. إنه رجل متحمس. ثم نجد وصفًا لحياته في لينِنجراد. هنا يعمل في إعطاء الدروس الخصوصية، يمتلىء يومه كله بالعمل، لا ينام تقريبًا، يعطي دروسًا في تخصصات مختلفة، في اللغات الأجنبية: في اللغة الإيطالية، في الإسبانية، وبالإضافة إلى ذلك يعطي دروسًا في... اللغة المصرية القديمة. كل من يرغب في دراسة هذه اللغات فليتفضل، على الرحب والسعة، بل كان يعطي دروسًا بالمجان بهدف أن تظل الثقافة الروسية والأدب الروسي على نحو ما بأي شكل على القمة، ألا يذبلا أو ينهارا على الإطلاق. بعد ذلك، أصبح تمامًا...

دوفاكين: لا يفتقد الفعالية.

باختين: ... أصبحت نزعة تعظيم التكنولوجيا المعاصرة والروح العملية التجارية وما إلى ذلك، أمورًا غامضة وكريهة، كريهة وغامضة.

دوفاكين: بالنسبة له، لتيبتيلكين؟

باختين: نعم، بالنسبة لتيبتيلكين.

لقد كان الأمر بالنسبة له غريبًا تمامًا. كان يعيش في ذلك

العالم، عالم الباحث في اللغة والأدب، منقطعًا عن الحياة. وبعد ذلك، ماذا أقول. يصف لنا محاولات النشر، النشاط الأدبي. لم ينجح في نشر أعماله؛ لأن أحدًا لم يفهمه، ولم يكن هناك أي ناشر يريد أن يعترف بهذا الاتجاه في الكتابة. وبعدها، جرى وصف زواجه من امرأة لم يكن بمقدورها أن تفهمه وهلمجرا. وفي هذا السياق نجد أن تيبتيلكين كان، من ناحية، رجلا بالغ الأهمية، جادًا ومأسويًا؛ لأن الحياة، إذا جاز القول، لم تتح له فرصة جيدة...

دوفاكين: لم تقبله.

باختين: الحياة لم تقبله. وهو لم يقبل هذه الحياة التي أحاطت به. ولكنه كان يعيش هذه الحياة برضا تام، عاشها عن طيب خاطر، لم يُدِنها. كان الحماس النقدي غريبًا عليه تمامًا، كلا. بعد ذلك جاء وصف كل ما يمكن من غرابة الأطوار. على سبيل المثال فقد اتخذ لنفسه مسكنًا في البرج. البرج الخشبي القائم عند المنازل الريفية في بيترهوف. لقد استأجر هناك هذا البرج غير الصالح للسكنى على الإطلاق ليعيش فيه وكان يصعد إليه كل يوم. كانت لديه فيه غرفة بالغة الصغر، كان يؤدي فيها أعماله. ينبغي أن نذكر أن تيبتيلكين هذا صورة من... شخصية أصلية.

دوفاكين: حسنًا، هذا أمر بدهي، إنه الكاتب نفسه، إنه كاتب من نوع السيرة الذاتية.

باختين: كلا، ليس هو الكاتب إطلاقًا. ليس هو الكاتب، وإنما شخصية واقعية عاشت آنذاك في بطرسبورج كما أن

الأحداث دقيقة بالفعل والعادات وما إلى ذلك، ورد ذكرها في الرواية. إنه ليف ڤاسيليڤيتش بومبيانسكي. تعرفه بالطبع؟

دوفاكين: سمعت عنه من آخرين ومنك.

باختين: سمعت عنه، نعم. حسناً، لقد كتب العديد من المقالات الأدبية... كان شخصًا لديه بالفعل، تقريبًا، إذا جاز القول، سعة اطلاع عظيمة، خارقة.

كان يعرف الكثير ويجيد العديد من اللغات، إلى جانب هذه الدروس المجانية التي كان يعطيها، كانت سعيًا منه ليدعم الثقافة الأدبية في أقصى ظروف يمر بها تطور هذه الثقافة. أما عن الظروف المعيشية التي كان يعانيها، فقد ظل في عوز دائم، بالطبع كان يعاني من الجوع، وعلى الرغم من أنه كان عالمًا، فلم يمد له أحد يد العون. كان محاطًا بكل أنواع الشخصيات، التي وصفها ڤاجينوڤ على نحو رائع. وكان من بينهم أيضًا من كان يعيش في ذلك الوقت في لينينجراد... نعم، وهنا أيضًا نجد شخصية صاحبة سيرة ذاتية إنها لشاعر مجهول. يتجسد طوال الوقت في الرواية، بصفته شاعرًا مجهولا. إنه صديق تيبتيلكين. ثم يأتي بعده كوستيا روتيكوف. إنه بالمناسبة جزء من الشخصية الأصلية باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ، الذي عكف على دراسة بلوك ولديه عدة كتب عنه منها "الطريق الإبداعي لبلوك"...

دوفاكين: لديّ هذا الكتاب. يخلو من الابتكار، قليل الأهمية.

باختين: كتاب تافه إجمالا. ببساطة كتاب رديء.

دوفاكين: على العموم هذا الميدفيديف مُستهلَك للغاية. لقد بدأ على نحو جيد، ثم... كان له كتاب جيد عن بريوسوف. في الواقع هو أول كتاب ذو صلة ببريوسوف.

باختين: عن بريوسوف؟ لا أتذكره الآن.

دوفاكين: حسنًا... لقد كان كتابه عن بلوك أكثر ضعفًا. هكذا أتصوره باعتباري متخصصًا في بريوسوف، وقد كنت أشير إلى كتابه... لم يكن لدينا عن بريوسوف أي كتاب...

باختين: لقد كان مُنظِّرًا للأدب.

دوفاكين: نعم، منظِّرًا بعض الشيء.

باختين: حسنًا، لقد درس بلوك وقد تعرف بالفعل على زوجة بلوك، كان عشيقها على ما يبدو.

دوفاكين: ليوبوف ديمترييڤنا؟

باختين: نعم. ليوبوف ديمترييڤنا.

دوفاكين: بعد وفاة بلوك؟

باختين: بالطبع. وقد كشفت له عن أرشيف بلوك، ولهذا كان باستطاعته أن ينشر كتابًا عنه. بل لقد نشر أيضًا مذكرات بلوك، كما نشر أيضًا ملحوظاته. ثم نشر فيما بعد مقاطع مما تبقى من أعمال لم تستكمل ومسرحيات لم يتمها. لقد نشر العديد من تراث بلوك.

وفي الرواية وصف لكوستيا روتيكوف الذي عكف على دراسة شاعر ما (والشاعر المقصود هنا هو بطبيعة الحال جوميلوف) وكان يحاول أن يكشف عن كل عشيقات هذا

الشاعر وأن يتصل حتمًا، إذا جاز القول، بكل عـــشيقة[11].
كان يرى أنه لكي يفهم هذا الشاعر وأن يحـيط بـسيرته، وعمومًا لكي يكتشف روحه، فإن عليه، ربما، أن يتعـرف عن قرب، على كل عشيقاته. وهكذا ظهر، ينبغي القـول، هذا النموذج الفريد. النموذج المثالي.

دوفـــاكين: الذي هو كوستيا روتيكوف.

بـاخـتيـن: كوستيا روتيكوف، نعم.

دوفـــاكين: وميدڤيديڤ.. كان النموذج الأصلي؟

بـاخـتيـن: ميدڤيديڤ، نعم.

دوفـــاكين: وبومبيانسكي – النموذج الأصلي لمن؟..

بـاخـتيـن: لتيبتيلكين.

دوفـــاكين: تيبتيلكين نفسه. ومن كان يجسد السيرة الذاتية لـه؟ كـان يجسدها شاعر مجهول.

بـاخـتيـن: شاعر مجهول، نعم. كل من في الرواية مرتبط بأشـخاص محددين، ووقائع محددة. وهكذا، كما أخبرتـك، تتكـشف شخصية ڤاجينوڤ الفريدة: تفاصيلها الـصغيرة، ظلالهـا الرقيقة من جانب، ومن جانب آخر، سـعة أفقهـا غيـر العادي، سماتها الكونية تقريبًا. هذا ما أضفاه عليها بحـدة. وهذا التميز ينكشف لنا في شخصية تيبتيلكين أيضًا. تبـدأ الرواية بوصف لينينجراد. "في هذا الزمان عاش في المدينة كائن غريب يُدعى تيبتيلكين"[12]. كائن غريب. وبعد ذلـك يأتي الحكي عن البيئة التي يعيش فيها تيبتيلكين: غرفتـه، ملاءته التي تغطي فراشه والذي يلائم الملاءة، تمامًـا...

وبما أنني كنت صديقًا قريبًا لبومبيانسكي، فقد كنت أعرف هذه الملاءة جيدًا، وعمومًا فقد كانت هذه الأشياء معروفة، وكلها تم وصفها بدقة تامة. وفي الوقت نفسه فقد انعكست في الرواية قوة وعمق وحياة بومبيانسكي المأساوية.
إجمالا، لعلي أقول، إنها مأساة فريدة تمامًا في الأدب. مأساة يمكن وصفها بمأساة رجل مضحك. رجل مضحك. مأساة رجل غريب الأطوار، ولكن ليس على طريقة دستويفسكي(*) وإنما بأسلوب مختلف بعض الشيء. على العموم فقد كان مصيرًا مدهشًا للغاية، مثيرًا للفضول بدرجة كبيرة.

دوفاكين: أظن أن هذا الكتاب كان بحوزتي.

باختين: نعم، كان الحصول عليه يسيرًا.
"حياة وأعمال سفيستونوف" هي رواية أخرى. سفيستونوف هنا بالمناسبة هو، جزئيًا، فاجينوف نفسه، وفي هذا السياق فإن هذه الرواية أقرب كثيرًا إلى رواية السيرة الذاتية. حسنًا، هنا أيضًا يجري وصف ممثلي تلك الحقبة من الزمن، المميزين بشدة. والشخصية الرئيسية هنا هي كوكو.
ولكن ينبغي القول إن كوكو هذا هو ثمرة لغرابة العصر. إنه الإنسان الذي، إذا جاز القول، لا يملك شيئًا خاصًا به. كل ما

(*) المقصود شخصية بطل دستويفسكي في روايته "حلم رجل مضحك". (المترجم)

كـــان يملكه أخذه الزمن منه، لا بالمعنى المادي. في النهاية لا يتبقى لديه سوى شيء واحد - أن يحاكي حياة الآخرين، أن يؤدي أدوارهم، أن يصبح شيئًا ما. كان يرتدي ملابـــس الناس في زمن بوشكين. حتى إنه عندما كان يخرج للنزهة في حديقة مثلا، كان الأطفال يصيحون: "سيصورون هنـــا، سيصورون هنا!" والمعنى أن تصويرًا سينمائيًا سيجرى هنا؛ لأن هذه الشخصية كانت تبدو شخصيةَ مـــن العـــشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي.

وعلى العموم كان هذا كل ما أنجزه. تفاهات، لكـــن هـــذه التفاهات جذبت إليها في الوقت نفسه قوى مختلفة، عصورًا مختلفة، اهتمامات مختلفة. كان يحلم أن يدخل عالم الأدب، ولكنه هو نفسه لم يكن يستطيع كتابة أي شيء؛ لأنه لـــيس لديه شيء يقوله. لم يكن باستطاعته عمـــل شـــيء ســـوى محاكاة أساليب الآخرين. وفي النهاية تقع فـــي يـــده هـــذه الرواية تحديدًا - "حياة وأعمال سـڤيستونوف". في البداية كان يشعر بالسعادة أنه قد جرى تصويره أخيرًا في رواية، وأنه دخل التاريخ، ولكنه عندما شرع في قراءة الروايـــة أصابه الفزع وإذا به يهرب من المدينة فقـــد أحـــس الآن بالخجل من الظهور في أي مكان بعد أن جرى وصفه على هذا النحو.

(*) فيدين، قسطنطين ألكسندروڤيتش (١٨٩٢-١٩٧٧): كاتب روسي سوڤيتي. أول رئيس لاتحاد الكتاب السوڤيت (١٩٥٩-١٩٧١). (المترجم)

مرة أخرى تمت كتابة كل هذا بأسلوب غريب تمامًا، أسلوب يميز ڤاجينوڤ على نحو استثنائي. ولعلي أقول إن ڤاجينوڤ في هذا السياق شخصية فريدة تمامًا في الأدب العالمي، شخصية فريدة. ولكن للأسف لم يعد أحد يعرفه وأصبح نسيًا منسيًا.

وعندما رحلت كان ڤاجينوڤ مريضًا: كان السل الرئوي قد بدأ يتسلل إليه. وسرعان ما توفي بعد سفري بهذا الداء؛ إذ لم يتلق أي مساعدة من أي نوع تقريبًا.

هذا على الرغم من أنه، على ما أذكر، جرى اجتماع لكُتّاب لينينجراد مكرّس لشعره[١٣]. وقد قرأ بينديكيت ليڤشيتس تقريرًا عن شعره. وهو الذي قرأ تقريرًا رائعًا عن شعر ڤاجينوڤ، وقد شارك بالقراءة أيضًا، بالمناسبة، ميدڤيديڤ، الذي امتدح أيضًا شعره بشدة كما قام بتحليل خصائصه. وقد شارك في إلقاء الكلمات شعراء لا أعرفهم، شعراء غريبو الأطوار راحوا يهاجمون ڤاجينوڤ لنزعته الفردية وما إلى ذلك. وأخيرًا كان فيدين[*] رئيس هذا الاجتماع، وقد ألقى هو الكلمة الختامية، وقد مدح بدوره في كلمته ڤاجينوڤ وأيّده.

دوفاكين: متى أقيمت هذه الأمسية، ألا تتذكر؟ في أي عام؟

باختين: الأرجح في عام ٢٥.

دوفاكين: حسنًا، من كان الحضور؟ من ألقى كلمات؟ هل كان شينجيلي موجودًا؟

باختين: شينجيلي كان موجودًا على ما أظن، وقد ألقى هو أيضًا كلمة، تحدث عن شيء ما. كذلك تحدث بومبيانسكي عن شعره.

دوفاكين: حسنًا، في الواقع، فقد انتهت هذه الأمسية... هل توقفت تدريجيًا؟ وهل تم اعتقاله؟

باختين: لقد كان مريضًا آنذاك. بعد ذلك، سافرت. الذي حدث لاحقا كان على النحو التالي: لم ينجح على أي حال في أن يشق طريقه، لم يسمحوا له بالنشر، أو نشروا له القليل جدًا. لقد عانى بشدة من الحاجة، في واقع الأمر، لقد تعرض للجوع. بالإضافة إلى ذلك فقد بدأت سنوات الثلاثينيات وفي هذا العصر كان من المستحيل عليه أن يكتسب عيشه بأي شكل من الأشكال. لقد سدت الطرق في وجهه. وحتى فيدين الذي دافع عنه آنذاك بحرارة، تخلى عنه، وقد نقلوا لي كلمات فيدين الذي ذكر أنه "قد يأس من الحياة، ولا يريد أن يواصل الحياة، فما الذي يمكن أن يفعله معه". حسنًا، في ذلك الزمن، بطبيعة الحال، كانت مثل هذه الكلمات "يأس من الحياة"، "لا يستطيع مواصلة الحياة" كانت كلمات منتشرة للغاية. وكانت كلمة "حياة" تعني، بالطبع، هذا الاتجاه الرسمي، الذي كان يتم ترسيخها آنذاك بكل الوسائل.

دوفاكين: إذن. حسنًا، عن ڤاجينوف تحدثت بما فيه الكفاية... حسنًا، لعلك تتذكر أحدًا آخر من بين شعراء تلك الأزمنة؟

باختين: كلا، الآن في الحقيقة لا أتذكر أحدًا...

دوفـــــاكين: لا تتذكر مارشاك أو يسينين أو...

بـــاخـــتيـــــن: لا، لا، هؤلاء لم أعرفهم، بالطبع، أقصد، لم أعرفهم بشكل شخصي. لقد رأيتهم جميعًا: سواء يسينين، أو...

دوفـــــاكين: وماذا عن علاقتك بأنتوكولسكي هل توطدت وتطورت؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لا، لقد تعرفت على أنتوكولسكي منذ فترة غير بعيـــدة إطلاقًا، في الصيف الماضي، في بيريديلكنو.

دوفـــــاكين: وهل شاركت أنًا أندرييڤنا (أخماتوفا – المترجم) على نحو حيوي... في هذه الحياة؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لم تشارك، لم تشارك إطلاقًا. كانت ما تزال في الظل. حسنًا، أما جوميلوف فكان قد لقي حتفه.

دوفـــــاكين: أعرف هذا. هذا أمر معروف.

بـــاخـــتيـــــن: لكن ڤاجينوف كان ضمن حلقته، كان لا يزال يعمل آنذاك، وكان يكن له احترامًا وتقديرًا كبيرين.

دوفـــــاكين: ضمن حلقة جوميلوف؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم. كان يرأس الحلقة.

دوفـــــاكين: إذن. ميخائيل ميخايلوڤيتش، سوف أطرح عليـــك عندئـــذ موضوعًا آخر. هل كنت تتردد في ذلك الزمن على مسرح بطرسبورج؟

بـــاخـــتيـــــن: كنت قليلا ما أتردد عليه؛ لأنه، في رأيي، لم يكن المسرح في هذا الوقت مزدهرًا.

دوفـــــاكين: ولماذا؟ في النصف الثاني من العشرينيات كـــان المـــسرح مزدهرًا للغاية.

باختين: نعم، ولكن، انظر... بالطبع كنت أتردد. ربما، كانت أكثر المسرحيات تأثيرًا عليّ هي مسرحيات مايرخولد، مايرخولد، نعم. هذا أكثر ما أثار انتباهي. لقد شاهدت له عددًا من المسرحيات. أتذكر على وجه الخصوص أن مسرحية "المفتش العام" التي أخرجها أعجبتني، ثم "الغابة" بعد ذلك. كانت "المفتش العام" عملا شيقًا. حسنًا، ما زلت أذكر جيدًا من مسرحيات هذه الفترة... "المفتش العام". خليستاكوف في الدور الرئيسي... وتشيخوف، ميخائيل تشيخوف.

دوفاكين: أوه، شاهدت إذن تشيخوف – خليستاكوف؟!

باختين: شاهدت ميخائيل تشيخوف. وقد شاهدت...

دوفاكين: حسنًا! لقد صدر الآن كتاب جروموف عنه. لكنه مكتوب على نحو ما ضعيف.

باختين: كلا، كان ممثلا رائعًا. لقد تركت "المفتش العام" انطباعًا قويًا لديّ وهو يؤدي الدور الرئيسي فيها. لم أشاهده بعد ذلك في المسرح، وإنما على الشاشة. حسنًا، "رجل من المطعم"، حيث أدى دورًا أيضًا، الدور الرئيسي فيها. ومنذ فترة قريبة للغاية شاهدته في فيلم أمريكي، لقد أصبح عجوزًا للغاية، كان دوره قصيرًا، دور مدير كونسرفاتوار. أنا معك، هنا... لم يترك انطباعًا قويًا.

فيما بعد شاهدت بعض الفرق الجوالة و، على وجه

الخصوص، شاهدت، وهذا أمر كان مدهشًا أيضًا لي، ساندرو مويسي، عندما حضر إلى هنا.

دوفاكين: كان هذا أعوام ٢٧ و٢٨.

باختين: نعم، نعم، في هذه الأعوام. كان ممثلا بارعًا، رائعًا للغاية.

دوفاكين: هذا ممثل تراجيديا... بأي لغة كان يمثل؟

باختين: باللغة الألمانية. كان يمثل باللغة الألمانية فقط... وحيث إنه كان وحيدًا، فقد كان الآخرون يمثلون جميعًا باللغة الروسية، هؤلاء كانوا ممثلين مسرح ألكسندروفسكي. وقد خلق هذا الأمر خلفية ما خاصة: كما لو أن هذا الشخص من عالم آخر تمامًا، عالم حقيقي، كبير، بينما الآخرون هم مجرد أقزام، أقزام ووحوش. هذا هو الانطباع الذي تولد.

لقد شاهدته قبل ذلك. المرة الأولى التي تعرفت فيها على مويسي كانت منذ أمد بعيد، عندما جاء مع مسرح راينجاردت. وقد قدموا مسرحية "أوديب ملكًا" على خشبة السيرك. قدموها تمامًا كما لو كانت...

دوفاكين: لقد حاولت أن أشاهدها. ذهبت إلى المسرح حيث تقدم "أوديب ملكًا".

باختين: مسرح راينجاردت؟ متى تسنى لك... أن تذهب، أقصد؟...

دوفاكين: ليس إلى هذا المسرح. أنا أقصد... هذه الكلاسيكية نفسها قدمت فيما بعد في قاعة تشايكوفسكي، قدمها المسرح اليوناني.

باختين: آه! حسنًا، ولكن هذا مسرح مختلف تمامًا. أما مسرح راينجاردت فقد كانت عروضه متميزة. حسناً، قلنا إنه قدم عروضه في السيرك. آنذاك شاهدت مويسي يحيط به ممثلو مسرح راينجاردت فقط. الممثلون فقط. كان الجميع يقرءون أدوارهم بالألمانية، فقط بالألمانية. وهناك شاهدت مويسي للمرة الأولى...

دوفاكين: ماذا كانت جنسيته؟(*)

باختين: أعتقد أنه من ناحية جنسيته... لم يكن... من يوغوسلافيا... لم يكن كرواتيًا... كما لم يكن...

دوفاكين: ساندرو مويسي.

باختين: لم يكن مجريًا... ساندرو مويسي، نعم. كان ضئيل الحجم، متوسط الطول، ضعيف البنية، كان وجهه يشبه القرد تقريبًا، ولكنه كان مليئًا بالحيوية بشكل كبير. أما عندما يمثل، فإنه يكون، بطبيعة الحال، رائعًا للغاية... لقد كان بإمكانه أن يتحكم إلى حد كبير في روحه، إذا جاز القول، في شخصيته، يتحكم أيضًا في مظهره وفي قامته إلى آخره، إلى آخره. أنت هنا تشاهد بطلا كبيرًا حقيقيًا يبدو أكثر طولا من كل من حوله، على الرغم من أنه كان أقصر من كل مَن يحيطونه. لا، لقد كان رائعًا من كل

(*) ساندرو مويسي *(Moissi)* ١٨٨٠ – ١٩٣٥: ممثل ألماني، ألباني القومية. عمل على خشبة المسرح الألماني (برلين) في عام ١٩٠٢، ومسرح بورجتياتر (ڤينا) من عام ١٩٣٣، اشتهر بأداء تراجيديات شكسبير ودراما إبسن وتولستوي. (المترجم)

الوجوه، هذا واحد من أعظم الممثلين الذين رأيتهم. لم يكن لدينا مثل هؤلاء... مثل هؤلاء الممثلين لم يكن لدينا أحد منهم.

دوفاكين: لا أتذكر سوى الأفيشات. أنا نفسي – بطبيعة الحال – لم أشاهده، أتذكر الأفيشات في موسكو وقد كتب عليها – "ساندرو مويسي"...

باختين: هذا هو المسرح الذي كنت أتردد عليه. حسنًا، كثيرًا ما ذهبت إلى المسرح الجوّال أيضًا، لكنه لم يترك لديّ انطباعات كبيرة بشكل خاص. إطلاقًا.

دوفاكين: بالطبع، فقد كانت موسكو في تلك السنوات هي عاصمة الحياة المسرحية.

باختين: كانت موسكو نعم، بطبيعة الحال، وعندما شاهدت مايرخولد، فعندما جاء إلى...

دوفاكين: تقول إنك شاهدت مايرخولد؟

باختين: شاهدت "الغابة"... ثم شاهدت بعد ذلك مسرحية... "المفتش العام"، خليستاكوف. نعم...

دوفاكين: ماذا تقول؟ مايرخولد كان يأتي إلى هنا، معقول؟

باختين: كان يأتي، كان يأتي. كان كثيرًا ما يأتي، مرة، مرتين أو ثلاث مرات.

حسنًا، أما ساندرو مويسي، فقد جاء إلى هنا آنذاك مرة واحدة فقط، مرة واحدة، لكنني كنت قد شاهدته قبل ذلك

بكثير، كنت طفلا تقريبًا، في مسرحية "أوديب"، وكان موسي لا يزال شابًا.

دوفاكين: عفوًا، هل كان ممثلا ألمانيًا؟

باختين: ممثلا ألمانيًا، نعم.

دوفاكين: آنذاك كانت ألمانيا ڤايمار؟

باختين: كانت آنذاك ألمانيا ڤايمار، نعم. لكنه بدأ التمثيل قبل ذلك، على ما أظن، إبان ألمانيا كايزر في مسرح راينجاردت.

دوفاكين: وهل كنت على معرفة بكايزر في المسرح؟

باختين: كايزر الكاتب المسرحي؟

دوفاكين: نعم.

باختين: شاهدت له عملا ما. أليس هو صاحب "يوجين المسكين"؟

دوفاكين: لا أنكر هذا العمل؛ أعرف أن هناك جدلا كبيرًا دار بشأنه. أود أن أعرف حقيقة الأمر.

باختين: نعم، كان هناك جدل واسع. آنذاك كان كتَّاب المسرح الألماني هؤلاء... كانوا كلهم تعبيريين... ڤيرفيل مثلا... وقد أخرجوا لكايزر... وهذا كان أيضًا...

دوفاكين: مثل توللر.

باختين: .... تعبيريًا. وقد شاهدت مسرحية لكايزر تحديدًا اسمها "يوجين المسكين"...(١٥)

دوفاكين: أتذكر الاسم، ولكن، للأسف، لا أتذكر أكثر من الأفيشات...

باختين: أتذكر هذا بالطبع وأتذكر المسرحية. كانت مؤثرة جدًا، مناسبة العرض المسرحي، كانت عملا فريدًا للغاية. هذه مأساة رجل فقد في الحرب، إذا جاز التعبير، قوته الجنسية، وهو يعيش في الدنيا في حالة من الإحساس المطلق بالجوع الجنسي... بينما الآخرون يعيشون حياتهم الجنسية وهلمجرا، بينما هو، هذا اليوجين المسكين، يعيش وحيدًا، لا يستطيع التكيف مع هذه الحياة، وهلمجرا، وما إلى ذلك. مسرحية فريدة، تم إخراجها على نحو فريد. مسرحية "يوجين المسكين". أتذكر أن كثيرًا من الجدل دار بشأنها. لكنه في غالب الأحوال كان جدلا تافهًا، لم يفهم أحد مغزى هذه المسرحية على نحو صحيح. في هذا الزمن لم تكن هناك، بطبيعة الحال معرفة صحيحة بهذه الأمور، لم يكن أحد يعرف شيئًا عن التحليل النفسي، على الرغم من أن هناك أعمالا نشرت آنذاك في هذا الموضوع. بالمناسبة في هذا العصر، في العشرينيات، ظهرت عندنا مؤلفات فرويد نفسه وكذلك مؤلفات تلاميذه في بلادنا.

دوفاكين: في الواقع كانوا سوقيين على نحو ما... أتذكر، وربما كان هناك آخرون لهم وجهة نظر أخرى، محاضرة ما سمعتها للبروفيسور يرماكوف.

باختين: آه! حسنًا، أعرفه. له عدد من المؤلفات، من بينها كتاب...

دوفاكين: عن جوجول، لقد كتب على وجه الخصوص عن...

باختين: نعم، عن جوجول، وخصوصًا عن "الأنف"[١٦]. وقد أصدر فيما بعد كتابًا عن... "بيت في كولومنا"؛ حيث يفصح فيه

قائلا: "البيت بيتي... ويقع في كولومنا"[١٧]. إذن (يبتسم) حسنًا، بالطبع لم يكن يرماكوف سوى محاكاة لفرويد.

دوفاكين: ولكني، للأسف، لم أتعامل بجدية آنذاك مع هذا الموضوع، فقط مع نهاية...

باختين: نعم... آنذاك صدرت الأعمال الكاملة لفرويد...

دوفاكين: عندنا؟

باختين: نعم، عندنا. أقصد تحديدًا الأعمال التي صدرت في تلك الفترة، عندما كان فرويد لا يزال يواصل بطبيعة الحال، نشاطه. ولكن ينبغي القول إن الفرويدية لم تتأصل لدينا، لم يحدث، لم يكن هناك في التربة الروسية أتباع حقيقيون، جادون على نحو عملي، لم يكن لدينا.

دوفاكين: وأنت، ما هي علاقتك بالفرويدية؟

باختين: حسنًا، انظر، على أي نحو علاقتي بالفرويدية. في جميع الأحوال، فقد كان فرويد أحد أعظم ممثلي القرن العشرين، بطبيعة الحال هو مكتشف عبقري. يمكن وضعه إلى جوار، حسنًا، مع من؟... حسنًا، إلى جانب ... يا إلهي!... أينشتاين. هكذا يضعونه عادة. نعم... شخصية عظيمة. أمر آخر، قد لا تتفق مع اتجاهه، ولكن ما نجح في اكتشافه، أمر لم يره أو يعرفه أحد قبله، - هذا شيء لا يمكن لأحد أن يشك فيه. هو حقا مكتشف، بل ومكتشف عظيم.

دوفاكين: ولكن على أي حال... أقصد بالنسبة لموقفكم، الذي يختلف أساسًا، إذا جاز القول، كما أفهم، مع التحولات التي طرأت في القرن العشرين على الكانطية...

باختين: الكانطية، نعم.

دوفاكين: هو على أي حال (فرويد – المترجم) يختلف...

باختين: في هذا السياق فهو غريب عني بطبيعة الحال.

دوفاكين: غريب؟

باختين: نعم.

دوفاكين: ولهذا فإني أتساءل.

باختين: ولهذا فإنها لم تؤثر فيّ على نحو مباشر، أقصد آراءه. ولكن، في ذات الوقت كان لديه الكثير جدًا، يؤثر، حتى ولو على نحو غير مباشر، شأن كل اكتشاف جديد، حتى ولو أنك، إذا جاز القول، لم تكن معنيًا به، معنيًا بهذا الجديد، ولكنه على أي حال، يجعل العالم أكثر اتساعًا وأكثر ثراءً(١٨).

دوفاكين: ممتع. حسنًا، ماذا لديك من أمور تتعلق بالمذكرات؟ يتبقى لنا قبل أن نأخذ فترة التوقف... بعد التوقف سوف نتحدث عن يودينا. أود أن أطرح بشأنها مرة أخرى بعض الأسئلة...

باختين: تفضل. ولكن ليس هناك أية مذكرات من أي نوع.

دوفاكين: قبل أن أسالك عن يودينا، كنت أتحدث معك عن شخص ما... عن ڤاجينوف... تحدثنا...

باختين: نعم، تحدثنا عن ڤاجينوف... كما تحدثنا عن شعراء آخرين، لعلي لم أتذكر... الكُتّاب.

دوفاكين: نعم، حسنًا، من إذن من الشعراء الآخرين تتذكر؟... حسنًا قص علينا ولو قليلا عما يربطك بزابولوتسكي.

باختين: ليس لديّ شيء عنه. ببساطة لقد قرأت أعماله، قبل نفيه... وقبل أن أُنفَى، هذا كل ما هنالك. ثم شاهدته بعد ذلك عدة مرات، تحدثنا قليلا جدًا، واستمعت إليه قليلا جدًا... واستمعت إلى قراءة لشعره... عند ماريا ڤنيامينوڤنا، عندها في هذه الڤيلا. هذا كل ما في الأمر. زد على ذلك أنه كان رجلا يفرط في الشراب...

دوفاكين: حقا؟

باختين: ... وقد كان لدى ماريا ڤنيامينوڤنا "ڤودكا زابولوتسكي". عمومًا لم تكن تشرب الڤودكا (ضاحكًا)، ولم يكن هناك من معارفها والمقربين منها ومن ضيوفها من يشرب الڤودكا، أنا مثلا لم أكن أيضًا أشرب الڤودكا. ولذلك كانت الڤودكا تظل لديها من أجل زابولوتسكي: فإذا ما عرج عليها مثلا لكي... يجد لديها " ڤودكا زابولوتسكي" كما كانت تسميها (يضحكان معًا).

دوفاكين: إذن ميخائيل ميخايلوڤيتش، حسنًا، دعنا الآن نوجز الأمر في عبارة...

باختين: كذا؟

دوفاكين: أود أن أتصور مصيرك بعد ذلك. بمعنى في عام ٢٨، في ديسمبر، في هذا التاريخ تم اعتقالك... وعلى الفور رحلت، أليس كذلك؟

باختين: كلا، لم أرحل مباشرة. لقد اعتقلوني ثم أطلقوا سراحي بعدها...

دوفاكين: أطلقوا سراحك؟

باختين: أطلقوا سراحي، نعم، ولكنني بقيت تحت المراقبة. أطلقوا سراحي بسبب مرضي. وقد مكثت بالمستشفى[١٩].

دوفاكين: كانت ساقك لا تزال موجودة؟

باختين: كانت ساقي لا تزال موجودة، لم تكن قد بُترت بعد، ولكنها كانت مريضة. بالإضافة إلى ذلك كنت قد أجريت جراحة ما في ساقي الأخرى، كما يبدو، في المفصل الحرقفي.

دوفاكين: إذن فقد أطلقوا سراحك ببساطة لأسباب إنسانية إذا جاز القول.

باختين: أطلقوا سراحي لأسباب إنسانية. عمومًا كان كل شيء لأسباب إنسانية. بالإضافة إلى ذلك أنه عندما كان الصليب الأحمر السياسي يعمل آنذاك برئاسة...

دوفاكين: بيشكوڤا.

باختين: برئاسة ڤيناڤير، نعم، وبيشكوڤا[٢٠].

دوفاكين: الأمر كذلك، حسنًا، ثم عرضوا عليك بعدها أن ترحل ببساطة؟

باختين: عرضوا عليّ أن أرحل ببساطة، نعم.

دوفاكين: إلى أين؟

باختين: إلى كوستاناي.

دوفاكين: كوستاناي. في كازخستان. في جنوب كازخستان، أليس كذلك؟

باختين: كلا، بل تقع في شمال كازخستان[٢١].

دوفاكين: هناك، حيث، ... في تلك البقاع، حيث أكتيوبينسك.

باختين: حيث أكتيوبينسك. بل كنا نبعد عن أكتيوبينسك.. آنذاك كانت كوستاناي مجرد مركز إقليم، مركز.

دوفـــــاكين: الآن هذه المناطق تحمل أسماء أخرى.

بـــاخـــتيــــن: محافظة أكتيوبينسك. نعم، تحمل اسمًا آخر. آنذاك، لم يكن هناك، بطبيعــة الحــال أي أراضٍ صــالحة للزراعــة. كوستاناي كانت في الواقع بقعة مجهولة تمامًا.

دوفـــــاكين: وسط برارٍ قفر؟

بـــاخـــتيــــن: برارٍ من كل الجهات، برار، الأشجار هناك شيء نــادر. برارٍ قاحلة... كان المناخ هناك قاسيًا، قاسيًا: في الـشتاء صقيع قارص للغاية، أما في الصيف فتهب الرياح المتربة المضنية. رياح مثيرة للتربة، حتى أن السير فيها يـصبح مستحيلا بمعنى الكلمة ويظل المرء يلهث...

دوفـــــاكين: وكيف كنت تكسب قوت يومك؟

بـــاخـــتيــــن: كنت أعمل.

دوفـــــاكين: ماذا كنت تعمل؟

بـــاخـــتيــــن: محاسبًا[٢٢]. طوال الوقت. كان هذا أمرًا معتــادًا آنــذاك: المنفيون أينما كانوا في أماكن... مثل كوستاناي...

دوفـــــاكين: في اللجنة التنفيذية؟

بـــاخـــتيــــن: كلا، كنت أعمل محاسبًا في مؤسسة تجارية.

دوفـــــاكين: كم سنة كانت مدة الحكم؟ خمس سنوات؟

بـــاخـــتيــــن: حُكِمَ عليّ بخمس سنوات.

دوفـــــاكين: أي الأعوام ٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢... انتهى الحكم في عــام ٣٣، أليس كذلك؟

بـــاخـــتيــــن: بلى، لعله انتهى في عام ٣٣، لا أتذكر الآن بدقة. لكنني لم أرحل بعدها آنذاك.

دوفـــــاكين: ألم يكن أمامك مكان تذهب إليه؟

بـــاخـــتيـــــن: لم يكن أمامي مكان أذهب إليه؛ لأن درجات الحرارة كانت "تحت الصفر"، وما أدراك ما يعني "تحت الصفر" في بقعة موحشة مثل كوستاناي[٢٣].

حسنًا... والسبب الحقيقي... أنه لم تكن هناك مدينة واحدة محلية، بل لم تكن هناك مدينة واحدة على الإطـــلاق بهـــا مؤسسة تعليمية عليا واحدة، لم يفلح الأمر. هذا ما حدث.

دوفـــــاكين: وهل كانت زوجتك بصحبتك في المنفى؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، كانت بصحبتي.

دوفـــــاكين: ألم يكن لديكم أطفال؟

بـــاخـــتيـــــن: لم يكن لدينا أطفال.

دوفـــــاكين: وهل كانت زوجتك تعمل أيضًا؟

بـــاخـــتيـــــن: كانت زوجتي تعمل في البداية في إحدى المكتبات العامة، بعد ذلك توقفت، ورحت أنا وحدي الذي يعمل.

دوفـــــاكين: إذن، يمكن القول، إنكما عانيتما الكثير... حسنًا، إلى أيـــن ذهبتما بعد ذلك؟ هل بقيتما في كوستاناي؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم... ينبغي القول إنه في تلك الفترة التي كنت فيها فـــي كوستاناي... وكوستاناي هي عمومًا المدينة، التي كانت في الزمن الغابر، زمن القياصرة، منفى[٢٤]. نعم... اعتاد أهلها أن يحسنوا معاملة المنفيين. ومن الغريب أن هـــذا الأمـــر استمر حتى الآن. لقد أصبح تقليـــدًا لـــديهم. لقـــد كـــانوا يعاملوننا بصورة جيدة. منذ اللحظة الأولـــى وفـــي كـــل الأحوال. وقد أدهشني ذلك للغاية. حتى في الأوقات التي

بلغت فيها المجاعة ذروتها، وكان الجميع يسيل لعابهم لرؤية البطاطس، كانوا يضيفون لنا أكثر، يضيفون. تذهب إلى الدكان فيعطونك ربع أو حتى ثمن كيلو شاي. تطلب فيعطونك مرتين، ثلاث وهلمجرا. كانوا يعاملوننا معاملة حسنة في المؤسسات التجارية...

دوفاكين: ألم تقم بأي عمل من أعمال التدريس؟

باختين: بلى، قمت، قمت بالتدريس، وخصوصًا في العام الأخير. كان هناك ما يعرف بالتعليم، التعليم، ليس معهدًا...

دوفاكين: التعليم الصناعي؟

باختين: التعليم الصناعي، نعم. عملت به بعض الوقت. فيما بعد قمت بالتدريس في أنواع الفصول كافة – للعاملين في المؤسسات التجارية... باختصار، في الموضوعات الاقتصادية[٢٥].

دوفاكين: ألم تقم بتدريس الحضارة الإغريقية لهم؟ (يبتسم).

باختين: بلى، كنت أُدرِّس الموضوعات الاقتصادية. لقد اكتسبت هناك معرفة بها بالطبع بسرعة فائقة. هل تعرف أن هذا التخصص...

دوفاكين: نعم. ولكن هل انتقلت منها إلى سارانسك؟

باختين: نعم. انتقلت منها إلى سارانسك. حدث ذلك على نحو مفاجيء.

دوفاكين: أكان ذلك بعد عام ٣٤؟

باختين: نعم، كنت...

دوفاكين: ألم ينعكس اغتيال كيروف على مصير المنفيين هناك؟

باختين: على مصير المنفيين، هناك؟ انعكس بعض الشيء... وحتى قبل وقوع هذا الحدث.. نعم – نعم، انعكس. بالدرجة الأولى جاءت إلى هناك موجة جديدة من المنفيين. وكان المنفيون، بالدرجة الأولى...

دوفاكين: ... من الشيوعيين.

باختين: نعم، من الشيوعيين. على العموم فقد تغير كل شيء هنا. كل هذه المميزات والتسهيلات، التي كنا نحصل عليها هنا، نحن المنفيين، وهو أمر عجيب أن يكون لنا نحن المنفيين مميزات وتسهيلات، على سبيل المثال، لم يكن أحد يتصور أن يعرض علينا أن نتقدم للحصول على قروض. وبعدها، أن نحصل على مرتب؛ إذ إن المنفيين في معظم الأحوال كانوا من المتعلمين وأصحاب المؤهلات، كما أن قلة منهم، على وجه الخصوص، كانوا من السكان المحليين، ومن ثم فقد كانوا يعطوننا راتبًا مختلفًا تمامًا. مثلا، هؤلاء كانوا يأخذون مرتبًا قدره مائة وخمسون روبلا، بينما كنا نتقاضى مائتين وخمسين، ثلاثمائة، لكوننا فقط منفيين. إذن، كان من الضروري، بطبيعة الحال، أن يتم تبرير هذا الراتب. وفي هذا الشأن كان الجميع يدركون أننا كنا نعمل، بينما لم يكن هناك أحد لديه القدرة أو المعرفة أن يقوم بهذا العمل. جميعهم كانوا على قدر بسيط من الثقافة، على الرغم مما كانوا يتمتعون به من ذكاء وموهبة، ولكنهم كانوا أناسًا على قدر بسيط من الثقافة.

دوفـــــاكين: هكذا. ولكن أين كانت تقع سارانسك هذه؟

بـــاخـــتيـــــن: سارانسك تقع غير بعيد نسبيًا عن موسكو: علـــى مـــسافة عشرين ساعة سفرًا.

دوفـــــاكين: أين، في محافظة جوركوفسكايا؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، بجوارها. في موردوڤيا، جمهوريـــة موردوڤـيا ذات الحكم الذاتي.

دوفـــــاكين: هذه في الجنوب؛ أي، جنوب نهر الـڤولجا؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لا تقع على نهر الـڤولجا.

دوفـــــاكين: ألا تقع على النهر؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، هناك، بالمناسبة...

دوفـــــاكين: ومتى قادتك الظروف إلى هذه السارانسك؟ قبيل الحرب؟

بـــاخـــتيـــــن: قبيل الحرب. وصلت إليها قبيل الحرب، نعم.

دوفـــــاكين: إذن وصلت إليها في أصـــعب الـــسنوات: ٣٦، ٣٧، ٣٨. عشت في سارانسك ذاتها. لم يمسَّكَ أحد بعدها، لن يحكموا عليك بمرة أخرى؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لا... كان هذا... اسمح لي، سارانسك... لقد بدأت في خلط الأحداث. تذكرت، إذن، لقد وصلت إلى سارانسك بكل تأكيد... ولكنني لم أكن في سارانسك في تلك السنوات القاسية.

دوفـــــاكين: أين كنت إذن؟

بـــاخـــتيـــــن: المسألة أن هذه السنوات بدأت، بدأت... كنت في سارانسك في عام ٣٦، في عام ٣٧، ثم في مطلع عام... ثم أصبحت

الحياة مستحيلة تمامًا. بدءوا يعتقلون الناس في كل مكان، كانوا يقبضون عليهم وما إلى ذلك، وهلمجرا. كان الأمر ببساطة فظيعًا، غير مفهوم.

دوفاكين: لقد كان ذلك يحدث في كل مكان.

باختين: لم يكن أمرًا مفهومًا بأية حال.

دوفاكين: ثم رحلت من هناك؟

باختين: وقد رحلت من هناك في الوقت المناسب.

دوفاكين: إلي أين؟

باختين: إلى موسكو، إلى لينينجراد. عشت تارة في موسكو، وتارة في لينينجراد.

دوفاكين: دون تصريح إقامة؟

باختين: دون تصريح إقامة. كانت أسرتي تقيم في لينينجراد: أمي وأخواتي.

كما كانت لي أخت متزوجة وتقيم في موسكو(٢٦). هكذا كان الوضع. بعد ذلك أصبح لي أصدقاء، وفي لينينجراد أيضًا كان لي أصدقاء.

دوفاكين: يمكن القول إذن إنك انتقلت إلى وضع غير قانوني.

باختين: نعم. إلى وضع غير قانوني.

دوفاكين: هل فررت من المنفى.

باختين: نعم.

دوفاكين: هذا ما أنقذك؛ لأن...

باختين: هذا ما أنقذني، نعم. ولكن، على ما يبدو، لم يسع أحد للبحث عني. الحقيقة أن أشياء غريبة للغاية كانت تحدث

آنذاك: كانوا يلاحقون شخصًا ما وما إلى ذلك، ولكــن إذا حدث لسبب ما أن هذا الشخص نجح في الرحيل من هــذا المكان، فإن أحدًا لم يكن ليقتفي أثره أو يبحث عنه.

دوفـــــاكين: لأن هذا معناه أنه خرج عن خطة الأجهزة المحليــة. لقــد كانت لديهم أيضًا خطة.

بـــاخــتيـــن: نعم، نعم، نعم. نعم، كانت لديهم خطة بالطبع. ومــن ثــم استطعت أن أعيش هناك.

دوفـــــاكين: يخيل لي أنني رأيتك في معهد الأدب العالمي في عام ٣٩، أو ما يقارب هذا التاريخ...

بـــاخــتيـــن: حقا، آنذاك كنت أعيش... نعــم، آنــذاك كنــت أواصــل الحياة...

دوفـــــاكين: حسنًا، ولكن هل كان معهد الأدب العالمي يسمح لك بقراءة محاضرات لا تدخل في نطاق اهتمامه، وكيــف ســارت الأمور بك في موسكو؟[٢٧]..

بـــاخــتيـــن: أووه. الآن، أقصد، عندما رحلت من سارانسك، هربــت، يمكن القول... حسنًا، ليس بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنمــا ركبت القطار بكل هدوء وما إلى ذلك...

دوفـــــاكين: ألم يكن عليك أن تثبت حضورك كل شهر؟

بـــاخــتيـــن: في سارانسك؟

دوفـــــاكين: نعم.

بـــاخــتيـــن: في سارانسك، لا، لم أكن ملزمًا بذلك.

دوفـــــاكين: ولكنك كنت قد أمضيت فترة العقوبة؟

باختين: أمضيت فترة العقوبة، ولهذا لم أكن ملزمًا بإثبات حضوري.

دوفاكين: لقد كنت ببساطة "بدون"(*).

باختين: كنت "بدون"، نعم. وحتى في العام الأخير لي في كوستاناي كنت "بدون"؛ لأنهم اقترحوا عليّ قائلين: تفضل، هاك قائمة بالمدن التي لا يحق لك العيش فيها. وهكذا فكرت أنني في نهاية الأمر أعيش في كوستاناي، فلماذا أستبدل كوستاناي بكوستاناي أخرى؟ فبقيت هناك لمدة عام. وإذا بي في هذا العام الأخير أتلقى خطابًا من باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ. كان ميدڤيديڤ قد وصل إلى سارانسك. كان قد سافر إلى هناك ببساطة بحثًا عن عمل يتكسب منه. كان هناك، في سارانسك، معهد تربوي كبير، وكان أحد تلاميذه هو عميد هذا المعهد. ومن ثم فقد سافر إلى هناك ليعمل عملا سهلا. وقد أعجبه الحال؛ أعجبه بمعنى أن الأمور كانت هادئة، والحياة تسير سيرًا حسنًا. آنذاك أيضًا... وقد نصحني بالسفر إلى سارانسك.

دوفاكين: أن تعود؟

باختين: كلا، لا أعود، وإنما أن أسافر إليها. للمرة الأولى. لقد كنت ما أزال أعيش في كوستاناي... ثم أنه أخبرهم، في المعهد، أن هناك من يُدعى باختين...

(*) "بدون": المعنى بدون تصريح إقامة (المترجم).

دوفـــــاكين: وماذا فعلت في سارانسك؟ ... هل كنت...؟

بـــاخـــتيــــن: قضيت عامًا، فصلين دراسيين، فصلين.

دوفـــــاكين: وهل قمت بالتدريس هناك؟

بـــاخـــتيــــن: قمت بالتدريس، نعم، في المعهد[٢٨].

دوفـــــاكين: هذا ما ذكرته لي بعيدًا عن جهاز التسجيل من أن الأمـــر كان مملا؟

بـــاخـــتيــــن: ... كان مملا، نعم.

دوفـــــاكين: ... التدريس هناك؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، التدريس هناك كان مملا؛ لأنهم كانوا في غاية الجهل: التلاميذ كانوا جهلة والمدرسون كانوا جهلة. ولكنهم هناك كانوا يدفعون رواتب جيـــدة. كـــانوا يـــدفعون بالـــساعة. ويدفعون كثيرًا جدًا... لقد عدت من هناك ومعي حـــوالي عشرة آلاف، على الرغم من أنني لم أعمل سوى فـــصلين دراسيين فقط. فعندما هربت، هربت وفي جيبـــي عـــشرة آلاف (يضحك).

دوفـــــاكين: أوه... حسنًا، هذا ممكن؟

بـــاخـــتيــــن: نعم... وعلى هذا النحو كنا نعيش...[٢٩]

دوفـــــاكين: وهل تجولت في هذه الأنحاء أنت وزوجك؟

بـــاخـــتيــــن: تارة في لينتجراد، وتارة في موسكو، زد على ذلـــك فقـــد تجولنا هناك، وهناك وحاولنا قدر المستطاع ألا نبيت فـــي شقة واحدة، وإنما في شقق متعددة. كان لنا أصـــدقاء فـــي أماكن عديدة، وكان من الممكن أن نبيت لديهم...

دوفـــــاكين: على أية حال هذا أمر جيد... فعندما يكون الناس خائفين، فإنهم لا يسمحون باستضافة من ليس لديهم تصاريح إقامة.

بـــاخـــتيـــــن: هذا صحيح، زد على ذلك...

دوفـــــاكين: وهل كان لديك تصريح إقامة في سارانسك.

بـــاخـــتيـــــن: كان لديّ تصريح إقامة في سارانسك، كما كان لديّ بطاقة شخصية من سارانسك.

دوفـــــاكين: بطاقة شخصية باللغة الموردوفية.

بـــاخـــتيـــــن: كان لديّ بطاقة شخصية... لا، عفوًا...

دوفـــــاكين: بالروسية، بالأسكتلندية أم؟..

بـــاخـــتيـــــن: لا، عفوًا، كانت بطاقتي الشخصية آنذاك...

دوفـــــاكين: باللغة الكازاخية؟ (يضحك).

بـــاخـــتيـــــن: باللغة الكازاخية، نعم، نعم. كانت بطاقتي الشخصية باللغة الكازاخية.

دوفـــــاكين: حسنًا، إذن لم يكن باستطاعتك هنا، إذا جـاز القـول، أن تندمج في الحياة العلمية، وأنت في هذا الوضع..

بـــاخـــتيـــــن: فعلا، لقد كنت أعيش كما...

دوفـــــاكين: حسنًا، هل كنت تعمل في هذا الوقت، بصورة جادة، فـي إدارة أعمالك الخاصة؟

بـــاخـــتيـــــن: بالطبع، كنت أكتب، كنت أعمل كثيرًا، كنت أقرأ.

دوفـــــاكين: ماذا كنت تكتب آنذاك؟ هل بدأت آنذاك العمل في "رابليه"؟

بـــاخـــتيـــــن: لقد بدأت العمل في "رابليه" قبل ذلك، عندما كنـت لا أزال في كوستاناي. في كوستاناي، ثم واصلت العمل بعد ذلك...

دوفـــــاكين: ولكن آنذاك لم تكن بحوزتك أي كتب!

باختين: نعم، وعن هذا الأمر سأحدثك الآن. لقد كان لي صديق يعيش في لينجراد، وهو صديق حميم، الوحيد من أصدقائي الذي لا يزال على قيد الحياة، ويكبرني بعام واحد، يعيش ويعمل، هو البروفيسور إيڤان إيڤانوڤيتش كانابيف.

دوفاكين: كانابيف؟ لم أسمع عنه مطلقًا.

باختين: له مؤلفات كثيرة، وهو بيولوجي ومن علماء الوراثة، ولهذا...

دوفاكين: وهل عانى في فترة ليسينكو...؟(*)

باختين: بكل تأكيد، كانوا يقولون عنه "المورجاني(**) المتشدد" (يضحك) "كانابيف المورجاني المتشدد".

دوفاكين: وهل كان هذا الرجل يمدك بالكتب؟

(*) تروفيم دينيسوڤيتش ليسينكو (١٨٩٨ – ١٩٧٨): عالم بيولوجيا وزراعة سوڤيتي، عمل بأكاديمية العلوم السوڤيتية (١٩٣٩) وأكاديمية العلوم الأوكرانية (١٩٣٤)، أكاديمي (١٩٣٥)، رئيس أكاديمية لينين للعلوم الزراعية (١٩٣٨ – ١٩٥٦)، بطل العمل الاشتراكي (١٩٤٥)، له العديد من المؤلفات في البيولوجيا الزراعية، حاصل على جائزة الدولة السوڤيتية. (المترجم)

(**) نسبة إلى عالم البيولوجيا الأمريكي توماس مورجان (١٨٦٦ – ١٩٤٥): أحد مؤسسي علم الوراثة، عضو مراسل في أكاديمية العلوم الروسية (١٩٢٣)، عضو شرف أجنبي بأكاديمية العلوم السوڤيتية (١٩٣٢)، رئيس أكاديمية العلوم بالولايات المتحدة الأمريكية (١٩٢٧ – ١٩٣١) ــ ساعدت قوانين توزيع الجينات في الكروموسومات التي وضعها في فهم آليات علم الخلايا وإعداد الأسس الوراثية لنظرية الانتقاء الطبيعي، حاصل على جائزة نوبل عام ١٩٣٣. (المترجم)

باختين: المسألة أنه كان يمت بصلة قرابة لمدير مكتبة سالتيكوف – شيدرين في لينينجراد، مكتبة الدولة سابقًا، عمومًا كان للرجل صلات قرابة واسعة في عالم الكتب.

دوفاكين: ومن ثم راح يمدك بالكتب؟

باختين: كان يمدني بما شئت من كتب. من أي مكتبة.

دوفاكين: وهل كانت تصل إليك في سارانسك؟

باختين: كانت تصل إليَّ في سارانسك. وبعد ذلك...

دوفاكين: يا له من واقع يبعث على السرور. الدنيا بخير!

باختين: صحيح. زد على ذلك: كان هناك صندوق، صندوق كتب على جانب منه عنواني وعلى الجانب الآخر عنوان كانابيف، فما كان عليّ إلا أن أضيف كلمة "إلى" بجانب عنوانه، بعد أن أفرغ الصندوق من محتوياته وأعيد إرساله إليه(٣٠). هذا كل ما في الأمر.

دوفاكين: وهو هناك يرسل ويتلقى؟ ويحمل على عاتقه هذه المسئولية؟

باختين: كان هناك يرسل ويتلقى... ويتحمل المسئولية على عاتقه طبعًا.

دوفاكين: لقد كنت بحاجة لهذه الكتب النادرة...

باختين: كانت نادرة للغاية. ولكن المسألة أن الرجل كان بإمكانه أن يرسل لي حتى المخطوطات. حسنًا ــ باختصار، لقد كان له نفوذ واسع في المكتبة، ومن ثم استطاع أن يرسل إليّ...

دوفاكين: إذن فقد بدأت في كتابة كتابك الرائع عن رابليه وأنت لا تزال في كوستاناي؟

باختين: نعم. لكن العمل الأساسي تم بطبيعة الحال بعد ذلك. أقصد عندما عشت في موسكو دون تصريح إقامة وما إلى ذلك، وقد انتقلت من موسكو إلى لينينجراد في مكان أكثر استقرارًا – في ساڤيلوڤو.

دوفاكين: وهل سمحوا لك بذلك؟

باختين: لم أطلب من أحد آنذاك تصريحًا بالإقامة في ساڤيلوڤو، بالقرب من موسكو. حسنًا، لقد كنت آنذاك "بدون"، ثم أن ساڤيلوڤو هي ببساطة... مركزًا إقليميًا.

دوفاكين: مفهوم، هي مكان يبعد عن موسكو أكثر من مائة كيلومتر...(*)

باختين: أكثر، مائة وثلاثون كيلومترًا.

دوفاكين: نعم، كما أنها ليست مركز محافظة.

باختين: صحيح، ولهذا أعطونا هناك تصاريح إقامة، أعطونا جميعًا[٣١].

دوفاكين: هي آخر نقطة في سكة حديد ساڤيلوفسكايا.

باختين: نعم، تماما، وهي أقرب مكان على نهر الڤولجا بالنسبة لموسكو. وكان نهر الڤولجا يمر بها. هكذا. وكان بها قليل جدًا من المنفيين. قليل جدًا منهم. في واقع الأمر، لم يكن هناك أحد منهم، ولم أتعرف على أحدهم هناك.

(*) الأشخاص الذين ليس لديهم تصاريح إقامة ("بدون") لا يحق لهم الإقامة في محيط العواصم والمدن الكبرى والمراكز أقل من مائة كيلو متر منها. (المترجم)

دوفـــــاكين: إذن لم تكن في الواقع منفيًا، وإنما كنت مُبعَدًا.

بـــاخـــتيــــن: مبعدًا، نعم – نعم. "بدون"، كما كـــانوا يقولــون آنـــذاك، "بدون"، مُبعد. نعم، ينبغي القول إنه عاش هناك في تلــك الفترة... يا إلهي... شاعر... شاعر... شـــاعر... ولكنــه رحل عن هذا المكان سالمًا...

باختصار، أشعر اليوم بأنني لست على ما يرام... حـــالتي سيئة تمامًا... ذاكرتي... كل شيء... حتى لساني يتلعثم... لا أعرف لماذا: ربما الجو...

ماندلشتام! نعم، نعم.

دوفـــــاكين: أوه، ماندلشتام! أوه، هنا في سافيلوفو، حقا...

بـــاخـــتيــــن: نعم، لقد عاش هناك، الحقيقة لفترة قصيرة.

دوفـــــاكين: ألم تتعرف عليه؟ وعلى ناديـــجدا ياكوفليفنا، و...

بـــاخـــتيــــن: لا، لقد علمت أنه كان يعيش هناك بعدما رحل عنها. ومن ثم فلم نتعارف.

دوفـــــاكين: لقد تجاسر إذن على الذهاب إلى موسكو، وبعد ذلــك فقــد قاموا...

بـــاخـــتيــــن: نعم. تقريبًا. يبــدو لـــي أنـــه ســـافر فـــي البدايـــة إلـــى ألكسندروف... في نهاية الدنيا... نعم، بعد ذلك، ذهب إلى موسكو...

دوفـــــاكين: هكذا. وهل قمت بتسوية وضعك قانونيًا بشكل نهائي فقــط بعد موت ستالين؟

بـــاخـــتيــــن: بعد موت ستالين، نعم.

دوفـــــاكين: وهل وصلت إلى موسكو قادمًا من ساڤيلوڤو؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، عندما كنت أعيش في ساڤيلوڤو، علـــى بعـــد مائـــة وثلاثين كيلو مترًا، كنت كثيرًا ما أذهب إلى موسكو، كنت أعيش بها، كنت أقضي بها أوقاتًا كثيرة.

دوفـــــاكين: ومتى فقدت ساقك؟

بـــاخـــتيــــن: فقدت ساقي.. نعم، في ساڤيلوڤو فقدتها.

دوفـــــاكين: وهل أجروا لك العملية هناك؟

بـــاخـــتيــــن: نعم أجروها لي هناك(٣٢).

دوفـــــاكين: أوه يا له من أمر مفزع!

بـــاخـــتيــــن: واقترحوا عليك إنقاذ الساق الثانية. أليس كذلك؟

دوفـــــاكين: بلى. هناك أجروا العملية. ينبغي القول إنه كان لديهم جرّاحٍ ماهر جرّاح رائع، متقدم في السن، في الواقع، كان شـــيخًا عجوزًا...

دوفـــــاكين: ألم تتقدم بالتماس لرفع "بدون"؟ أم...

بـــاخـــتيــــن: نعم، لم أسع لهذا قيد أنملة. لقد كان ذلك أمرًا عديم الجدوى آنذاك. على أي الأحوال فقد كنت عزوفًا عن كل شكل من أشكال هذا الـــ...

دوفـــــاكين: النشاط...

بـــاخـــتيــــن: ... النشاط وكتابة الالتماسات والعرائض. ولم أحصل على رد الاعتبار وليس لديّ نية للسعي لرد الاعتبار(٣٣).

دوفـــــاكين: معقول؟!

بـــاخـــتيــــن: بأي مناسبة؟ لقد اعتبرت، على وجه العموم، أنني لم أُقـــدَّم إلى التحقيق أو المحاكمة أو ما كانوا يصنعونه آنذاك. هذا كل ما في الأمر...

دوفاكين: كلا، على أي حال كان عليك الحصول على إلغاء القرار...

باختين: إطلاقًا، ولماذا كان عليّ أن أحصل على ذلك؟ لأي هدف؟ إن كل الذين اعتقلوا معي، في قضيتي، كلهم تقريبًا تم رد الاعتبار إليهم. أما أنا فلم أسع لذلك ولست بحاجة إليه إطلاقًا. إطلاقًا. لماذا؟

دوفاكين: وهل عدت بعد ذلك من ساڤيلوڤو؟..

باختين: عدت من ساڤيلوڤو إلى سارانسك.

دوفاكين: مرة أخرى إلى سارانسك؟

باختين: مرة أخرى إلى سارانسك! هذا ما حدث.

دوفاكين: وبعد ذلك أخذ الحجاج يتوافدون إليك هناك؟

باختين: بدءوا يتوافدون إليّ هناك...

دوفاكين: لقد راح ڤاديم كوچينوف(*) يقص عليّ كيف ذهب إليك.

باختين: نعم، جاء إلى هناك، وقد زارني عدة مرات. وبعد ذلك زارني شخص اسمه ڤلاديمير نيكولايڤيتش توربين... زارني مرات عديدة.

دوفاكين: أعرف.

باختين: ومعه لياليتشكا. اصطحب معه لياليتشكا وكانت آنذاك طالبة لديه في الدراسات العليا. نعم.

دوفاكين: ومن هي لياليتشكا هذه؟ أليست هي نفسها التي تسعى وراءك؟...

(*) ڤاديم ڤاليريانوڤيتش كوچينوف (١٩٣٠ - ٢٠٠١): أحد أشهر المفكرين والنقاد وعلماء الدراسات الأدبية والتاريخية والسياسية في روسيا في القرن العشرين. (المترجم)

باختين: تمامًا، تمامًا، هي نفسها...

دوفاكين: يجب أن أقول إنني انظر لتروبين بشيء من السخرية...

باختين: صحيح... ولماذا؟

دوفاكين: كان رجلا يفتقد إلى الوقار على نحو ما... أما كتابه "رفيق الزمن ورفيق الفن"...[٣٥]

باختين: صحيح... لكن هذا الكتاب قديم للغاية، صدر منذ زمن بعيد، عندما كان لا يزال في مستهل شبابه، عندما كان مولعًا بالنزعة التقنية وما إلى ذلك.

دوفاكين: ببساطة من خلال معاملاته وأحاديثه كان يترك انطباعًا... كلا، الحقيقة أنني لا أعرف أعماله الأخيرة، لعل حكمي غير عادل. لست مصرًا على ذلك، وإنما كان لديّ انطباع أنه شاب ذو نظرة سطحية للأمور وأنه متكلف.

باختين: نعم، كان كذلك، لكن الأمر اختلف الآن. اختلف. ينبغي القول إن كتابه "رفيق الزمن ورفيق الفن" كان على أية حال بالنسبة لزمنه...

دوفاكين: حسنًا، كان كتابًا حيويًا.

باختين: طازجًا، مبتكرًا، حيويًا، كُتِبَ بلغة وأسلوب رائعين.

دوفاكين: على أي حال هذا الكتاب لا يخرج عن كونه ثرثرة.

باختين: نعم، ولكنه في هذا الكتاب، في المقدمة، لم يصف نفسه بالعالِم أو الباحث، وإنما اعتبر نفسه صحفيًا. هذا كتاب من النوع الصحفي. هذه هي المسألة. نعم، ولكنه في الوقت نفسه كان عالِمًا. لقد ظل يُدرّس على مدى خمسة عشر عامًا.

دوفـــــاكين: أعرف. ما زلت أذكره عندما كنت معيدًا.

بـــاخـــتيــــن: أرأيت؟ لقد ظلت حلقة ليرمونتوف التي أسسها قائمة طوال الوقت، لمدة طويلة. لقد ظل الكثيرون من أعضاء حلقتــه يجتمعون من وقت لآخر، وقد حصل بعضهم على درجــة الدكتوراه، وبعضهم عملوا أساتذة مساعدين وهلمجرا.

دوفـــــاكين: حسنًا، ربما. لقد اتبعت فيما بعد... لقد كان... ســاخطًا... للغاية، من ناحية، وسلفيًا تمامًا في ســلوكه، مــن ناحيــة أخرى. أتعرف؟... لقد كان من عائلة مثقفة للغايــة. لقــد كنت على بعض المعرفة بأمه. لقد كانت تدرّس الفرنــسية لمجموعة من الصبية عندنا في ديفيتشي بولي.

بـــاخـــتيــــن: أها... لقد كان بالفعل من عائلة مثقفة. كان والده مهندسًا. "وعلاوة على ذلك"... كان يرى أن تروبين، اسم العائلــة، مأخوذ من أبيه... بولجاكوف، وفي واقع الأمر كان والده آنذاك في كييــف، كان رئيسًا لفرقة هندسية ما كبيــرة... وقد وقعت له أحداث شديدة الشبه بتلــك الأحــداث التــي وصفها بولجاكوف. وقد عرفها بولجاكوف منه.

دوفـــــاكين: إذن، لقد قاربت سيرة حياتك، إذا جاز القول، من نهايتهــا بصفة عامة.

بـــاخـــتيــــن: قاربت من نهايتها، نعم.

دوفـــــاكين: وصلتم بعد ذلك... حسنًا، نقول: استقر بك المقام في...

بـــاخـــتيــــن: ... في سارانسك، عدت إليها...

دوفـــــاكين: ولماذا عدت إليها؟

بـــاخـــتيــــن: وإلى أين كان عليّ أن أذهب؟ لم يكن أمامي طريق آخر!

دوفـــــاكين: وهل عشت هناك؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، قبيل مجيء خروشوف. كان ذلك في عهد ستالين.

دوفـــــاكين: بعد الحرب؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، بعد الحرب.

دوفـــــاكين: في الأعوام من ٤٨ إلى ٥٣.

بـــاخـــتيــــن: نعم. حدث كل ذلك في هذا العصر. لم أكن أفكر إطلاقًا في الذهاب إلى موسكو ولينينجراد. كنت أسافر إليهما دومًا، لكنني لم أستطع العيش أو الحصول على تصريح إقامة فيهما. آنذاك ذهبت... إلى وزارة التعليم، كما كانت تسمى آنذاك...

بـــاخـــتيــــن: التعليم العالي؟

بـــاخـــتيــــن: نعم. لكي يتم تعييني مرة أخرى في أي من المعاهد التعليمية في الأقاليم. وهناك عثرت على رئيس قسم المعاهد التربوية، الذي كان... عميدي في سارانسك، العميد السابق. وقد قابلني وقال لي: "عُدْ إلى سارانسك. سوف أرسلك إلى هناك فورًا، سوف أكتب لمدير المعهد. سوف يوفرون لك كل ما أنت بحاجة إليه. الأفضل أن تذهب إلى سارانسك". وإذا بي أذهب إلى هناك[٣٦].

دوفـــــاكين: وإذا بك تقضي هناك بضع سنوات أخرى؟

بـــاخـــتيــــن: وقد قضيت هناك بضع سنوات... نعم، سنوات كثيرة قضيتها هناك، كثيرة للغاية... تقريبًا إلى أن انتقلت إلى هنا.

دوفاكين: ولكنك أيضًا... حسنًا، لقد قضيت صيفًا بطوله في بيريديلكينو، أنزلوكما أنت وزوجك في دار المسنين...

باختين: نعم، نعم، نعم، قضينا زمنًا ذات صيف في بيريديلكينو في بيت المسنين، نعم[٣٧]. نعم، قبل ذلك... نعم...

دوفاكين: لم تحصل على شقة في موسكو إلا بعد أن قاربت من العمر سبعين عامًا؟

باختين: كلا. لقد حصلت على تصريح إقامة في موسكو في نهاية العام الماضي فقط، بل في العام الحالي، إن شئت الدقة. أما عندما كنت في المستشفى فلم أحصل على تصريح إقامة، في ذلك البيت أيضًا لم أحصل على تصريح إقامة. على العموم... لم يكن موضوع تصريح الإقامة مطروحًا هناك بأي شكل.

دوفاكين: حسنًا، أظن أنك كنت تتصرف بأدب على نحو سلبي تمامًا. لقد كان عليك أن تسعى للحصول على العفو في عام ٥٧.

باختين: ولماذا...؟

دوفاكين: ... كان عليهم أن يعطوك شقة...

باختين: نعم... بالطبع لم يكن ليفعلوا ذلك... نعم... لا أعرف...

دوفاكين: لقد كان زمنًا مختلفًا على أي حال.

باختين: نعم، ولكن أحوالي هناك، في سارانسك، كانت أفضل، أقصد أحوالي المادية. كانت لديّ شقة جيدة. أعطوني هناك شقة، شقة مستقلة. عشنا فيها أنا وزوجي. لم يكن فيها سوانا. كانت شقة مستقلة من غرفتين[٣٨]. أكبر من التي أعيش فيها الآن: كانت الغرف رحبة والأسقف مرتفعة،

باختصار، كان هذا البيت، مبنى أقدم من هذا، كان بيتًا رائعًا، يقع في قلب المدينة مباشرة. وأمامنا كان مبنى الحكومة كلها: بيت الحكومة و... لجنة إقليم سارانسك. وكانت لي هناك علاقة طيبة بالجامعة... صحيح أن الإدارة تغيرت، ومن ثم تغيرت العلاقة، إذا جاز القول، ولكن المياه عادت إلى مجاريها مرة أخرى. تعرف، بصفة عامة، لم يكن هناك أي شيء من شأنه أن يكدر حياتي. لا شيء، لا أستطيع أن أقول إنه كان هناك مثل هذا الشيء. لا أستطيع.

دوفاكين: ألم يتعرض لك أحد هناك بالأذى؟

باختين: نعم، لم يتعرض لي أحد بالأذى.

دوفاكين: وهل كتبت كتابك عن "دستويفسكي"(*) للمرة الأولى قبل الاعتقال؟

باختين: كتبته قبل الاعتقال، نعم.

دوفاكين: عام ٢٨.

باختين: نعم.

دوفاكين: إذن فقد رحلت من هناك رجلا ذائع الصيت، فهذا الكتاب، أقول إجمالا، كان كتابًا علامة.

باختين: كان كتابًا علامة، نعم، علامة.

دوفاكين: لقد كتبوا عنه. وهل كنت تعمل في إعداد الطبعة الثانية وأنت مقيم في سارانسك؟

(*) الكتاب هو "مشكلات الإبداع عند دستويفسكي"، الطبعة الأولى ١٩٢٩. (المترجم)

باختين: كنت أعمل في إعداد الطبعة الثانية وأنا مقيم في سارانسك. نعم، نعم. وقد حضر إليّ كوچينوف، وكان المحرر الخاص بي... أيضًا سيرجي جيورجيڤتش بوتشاروف. هكذا سارت الأمور.

دوفاكين: آه! سيريوچا(*) بوتشاروف!

باختين: هو أيضًا... كان صديقي، وقد حضر أيضًا إليّ في سارانسك.

دوفاكين: هذا شاب رائع...

باختين: رائع للغاية. ممتاز.

دوفاكين: أما ڤاديم كوچينوف فهو تلميذي، تلميذ مُقرَّب، ولكني على أي حال ينبغي أن أتحدث عن ڤاسكا بوسلايف: وإن كان لا يستحق الاهتمام، إنه شخص لا يُعتمد عليه. في الحقيقة... يجب القول، إنني سمعت منه... لم أكن أعرف، "أين أنت، ماذا تفعل؟"... (يتحدث إلى قِطه – المترجم) إنه شخص موهوب للغاية.

باختين: هو شخص موهوب للغاية.

دوفاكين: موهوب للغاية... ولكن لا مبدأ له إطلاقًا. للأسف. لا أعرف... لقد كان دائمًا ما يؤكد أنه تلميذي وما إلى ذلك، وبعد ذلك... إذا به يختفي. وقد أصبح هذا الأمر غير مقبول على نحو أو آخر...

(*) سيريوچا: اسم التدليل من سيرجي. (المترجم)

باختين: آخ، أنت تظن أن له علاقة بحكايتك(*)؟

دوفاكين: نعم![39]

باختين: كلا، ماذا دهاك! أنت لا تعرف كوچينوف! ليست هو من يفعل ذلك إطلاقًا. إنه رجل شجاع بكل معنى الكلمة. لا، لا، ماذا تقول! أما بشأن علاقته بي، لقد كنت آنذاك، في الواقع، "بدون"، لا أحد يعرفني. وقد نسي الجميع هذا الكتاب، كتابي عن "دستويفسكي"... وهو الذي عمل كل ذلك من أجلي. ولولاه...

دوفاكين: هو الذي قدَّم كتابك؟

باختين: هو فقط! فقط! فقط، ولولاه لما كنت.

دوفاكين: ماذا تقول!

باختين: نعم، لم أكن قد حزمت أمري. وقد كان "رابليه"(**) جاهزًا على مكتبي، ولكني لم أفكر في نشره، وكنت أرى أن نشره مستحيل وما إلى ذلك. وها هو يظهر ويقوم بعمل كل شيء.

دوفاكين: واخترق كل هذا الحصار؟

باختين: اخترق كل هذا، اخترقه وبشكل عبقري.

دوفاكين: حسنًا، هذا بالطبع... شرف كبير لـڤاديم، لو تم الأمر على هذا النحو.

باختين: نعم، وعمومًا، فإنني أعرفه جيدًا، أعرفه بصورة كبيرة

(*) المقصود التحقيق مع دوفاكين وفصله من الجامعة. (المترجم)

(**) المقصود كتاب باختين "إبداع فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية في العصرين الوسيط والنهضة". (المترجم)

جدًا، كلا، هذا رجل شجاع. كلا، كلا، ماذا تقول! لا يمكن مجرد الحديث هنا عن أنه يفزع من سُمعَتِك. مطلقًا! لقد كان طوال الوقت على علاقة بأناس من ذوي السمعة غير الرسمية إطلاقًا (يضحك) وهلمجرا.

دوفاكين: كان يدلي برأيه أحيانًا بصورة...

باختين: كان يفعل ذلك. نعم، فقد كان...

دوفاكين: هو الآن، إذا جاز القول، أحد زعماء من يسمونهم أنصار الأرض.

باختين: أنصار الأرض، نعم، نعم، أنصار الأرض، أو السلافيون الجدد.

دوفاكين: وهنا نجد لديهم ميلا... معاديًا للسامية...

باختين: نعم، ولكن انظر... لقد كان إنسانًا... نعم... لا، لا، لم يكن معاديًا للسامية، لم يكن معاديًا للسامية(*). لقد كان لديه سوء فهم. انظر على أي نحو كان الأمر... لقد كان رجلا ذا همة عالية. لم يكن يكتفي بالكتابة فقط. كانت لديه رغبة شديدة للعمل، أن يؤدي دورًا ما في الحياة. لم يكن يهدف إلى الارتقاء في المناصب، كلا، لم يكن شخصًا وصوليًا على الإطلاق! كان النشاط أمرًا ضروريًا له.

دوفاكين: أشعر بالسعادة البالغة عندما أسمع كلامًا طيبًا عن الناس، الذين ارتبطت بهم والذين تسرب الشك إلى نفسي تجاههم.

باختين: بالطبع، شك غير مبرر، في كل الأحوال فإن ما قلته هو

(*) الإشارة هنا إلى كتاب كوچينوف "المائة السوداء والثورة". (المترجم)

استثناء مطلق.

هذا أمر لم يكن له أي تأثير عليه. بل على العكس، على العكس تمامًا.

دوفاكين: حسنًا، ربما، أصبح الأمر ببساطة لا يثير اهتمامه.

باختين: ولعله شعر بتعاطف أكبر وما إلى ذلك. لو أنه كان بمقدوره أن يمد لك يد المساعدة، لكان بالأحرى قد قدم لك كل المساعدة الممكنة. نعم... لا، لا. ليس الأمر بهذه البساطة...

دوفاكين: لقد ظهر في حياتي في هذه الفترة أناس ذوو اتجاهات شتى، وبطبيعة الحال فقد كنت من هذه الناحية غاية في الحرص.

باختين: كلا!

دوفاكين: حسنًا، الحمد لله. هناك ثمة تداخل بيننا. بالمناسبة، هل اسم عائلتك منتشر؟

باختين: كلا، ليس منتشرًا إطلاقًا.

دوفاكين: من يحملون اسم العائلة هذا كثيرون أم لا؟

باختين: في ظني، لا. أعرف فقط...

دوفاكين: المسألة أنه يوجد بين أنسبائى، إذا جاز القول، أقارب زوجي يوجد من يحملون لقب باختين. قرينتي فيسيلوفسكايا[٤٠].

باختين: نعم. لقد أخبرتني بذلك، نعم.

دوفاكين: <...> لقد كنت مهتمًا بهذا الأمر الخاص بشجرة العائلة (يضحك) وخصوصًا أنك قلت في بداية حديثنا إنك من

عائلة عريقة...

باختين: عريقة، نعم.

دوفاكين: ... وإن لديك معلومات متشعبة عن سلسلة نسبك، هذا النسب العريق...

باختين: لديّ. بمعنى أنها ليست لديّ أنا شخصيًا؛ فأنا لم أكن مهتمًا بذلك، وإنما كان أخي مهتمًا. كان على علم بنسبنا...

دوفاكين: وهل كنت من سلالة نبيلة؟

باختين: سلالة نبيلة، بالطبع.

دوفاكين: من مقاطعة أريول؟

باختين: نعم، من أريول. حسنًا، وهذه السلالة كان لها فرع في موسكو. ومن هذا الفرع خرج شخص كان مشهورًا للغاية... كان أديبًا متواضعًا، ولكنه كان موظفًا كبيرًا (كان في وقت ما يحمل رتبة أمين سر الدولة في بلاط ألكسندر الثاني) ولقبه باختين. هكذا. وهذا اللقب يمكن أن تقابله كثيرًا أيضًا في سيرة حياة بوشكين، كما ستجده في سيرة حياة ليرمونتوف وهلمجرا – آل باختين. وحتى فتيات العائلة كن على معرفة بليرمونتوف. بل وكان ليرمونتوف معجبًا بإحداهن تقريبًا. هذا هو الفرع الآخر، إذا جاز القول. هو من السلالة نفسها، ولكننا لم نكن أقارب (يضحك). أما أقاربنا – فكلهم من أريول، وفي وقت ما كان غالبيتهم عسكريين، جنرالات. وقد حدث أن أحد

هؤلاء، أكثرهم ثراء، إذا جاز القول، هو مؤسس أحد فيالق الكاديت الأولى...

دوفـــــاكين: الذي حدثتنا عنه؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، تمامًا، في أريول.

دوفـــــاكين: هل هو جَدك؟

بـــاخـــتيــــن: هو جَد جَدي، نعم...

دوفـــــاكين: عظيم. حسنًا، الآن سوف نأخذ راحة قصيرة، إذ عليك أن تتناول غذاءك، وبعد ذلك سوف نتحدث عن يودينا. بالمناسبة أردت أن أسألك... فهناك أمر يهمني للغايـــة... ولعلني أكون مخطئًا هنا. فلا كرامة لنبي في وطنه. هــل قرأت يوليان سيرجيـڤـيتش(*)؟ وهو ابن عمـــي(٤١). هــل قرأته بنفسك أم هو الذي قرأ لك أعماله جهرًا؟

بـــاخـــتيــــن: قرأته بنفسي، كما أنني استمعت إليه. قرأته منذ زمن بعيد. هذه القصص...

دوفـــــاكين: القصص القصيرة؟

بـــاخـــتيــــن: نعم، نعم. مثل حكاية الذبابة التي تعرفها.

دوفـــــاكين: نعم. وهل كنت تتابع الأمر منذ فترة طويلة.

بـــاخـــتيــــن: منذ زمن بعيد، بعيد. لقد تعارفنا من خلال ماريا ڤنيامينوڤنا وكان هذا منذ زمن بعيد جدًا.

(*) يوليان سيرجيڤيتش سيلو (١٩١٠-١٩٩٥): مختص في علم الأحياء، بيطري، أديب ومختص في الفنون. كاتب قصص قصيرة (منمنمات). زار ميخائيل باختين في بيته وقرأ عليه بعضًا من أعماله، كما قام بعلاج قِطه. (المترجم)

دوفـــــاكين: وهل ترى أن هذا العمل جدير بالاهتمام، إذا جاز القول.

بـــاخـــتيـــن: أرى أنه عمل مهم على كل حال، كُتب بإتقان شديد، وفي النهاية فهو عمل مهم. لكنهم عندنا لا يعرفون هذا الأسلوب، هذا الطابع في الأدب. لا يعترفون به وهلمجرا، لا يفهمونه. خذ مثلا الأدب الشرقي، الياباني...

دوفـــــاكين: هذا الأسلوب موجود لديهم.

بـــاخـــتيـــن: موجود. هناك يقدمون نموذجًا واحدًا، نموذجًا صغيرًا جدًا، التفاصيل، التفاصيل، أدق التفاصيل – على أن تكون متقنة. وهذا ليس موجودًا لدينا، ولكنه موجود لديهم(*).

دوفـــــاكين: المسألة، وأقول لك مباشرة إنني.. إنه ترك لديّ انطباعًا ثقيلا... كان يشعر أنه عبقري، اكتشف عصرًا، وقد غضب مني، إذا جاز التعبير؛ لأنني لم أعترف بذلك... ليس الأمر أنني لم أعترف... لقد شبَّه حاله بقوله: "حسنًا، لم يستمع أحد أيضًا إلى باراتينسكي(**)... ثم... بعد ذلك..." أي أنه كان يشعر أنه مجدد – مكتشف.

بـــاخـــتيـــن: نعم.. وهو على حق بدرجة ما. انظر، لقد كان عبقرية نسبيًا... أقول هذا بصفة عامة... فهذه الكلمة... أرى أن من الممكن الحديث عن العبقري فقط بعد موته بمائة عام. حسنًا، بعد خمسين عامًا من موته على أقل تقدير. حتى

(*) أغلب الظن أن باختين يقصد قصائد الهايكو اليابانية. (المترجم)

(**) باراتينسكي، يفجيني أبراموفيتش (١٨٠٠- ١٨٤٤): من أهم الشعراء الروس في النصف الأول من القرن التاسع عشر. (المترجم)

يقوم الزمن، إذا جاز التعبير بتمحيصه وانتقائه. أما كون أنه، دون شك، مجدد، فهو، دون شك، مجدد في الأدب، وهناك خط محدد هو الذي اكتشفه بطبيعة الحال بأعماله، لكن أحدًا لم يستطع تذوقه حتى الآن.

دوفاكين: ولكن لماذا لم...؟

باختين: لأن كل ذلك لم يكن... لم يكن ملائمًا للعصر، هذا هو الأمر.

دوفاكين: أرأيت؟ لم يكن هناك أي شيء سياسي، وهكذا... ولكن لماذا؟ لقد كان لدى يلينا جورو مثل هذه اللمسات الانطباعية. كما كانت لدى بريشفين أيضًا.

باختين: آه!... هذه مسألة أخرى...

دوفاكين: وما الذي تميز به في ذلك؟

باختين: هذه مسألة أخرى.

دوفاكين: إن ما تقوله لا يمكن، في الحقيقة، أن أجادلك فيه. نعم، بطبيعة الحال المسألة شديدة الحساسية، هذه تفصيلة أخرى... وهناك شيء ما سيئ لديه في القصيدة...

باختين: نعم، هناك شيء. شيء غير سويّ فيها.

دوفاكين: نعم، شيء غير سويّ. ما زلت أذكره جيدًا... فتاة من قادة الكومسومول تدعى كادتوشكا تقوم بقيادة الترام... هذا مقطع من المقاطع – كل هذا جيد. لكنه كان يسعى لأن يقدم شيئًا عميقًا، وهو ما لم أجده شخصيًا هنا... ولمّا كنت أقدر رأيكم تقديرًا رفيعًا، فإنني، بطبيعة الحال، مضطر لإعادة النظر في الأمر. ولكن، يخيل لي، أنه عندما يقرأ

المرء عملا مهمًا بحق فإنه سيجد فيه شيئًا ما جديرًا في كل مرة يعود فيها إليه. وها أنت تعقد مقارنة هنا بينه وبين شيء ما... حسنًا، لقد ذكر تشيخوف ذات مرة، أنه يمكن الكتابة عن كل شيء "ولو كان محبرة".

باختين: صحيح، صحيح، صحيح، وقد كتب فعلا عنها...

دوفاكين: إذن لقد كتب عن المحبرة، وعن القلم، عن كل شيء. من ناحية المبدأ يمكن الكتابة عن هذه الأشياء وعن كل شيء... ولكن هذا لم يكن اكتشافًا من جانبه؛ أمّا أن ترى في هذه المحبرة أو في هذا القلم، إن جاز القول، وباختصار، أمورًا من عوالم النجوم... فإنني لم أشعر بذلك، وخاصة أنه كان مولعًا بشدة بقراءة أشعاره تحديدًا. ولقد استمعت إلى ما قلتموه عن روچديستڤينسكي أنه كان يقرأ أشعاره... نعم، كان هذا أمرًا شيقًا بحق، فيما بعد قررت بعد تفكير أن انظر إلى الأمر بنفسي، نظرت... عندما أصبح الأمر أقل إثارة. الأمر يتوقف بالطبع على درجة استيعاب القارئ، ربما يكون الذنب ذنبي، لن أُصر على موقفي، لكن... أنا أثق في الفن الكبير فيما كتبَه، وهو ما أستطيع أن أعود إليه ثانية...

باختين: ستعود إليه مرات عديدة.

دوفاكين: ... مرات عديدة، وفي كل مرة سأكتشف شيئًا ما. أتذكُر... أننا، أنا وأنت، فهمنا الأمر كلٌ من زاوية مختلفة، ولكن... مایاكوڤسكي، الأمر بالنسبة لي يجري معه هذا النحو

تحديدًا. وكذلك الأمر بالنسبة لبوشكين. وينسحب الأمر كذلك على دستويڤسكي... في بعض الأحيان... قليلا ما أعدت قراءته. والآن وبفضل ما وضعتموه من كتب فقد قررت أن أعيد قراءة دستويڤسكي مرة أخرى. هناك بعض الأشياء التي لم أقرأها على الإطلاق. أود أن أقرأها من الغلاف إلى الغلاف... وسأبدأ بالمجلد الأول...

إذن... ما رأيك في أدائه... فقد كان (ماياكوفسكي - المترجم) يُولي أهمية كبيرة لوظيفة الأداء؛ بمعنى أنه كان ينظر إليه باعتباره شعرًا منثورًا.

باختين: حسنًا، يمكن استخدام هذا المصطلح جزئيًا.

دوفاكين: لكنني أظن أن هذا المصطلح غير صحيح. أتصور شخصيًا على وجه العموم أن الشعر المنثور هو عبث. الشعر شعر لأنه شعر...

باختين: صحيح.

دوفاكين: وإذا كان لديهم شيء خاص بهم، فإن هذا لن يغير من خاصية الشعر. أنا، بالمناسبة، لا أحب "الشعر المنثور" لتورجينيف. خذ مثلا هذه الشطرة عنده "... شوربة كرنب ما ملحُها زائد..."[٤٢] - هذا أيضًا... كان مقبولا على نطاق ضيق... عن نفسي، بعد هذا "الشعر المنثور" لتورجينيف، بعد تشيخوف، بعد جورو، حسنًا، هو أمر شكلاني، في جانب ما، مثلما عند روزانوف. على الرغم من أنني متفق تمامًا أن روزانوف هو مقام موسيقي آخر تمامًا.

باختين: مقام موسيقي آخر تمامًا.

دوفاكين: لقد كان متناقضًا...

باختين: حقا، ولم يكن هذا مجرد سمة في شخصيته، بقدر ما كان أسلوبًا فكريًا خاصًا تمامًا، معاناة خاصة، وهلمجرا، أما عنده فالأمر يختلف، أمر آخر: أشياء، أشياء. أشياء، ظواهر طبيعية.

دوفاكين: وهذه الأشياء هنا، كما تعلم... أي أن الأمر هنا: أشياء أو – إذا ما كان هذا شعرًا منثورًا – إذا جاز القول، تتعلق بالبطل العاطفي؟ فإذا ما كان بطلا عاطفيًا فأنا لا أشعر به...

باختين: هذا ليس بطلا عاطفيًا. ليس بطلا عاطفيًا على الإطلاق. هذا شيء، شيء، هذه ظاهرة *Fenomen*. مجرد شيء عادة ما يتم التعبير عنه في الأدب باعتباره تفصيلة فقط، ليس لها معنى مستقل، وإنما تكتسب معناها من الكلِّي فقط، داخل الموضوع، هي مسألة ضرورية للمشكلة وما إلى ذلك، ضرورية للشخصية. هذا هو الأمر. إنها باختصار شديد، شيء غير مستقل، وإنما تفصيلة تحديدًا، جزء من كل.

دوفاكين: حسنًا، وهل لها الحق في هذا الاستقلال؟...

باختين: لها الحق، لها الحق. لها الحق كاملا.

دوفاكين: وهو الذي سعى عبثًا لأن يضع أشياءه في دوائر.

باختين: هذا أمر آخر. يمكن وضع الدوائر، لكن على وجه العموم

كل شيء يدير نفسه، لكل شيء قيمته.

دوفاكين: هناك دفاتر ما من دفاتر تشيخوف يمكن قراءتها باعتبارها أدبًا.

باختين: بالتأكيد، لكن هذه مسألة أخرى، مسألة أخرى. بالنسبة لتشيخوف كانت هذه كلها احتياجات لمؤلفات مستقبلية، مؤلفات تشيخوفية، كلها احتياطيات.

دوفاكين: لقد كان موهوبًا بطبيعة الحال. كان أبوه أيضًا يمارس الكتابة.

باختين: كان يكتب.

دوفاكين: كان يكتب. وقد كتب قصصًا لا بأس بها، كان مُعلمًا موهوبًا، معلمًا موهوبًا للغاية وقد أظهر موهبته في هذا المجال. حسنًا، لقد كان هذا الرجل صاحب الطبيعة الديموقراطية، بل والعدمية بعض الشيء، كان متخصصًا في علم الأحياء. وحتي يوليان درس علم الأحياء وكان قوي الملاحظة. وقد ورطته في ذلك، في الحقيقة، ليديا يڤلامبييڤنا[٤٣]: التي أرشدته ودفعت به إلى طريق الكتابة. وحيث إنه لم يستطع أن يتفرغ كلية للكتابة، وبعد مرور أربعين عامًا... ها هو الآن يقفز إلى... هذه الكتابة عن... ديونيس. وقد قرأ هنا فيما بعد عدة مرات أشعاره. رأى أنها أصابت نجاحًا. وفي الواقع فهي لم تصب أي نجاح حقيقي، لقد سألت في ذلك هناك. لكنهم التزموا الصمت: "ماذا حدث هناك..؟" – لكنهم لم يغضبوا، فقد شعروا بذلك باعتباره، ربما، ظلمًا، – فالأشعار كانت

سطحية. لكن دقة الملاحظة، هناك...

باختين: أظن على أية حال، أن السطحية بالتحديد يدركها السطحيون. وفي رأيي أن عالِم الفنون سيقدِّر ذلك على أية حال...

دوفاكين: لا أستطيع، إنني ببساطة...

باختين: أنا أيضًا، بطبيعة الحال، لست متخصصًا في الرسم: في الجداريات، في الأيقونات وما إلى ذلك. هذه مسألة أخرى. ولكن، وفي الوقت نفسه، فإنني أشعر على أية حال، أن لديه منهجًا خاصًا به، منهجًا جديرًا بالاهتمام وقد حقق به هدفه، ويبدو لي على أية حال أنه سيمضي في طريقه في النهاية. ربما، ليس في حياته، وإنما، على أي حال، فيما بعد. سوف يجد، بطريقة أو بأخرى، اهتمامًا كبيرًا من الناس.

دوفاكين: أتمنى ذلك... هل تعرف أنه أخي، أعتبره أخًا لي وإن كان ابن عمي، فلديّ أخ شقيق. والحقيقة أنه لا يوجد لديّ عمومًا من هو أقرب إليّ منه. وكان أخي هذا ينظم الشعر طوال حياته، ولكنه كان ينظمه بشكل واضح مُقلِّدًا الذُرويين فيقول "لكنك لن تستطيع... لن تنظم الشعر..." وأنا أعتبر أن الشخص، الذي أدرك أنه من غير الضروري له أن ينظم الشعر، يتصرف على نحو أفضل مما لو فعل ذلك. أنا لا أنظم الشعر لأنني أدرك أنني... لا أملك معطيات من أجل ذلك. ظل ينظم الشعر

منذ بلغ العاشرة وحتى بلغ الستين من عمره، ظل ينظمه طوال حياته. كما بدأ يتردد على هيئات التحرير من وقت إلى آخر، وقد نجح بضع مرات في حشر شيء منها. لكن كل هذا الشعر كان، بطبيعة الحال، شعرًا، من الناحية العملية، سطحيًا... كان مختصًا في الرياضيات، كان أخًا عزيزًا. أما يوليان، فكان أكثر منه موهبة بالطبع...

باختين: كان موهوبًا، نعم.

دوفاكين: ... أكثر رهافة...

باختين: أكثر رهافة بالطبع...

دوفاكين: أكثر رهافة. <...> لكن نبرة التواصل عنده تبدو أحيانًا غير محتملة إطلاقًا...

باختين: ماذا تعني؟

دوفاكين: أعني ذلك الإحساس... ببساطة، لعلي أقول، جنون العظمة. أمر غريب تمامًا.

باختين: لكن... نعم... إن جنون العظمة... هو على وجه العموم خاصية من خصائص العصر. عمومًا... فكما يقول أحد الباحثين لرواية "الجريمة والعقاب": "من ذا الذي لا يعتبر نفسه في عصرنا نابوليون؟! هناك عصور يعتبر كل واحد فيها نفسه نابوليون. عندما بدأت الرمزية والانحطاطية والمستقبلية... الجميع اعتبروا أنفسهم عباقرة. آنذاك كانوا يرون أن الأمر لا يمكن أن يستقيم على نحو آخر. انظر

طبعتها، فهذا يعني أنني أراها جيدًا. إن النـــاس يكـــذبون، عندما يقولون إن ديوانه ضعيف". لا. ما دام يكتب وهــم ينشرون فهذا يعني، وهذا ما كان يؤمن بـــه، أنـــه عمــل عبقري. هكذا كان يجيب عندما أطلق على أشـــعاره اســم "الروائع". لقد أصبح بعد ذلك بالطبع أكثر نــضجًا، وهــو الآن يتحدث ويتــصرف، بطبيعـــة الحـــال، علـــى نحـــو مختلف... هناك اجتمع كل العباقرة، فـــي هـــذه الحلقـــات نفسها، كلهم كانوا عباقرة. أما في صفوف المستقبليين...

دوفـــــاكين: بالطبع... "أنا العبقري، أنا إيجور سيڤيريانين..."

بـــاختــيـــن: هذا صحيح!

دوفـــــاكين: لكن ذلك حدث هناك على أية حال بدرجة كبيرة على نحو هزلي وصارم. ومن ثم، كان هذا اليوليان يبدو في المجتمع وكأنه شخص متواضع للغاية... كان يعمل بعلم الأحيـــاء على نحو جاد للغاية، في تخصص دقيق، علق على دراسة نوع ما من أنواع القُرادّات وما إلى ذلك، ولكن الحظ عانده بشكل وحشي؛ فقد كان المشرف عليه، في الواقع، مدرسًـــا في احدى المدارس شق طريقه إلى التعليم العـــالي، وقـــد انتهت حياته غرقًا. وقد بقي يوليان وحيدًا في هذه اللحظة الحرجة، وكان عمره تسعة عشر عامًا، دون أن يتلقى أي مساعدة. ثم ما لبث والده أن توفي... وعندها ذهب ليلتحق بالجامعة، لكنه لم يُقبَل بها... كان عليه بالطبع أن يـــدرس بالجامعة...

مساعدة. ثم ما لبث والده أن توفي... وعندها ذهب ليلتحق بالجامعة، لكنه لم يُقبَل بها... كان عليه بالطبع أن يدرس بالجامعة...

باختين: بالطبع.

دوفاكين: أما الجامعة، يعني، هو... هو الذي توقف عن المحاولة ليلتحق بعد ذلك بأحد معاهد تربية الدواجن. وعندما شرعوا في إعادة تشكيله إلى معهدين، كان من نصيبه المعهد البيطري، كان الأمر، في الحقيقة، مجرد صدفة. حسنًا، لكنه أصبح محترفًا وأظن أنه كان بيطريًا محترفًا، ولكنه...

باختين: كم يبلغ من العمر الآن؟

دوفاكين: إنه يصغرني بعامين. وأنا الآن أقترب من الرابعة والستين...

باختين: وهو يبلغ من العمر اثنين وستين عامًا.

دوفاكين: اثنين وستين عامًا، نعم، اثنين وستين، تربطنا علاقة ودية ولكن أحيانًا ما ينتابني شعور بالفزع.

باختين: لا، لا، لا، إنه بالطبع ليس مريضًا بجنون الكتابة على أي نحو... أنا متأكد أنه ليس مريضًا بهذا... وهو ما يعني الكثير.

دوفاكين: إن لديه الحق في ذلك.

باختين: له الحق، نعم، دون شك.

دوفاكين: حسنًا، هذه واحدة. إن لديه الحق... إن كل شخص من حقه

أن يكتب، إذا كان لديه ما يقوله. كل متعلم... عندما انتهى من التسجيل مع الجميع، سوف أسجل قليلا مع نفسي. حتى الآن لم أفعل ذلك. إن لديّ ما أقوله. إنه يظن، أنه لو نشر فإنه، إذا جاز القول، سوف يقلب الدنيا رأسًا على عقب. إنني لا أشك في موهبته. أتعلم، لو أن المرء كان في الخامسة والعشرين، وتساءل، هل أنا موهوب أم لا؟ لأجاب: "موهوب بالطبع!".

باختين: في الخامسة والعشرين من العمر، من السهل أن تكون موهوبًا.

دوفاكين: نعم. ولكن عندما يبلغ المرء الثانية والستين وتحدثه نفسه "أنت موهوب، اكتب!"، فإنه إنما ينتحر. هذا مستحيل... السؤال، هل فعلت شيئًا يستحق البقاء في العالم؟ يجب أن نصل إلى المحصلة. أتعرف؟ إنك على أية حال، وأنا أفهمك؛ لأنك ستدلي بصوتك لصالحه...

باختين: سيحدث. إنني أرى الأمر على هذا النحو، هنا، بالطبع، الكثير من الملابسات. لعل النتائج سوف تأتي متأخرة للغاية، بعد سنوات طويلة من وفاته، ربما يكون الأمر كذلك.

دوفاكين: أتصور، لو أنه الآن... لكن... أتَعلَم... من ناحية – الحق في الكتابة، من ناحية أخرى – التقدير غير الملائم لاختيار مكان كتاباته. <...> أظن أنه لو نشر شيئًا الآن... أظن أنه يمكنه نشره الآن، من ناحية المبدأ.

باختين: نعم، بالطبع.

دوفـــــــاكين: ... لكن أحدًا على وجه الخصوص لن يلتفت إلى ذلك.

بـــاخـــتيـــــن: نعم. نعم. أمر مفهوم تمامًا. ليس لدينا الآن عين ننظر بها ولا أُذنٌ نسمعُ بها. هذا هو الأمر.

دوفـــــــاكين: حسنًا، هناك الآن محاولات عديدة مثل تلك في هذا الاتجاه: تارة قصص صغيرة... تارة في "الموسوعة الأدبية"...

بـــاخـــتيـــــن: صحيح. لكن الأمر لا يتوقف على القصة القصيرة فقط – هناك أمر آخر. نعم...

دوفـــــــاكين: هذا النوع من الشعر المسمى بالمنمنمات.

بـــاخـــتيـــــن: نعم. وهو لا يتميز بالحدة. هذا النوع، بالمناسبة، ليس سيئًا. لكن هذه الحدة، بالطبع، قد تفتح أمامها الأبواب سريعًا أمام النشر، وهلمجرا.

دوفـــــــاكين: حسنًا، اعذرني، الحديث خرج عن مقتضيات لقائنا العملي، إذا جاز القول، ولكن... الحديث كان مؤثرًا للغاية بالنسبة لي.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، أدرك ذلك.

دوفـــــــاكين: في هذه الحالة كنت أتحدث ببساطة عن شخص قريب مني، شخص عزيز... لعلي لم أكن عادلا في الواقع في هذا الأمر...

المحاورة السادسة

٢٣ مارس ١٩٧٣

دوفـــــاكين: حسنًا ميخائيل ميخايلوڤيتش، آن الأوان أخيرًا لنصل إلـى موضوعنا الأخير - ماريا ڤينيامينوڤنا يودينا.

بـاخـتـيـن: نعم. حسنًا. لقد تعرفت على ماريا ڤينيامينوڤنا يودينا عندما ذهبتُ إلى صديقي ليـڤ ڤاسيليـڤيتش بومبيانسكي[١]. لقد عاش ليـڤ ڤاسيليـڤيتش بومبيانسكي في نيـڤيل عامين، إذ كان يؤدي بها الخدمة العسكرية، في الحقيقة هو لـم يـؤد الخدمة العسكرية. ولكن فوجَه كان مقيمًا بها[٢]. وعنـدما سافرت إليه كان قد تم تسريحه. المهم أنه كان يعرف جيدًا كل المجتمع المحلي، وكان يعرف من بينه عائلة الـدكتور يودين[٣]. كان الدكتور يودين من أكثر الأطباء احترامًا في نيـڤيل. وعلاوة على ذلك عندما جرت هناك الانتخابـات البرلمانية كان أحد المرشحين.

دوفـــــاكين: عن أي حزب؟

بـاخـتـيـن: لقد وقعت له بالمناسبة هذه القصة... لقد كان طوال عمره من الكاديت. وعمومًا كان، بطبيعة الحال، وفقًا لأسـلوبه وشخصيته، الرجل المناسب، إذا جاز القول، باعتباره طبيبًا له وزنه في حزب الكاديت، لكنه عندما شعر أن الكاديـت لن يصلوا، وإنما الفرصـة متاحـة بـشكل أكبـر أمـام اليساريين، فقد تخلى فجأة عن هؤلاء ليصبح من المناشفة.

دوفـــــاكين: أصبح منشفيًا؟

بـــاخـــتيـــن: نعم. عشية الانتخابات تحديدًا... وهذا يعني أنه وُضع على قائمة المناشفة.

دوفـــــاكين: وما الذي حدث، هل انتخبوه؟

بـــاخـــتيـــن: لا، لم ينتخبوه. لم ينجح باعتباره منشفيًا. هذا ما حدث في محافظة ڤيتيبسك. لم ينجح بها. كان هناك عدد كبير من المناشفة، ولكن، بداهة، لم يصبه الدور. وعمومًا، بقدر ما أتذكر الآن، فإن المناشفة لم يحققوا هناك، في ڤيتيبسك، نجاحًا يذكر، وإنما الثوريون الديموقراطيون.

دوفـــــاكين: وعمومًا، فقد كان عليه أن يتراجع لصالح الثوريين الديموقراطيين (يضحك).

بـــاخـــتيـــن: نعم، وها هو لسبب ما ينحاز للمناشفة. أما إحدى بناته... وقد كانت لديه أسرة كبيرة العدد.

دوفـــــاكين: كبيرة العدد؟

بـــاخـــتيـــن: نعم. كان لديه ابنان، أحدهما وافته المنية منذ فترة قريبة، كان هو الآخر طبيبًا مشهورًا، و... لا، ثلاثة أبناء، آسف... (يستغرق في التفكير) كلا، ابنان، ابنان[٤]، ثم عدة بنات. كن كثيرات. لا أعرف منهن سوى... حسنًا، أنا، في الواقع، كنت أعرفهن كلهن على الأرجح، ولكني نسيت. لكن كنت على علاقة وثيقة فقط بماريا ڤنيامينوڤنا يودينا وأختها[٥].

دوفـــــاكين: كان أبوها يدعى ڤنيامين؟..

باختين: ڤنيامين جاڤريلوڤيتش على ما أظن، نعم. ثم تعرفت بعد ذلك على أخيه، المحامي في ڤيتيبسك، ياكوف جاڤريلوڤيتش، كان شخصًا محترمًا أيضًا[٦].

دوفاكين: لقد كانت عائلة يهودية تمامًا إذن؟

باختين: عائلة يهودية تمامًا. وكانت الأم يهودية أيضًا، ولكنها ماتت. عندما وصلتُ إلى هناك، أظن أنها ماتت قبل عام على وصولي[٧]. ولهذا فلم أتعرف إلا على الأب والإخوة، وأخوات ماريا ڤنيامينوڤنا. ثم تعرفت على عمها بعد ذلك في ڤيتيبسك.

دوفاكين: وهل كانوا عمومًا من الميسورين؟

باختين: كانوا أناسًا ميسوري الحال، ولكنهم لم يكونوا من الأثرياء، إذ لم يكونوا من التجار أو من رجال الصناعة. كان الرجل طبيبًا يحصل على دخل كبير، أما أخوه - ياكوف جاڤريلوڤيتش يودين فكان محاميًا، محاميًا بارزًا جدًا وكان أيضًا يحصل على دخل ممتاز. هكذا كان الأمر. حسنًا، ربما كان لديهم، مثل الكثير جدًا من اليهود، رأس مال صغير، ولكن لم يكن لهذا أي معنى: لم يكن لديهم، في الواقع، أي رأس مال. ولكنه كان يمتلك بيتًا في وسط المدينة؛ بيت ملحق به حديقة رائعة، حيث عاش فيه مع عائلته. كان بيتًا كبيرًا. كان ليف ڤاسيليڤيتش معه، أقصد، كان على معرفة به منذ فترة بعيدة، وكان يعرف

ابنته، ابنته الصغرى، منذ فترة. كانت هذه ماريا ڤنيامينوڤنا. كانت تبلغ من العمر آنذاك ستة عشر ربيعًا عندما وصلت(٨).

دوفاكين: أي في عام ١٩؟

باختين: لا، كان هذا في عام ١٨.

دوفاكين: وكان عمرها ستة عشر ربيعًا؟

باختين: نعم، كان عمرها ستة عشر ربيعًا. حسنًا، لا أعرف على وجه التحديد... متى ولدت؟

دوفاكين: أنا أيضًا لا أتذكر سنة ميلادها، ولكن أتصور أنها ولدت قبل عام ١٩٠٠.

باختين: أظن أنها كانت تصغرني بأربعة أعوام.

دوفاكين: وأنت في أي عام ولدت؟ لقد نسيت.

باختين: في عام ١٨٩٥.

دوفاكين: ١٨٩٥! إذن كيف تكون قد بلغت السادسة عشر؟ إذا كنت قد ولدت عام ١٨٩٥، وهي ولدت عام ١٨٩٩، هذا ما أنكره. فإنها تكون قد بلغت في عام ١٩١٨ لا أقل من تسعة عشر ربيعًا بأي حال.

باختين: الأمر ليس كذلك بالطبع، لا، لا. كانت أصغر. حسنًا، لعلها كانت تبلغ من العمر ثمانية عشر ربيعًا كحد أقصى، إذن، لا أعرف تاريخ ميلادها بدقة، لا أعرفه بدقة. حسنًا، كنت أكبرُها بأربعة أعوام، وربما بخمسة أعوام، ولكن لا أقل، في كل الأحوال، من أربعة أعوام. كانت آنذاك لا تزال فتاة، حسنًا، غير مكتملة النضج بعد، عندما تعرفت عليها.

كنت أقرأ هناك سلسلة محاضرات قصيرة في الفلسفة. وقد أظهر المثقفون المحليون اهتمامًا كبيرًا بها على وجه العموم، كما أظهروا اهتمامًا خاصًا بالفلسفة. وكانت ماريا ڤنيامينوڤنا من بين الحضور وقد أوليتها على الفور اهتمامي: صبية، شابة للغاية، ممتلئة، الحقيقة، ممتلئة، ضخمة، ترتدي ثوبًا أسود تمامًا. عمومًا كان مظهرها آنذاك رهبانيًا خالصًا، الحقيقة، كان مظهرها يتناقض مع وجهها الشاب وعيونها الشابة وهلمجرا. هكذا... لكنها كانت تلبس مثل راهبة تمامًا؛ أي، بطبيعة الحال، ليس كراهبة، وإنما ما يشبه ذلك.

دوفاكين: وهي، هل كانت قد اعتنقت المسيحية آنذاك؟

باختين: أعتقد أنها كانت قد اعتنقت المسيحية.

دوفاكين: وهل حدث هذا في وجودك؟

باختين: لا، لم يحدث هذا في وجودي. فقد اعتنقت المسيحية قبل ذلك(٩).

دوفاكين: هل هذا يعني أنها نشأت في عائلة يهودية ثم اعتنقت المسيحية بنفسها، إذا جاز التعبير، في شبابها المبكر؟

باختين: نعم، اعتنقت المسيحية في شبابها المبكر.

دوفاكين: على نحو فردي؟ في عائلة غير مسيحية؟

باختين: على نحو فردي. لا، عائلتها لم تعتنق المسيحية. كان أبوها عمومًا... حسنًا، كان طبيبًا... لقد كانت لديه تلك الفلسفة، النفعية تقريبًا... كان رجلا حاد الذكاء بالمناسبة. ذكيًا

للغاية. قوي الشخصية، وكان متميزًا. لكن رؤيته كانت تتسم بشيء من النفعية. كان الأمر بالنسبة له سيان على نحو مطلق، سواء لديه اعتنقت المسيحية أم أصبحت من أتباع محمد أو دخلت في أي دين آخر أيًا كان، الأمر سواء. وهكذا راحت تواظب على سماع كل محاضراتي وغيرها، متابعة ذلك بكل اهتمام...

دوفاكين: وهل كنت تقرأ تاريخ الفلسفة؟

باختين: قرأت مدخلا إلى الفلسفة، ولكن، إذا جاز القول، كان هذا تاريخًا للفلسفة، وإنما لا على نحو زمني متسلسل. وإنما على أساس إشكالي، كما يحدث عادة...

دوفاكين: مفهوم.

باختين: نعم. مدخل إلى الفلسفة. ولكن في داخل المشكلات هناك نظام تاريخي.

دوفاكين: تقصد مشكلة المعرفة...؟

باختين: هذه، نعم – نعم.

دوفاكين: ... في الحضارة الإغريقية و... عند الكلاسيكيين...

باختين: تمامًا. حسنًا، لقد أوليت اهتمامي في محاضراتي لكانط والكانطية. كنت أعتبر ذلك هو الأمر الأساسي في الفلسفة. نعم، والأهم، بطبيعة الحال. هي الكانطية الجديدة. جيرمان كوجان... ريكيرت... ناتورب، كاسيرير.

دوفاكين: ريكيرت وكاسيرير، أذكرهما قليلا، عرفتهما من خلال بيلي.

باختين: بالطبع تعرفهما. هل تذكر كتاب *"Philosophie der sympolischen Formen"*[١٠] في ثلاثة مجلدات. كتاب رائع، لا يزالون يستشهدون به عندنا. وهكذا فقد كان هذا الكتاب هو الموضوع الرئيسي لسلسلة محاضراتي في الفلسفة.

والآن: عنما تعرفت على ماريا ڤنيامينوڤنا، كانت واقعة تحت تأثير هائل لليڤ ڤاسيليڤيتش بومبيانسكي. وربما يرجع اعتناقها للمسيحية إلى تأثير بومبيانسكي[١١]. بومبيانسكي أيضًا ينحدر من عائلة يهودية. كان هجينًا. كان والده يهوديًا، وكانت أمه فرنسية أصيلة[١٢]، ومن ثم فقد كان نصفه روسيًا يهوديًا (يضحك) من غرب البلاد، ونصفه الآخر فرنسيًا. وكان أخواه، لأمه، فرنسيين، أحدهما، لا أتذكر الآن، أصبح فيما بعد عضوًا في الحكومة الفرنسية. هكذا. أظن أنه كان يمينيًا.

دوفاكين: ولكن، ألم يؤثر ذلك، في الواقع، على عائلته؟

باختين: لم يكن لهذا أي تأثير على عائلته. على أي حال، فقد كانت واقعة تحت تأثيره الشديد. فلسفيًا أيضًا. لقد كان يتفلسف أيضًا. لم يكن فيلسوفًا، لكنه كان يتفلسف. ثم بعد ذلك كان له تأثير أدبي عليها[١٣]. يمكن القول إنه كان رجلا رائعًا واسع الاطلاع في مجال الأدب، وكذلك في مجال الأدب الأجنبي على وجه الخصوص. كان يجيد عدة لغات، يقرأ بسرعة فائقة. كان باستطاعته أن يقرأ كتابًا ضخمًا في ليلة واحدة، ثم يوجزه بعد ذلك، إذا جاز التعبير، بدقة وكمال. في هذا المجال كانت لديه موهبة استثنائية. على العموم

فهؤلاء الهجين غالبًا ما يكونون موهوبين على نحو غير عادي. ما الذي كان فيه أكثر؟ الأرثوذوكسية، الروسية... كان يحب الأدب الروسي، الأرثوذوكسية، كان أرثوذوكسيًا، أرثوذوكسيًا متحمسًا[١٤]، ولكنه كان كاثوليكيًا من جهة أمه (يبتسم). هكذا كان الأمر.

ولمّا كان شخصًا، بطبيعة الحال، متميزًا، فقد كان له تأثير طاغ على ماريا ڤنيامينوڤنا. ولم يكن هذا التأثير في فترة ما، وإنما، لعلي أقول، إن تأثير ليڤ ڤاسيليڤيتش عليها ظل ملازمًا لها حتى آخر أيامها، على الرغم من أنهما، إذا جاز القول، قد افترقا فيما بعد وابتعد كل منهما عن الآخر؛ لأن بومبيانسكي في نهاية حياته انكب على الماركسية والشيوعية[١٥]. حسنًا، بالطبع لم يصبح شيوعيًا، بل لم يكن ليتم قبوله إطلاقًا في الحزب، ولكنه أصبح ماركسيًا وستالينيًا مولعًا. هذا هو الأمر. لكن ماريا ڤنيامينوڤنا، لا أقول تعاملت مع هذا الوضع على نحو سلبي، لا، ولكنها، باختصار، لم تشاركه هذا، لم تشاركه آراءه.

دوفاكين: ابتعدت.

باختين: ابتعدت، نعم. وهكذا، وبالتالي، أصبحت هذه الأرثوذوكسية، وهؤلاء الناس من أصحاب النزعة السلاڤية، الذين عرفهم وأحبهم وما إلى ذلك، حتى خومياكوف، خومياكوف، بل لم يقتصر الأمر عليه، وبالطبع...

دوفاكين: حيث نقاط التماس بينه وبين المدعوة ليديا يڤلامبيڤنا[١٦].

باختين: نعم، بالطبع! لقد أحب خومياكوف وكان يقدره تقديرًا رفيعًا، ولم يقتصر الأمر على أعماله الدينية والفلسفية، وإنما أيضًا شمل أشعاره الضعيفة. فقد كان خومياكوف شاعرًا. وبالمناسبة فإن ما طبع لخومياكوف، لم يكن سوى أعماله الشعرية، الآن راحوا يطبعونها، منذ قريب في سلسلة مكتبة الشاعر. نعم، كانت أشعاره ضعيفة، لكنها دينية.

هكذا كانت (يودينا – المترجم) واقعة تحت تأثيره. كان مزاجها وحتى فلسفتها، إذا ما تحدثنا عن فلسفة هذه الشابة، كان أرثوذوكسيًا سلافيًا.

دوفاكين: حتى آنذاك؟

باختين: حتى آنذاك.

دوفاكين: عمومًا فقد ظلت على هذا الحال حتى ماتت.

باختين: ظلت على هذا الحال حتى ماتت. وقد ظلت في هذا الشأن مخلصة حتى النهاية. وعلاوة على ذلك، يبدو أنها ترهبنت سرًا في آخر حياتها، لا أعلم متى.

دوفاكين: وهل هناك هذا الشكل من الرهبانية؟

باختين: يوجد. يوجد هذا الشكل.

دوفاكين: الرهبانية السرية؟

باختين: الرهبانية السرية. نعم، نعم. يظل الشخص في الدنيا وهو في الوقت نفسه مترهبن. نعم، نعم! ويقوم بأداء التعاليم الرهبانية، إذا جاز القول، تلك التعاليم التي تتفق، بطبيعة الحال، .... هذا ما قيل.

المدهش أنه أثناء مراسم الدفن: عندما ماتت، عندما رقدت في التابوت، اقترب منه، من التابوت، وجلس طويلا جدًا

عند رأسها أسقف ما، أحد كبار رجال الكنيسة، الــذي لــم يكن من الممكن أن يكون مجرد رجل مؤمن. ثم أقيم قداس بعد ذلك: في الجبانة، عند المقبرة.

دوفــــــاكين: حضرته.

بـــاخـــتيــــن: حضرته؟ ... كان هناك قدّاس وأتصور أن جوقة الكنيـــسة قد أنشدت.

دوفــــــاكين: لم يحدث، كل هذا محض مبالغة.

بـــاخـــتيــــن: مبالغة؟

دوفــــــاكين: نعم. حدث الأمر على النحو التالي: عندما أنزلوها مــن... من الأوتوبيس، كنت أسير مع... زلاتايــا قنــسطنطينوفنا ياشينا، التي كانت على علاقة طيبة بها...[١٧] إذ لم يكــن يسمحون بدخول الأوتوبيسات..؛ أي أنهم حملوا التــابوت علـــى أيديهم لمسافة طويلة للغاية، حوالي خمسين خطوة، لا أقل...

بـــاخـــتيــــن: أووه!

دوفــــــاكين: زد على ذلك أن هذا الممشى كان يمتد بشكل ما بامتداد... حائط، كان الثلج يغطي الأرض، ومن ثم فقد كان الــسير أمرًا شاقًا للغاية...

بـــاخـــتيــــن: نعم، نعم.

دوفــــــاكين: ... حملوها... وفي الأمام سار شيخ أصلع الرأس. ســـألت بعد ذلك عمن يكون. راح يغني. وتبعه آخرون...

بـــاخـــتيــــن: تابعوه بالغناء.

دوفـــــاكين: ... تابعوه بالغناء. تقول إنه كان هناك جوقة كنسية. فـــي رأيي... أتعرف، لا، لا أملك الشجاعة أن أنفي ذلك. لقـــد تصورت ذلك باعتبارها جوقة كنسية لكنيسة نيكـــولا فـــي كوزنيتّس، والتي خرج منها...

بـــاخـــتيـــــن: حسنًا، وربما كانت هذه هي الجوقة الكنسية.

دوفـــــاكين: نعم، عمومًا كانوا مجموعة من الشباب، يرتدون ثيابًا رثـــة، لا يختلفون في شيء من ناحية مظهرهم عن شباب اليوم، عمومًا كانت هيئتهم رثة... على الرغم من أنهم كانوا آنـــذاك أقـــل. هؤلاء الشباب أصحاب البنية القوية، راحوا يحملون ويغنـــون، يتوقفون من آن لآخر، حتى يتجمع الذين...

بـــاخـــتيـــــن: تخلفوا.

دوفـــــاكين: الذين تخلفوا. وفي الأمام كان هناك عجوز مضحك يحمل صليبا، ليس صليبًا كنسيًا، وإنما من النوع الـــذي يوضـــع فوق القبور، صليبًا خشبيًا، صغيرًا أجرد، وهذا العجـــوز كان يبدأ الغناء من جديد، عندما تتوقف الجوقة. زد علـــى ذلك أن الأمر كان يحدث في العتمة، كانت المقبرة خاليـــة تمامًا. عندما اقتربوا كان الظلام قد حل بـــشكل واضـــح. راحوا ينزلون التابوت في القبر. وهنا حدث التباس(*)، إذا جاز التعبير، فقد تبين أن القبر تم حفره طوليًا على نحـــو ضيق. ومن ثم انحشر التابوت. وإلـــى أن تـــصرفوا فـــي الأمر... أي إنهم حاولوا هناك فـــي البدايـــة أن يرفعـــوه

(*) بالفرنسية في الأصل *qui pro quo*. (المترجم)

ببساطة... لكن الأمر انتهى بأن تعرقل: فلم يعد يتحرك يمينًا أو يسارًا. وأخيرًا أخرجوه ووضعوه على الطرف. أحدهم... ولكن سرعان ما ساد الظلام تمامًا...

سألوا عمن يمكن أن يكون لديه شموع. وكان لدى أحدهم بقايا شموع أعطاها لهم. وقام بعضهم بإشعالها...

باختين: أووه، والآخرون قاموا بالحفر.

دوفاكين: ... اثنان، راحا يهذبان القبر من ناحية الطول، أظن (كان كافيًا من ناحية الاتساع). وقفت على مقربة ورحت أرقب الموقف باهتمام بالغ إذا جاز القول... بحكم مهنتي الآن... كان شيئًا جيدًا أن أسجل ذلك ... و... أتما الحفر... استمر ذلك، على الأرجح، ساعة بأكملها، عمل مضجر...

باختين: نعم... إطالة القبر، هذا، بالطبع، عمل ليس بالهين.

دوفاكين: نعم! لم يتم بسهولة. في البداية كنت تسمع "أنزله... ارفعه..." - "لا، أنزله..." هكذا... في الوقت الذي استمر فيه العجوز القاريء... ينشد شيئًا ما. أحيانًا كان يظل وحيدًا، يواصل الغناء وحده، وبالقرب مني وقف شخص، يبدو أنه قس، ويبدو أنهم حاولوا إشراكه في العمل، ولكن، يبدو أنه خاف.

باختين: نعم؛ لأن هذا الأمر ممنوع تمامًا بأمر من البطريرك: القبر... لا تقام فيه خدمة الصلاة على القبر. بأي حال من الأحوال... ليست هناك خدمة في الجنازة. بأي حال!

دوفاكين: هذا ما حدث، في الواقع لم تكن هناك جنازة. لا أعرف في الحقيقة، بطبيعة الحال، نص القداس الأرثوذكسي، ولكني

أظن أن الأناشيد نفسها ظلت تتكرر: "يا إلهنا المقدس، يا إلهنا العظيم..." وتلك الجملة... "ارتاحي مع القديسين...". النص الكامل لها إذا صح التعبير... أنا أتصور هنا بعض ما أنشدوه: لقد دفن أبي... في رأيي لم يكن هناك نص له علاقة بهذا القدّاس، لقد جرت الأمور على نحو أبسط... يمكن القول: كان غناء كنسيًا أدّاه هواة... على رأسهم هذا المنشد...

باختين: منشد، نعم.

دوفاكين: ... وقد غنوا بعضًا من... حتى – نعم... اعذرني، أتذكر الآن، الصحيح هو أنها لم تكن جوقة، وأن هؤلاء الشباب، الذين قاموا بالغناء، هم تلاميذ من إحدى مدارسها الموسيقية.

باختين: نعم. الأرجح من هذا... من جنيسينا.

دوفاكين: إما من خريجي جنيسينا أو من الكونسرفاتوار. لا أعرف. هكذا. وعلى العموم القداس المدني الذي جرى في بهو الكونسرفاتوار...

باختين: حسنًا، هذه مسألة أخرى...

دوفاكين: كانت قبل ذلك بطبيعة الحال. إذن، ينبغي القول، إن الجنازة كانت مؤثرة جدًا. كان الجو شديد البرودة، كان من الممكن أن أتجمد في مثل هذا اليوم... أعتقد أنه كان الثلاثين من نوفمبر أو ما شابه... في أواخر نوفمبر عام

٧٠، نعم، نعم. بعد ذلك نقلوا من يرغب، إذا جاز التعبير، لحضور مأدبة التأبين في عدد من الأوتوبيسات...

باختين: هل كان العدد كبيرًا؟

دوفاكين: كان العدد كبيرًا، لكن الذين حضروا مأدبة التأبين كانوا على أية حال حوالي ستين شخصًا.

باختين: أوه!

دوفاكين: وقد أقيمت المأدبة... في ستوديو الفنان يفيموف، الذي كان يصنع الوحوش[١٩]. يفيموف نفسه كان قد مات؛ بمعنى أن الذي أقام المأدبة هو ابنه، وكنت أعرفه شخصيًا[٢٠]. حسنًا لقد ابتعدنا كثيرًا عن زلاتايا قنسطنطينوفنا. لقد كانت صديقة مقربة جدًا من ماريا ڤينامينوڤنا. لكنها، في رأيي، لم تكن مهتمة بالكنيسة، ولكنها... على كل حال... نعم، كانت، عمومًا، عضوًا في الحزب، نعم كانت ياشينا، بالمناسبة، غدًا أمسية الاحتفال بذكراها. هكذا كانت... كانت صديقة لزوجي ولماريا ڤينامينوڤنا، هكذا، على أي حال القول بأنها كانت جنازة، أمر غير دقيق.

باختين: مؤكد، نعم، هذا صحيح. ولكن، ربما، أنت على صواب، لكن من الممكن أن تكون الجنازة قد أقيمت، إن صح التعبير، على نحو سري (يضحك)، جنازة سرية مسرحية ربما...

دوفاكين: ليس لديّ تحفظ، بالطبع، كانت...

باختين: هذا أمر لا أعرفه أيضًا.

دوفاكين: لعل الذي... شارك في هذا يعرف ذلك، بالطبع (يضحك) أفضل. لقد كنت في موقف المراقب إذا جاز القول.

باختين: لقد دفنوها بجوار أم خطيبها.

دوفاكين: نعم. فلتواصل حديثك، عفوًا، لنعد الآن مرة أخرى إلى نيڤيل. إذن، هذه... الفتاة، آنذاك...

باختين: آنذاك راحت تنزع إلى الرهبانية. فكانت ترتدي ملابس مختلفة تمامًا عما ترتديه الأخريات. وعندما رأيتها للمرة الأولى. أدهشتني ببساطة وتساءلت من تكون هذه الشخصية! ذلك أنه كان هناك، وأكرر، ثمة تناقض غير معقول تمامًا: وجهُ شاب، متورد يفيض بالصحة (كانت فتاة قوية) وفي الوقت نفسه إذا بها ترتدي هذا الثوب الأسود الحالك.

حسنًا، لقد تعرفت عليها بعد ذلك، وبالطبع، على نحو أقرب وأصبحت، إذا جاز التعبير، الضيف المفضل في بيتهم. وسرعان ما رحل ليف ڤاسيليڤيتش في هذا الوقت مغادرًا نيڤيل. بقيت لفترة، بينما رحل هو؛ حيث التحق بالعمل في المخابرات الحربية. كان ببساطة قد تم تسريحه من الخدمة. وكان رئيسه المدعو خرسونسكي...

دوفاكين: في الفترة السوڤيتية؟

باختين: في الفترة السوڤيتية. كانت سوڤيتية ولكنها آنذاك كانت امتدادًا للزمن القديم... وكان الضباط جميعهم من قدامى الضباط.

دوفاكين: ضد من إذن كانوا يقومون باستخباراتهم؟

باختين: ضد ألمانيا.

دوفاكين: ضد ألمانيا؟

باختين: ضد ألمانيا.

دوفاكين: مفهوم. كانت بسكوف لا تزال... كان هذا قبل معركة بسكوف، أليس كذلك؟

باختين: قبلها، بداهة، نعم، لا أتذكر الآن بدقة. ولكن، على كل الأحوال، كان يخدم في المخابرات السوفيتية، ولكن خرسونسكي نفسه كان من الخيَّالة، أظن أنه كان قائدًا تقريبًا، هكذا. كنت أعرف الآخرين كلهم. كانوا جميعًا من الضباط، ضباطًا رائعين، ممتازين للغاية، كانوا جميعًا أناسًا بارزين. كانت المخابرات حربية خالصة. كانت تعمل تحديدًا في محاربة التجسس الحربي. وكان ليف ڤاسيليڤيتش يقوم هناك بمهامه، في الواقع، باعتباره مترجمًا عند استجواب الألمان والأسرى وهلمجرا.

دوفاكين: إذن هؤلاء كانوا من بقايا الجيش القديم، الذي لم يكن قد تفكك بعد حتى النهاية، ولم ينضم إلى الجيش الأحمر...

باختين: لا، كان يعتبر بالفعل هو الجيش الأحمر.

دوفاكين: إذن فقد حدث ذلك بعد معركة بسكوف.

باختين: نعم، بداهة، بعد معركة بسكوف[٢١].

دوفاكين: حسنًا، هذا يعني أن ذلك يرجع إلى منتصف عام ١٨.

باختين: وقد تقدموا إلى الأمام بسرعة فائقة، نحو الأراضي التي كان الألمان يحتلونها من قبل. وهكذا سافر معهم ليف

ﭬاسيليڤيتش أيضًا باعتباره مترجمًا. لكنه لم يمكث هناك زمنًا طويلا بشكل خاص.

دوفاكين: هذه فترة زمنية فاصلة قصيرة جدًا.

باختين: نعم، كانت فترة زمنية فاصلة قصيرة للغاية. علمت بعدها فقط أن خرسونسكي هذا قد أعدم رميًا بالرصاص، لكن هذا حدث بعد بضع سنين بعد هذه الأحداث. نعم... يبدو أنه كان على علاقة...

دوفاكين: هل كان خرسونسكي شيوعيًا كبيرًا؟ لا أعرف...

باختين: لا، لم يكن شيوعيًا. كان نموذجًا نمطيًا من رجال الخيَّالة. كانت رؤيته رؤية الخيّالة العسكريين. هذا كل ما في الأمر.

دوفاكين: حسنًا، سوف نعود لنتوقف بالقرب من ماريا ڤينامينوڤنا.

باختين: إذن، لقد تعرفت عليها، بالتالي، على نحو أقرب. كانت مهتمة جدًا بالقضايا الفلسفية، زد على ذلك أنها اكتشفت في نفسها قدرات تؤهلها للفكر الفلسفي وهو أمر نادر للغاية. وكما تعلم فإن الفلاسفة قليلون في هذا العالم. المتفلسفون كثيرون للغاية، لكن الفلاسفة قليلون. وقد كانت بالمناسبة من هؤلاء المنتمين إلى أولئك الذين بإمكانهم أن يصبحوا فلاسفة.

دوفاكين: وهؤلاء يندر وجودهم خصوصًا بين النساء.

باختين: نعم، يندر ذلك على وجه الخصوص. وهكذا أظهرت بعد ذلك اهتمامًا بالغًا نحو اللغات بصفة عامة، ونحو اللغتين

اللاتينية واليونانية القديمة ونحو الأدب. والحقيقة أنني أعطيتها فيما بعد، في لينجراد، لا، كانت لا تزال بتروجراد، أعطيتها دروسًا في اللغة اليونانية القديمة. لا، آنذاك كنا ندير نقاشات حول الفلسفة فقط. وقد استَمَعت إلى سلسلة محاضراتي في الفلسفة، بعدها رحنا نتحاور معًا حوارات فلسفية، بالمناسبة فقد أظهر أبوها، الدكتور، أيضًا اهتمامًا بالفلسفة وبالثقافة عمومًا. كان رجلا ذكيًا واسع الاطلاع، على الرغم من النظرة الفلسفية النفعية التي كانت تميز الأطباء المثقفين، بعض الشيء، مع قليل من مخلفات الستينيات، العدمية وما إلى ذلك وهلمجرا.

كنا نقوم أحيانًا بجولات طويلة. في نيڤيل، وضواحي نيڤيل رائعة على وجه العموم على نحو استثنائي، كما أن المدينة رائعة الجمال(٢٢). تطل على بحيرات، كأنها مدينة بحيرة. البحيرة والضواحي غاية في الجمال. قمنا بجولات بعيدة، عادة أنا وماريا ڤينامينوڤنا وليڤ ڤاسيليڤيتش، وأحيانًا يكون هناك شخص ما آخر، وكنا نتحاور في أثناء هذه الجولات.

أتذكر أنني كنت أقوم بتلخيصها، مبادئ... فلسفتنا الأخلاقية، ونحن جلوس على ضفاف البحيرة التي كانت تبعد بضعة فراسخ... لعلها حوالي عشرة كيلومترات عن نيڤيل. حتى أننا أطلقنا على هذه البحيرة اسم بحيرة الواقع الأخلاقي. (يضحك) إذ لم تكن تحمل أي اسم بعد.

كان المكان هناك ساحرًا، عبارة عن تلال؛ لكنها تلال ليست بالغة القدم، وإنما تكونت أساسًا عام ١٨١٢، على الطريق التي عبرها جيش نابوليون وهو ينسحب. ومن ثم كنا نتحدث هناك سواء في موضوعات دينية أو لاهوتية، وبطبيعة الحال، فلسفية في المقام الأول، وحيث إنني كنت مهتمًا بالفلسفة وخاصة فلسفة الكانطية الجديدة، فقد كانت هذه الفلسفة هي موضوعنا الرئيسي. وأكرر أن التركيب الفلسفي لعقلها قد أدهشني[٢٣].

فيما بعد، وكانت آنذاك... كانت آنذاك أيضًا موسيقية، موسيقية، وكانت تعزف في نيڤيل... كان لدينا بيت الشعب، في نيڤيل، كانت تعزف فيه في الأمسيات. أذكر أنه قد أقيمت أمسية مكرسة لذكرى ليوناردو دافنشي[٢٤]. وقد ألقيت فيها محاضرة، عزفت هي بعدها ***"Funerailles"*** لفرانز ليست[٢٥]. ***"Funerailles"*** عمل رائع. موسيقى تأبينية... جنائزية، هذا عمل موسيقي خاص، كئيب لأبعد الحدود، ولكنه قوي للغاية. وقد عزفته باقتدار. أذكر كيف أدهشتني آنذاك قوة يديها، يدَيْن ليستا أنثويتين على الإطلاق. نعم.

لم يستمر تعارفنا الحميم آنذاك طويلا: صيف بطوله ومطلع الخريف، بعدها رحلت ماريا ڤينامينوڤنا إلى لينينجراد؛ حيث درست الموسيقى في الكونسرڤاتوار، ثم

عادت إلى هنا مع بدء الدراسة. أما أنا فبقيت في نيفيل، وبعدها انتقلت إلى فيتيبسك[٢٦]. انتقلت إلى فيتيبسك وفيها عشت.

دوفاكين: وكيف بدأت دراسة الموسيقى؟ أليس هذا أبعد عن التصور؟

باختين: لا أعرف. كانت موسيقية ماهرة. على الرغم من أنها في تلك الفترة لم تنه دراستها، بطبيعة الحال، في الكونسرفاتوار، ولكنها كانت تعزف على نحو مدهش[٢٧].

دوفاكين: وأين تعلمت قبل التحاقها بالكونسرفاتوار، هل تعرف شيئًا عن هذا...

باختين: لا أعلم أي شيء عن ذلك. الأرجح أنها تعلمت في المنزل؛ لأن هذه المدينة، في الواقع، كانت... كانت منطقة يهود. حسنًا... وكان هناك الكثير من الموسيقيين، كثير جدًا من الموسيقيين. كان هناك موسيقيون رائعون، بداهة، كل هذا...

دوفاكين: وأنت أي ثقافة موسيقية، إذا جاز التعبير، حصلت عليها؟

باختين: حسنًا، كنت هاويًا سطحيًا، شخصيًا لم أقم بالعزف، لم أعزف شيئًا، لكني كنت على دراية بالموسيقى، بالطبع، كنت على دراية بها. وبعد ذلك ألقيت في كونسرفاتوار فيتيبسك سلسلة من المحاضرات في علم الجمال، وبطبيعة الحال محاضرات ذات توجه نحو جماليات الموسيقى.

دوفاكين: أليس بمقدورك... ليس من أجلي، ولكن من أجل التسجيل، إذا جاز التعبير، أن تصوغ لنا على وجه التقريب أفكارك

الرئيسية، بصورة أساسية عن جماليات الموسيقى، التي استمعت هي إليها؟

باختين: اسمع، كلا، هذا الأمر يبدو لي الآن صعبًا؛ لأنني نسيتها، ثم أن ذلك كان منذ زمن بعيدٍ وأنا الآن، بالطبع، لم أعد متمسكًا بهذه الأراء. ولكني أستطيع أن أقول فقط، بصفة عامة، إن جماليات الموسيقى هذه، والتي قمت فيما بعد بنقلها إلى ليف ڤاسيليفيتش بومبيانسكي، قد تأسست على هيجل وخاصة على... هذا... تلميذ هيجل... لقد أصبحت ذاكرتي سيئة... سيئة للغاية... حسنًا، هو فيلسوف، وكان هو أيضًا فيلسوفًا عظيمًا... وقد عاش بعد هيجل... فلسفة الإلهام... إيه، حسنًا...

دوفاكين: لا أعرفه. حسنًا، استمر.

باختين: كيف، مستحيل، لا أستطيع على هذا النحو. ما هذا – أمر سيء! لعلني سأنسى كانط أيضًا... عندي لهذا الفيلسوف عمل هنا، ولكن يجب البحث عنه.

دوفاكين: حسنًا، سوف تتذكره.

باختين: كان لديه الكثير عن الموسيقى، فلسفة كاملة عن الموسيقى. وعمومًا عن فلسفة الأسطورة وفلسفة الفن. وكان صاحب تلك الفكرة التي يطورها الآن ليڤي ستروس والتي لا أعرف، لماذا يعتبرونها عندنا فكرة أصيلة، عن أن الموسيقى والأسطورة من التقارب بمكان إلى حد أنهما شيء واحد تقريبًا من ناحية الجوهر...

دوفاكين: الموسيقى والأسطورة؟

باختين: نعم. وهذه الفكرة بالمناسبة ظهرت آنذاك. وقد طورها أيضًا ليف ڤاسيليڤيتش في سلسلة محاضراته العديدة في فلسفة الموسيقى. وقد قمت أنا بتطويرها آنذاك في محاضراتي عن جماليات الموسيقى. ولكن ما هذا الذي يحدث لي؟ ما هذا؟!

دوفاكين: سيأتي، سيأتي، ستتذكره.

باختين: سيأتي، وكيف يمكن ألا يأتي! إن اسمه يشبه اسمي تقريبًا. كيف استطعت أن أنساه! لقد أحببت هذا الفيلسوف كثيرًا وعرفته على نحو جيد طولا وعرضًا: آنذاك كنت أدَرِّس الفلسفة عمومًا، كنت أدرسها بإتقان وعرفت كل ذلك على نحو ممتاز.

دوفاكين: أخشى أن أقع في ارتباك، ولهذا قررت ألا ألقنك الاسم.

باختين: بالطبع لا، فالاسم معروف للجميع، حتى التلميذ يعرفه... نعم، حسنًا، ولكن اسمه طار من رأسي! ماذا ستفعل؟!

دوفاكين: بعد هيجل؟

باختين: نعم.

دوفاكين: أليس هو شيلنج؟

باختين: شيلنج، بالطبع!

دوفاكين: أكيد؟، حسنًا، كان عليّ أن أذكر لك اسمه منذ فترة، لقد كان على لساني (يضحك).

باختين: فلسفة شيلنج، طبعًا.

دوفاكين: أذكر أنه في الأربعينيات من القرن الماضي أصبح الهيجيليون بعد هيجل شيلنجيين.

باختين: انتشرت الشيلنجية، شيلنج، إذن!

دوفاكين: أعرف هذا ليس باعتباري فيلسوفًا، وإنما ببساطة كمؤرخ للثقافة.

باختين: بالطبع، كان هو!. إذن شيلنج... وبطبيعة الحال، كانت نظرة شيلنج بشأن "فلسفة الإلهام"، نظرته الجمالية، كانت مطعمة بالدين، وكان هذا قريبًا إلى نفسي جدًا، كما كان قريبًا إلى ماريا ڤينامينوڤنا. يمكن القول إنها كانت شيلنجية، حسنًا... وكانت جزئيًا هيجلية، جزئيًا فقط؛ إذ لم تكن مهتمة على الإطلاق بالجانب التنظيري الإدراكي في الفلسفة، لم تكن مهتمة بالديالكتيك، ولم تهتم به، من وجهة نظري، في الواقع، إطلاقًا.

دوفاكين: وبالمناسبة هل أنت ديالكتيكي؟

باختين: كلا، ليس تمامًا. لم يكن الديالكتيك بالنسبة لي... الأمر الأهم.

دوفاكين: إذن فقد خرج تكافؤ الأضداد في رأيي من الديالكتيك.

باختين: نعم، خرج من الديالكتيك، ولكن على أي حال ليس هذا هو الديالكتيك. وإنما الحكاية القديمة: الحوار والديالكتيك، العلاقة بينهما، سواء النظرية أو التاريخية(٢٨). كان هناك... كم سنة مرت على هذا؟... الحقيقة، حدث ذلك منذ

زمن بعيد، لعلها سنوات عشر... عندما عُقد في أثينا منتدى عالمي مكرَّس لمشكلة: الحوار والديالكتيك. حسنًا، لقد تباينت الآراء هنا، بطبيعة الحال، بشدة، إنني متمسك بتلك النظرة، التي تقول إن الديالكتيك خرج من رحم الحوار، وإن الديالكتيك قد ترك مكانه مرة أخرى للحوار، لكن الحوار يحتل المكانة العالية، المكانة الأكثر علوًا.

ليست هذه هي القصة. فهذه القضية لم تطرح آنذاك. ولكن على العموم كانت ماريا ڤينامينوڤنا متآلفة مع روح شيلنج، مع الشلينجية. فضلا عن ذلك، فقد أظهرت اهتمامًا كبيرًا بالرومانتيكية، الرومانتيكية الألمانية، بنوڤاليس، بـ...

دوفاكين: بهوڤمان؟

باختين: بهوڤمان. حسنًا، بهوڤمان بدرجة أقل. لعلي أقول إنها لم تحب هوڤمان كثيرًا، على الرغم من روحه الموسيقية، على الرغم من كرايسلر وما إلى ذلك، كانت تحب أكثر هؤلاء الرومانتيكيين، أصحاب الميول الدينية، خذ مثلا، إيه... تيك...

دوفاكين: حسنًا، تيك ونوڤاليس، أسماء تأتي دائمًا جنبًا إلى جنب.

باختين: تيك ونوڤاليس، نعم، لكن هناك الكثير منهم. برينتانو، أرنيم، كل هؤلاء... الرومانتيكيين الألمان.

دوفاكين: وهل كانت تقرأ بالألمانية؟

باختين: كانت تقرأ بالألمانية. وكانت العائلة كلها تعرف الألمانية... إنها عائلة يهودية، تجيد الألمانية، كل العائلة.

دوفاكين: وهل قَرَأَت كل هؤلاء في نصوصهم الأصلية؟

باختين: قَرأتهم في الأصل، بالطبع، في الأصل. وخاصة أن العديد من هؤلاء لم يكن مترجمًا آنذاك. كانت تجيد الألمانية إجادة تامة. وكانت تتحدث بها في نطاق العائلة. وحتى في عائلة الأخ... وإن كانت في الحقيقة تتحدث في عائلة الأخ بالفرنسية أكثر، وحتى داخل العائلة كانوا يتحدثون بها. لا أقصد بالأخ أخاها وإنما أخا أبيها - ياكوف جاڤلريلوڤيتش، المحامي.

دوفاكين: هذا يعني أنكما قضيتما الصيف معًا؟

باختين: الصيف، نعم.

دوفاكين: وكانت علاقتكما علاقة صداقة وثيقة؟

باختين: نعم، كنا نلتقي، في الواقع، كل يوم، فإما نخرج للنزهة، أو أذهب لزيارتهم، أو تأتي هي لزيارتنا. هذا هو الأمر باختصار. بعد ذلك راحت تتردد على ذويها في نيڤيل، على والديها. وهنا كنا نلتقي من جديد. لكنها كانت تتردد لفترات قصيرة، بضعة أيام تقضيها فيها تقريبًا.

فيما بعد سافرتُ إلى ڤيتيبسك، وقد جاءت أيضًا إلى ڤيتيبسك، وراحت تتردد عليها مرة أخرى؛ حيث كان يعيش فيها عمها المدعو ياكوف جاڤلريلوڤيتش وقد استقرت فيها(٢٩). كان عمها يعيش في بحبوحة، وكان يمتلك أيضًا منزلا خاصًا به، منزلا جيدًا للغاية... وآنذاك كنا نلتقي، بطبيعة الحال، ونتحاور، ومن جديد كانت حواراتنا تستغرق وقتًا طويلا.

وفي هذا الوقت كانت تسكن في بتروجراد، مواصلة دراستها في الكونسرفاتوار. كانت تدرس هناك على يد نيكولايف[٣٠]. كان مُعلمًا بارزًا للموسيقى، عازفًا للبيانو – نيكولايف. وقد درس على يديه الكثيرون، على سبيل المثال، درس على يديه شوستاكوفيتش، شوستاكوفيتش تلميذه. وأعرف كثيرًا جدًا من تلاميذ نيكولايف.

دوفاكين: هو أستاذ موسيقى من بطرسبورج؟

باختين: نعم.

دوفاكين: وما نوع هذا المعهد الدراسي؟

باختين: الكونسرفاتوار، نعم، كان الرجل بروفيسورًا في كونسرفاتوار الدولة، وقد درست لديه. كان يعد أفضل معلمي الموسيقى. لم يكن عازفًا استعراضيًا *virtuso*، وإنما كان معلمًا. وكالعادة: فالمعلمون، أفضل المعلمين، ليسوا بالضرورة عازفين استعراضيين، وهم لا يعزفون ولا يقدمون حفلات في كل الأحوال، نادرًا ما يفعلون ذلك... ولكن هناك استثناءات مثل روبنشتين، أنطون نفسه، أما أخوه، نيكولاي روبنشتين، الذي أسس كونسرفاتوار موسكو، فلم يكن عازفًا استعراضيًا مطلقًا، وإنما كان موسيقيًا، بل موسيقيًا بارعًا، وإنما لم يكن استعراضيًا.

إذن، كان هذا تعارفنا الأول. فيما بعد... نعم، وصل ليف ڤاسيليڤيتش إلى لينينجراد، وعاد بومبيانسكي، إلى لينينجراد.

دوفاكين: كانت لا تزال تسمى بتروجراد.

باختين: نعم، إلى بتروجراد. بالطبع، كان اسمها لا يزال بتروجراد. أما أنا فبقيت في ڤيتيبسك. وبعد سفره... عشت فيها عامًا أو عامين تقريبًا...

دوفاكين: وهل كانت ماريا ڤنيامينوڤنا تأتي في هذه السنوات؟

باختين: كانت تأتي. جاءت إليّ في ڤيتيبسك. نعم، نعم. عدة مرات. أقصد أنها لم تجيء إليّ، بالطبع، وإنما كانت تأتي لزيارة عمها، لكنها زارتني في ڤيتيبسك عدة مرات؛ أي أن علاقاتنا لم تنقطع على الإطلاق، كما لم تنقطع بليف ڤاسيليڤيتش. أما بشأن علاقتها بليف ڤاسيليڤيتش فقد كانت وثيقة للغاية هناك في لينينجراد. وعلاوة على ذلك، فعندما كانت ماريا ڤنيامينوڤنا تعيش سنواتها الأولى في لينينجراد، بعد أن أنهت الكونسرڤاتوار، استأجرت شقة جيدة جدًا، شقة من غرفتين، شقة رحبة... ثم وجدت لنفسها بعد ذلك شقة أخرى، مناسبة لها أكثر، أما الأخرى ذات الغرفتين فقد تنازلت عنها لليف ڤاسيليڤيتش. وقد عاش في هذه الشقة. وقد حصلت ماريا ڤنيامينوڤنا، بطريقة ما، لا أعرف كيف، على شقة فاخرة تطل على كورنيش دڤورتسوڤايا أمام قلعة بتروباڤلوڤسك...[٣١]. شقة فاخرة! وكانت هذه الشقة يومًا ما قبل الثورة ملكًا لأحد الجنرالات، يعمل ياورًا في البلاط. شقة رحبة رائعة، ذات سطح، وشرفة، لا، لم يكن

سطحًا وإنما شرفة تطل على نهر النيـڤـا. كانت تعيش في الطابق الثاني. وفي الطابق الذي يعلوها كان يعيش تارلي – الأكاديمي. وكانا أحيانًا ما يلتقيان وقد نشأت بينهما صداقة. إذن، كان هذا في بتروجراد؛ أي أيـام أن كانـت تـسمى بتروجراد، ثم بعد ذلك لينجراد.

نعم. بقيت الآن هذه الواقعة، التي حدثت في حياتهـا. أدى هذا التقارب الـشديد بينهـا وبـين ليـڤ ڤاسيليـڤيتش بومبيانسكي إلى أنهما راحا يفكران، هو وهـي، و، كمـا يبدو، حتى أسرتها في البداية؛ أي أبوها وأخواتها، أنهمـا أصبحا زوجين.

دوفـاكين: وهل كان متزوجًا؟

باخـتين: لم يكن متزوجًا، لا، لم يكن متزوجًا. لقد تزوج بالـضبط قبل وفاته بعدة سنوات[٣٢]. لقد كان أعزب طوال حياتـه. وعلاوة على ذلك فقد عرض عليها الزواج، ولكنها رفضت عرضه، كانت مترددة، أما عائلتها، أبوها وأخواتهـا فقـد اتخذوا موقفًا رافضًا؛ لأنهم كانوا آنذاك يرون أن ليـڤ ڤاسيليـڤيتش رجل حالم وأنه لا يصلح أن يكون زوجًا. وقد كانوا على حق تمامًا. فقد كان في الواقع رجلا حالمًا.

دوفـاكين: أكثر منها؟

باخـتين: أكثر منها. وبالطبع لم يكن يصلح زوجًا، لم يكن يـصلح. فيما بعد، في السنوات الأخيرة من حياته، تزوج... وقـد ظل يعاني من هذا بعض الوقت، كان هذا في أول صـيف

لتعارفنا، عاناه بشدة. بالإضافة إلى ذلك أصبحت علاقته عدائية تجاه والدها، حتى أنه كاد أن يصفع أباها. لكنني هدأته بكل الطرق. وقد عادت المياه لمجاريها بينهما بعد ذلك، وعادا صديقين، وانتهى الأمر بسلام. ويبدو أنه أدرك أنه لا ضرورة لذلك، وأن الوقت غير مناسب.

لكن تأثيره عليها استمر طويلا، في بتروجراد، عندما كانت تعيش بها، وعندما أصبح اسمها لينينجراد، ثم أصبح تأثيره كبيرًا واستمر لمدة طويلة جدًا. كانت تأخذ عنده دروسًا. كما كانت تأخذ عندي أيضًا في لينينجراد. كانت تأخذ عندي دروسًا في اللغة اليونانية القديمة، بينما كانت تأخذ عند ليف ڤاسيليڤيتش دروسًا في اللغة الفرنسية باعتباره فرنسيًا. كان عالمًا رائعًا في اللغة الفرنسية؛ فقد كان، إذا جاز التعبير، نصف فرنسي، وكان تأثير أمه الفرنسية، كما يبدو، أكبر وأقوى من تأثير أبيه اليهودي. لكن أباه لم يكن يهوديًا تقليديًا على الإطلاق، مثل غالبية اليهود. أنهى...

دوفاكين: معهد الصيدلة؟

باختين: نعم، معهد الصيدلة في المنطقة الغربية...

دوفاكين: هل يملك صيدلية؟

باختين: هذه لا أعرفها. لم أكن أعرفه. علاوة على ذلك فقد مات مبكرًا جدًا، مبكرًا جدًا. أما ليف ڤاسيليڤيتش فقد عرفته منذ أن كنا تلاميذ(٣٣). لقد درسنا في الثانوية نفسها، كان

أبوه آنذاك لا يزال... لا، آنذاك كان في البداية، ثم مات بعد ذلك. لم تبق سوى أمه.

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوڤيتش، ومن كان خطيب ماريا ڤينامينوڤنا؟ أم أن هذا حدث مؤخرًا؟

باختين: متأخرًا جدًا. متأخرًا جدًا. كان خطيبها مؤلفًا موسيقيًا شابًا، أنهى الكونسرڤاتوار، وقد نال بعض الشهرة[٣٤]. والحقيقة لم تكن لديه مؤلفات كبيرة بعد. كان يقوم بتوزيع الأعمال الموسيقية للبيانو للمؤلفين... باخ وغيره من المؤلفين... الأعمال السيمفونية، وأعمال الأرغن، كان يوزعها لآلة البيانو. كما ألَّف أعمالا للبيانو. كان شابًا، كنت أعرفه، كان شابًا رائعًا للغاية، رشيق القوام، وسيمًا. كم كان شابًا رائعًا! أما عائلته... الحقيقة أنني سمعت عنه فقط. كان من عائلة... إيه... مرة أخرى أنسى الاسم، نسيت... هذه عائلة مشهورة، عائلة مشهورة جدًا. حتى أنها كانت على صلة ما بآل رومانوف.

دوفاكين: آوه، من عائلة روسية نبيلة؟

باختين: عائلة نبيلة، نعم، بل ومن سلالة عائلات نبيلة عريقة... الأم تنتمي لآل كوراكين، كنيتها كوراكينا[٣٥]. كنت أعرف أخاها نيكولاي نيكولايڤيتش كوراكين. هذا عن أمه. أما هو... كانوا يرتبطون بصلة نسب مع عائلة الأمير

إيجناتيــف، حتى أنهم كانوا يمتلكون ضيعة، على ما أظن، بجوارهم.

دوفـــــاكين: ألم يكن من عائلة شاخوفسكي؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، نعم، نعم.

دوفـــــاكين: عائلة أمراء؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، لم يكن من عائلة أمراء، من عائلة نبيلة، ولكنها ليست عائلة أمراء، ليس لديها ألقاب، ولكنها عريقة ووجيهة.

دوفـــــاكين: في النهاية فأنت لا تتذكر اسم عائلته؟

بـــاخـــتيـــــن: لا أتذكره، لا أتذكره. أقول لك، إنني سرعان ما سأنـــسى اسمي أنا شخصيًا!

دوفـــــاكين: حسنًا، ليس في استطاعتي أن ألقنك اسمه.

بـــاخـــتيـــــن: سالتيكوف! هكذا!

دوفـــــاكين: أخ! سالتيكوف.

بـــاخـــتيـــــن: سالتيكوف، نعم، نعم، سالتيكوف. ولا علاقة لـــه إطلاقًـــا بسالتيتشيخا(*) (يتنهد في الشكوى) ولا علاقة له أيضًا من قريب أو بعيد بسالتيكوف – شيدرين(**)، هـــؤلاء مـــن آل

(*) سالتيشيخا (داريا نيكولاييفنا سالتيكوفا) (١٧٣٠ – ١٨٠١): مالكة أراضٍ في ضواحي موسكو، قامت بتعذيب ما يزيد عن مائة من الفلاحين، تم سجنها منذ عام ١٧٣٠ في سجن بأحد الأديرة. (المترجم)

(**) سالتيكوف – شيدرين (١٨٢٦ – ١٨٨٩): كاتب روسي ساخر، ديموقــراطي تنويري، تلميذ لأفكار بيلينسكي وللاشتراكيين الطوباويين الفرنسيين فورييه وسان سيمون، أحد رؤساء تحرير مجلة "حوليات الوطن" (١٨٦٨ – ١٨٨٤) يميل في أعماله لمحاربة الإقطاع. وصف=

سالتيكوف الذين كانت لهم صلة، كما أتصور، بألكسي ميخايلوفيتش(*)...

دوفاكين: وقد استمر آل سالتيكوف أيام جروزني(**) أيضًا.

باختين: آل سالتيكوف، نعم – نعم، سالتيكوف. هذه عائلة عريقة. نعم. فهذا السالتيكوف...

دوفاكين: وهل كانا مخطوبين آنذاك؟ أظن أنه لقي حتفه كمتسلق للجبال، أليس كذلك؟

باختين: بلى، كانا مخطوبين، ولكنهما لم يتزوجا، لا، كانت خطوبة فقط. كانت بمثابة خطيبته، إبان حياة والدها[٣٦]. فيما بعد... قبل ذلك توفي والده... كان من علية القوم. لا أعرف حتى ماذا كان تخصصه، أظن أنه لم يكن متخصصًا في شيء، لم يكن سوى رجل من علية القوم. كان لديهم ثروة، ضيعة وما إلى ذلك. بعد ذلك أصبح فنانًا. وكانت لديه لوحات كثيرة جدًا، شاهدتها بنفسي. كانت

في روايته الشهيرة "السادة آل جولوفيوف" (١٨٧٥ – ١٨٨٠) الانهيار المعنوي والمادي للأسر النبيلة. (المترجم)

(*) ألكسي ميخايلوفيتش (١٦٢٩ – ١٦٧٦): قيصر روسي منذ عام ١٦٤٥. ابن القيصر ميخائيل فيودوروفيتش. في عصره زادت السلطة المركزية وصدر قانون القنانة وانضمت أوكرانيا إلى الدولة الروسية (١٦٥٤)، عادت مدينة سمولنسك والأراضي الشمالية إلى روسيا، وتم إخماد الانتفاضات التي نشبت في موسكو ونوفجورود وبسكوف (١٦٤٨، ١٦٥٠، ١٦٦٢). (المترجم)

(**) إيفان جروزني (إيفان الرهيب) (١٥٣٠ – ١٥٨٤): أمير موسكو وأول قيصر لروسيا. شهد عهده فتح تتارستان وسيبيريا. جعل من روسيا إمبراطورية مترامية الأطراف. (المترجم)

أفضلها وأكثرها إتقانًا هي تلك اللوحات التي تصور الطبيعة الصامتة، وكذلك كان تصويره للوجوه ممتازًا. كان رسامًا موهوبًا. أما ابنه فكان بالتالي موسيقيًا. إذن... ظلا خطيبًا وخطيبة على مدى سنتين أو ثلاث تقريبًا.

دوفاكين: ولماذا طالت فترة خطوبتها هكذا؟

باختين: لا أعلم لماذا. لقد كان لا يزال في ميعة الشباب.

دوفاكين: أكان يصغرها؟

باختين: كان يصغرها كثيرًا! على نحو ملحوظ! كان يزورني بصحبتها باستمرار. آنذاك كنت أعيش بالقرب من موسكو، في سافيلوفو، وإلى هنا، إلى سافيلوفو، كانا يأتيان عادة معًا إليّ. وعادة ما كان يحمل إليّ كتبًا ما. كان يمدني بكتب غاية في الروعة. إذن، بالتالي... استمرا في زيارتي لمدة عامين تقريبًا بصفتهما خطيبًا وخطيبته. وإذا به يسافر إلى نالتشيك(*). كان متسلقًا للجبال وها هو يذهب بصحبة مجموعة من هواة تسلق الجبال إلى هناك، كان عليهم أن يصلوا إلى قمة ما وما إلى ذلك، وهناك لقت هذه المجموعة بأكملها حتفها، وليس هو فحسب.

دوفاكين: المجموعة كلها؟!

باختين: المجموعة كلها. كانوا مقيدين بعضهم إلى بعض، راحوا يصعدون، وكانت القمة شديدة الصعوبة، ولم يستطع أحد

(*) نالتشيك: عاصمة إقليم كاباردينو – بالكاريا في أبخازيا، مشهورة بجبالها الشاهقة. (المترجم)

منهم ارتقاءها. كانوا مقيدين، سقطوا ولقت المجموعة كلها حتفها ولم يعثروا على جثثهم. ومن ثم فليس له، عمومًا، قبر[٣٧]. .

حسنًا، أما ماريا ڤينامينوڤنا فقد بقت مخلصة لذكراه وعاشت مع أمه. انتقلت إلى هناك، إلى حيث تعيش أمه. وقد عاشا معًا بعض الوقت. ثم هيأت للأم شقة أخرى. وقد عانت الأم في سنواتها الأخيرة من داء السكري، وكُف بصرها وسمعها، عمومًا اشتدت عليها وطأة الحياة. وعندئذ راحت ماريا ڤينامينوڤنا تكفلها بكل الوسائل: استأجرت لها شقة، ووفرت لها امرأة طيبة للغاية راحت تعتني بها، وكانت هذه المرأة، قبل ذلك، تعمل لدى ماريا ڤينامينوڤنا بمثابة مديرة منزل وسكرتيرة... امرأة مثقفة على وجه العموم. وقد ظلت ترعاها حتى وافتها المنية.

دوفاكين: تقصد أنها لم تعش بعده حياتها كامرأة أو أن تكون لها أسرة؟

باختين: لم تكن لها حياة أسرية، على الرغم من أنها، في الواقع، كانت تحلم بذلك. حسنًا، ليس طوال حياتها، آنذاك، في شبابها... آنذاك...

دوفاكين: وهل عاشت في شبابها قصصًا عاطفية عنيفة؟ لقد تعرفتَ عليها في فترة مبكرة، وكانت ذات طبيعة، إذا جاز التعبير، زاهدة.

باختين: نعم. ولكن، تعرف، لم تكن علاقتها بليف ڤاسيليڤيتش، في الواقع، من هذا النوع من العلاقات العاطفية.

دوفاكين: الأمر إذن على هذا النحو؛ أي أنها، في الواقع، كانت عذراء...

باختين: في الواقع أنهما، هي وهو، لم يكونا مهيأين لأي علاقة عاطفية من أي نوع. لقد كانا شغوفين بشيء آخر. كانت تجمعهما صداقة روحية.

دوفاكين: ولكنها كانت مع ذلك بشرًا... تعطي انطباعًا بأنها من النوع المزاجي شديد الحساسية...

باختين: مزاجية!

دوفاكين: ... بحيث يصبح من الصعب على نحو ما أن تجمع داخلها بين...

باختين: نعم، إذن تصور...

دوفاكين: ... أنها عذراء.

باختين: ... وتصور، أنها كانت عذراء، ولم تعش أي قصة غرامية مع أي شخص. بينما كان أبوها دون جوان، هذا الشخص القوي والرجل القوي (يضحك). صاحب المغامرات العاطفية التي ربما لا تحصى. أما هي، فلا، لقد كانت، في حقيقة الأمر، زاهدة.

ومن ثم كان خطيبها، سالتيكوف، بالتالي، إنسانًا لطيفًا جذابًا. وأنا أفهم تمامًا أنه كان بإمكانها أن تحبه. لكن فارق السن بينهما كان كبيرًا. ولكن، ربما، مع ذلك... كان من الممكن...

دوفـــــاكين: هل كان الفارق عشر سنين؟

بـــاخـــتيـــــن: لا، ليس عشر سنين. أخشى أن أقول أكثر حتى من اثنتي عشرة... لقد حدث ذلك قبل وفاتها بفترة قصيرة.

دوفـــــاكين: لأنني سمعت ذلك... في الثلاثينيات، حدث ذلك آنذاك، في رأيي...

بـــاخـــتيـــــن: كل ذلك حدث... نعم، في الثلاثينيات.

دوفـــــاكين: في الثلاثينيات. عندما تعرفتُ عليها عند ليديا يـڤـلامبيـڤـنا، أذكر، بالطبع لم أتعرف عليها هي، وإنما دار الحديث حول أن خطيبها قد لقي حتفه لتوه. وقـــد تـــصورت أن ماريـــا ڤينامينوڤنا كانت امرأة... جاوزت سن الشباب.

بـــاخـــتيـــــن: نعم. كانت قد جاوزت سن الشباب تقريبًا... وكانت تبـــدو أصغر من سنها كثيرًا. كانت فتاة قوية. كانت فـــي قمـــة ازدهارها في الموسيقى، هكذا كان الأمر. ولكنه بـــالطبع، كان في الواقع، فتى غضًا. شابًا شديد الجاذبية. وكان، في رأيي، موهوبًا للغاية ليس فقط في الموسيقى. لم أتعـــرف على مؤلفاته الموسيقية ولم أستمع إليها مطلقًا؛ لكننا كثيرًا ما كنا نتجاذب أطراف الحديث...

دوفـــــاكين: ولكن أليس أمرًا غريبًا، إذا كانا مخطوبين فلماذا...؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم.

دوفـــــاكين: ... لماذا تأجل زواجهما؟

بـــاخـــتيـــــن: المسألة أن والديها في البداية، على ما يبدو، كانا ضد هذا الزواج، أيضًا بسبب السن، ولكن فيما بعد، أصبح الأمـــر على عكس ذلك، فقد تحولا كلية إلى جانب هذا الـــزواج، وخاصة الأب.

دوفاكين: والداه هو؟

باختين: والداه، والداه هو، نعم، وخاصة الأب الذي رأى أن تأثير ماريا ڤينامينوڤنا على ولده كان تأثيرًا مفيدًا للغاية. ولكن عمومًا، فالعائلة كلها... ينبغي القول، العائلة كلها... كما تعرف، هذه العائلة الأرستقراطية العريقة، كان أفرادها جميعًا يتميزون بالطيبة واللطف، أناس من علية القوم، من ذوي الاهتمامات الرفيعة، ولكنهم كانوا يتعاملون باحترام كبير مع الغرباء... من أصحاب الحرف الفكرية.

دوفاكين: ألم يصادفوا شخصًا واحدًا، إذا جاز القول... حسنًا، معاديًا لليهود؟ من المستحيل ألا يحدث ذلك...

باختين: نعم. عمومًا يجب القول إنه، بصفة عامة، لدينا تصورات خاطئة. النبلاء الروس، وخاصة هذا النوع من النبلاء من ذوي الشأن لم يصابوا إطلاقًا بمرض معاداة السامية.

دوفاكين: هذه سمة من سمات البورجوازية، على وجه العموم.

باختين: هذا صحيح، هذه ظاهرة بورجوازية صرفة، ظاهرة بورجوازية صرفة! إن معاداة السامية ليست أمرًا مميزًا إطلاقًا لها.

دوفاكين: كلا، حسنًا، انظر هناك مسحة ما منها عند أصحاب النزعة السلاڤية، وعند دستويفسكي...

باختين: حسنًا، هذه مجرد مسحة، مجرد مسحة. وبعدها، ألا ترى...

دوفاكين: اليهود والبولنديون...

باختين: فقط... على نحو خاص، نعم، نعم، هذا صحيح، بصفة عامة، ولكن دستويفسكي، في الواقع، لم يكن عدوًا لليهود إطلاقًا، ولم يكن ليفعل. إن الديانة اليهودية، العهد القديم، الإنجيل... إن العهد القديم كله قد دخل إلى المسيحية... حسنًا. وفي كل الطقوس الدينية هناك صلوات لليهود. لا يوجد طقس ديني لا يذكر فيه إبراهيم وإسحق ويعقوب وما إلى ذلك. حسنًا. وحتى في القداسات الجنائزية: "ارقد في سلام في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب" في هذا الكنف تشعر روح الميت المسيحي بالسكينة. على أي حال لا يمكن فصل المسيحية عن اليهودية؛ أي لا عن اليهودية، وإنما عن العهد القديم الغابر. إذن، على وجه العموم، لا يمكن، بالطبع، أن تكون هناك أية معاداة للسامية.

في الواقع عندنا رجال دين، على سبيل المثال: كاثوليك، لم يظهروا أي شكل من أشكال المعاداة للسامية. إن معاداة السامية هي ظاهرة خصوصية، أناس، بعيدون عن أي دين، يتصورون الدين مجرد طقس، على هذا النحو أو ذاك. إن كل هؤلاء المرجعيين كانوا في أغلب الأحوال من رجال الكنيسة أيضًا وهلمجرا، لكن هؤلاء كانت الكنيسة بالنسبة لهم جزءًا من حياتهم: الأعياد الكنسية وما إلى ذلك، هي جزء من حياتهم. أما الممثلون الحقيقيون للفكر الديني في روسيا فلم يكونوا في أي وقت من الأوقات معادين للسامية. حسنًا، وهناك أمر معروف للجميع، هو أن

فلاديمير سولوفيوف صلى قبيل وفاته من أجل الشعب اليهودي، من أجل خلاصه، وكان يقرأ كتاب المزامير عندما وافته المنية[٣٨].

دوفاكين: يصلي من أجل خلاص الشعب اليهودي على ما ارتكبه من ذنوب في حق المسيح أم..؟

باختين: كلا، كلا، كلا، يصلي من أجل خلاصه... عمومًا هذه وجهة نظر عامة، أن...

(انقطاع في التسجيل لأسباب فنية)

دوفاكين: لقد فاجأتني وجهة النظر، التي تتحدث عن أنه عاجلا أو آجلا...

باختين: سيتوحد الشعب اليهودي، نعم، وسيعترف بالمسيح، وسيدخل... كيف وعلى أي نحو، هذه قضية أخرى.

دوفاكين: الاعتراف بالمسيح؟

باختين: نعم.

دوفاكين: إذن، في واقع الأمر، هل الحركة الإسرائيلية الصهيونية، إذا جاز القول، تقف على النقيض من ذلك؟

باختين: على النقيض. عمومًا ينبغي القول إننا نصيح ونكتب الآن كثيرًا للغاية عن الصهيونية، ولكننا لا نعرف الصهيونية؛ فالصهيونية ظاهرة بالغة التعقيد، وهي موجودة الآن في حالة انحلال. ومنذ بدايتها على العموم كان هناك اتجاهان، الأول – هرتزل، والثاني، لا أتذكر الآن اسمه... البعض يرى أن الشعب اليهودي لا ينبغي مطلقًا أن يكون دولة،

وإنما يظل وحدة اجتماعية فقط. ولم يتم الاعتراف به كدولة.

دوفاكين: حسناً، لقد تبنى باسترناك هذا الموقف.

باختين: نعم. وقد تبنى باسترناك هذا الموقف. حسناً، وها هو باسترناك يصبح بعد ذلك أرثوذوكسيًا، أرثوذوكسيًا مؤمنًا. نعم. وقد كانت وجهة النظر هذه موجودة أيضًا بين أنصار الصهيونية. بغض النظر عن وجود حكومة في إسرائيل. سنجد أن الاشتراكيين، الاتجاهات الاشتراكية على اختلافها، بالطبع، ما عدا الشيوعيين. هناك شيوعيون بالطبع، ولكنهم لا يحظون بالشعبية. هناك قلة قليلة من الشيوعيين. تصور أن الحكومة نفسها تدخل في صراع مع السيناجوج، مع كنيسة اليهود. هناك، عندهم في إسرائيل.

دوفاكين: إلى هذا الحد! عفوًا، هذا، بالطبع، يمكن أن نضعه جانبًا، على الرغم من أنني أعتبر أن ماريا ڤينامينوڤنا هي بالمناسبة استثناء واضح. حسناً، في طفولتي (يضحك)... شاهدت بعيني بالمناسبة هذه الكراسات ذات النزعة الملكية. كانت تصدر... حسناً، خذ مثلا – يوهان كرونشتادتسكي. لقد كان على أي حال مركزًا لحركة مناهضة اليهودية.

باختين: نعم. كان واحدًا من أهم المراكز، ولكن، على أي حال، لم يكن مناهضًا تمامًا.

دوفاكين: والآن كنت أجري حديثًا مع شولجين. وشولجين أيضًا ينفي أنه معادٍ للسامية...

باختين: نعم.

دوفاكين: حسناً، لقد دافع عن بيليس، إبان تلك المحاكمة الشهيرة(*)...

باختين: هذا صحيح، عموماً هذه قضية، برغم ذلك، صعبة. بالمناسبة كنت أعرف يوهان كرونشتادتسكي، في الطفولة. كان لجدي أخ شديد الإعجاب به، وقد دعاه لزيارته في منزله في أريول وما إلى ذلك. وقد عمل هناك.

دوفاكين: كان على ما يبدو شخصاً على جانب كبير من الأهمية...

باختين: كان رجلا مهمًا. ترك انطباعًا كبيرًا في نفسي... حسناً، كنت آنذاك طفلا، بطبيعة الحال، كم كنت أبلغ آنذاك؟ سبع سنوات، ربما. لقد ترك لديّ انطباعًا هائلا.

دوفاكين: أظن أن شخصًا ما من المقربين لشكلوفسكي... كان شمّاسًا عند يوهان كرونشتادتسكي.

باختين: نعم، نعم، الأمر أنه...

دوفاكين: كان إما والدًا أم... أو أنه... شيء من هذا القبيل... لا أتذكر الآن، ولكن لديّ تسجيل بشأنه. حسناً، كان يوهان كرونشتادتسكي شيئًا خاصًا.

باختين: بالطبع...

دوفاكين: حسناً، إذن في واقع الأمر، أين تكمن في رأيك، خصوصية الإبداع في ماريا ڤينامينوڤنا العازفة، إن جاز القول.

(*) قضية بيليس: قضية نظرت أمام القضاء في كييف عام ١٩١٣، اُتهم فيها اليهودي م. بيليس بقتل شعائري لطفل روسي. وقد أثارت القضية احتجاج الرأي العام التقدمي داخل روسيا وخارجها وبرأت المحكمة ساحة بيليس. (المترجم)

باختين: اسمع، أظن أنه... سوف تتحدث لاحقا مع أحد ما، سواء أكان موسيقيًا، أم متخصصًا، هؤلاء سوف يخبرونك، أما أنا فلست موسيقيًا بأي حال من الأحوال، لست محترفًا بأي قدر ما. نعم، لقد كنت أقدر موسيقاها أرفع تقدير. وبالإضافة إلى ذلك، كنت اعتبرها أعظم عازفة بيانو عندنا. كنت أفضلها عن نيجاوس وآخرين. هذا هو الأمر.

دوفاكين: وهل كنت تفضلها عن سوفرونيتسكي؟

باختين: بكل تأكيد! حسنًا، سوفرونيتسكي على أي حال... كانت لديه تقنية رائعة وما إلى ذلك، وكانت لديه روح، ولكن لم تكن لديه قوة كبيرة حقيقية. على أي حال كان هذا بعضًا من... أما ماريا ڤينامينوڤنا... حسنًا، الذي كان يدهشني فيها بالدرجة الأولى: الموسيقى القوية التي كانت تحبها وتعزفها؛ هي موسيقى باخ وليست وبيتهوڤن، وبعد ذلك بعض الموسيقيين المعاصرين الجدد. ولكن هذه الموسيقى القوية تحديدًا، الموسيقى، التي كانت تقع، إذا جاز التعبير، على الحدود بين ما هو موسيقي وبين ما هو أعلى، ما هو أسطوري أو ديني. هذا ما أراه عمومًا: السمة الأساسية لماريا ڤينامينوڤنا باعتبارها إنسانًا وشخصية مثقفة في أنها لم تستطع بأي شكل من الأشكال أن تحبس نفسها في *Fach*؛ أي في الدخول في تخصص ما، لم تستطع أن تتقيد بالموسيقى وحدها، لا. كانت طوال الوقت تحاول أن تنطلق أبعد من ذلك: في الدين تارة، ثم في النشاط الاجتماعي بعد

ذلك. أما أن تظل في إطار الموسيقى وحدها، وأن تصبح محترفة، محترفة فقط، فهو ما لم تستطع عليه صبرًا مطلقًا، لم تستطع مطلقًا! إن الاحتراف بكل أشكاله أمر غريب تماما على مثل هؤلاء الناس. ولهذا فقد أخذت في الموسيقى كل ما كان يقع على حدود الموسيقى والفنون الأخرى، الشعر، إلى حد ما - الشعر الرومانسي...، لقد جذبتها النزعة الرومانسية بشدة. والرومانسية كانت طوال الوقت تتأرجح على حدود الأدب والشعر - لتتخطى هذه الحدود وتصبح شيئًا ما بمثابة دين وهلمجرا. وهذا ما حدث لها. لقد أخذت الموسيقى القريبة من الشعر الرومانسي، من الإلهام الشعري، أو من الوحي الديني. ولم تتقيد بأي حال بإطار الاحترافية الموسيقية.

هذا هو الأمر الذي حدد أيضًا اختيارها للمؤلفات الموسيقية، والذي كان أيضًا وراء أصالة رؤيتها لهذه الأعمال. لقد كانت تؤولها دائمًا على نحو متفرد تمامًا. بطبيعة الحال لم تكن تحب القوالب الموسيقية الجامدة، فراحت تحطمها. ولهذا فقد رأى الكثيرون أنها تفرط في تفسير هذه المؤلفات التي تعزفها بشيء من الغرابة والذاتية. أما بالنسبة لي شخصيًا فقد كنت معجبًا بعزفها؛ لأنها، إذا جاز القول، حسنًا، كانت تزيد من قوة هذه المقاطع التي تعتبر، من وجهة نظري، الأكثر قوة في هذه المؤلفات لهؤلاء المؤلفين الموسيقيين.

أتذكر هذا الوقت الذي انتقلت فيه عائدًا إلى لينينجراد، آنذاك كنت ألتقي ماريا ڤيناminوڤنا كل يوم تقريبًا. لا أتحدث هنا بالطبع عن أنها كانت تتلقى لديّ هناك دروسًا، وإنما ببساطة كنا دائمًا إما في ضيافتها... كانت تسكن في شقة فاخرة، رحبة للغاية، وحدها، أحيانًا مع أخيها، أخيها الأصغر. كانت لديها غرفة مكتب رائعة وبيانو وما إلى ذلك. وهناك كنا كثيرًا ما نمضي لياليَ بطولها وهي تعزف. كانت تستمر في العزف حتى الفجر. ويا له من عزف! جدير بالذكر أنني كنت أستمع إليها في الحفلات، أما هذا العزف التي كانت تؤديه، في هذه الليالي، لحلقة محدودة من الأصدقاء، فلم تعزفه إطلاقًا في مكان آخر، كان شيئًا رائعًا! هنا كانت قواها تتفتح على أكمل وجه.

كنا عادة، بطبيعة الحال، نناقش هناك مختلف المشكلات، الفلسفية والشعرية ونقرأ الشعر. مرة كنا معجبين بريلكة، مرة وحيدة، ثم كان إعجابنا بعد ذلك بجيورجي. كان في الحقيقة شاعرًا رائعًا، كانت قلة لدينا تعرفه وعلى نحو سيء، بينما كانت هناك مدرسة جيورجي، حلقة جيورجي – *George Kreis*[٣٩]. بعد ذلك *Blätter jür die Kunst*[٤٠] وهذا أيضًا مرتبط بجيورجي. هكذا كانت تسمى دار النشر التي أصدرت عددًا من أروع الكتب.

دوفاكين: *"Kunst"* تعني فنًا، فهل تعني *"Blätter"* دار نشر! أم *"Verlag"* هي دار النشر...

باختين: "*Blätter*" يعني أوراقًا، أوراقًا.

دوفاكين: آه! ملازم مطبعية؟

باختين: نعم، ملازم مطبعية لاستخدامها في...

دوفاكين: ملازم الفن.

باختين: نعم، نعم، ملازم للفن، نعم، نعم. كان هناك جوندولف أيضًا[41]. نشروا أيضًا جوندولف، كما نشروا لآخرين أيضًا... كان هناك كتاب آخر رائع عن فريدريك نيتشه – "*Versuch einer Mythologie*" أي "خبرة الأسطورة"[42]، كان هذا عنوان كتاب عن نيتشه... وقد أحببت هذا الكتاب للغاية، وكان لديّ نسخة منه.

دوفاكين: وهل كانت ماريا ڤينامينوڤنا معجبة بنيتشه؟

باختين: كلا، كلا. لم يحدث هذا بالمناسبة.

دوفاكين: لم تصبها هذه العدوى...

باختين: نعم، لم تصبها، وأنا لم أقبل نيتشه كله... هناك تلك الجوانب... التي اجتزأت فيها فيما بعد من نيتشه... بالطبع على نحو مُحرَّف، مُشوَّه قام به الفاشيون... كانت هذه الجوانب غريبة عني حتى في هذه الفترة. ينبغي القول إن مسألة أن الفاشيين جعلوا من نيتشه فيلسوفهم هو بالطبع محض ترهات، سوء فهم قائم فقط على التحريف المبالغ فيه لنيتشه. بل لم يكن هناك أي شيء مشترك يجمع بين هؤلاء الناس وأي فلسفة جادة أيًا كانت.

دوفاكين: ميخائيل ميخايلوڤيتش، هل استمعت إلى ماريا ڤينامينوڤنا في سنوات ما قبل الحرب وفيما بعدها.

باختين: نعم، نعم، نعم، استمعت.

دوفاكين: إذن ما رأيك، هل كانت تعزف على نحو أقوى في سنوات ما بعد الحرب، أم العكس، أضعف؟

باختين: لا، أرى أنها كانت تعزف على نحو قوي حتى السنوات الأخيرة، بعد ذلك...

دوفاكين: حسنًا، أنا لا أتحدث بالطبع عن العام الأخير بعد الكارثة التي ألمت بأصابعها(٤٣).

باختين: نعم، لقد أصيبت يدها، أصابعها... لم تصب بالطبع. ولكن حتى قبل ذلك. انقطعت عن الموسيقى، ابتعدت، يمكن القول، تقريبًا عن الموسيقى. كانت تحلم بالمشاركة في نشاط اجتماعي كبير. حتى أنها كانت تحلم... خذ مثلا، لنقل، كانت الحرب بسبب قناة السويس قد بدأت، وعندنا...

دوفاكين: عام ٥٦.

باختين: نعم. كان الجيش عندنا يعد العدة للتدخل لمساعدة العرب. وقد أعلنت ماريا ڤينامينوڤنا أنها ترغب في الذهاب إلى مصر وأن تحارب. تحارب الإنجليز. كانت طوال الوقت، طوال الوقت تريد أن تعمل في مكان ما، مكان ما كبير، بشرط ألا يكون في مجال الموسيقى. لم يعد العمل الموسيقى، الاعتراف الموسيقى، المجد الموسيقى يرضيها بأي شكل، بأي شكل. لم تكن ترضيها بأي شكل. كانت ترغب في تحقيق الشهرة بشكل ما. ليس الأمر هنا أمر

"شهرة". لقد قلت ذلك على نحو فظ. ولم تكن ببساطة مُحبَّة للرفعة، لا، ولا تواقة للمجد، ولكنها، باختصار، كانت تريد أن تصبح شيئًا ما له قدْره، شيئًا ما كبيرًا ومهمًا، كانت تحلم بخدمة ما تؤديها، خدمة أكثر سموًا من خدمة الفن. وفي هذا السياق كانت، حسنًا، جزئيًا بالطبع، شبيهة بهؤلاء الرمزيين، الذين كانوا هم أيضًا يرون، إذا جاز القول، ضرورة تحقيق الفن في الحياة وما إلى ذلك. إلى خدمة الحياة بصورة ما خاصة...

دوفاكين: أي أن هذا الموقف كان مختلفًا عن الموقف الذي تشكَّل (هذا ببساطة ما أذكره) في ختام مقالة ماريا ڤينامينوڤنا الرائعة "الفن في ضوء الضمير"؟

باختين: لا أعرف هذه المقالة.

دوفاكين: إنها تنتهي على هذا النحو (أذكرها عن ظهر قلب): "الطبيب والقس أكثر ضرورة من الشاعر" وسوف يُسأل كل منا يوم الحساب – شيء من هذا القبيل... "وإذا كان هناك يوم حساب للكلمة، فسوف أكون يومها طاهرة الذيل". أي أنها وقد اعترفت بضعفها الإنساني، إن صح التعبير، فهي ترى أن أكبر تبرير لها هو الفن.

باختين: شِعرُها.

دوفاكين: نعم، أي إن ماريا ڤينامينوڤنا لم تكن لتقول: "... إذا كان هناك يوم حساب..."؟

باختين: لا، لم تكن لتقول ذلك. ولعلها كانت ستقول إنها لم تنجح على أي حال في الابتعاد عن حدود الموسيقى.

دوفاكين: لقد سألتك عن كل هذا مُضمرًا، إذا جاز التعبير، شيئًا بين السطور. حسنًا، لقد حذرتك أنني شخصيًا لا أحسن فهم الموسيقى، ومن ثم فإنني أتحدث فقط عن آراء الآخرين. أما شخصية ماريا ڤيناموڤنا فهي شخصية تروق لي وتثير لديّ الاهتمام.

باختين: طبعًا!

دوفاكين: لقد كنت أرقبها، وإن بصورة نادرة على أية حال، وقد تركت جنازتها أيضًا أثرًا عميقًا في نفسي. هناك علماء في الموسيقى يقولون إن ماريا ڤيناموڤنا كانت تعزف قبل ذلك على نحو أفضل...

باختين: عمومًا هذا صحيح، هذا صحيح عمومًا. أنا أيضًا أرى ذلك.

دوفاكين: ثم بعد ذلك...

باختين: ما سمعته في الأعوام الأولى في لينينجراد، في شقتها، عندما كانت تعزف هناك على البيانو الخاص بها، في الحقيقة، كان رائعًا، لم أسمع أفضل منه بعد ذلك في حفلاتها.

دوفاكين: ولكن اسمع ما سأقوله. فيما بعد، عندما انجذبت إلى الأمور الكنسية وراح بعض جمهور موسكو من المثقفين القريبين

من هذا الأمر يثنون عليها لهذا السبب، أصبحت تعزف بشكل أسوأ.

باختين: لقد أصبحت تعزف بشكل أسوأ، ولكن ليس بتأثير هؤلاء إطلاقًا. لقد جذبتها الكنيسة في أفضل سنواتها. لقد كانت أكثر مزاجًا دينيًا في أفضل سنواتها، عندما كانت تعزف في الليل لدائرة محدودة جدًا من أصدقائها، آنذاك كانت أكثر ميلا للكنيسة؛ أي أكثر ميلا للدين.

لكن هناك أمرًا آخر هنا... الأول – التدين، والآخر هو رغبتها في أن تشارك في القضايا الكنسية على أي نحو ولو على نحو غير مباشر، وأيضًا لأسباب أخرى. عمومًا فلم يعد باستطاعة الموسيقى أن ترضيها، لم تعد. لقد راحت، على سبيل المثال، تقرأ الشعر في حفلات الموسيقى. نعم.

دوفاكين: أي أن الموسيقيين – المحترفين وعلماء الموسيقى كانوا يلومونها على خروجها...

باختين: عن الاحترافية.

دوفاكين: ... عن الاحترافية، نعم.

باختين: عن الاحترافية الضيقة، نعم. هذا مفهوم تمامًا، مفهوم تمامًا. إن علماء الموسيقى هؤلاء، الذين كانوا، كما يقولون، في نهاية الأمر، أناسًا ضيقي الأفق، لم يستطيعوا أن يفهموا هذه النزوة عند ماريا ڤينامينوڤنا... لقد حدثت لها هذه النزوة... واستمرت على امتداد حياتها كلها، على

نحو أعلى، لا يدخل في إطار أي مهنة، أي احترافية: خارج إطار الشعر، خارج إطار الموسيقى، وخارج إطار الفلسفة. كانت نزوة أكبر من كل هذا. كانت تدرك أن كل هذه الأشياء ليست هي الشيء الرئيسي، وأن الشيء الرئيسي هو شيء ما آخر.

دوفاكين: إذن، لديك، من جانب، تأكيد ما لهذه الملاحظة، من الناحية الواقعية...

باختين: لا أظن...

دوفاكين: ومن جانب آخر – التقييم المضاد، لا، ليس فقط التقييم. أن تنفي أولا أن تدينها، في الواقع...

باختين: لا...

دوفاكين: أنت لا تربط بينه وبين؟

باختين: بأي شكل، إذن لماذا...؟

دوفاكين: لقد ساعد على ذلك منذ البداية...

باختين: بالطبع! الفلسفة، الأسطورة، والدين، والموسيقى وكلها أمور متقاربة في هذا العالم، كلها أمور متقاربة في هذا العالم. فالموسيقى، في الواقع، مفعمة بالفلسفة، كما أنها دينية بطبيعتها. دينية ببساطة، لا بالمعنى العقائدي الضيق... حسناً، وإنما بطبيعتها، بطبيعة الحال الموسيقى عقا... (يسعل) وذات طابع ديني، و...

دوفاكين: وذات طابع عقائدي؟

باختين: كلا، ليست ذات طابع عقائدي تحديدًا، ليست عقائدية.

دوفـــــــاكين: كلا؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم. لا يهم إن كانت... على وجه العموم: بروتــستانتية، أرثوذوكسية، كاثوليكية... هذا أمر غير جوهري. التدين. عندما يكون هذا التدين حقيقيًا، عند الصوفيين، على سبيل المثال، عند كبار الصوفيين بطبيعة الحال، مثــل بوميــه، عندئذ لا يمكن وضع التدين في إطار العقائدية الضيقة.

دوفـــــــاكين: يصبح إيمانًا.

بـــاخـــتيـــــن: إيمانًا، نعم، تحديدًا. ولهذا فإن الصوفيين، بوميــه نفــسه، وكان شخصًا رائعًا، من كانوا..؟

دوفـــــــاكين: ياكوب بوميه؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، هو واحد مــن أعظــم الــصوفيين. ومــن كــانوا؟ بروتستانت؟ كاثوليك؟ أرثوذوكس؟ حــسنًا، كــانوا، تبعًــا لانتمائهم العقائدي، بروتستانت، ولكنهم في الوقــت نفــسه كانوا يرضون، وبالقدر نفسه، الكاثوليك والبروتستانت. هذا النزق الديني لديهم تحديدًا هو الذي ابتعد بهم عن الحــدود الضيقة للنزعة العقائدية.

دوفـــــــاكين: حسنًا، لقد ذكر بعض علماء الموسيقى وموســيقيون أنهــا أصبحت تعزف على نحو أسوأ.

بـــاخـــتيـــــن: لقد أصبحت تعزف على نحو أسوأ، هــذا صــحيح، كمــا أصبحت تعزف أقل، ولكن ليس لهذا السبب، لــيس لهــذا السبب، وإنما بالأحرى... هنا كان لديها بعض من الــوهن

الداخلي، وهن ديني وفلسفي كبير، وهن حقيقي، بينما قَوِيت لديها أمور ظاهرية، الأمور الكنسية، الشعائر وهلمجــرا. نعم، هذا هو الأمر، ربما.

دوفـــــــاكين: ولكن على وجه العموم هل تظن أنها كعازفة كانت مفعمة بالتدين منذ البداية؟

بـــاخــتيـــــن: منذ البداية، منذ البداية، نعم.

دوفـــــــاكين: وهذا التفسير لأحوالها، والذي عرضته عليك، مــن قبــل الآخرين، إذا جاز القول، هل تراه...

بـــاخــتيـــــن: تفسير صحيح في الواقع، بدرجة ما، ولكنه لم يقدَّم علــى نحو صحيح... أولا لم تعــد مهنــة الموســيقى وحــدها ترضيها...

دوفـــــــاكين: كلا، هذا التفسير... أنا أفهمك؛ بمعنى أن هذا التفسير لــم يكن عميقًا...

بـــاخــتيـــــن: لم يكن كذلك، كان سطحيًا. كان تفسيرًا سطحيًا لا أكثر.

دوفـــــــاكين: والآن يكتبون عنها الكثير، وسوف...

بـــاخــتيـــــن: نعم، نعم. بالطبع هذا التفسير... وكيف لنا أن نجــد عنــد علماء الموسيقى عندنا تفسيرًا حقيقيًا، تفسيرًا عميقًا؟ كــان هناك عالم موســيقى ذو توجــه شــكلاني، لكــن ماريــا ڤينامينوڤنا، بالمناسبة، كانت تقدره تقديرًا رفيعًا...

دوفـــــــاكين: من هو؟

باختين: هو ياڤورسكي[٤٤]. وقد توفي. ياڤورسكي، متخصص في الموسيقى. وقد أسس مدرسة بأكملها، ولكنه لم يكن من الرسميين، ولم يتم الاعتراف بمدرسته. وقد طواه النسيان الآن، ولكنه كان بالطبع، عالِمًا كبيرًا، وكان بالفعل متخصصًا عميقًا في الموسيقى.

دوفاكين: وكانت تقدره؟

باختين: كانت تقدره، على الرغم مما كان بينهما من تباين في وجهات النظر.

(فترة توقف)

دوفاكين: لكن هذا الرأي الذي سمعته حول، إن جاز التعبير، تدهورها الحرفي، كان بالمناسبة...

باختين: حسنًا، هذا الرأي كان موجودًا. في النهاية، في هذه المرحلة من العمر يكون الفنان عمومًا، وخصوصًا بالنسبة لأسلوب ماريا ڤينامينوڤنا... هذا التدهور حتمي. وقد أشرت سابقًا أنه من الممكن أن تكون السمة الأساسية لفنها هي القوة. القوة. وليست النعومة أو العاطفية، وتحديدًا قوة الروح، قوة الروح، التي كانت، بالمناسبة، والتي كانت إحدى خصائصها في أعلى درجاتها، قوة الروح. وقد كانت قوة الروح هذه في مجال الموسيقى تتطلب قوة اليدين، وقوة البدن بأكمله. وقد باتت غير قادرة على الاحتفاظ بهما في هذا العمر. هذا هو الأمر...

دوفاكين: نعم، لقد ماتت عن عمر يناهز السبعين عامًا.

باختين: لقد ماتت وعمرها، على الأرجح، سبعون عامًا <...> أما فيما يتعلق بقوتها الروحية، فقد كانت شخصًا رائعًا. خذ مثلا، لقد كان باستطاعتها أن تتحمل أقسى ألم دون أن يهتز لها جفن أو تعض أناملها.

دوفاكين: ألم؟ جسدي؟

باختين: جسدي، كان باستطاعتها أن تتحمل ما لا يستطيع الإنسان العادي تحمله. والذين كانوا يعرفونها عن قرب كانوا يندهشون لقدرتها التي تفوق قدرة البشر على التحمل. كان لديها قوة روحية هائلة، قوة روحية هائلة. وربما كانت تستطيع أن تخوض شعلة ملتهبة. في نهاية الأمر، كانت تحلم طوال عمرها بهذه الشعلة؛ بمعنى أكثر مجازًا – أن تعاني، أن تحترق، مثل أڤاكوم، وآخرين غيره. ولاحترقت بالفعل دون أن ترتجف في هذه النار. كانت إنسانًا من هذا الطراز. وهو ما كان بالطبع يثير دهشة وإعجاب كل من تعرَّف على هذا الجانب في شخصيتها بشكل كبير. للأسف إن الذين عرفوا هذا الجانب منها كانوا قلة قليلة.

دوفاكين: عرفوها أكثر من جانب كل ما هو غريب في شخصيتها.

باختين: غرابة الأطوار، والنزوات وهلمجرا. كل هذا كان موجودًا لديها. كانت غريبة بصورة ما... لكن أحدًا لم يدرك كنه هذه الغرابة بطبيعة الحال، كما لم يفهموا نزواتها وقد راحوا يفسرون هذه الأمور بصورة مبتذلة. هناك فارق بين نزوة ونزوة. بين نزوة شخص عظيم ونزوة شخص غبي،

فارق كبير للغاية. وكلاهما يُسمي نزوة، ولكن نزوة بيتهوفن (يضحك) (وكان رجلا صاحب نزوات) ونزوة رجل آخر فاقد للموهبة، فارق شاسع بالطبع.

دوفاكين: الوحوش... لقد كانت تمد لهم يد العون... حتى لم تعد تملك شيئًا على الإطلاق..

باختين: كان إيثارًا.

دوفاكين: ... تؤثر على نفسها وهي مُعسرة. لقد كانت تعطي بلا حدود، كما كانت تأخذ بلا حساب.

باختين: نعم، كانت تأخذ، ولكن، على العموم، لم يكن لديها أموال إطلاقًا، كانت تأخذ وتوزع ما تأخذه، تأخذ وتوزع. كانت تتلقى لتهب الآخرين في النهاية. لم تكن لتحتفظ لنفسها إلا للضرورة. في الواقع لقد عاشت حياتها على الطوى.

دوفاكين: نعم، أعرف ذلك... حسنًا، وفي الوقت نفسه، بالطبع، كان هناك... لم تفعل الخير للناس فقط، ولكنها كانت أيضًا - بطبيعة الحال تؤذي مشاعرهم، حسنًا، أعرف أن ذلك حدث مع سيرافيما ألكسندروفنا برومبرج. هل تعلم ذلك؟ زوجة المدعو برومبرج، وكنا أصدقاء لماياكوفسكي. وكانت هذه سكرتيرتها على مدى خمسة عشر عامًا، وكانت هي التي تقوم على تنظيم حفلاتها، كل حفلاتها.

باختين: نعم، سمعت عن ذلك، أعرف هذا.

دوفاكين: نعم. حسنًا، لقد كانت تدفع لها أجرًا ما. ثم توقفت عن أن تدفع لها لمدة خمس سنوات، وظلت مدينة لها.

باختين: بالطبع، يا إلهي...

<...>

دوفاكين: حسناً، بالنسبة لماريا ڤينامينوڤنا، فقد قدمتم لنا، عمومًا، صورة لها. ربما لديك شيء ما تضيفه، مواقف شخصية، إذا جاز القول، تفاصيل ما من ذكرياتك. من الممكن أن تكون مفيدة لك.

باختين: وما الذي بوسعي أن أقوله؟ لقد كانت كثيرًا ما تساعد المنكوبين بأي وسيلة كانت بمن فيهم أنا. وعندما...

دوفاكين: كانت تقدم لك المساعدة؟ إنك لم تتحدث من قبل عن هذا الأمر.

باختين: ساعدتني بالطبع! ساعدتني. وفيما بعد، في أخريات حياتها، حدث العكس، فأصبحت أنا الذي أقدم لها العون، المادي فقط[٤٥]. لم يكن لديّ من سبيل سوى هذا النوع من المساعدة... ولكن هذا لم يكن له أي قيمة. لقد قدمت لي في وقت ما عونًا أكبر بكثير مما قدمته لها. زد على ذلك أنها ساعدتني عندما أرسلوني إلى المنفى وما إلى ذلك. وكان محكومًا عليّ آنذاك بالنفي لمدة خمس سنوات في سولوفكوف.

دوفاكين: وما الذي كان بإمكانها أن تقدمه لك في هذا الأمر؟

باختين: كانت تسعى للتوسط لي، كانت تسعى. وما الذي كان بإمكانها أن تفعل في هذا الزمن أكثر من ذلك. لقد كان

لديها معارف لا أكثر. وكانت تسعى من خلالهم للتوسط. حسنًا، الحقيقة، أن هذا لم يحل المشكلة، ولكنه على أية حال كان له تأثيره(٤٦).

دوفاكين: وأنت... هل حضرت حفلاتها العسكرية؟ لم تحضر؟ أم أنك لم تكن موجودًا في موسكو آنذاك؟

باختين: لا، لم أحضر حفلاتها في تلك الفترة. كانت تسافر إلى الجبهة كما تعلم. وقد ذَهَبت إلى لينينجراد وقت الحصار، عندما كان الوضع هناك غاية في الخطورة. لقد كانت تنجذب إلى أي مكان يحيط به الخطر، أي مكان "يهدده الفناء" كان يشدها إليه. وهناك كانت تعزف.

دوفاكين: نعم. عمومًا لقد جرى الأمر معها على النحو التالي: "كل ما من شأنه أن يهددها بالفناء، كان ينطوي على لذة غامضة لقلبها الزائل".

باختين: نعم، إن شئت، فقد كان الأمر على هذا النحو. ولكنه لم يقف عند هذا الحد. في هذا الاستشهاد، بالطبع، كان بوشكين يعني... أمرًا ما ربما أكثر وثنية ... أما بالنسبة لها فلم يكن لديها هذا الشيء. كانت ترى أن الإنسان موجود ليحترق، ليهب نفسه، ليضحي بنفسه. هنا عنصر التضحية، الذي لا نجده، بالطبع، عند بوشكين، في "أغنية فالسينجام". هنا يتحقق بالأحرى مبدأ اللذة ***Hedonism***...

دوفاكين: نعم، الأحرى هو مبدأ اللذة.

باختين: اللذة... هذا أمر معروف، إن الخطر من شأنه أن يثير النشوة. لست عسكريًا، ولكن، خذ مثلا، عندما كان يحدث

قصف، عندما كنا نعيش بالقرب من الجبهة، كان صوت الطلقات يثيرني، كان يثيرني، نعم. (يضحك) كانت الطلقات مثيرة. حسنًا، ماذا تريد أن تعرف، إلى جانب، إن صح التعبير، الوعي والإرادة... لا أزعم أنني أتمتع بأي قدر ولو ضئيل بالتظاهر بالشجاعة أو الروح العسكرية وما إلى ذلك، لكن صوت الرصاص كان يثيرني وكفى (يضحك). لكن هذا، بطبيعة الحال، أمر مختلف.

دوفاكين: وأين كنت تحس بهذا القصف. هل كنت آنذاك في لييننجراد؟

باختين: كلا، لم أكن في لييننجراد. كان هناك قصف في موسكو أيضًا؟ حسنًا، الحقيقة، أتصور أنني كنت هناك مرة أو مرتين. فيما بعد عشنا تقريبًا في منطقة محاذية للجبهة. على بعد أربعين كيلو مترًا منها.

دوفاكين: هل كان هذا في ساڤيلوڤ؟

باختين: نعم، كان في ساڤيلوڤ.

دوفاكين: آه! عندما راح الأعداء يقتربون من إيسترا(*) بعد أن استولوا على... إيكشا.

باختين: بالضبط، بالضبط، نعم، نعم. هناك تمامًا، على بعد خطوتين... كانوا طوال الوقت يواصلون غاراتهم عليها، ومن ثم كانوا يقصفونها. كانوا يضربونها قليلا بالقنابل،

(*) إيسترا: منطقة بالقرب من مدينة موسكو، أضيرت بشدة من أثر الحرب في عام ١٩٤١.(المترجم)

ولكن يطلقون عليها الرصاص أكثر. وقد ألقوا عليها بالقنابل أيضًا... مرات عديدة.

دوفاكين: نعم. حسنًا، ميخائيل ميخايلوڤيتش، لقد أنهيت من تسجيل ملحمة الأوديسا الخاصة بك. إنه لأمر رائع أنني نجحت في دفعك لسرد سيرتك. الحقيقة أنك انحرفت بمسارك جانبًا وأعطيتنا هذه الاستطرادات الأدبية – التاريخية، والجمالية والفلسفية، ولهذا... إلى جانب كل هذه الذكريات، القليلة إلى حد ما في الواقع...

باختين: أين أنا من الذكريات!

دوفاكين: ... لقد سجلتُ ببساطة صورة رائعة لميخائيل ميخايلوڤيتش باختين، الذي أقدره تقديرًا رفيعًا. الأمر الوحيد، أن التوفيق لم يحالفنا في التسجيل السابق، لا بد من حذف بعض العبارات فيه.

باختين: الخطأ خطئي؛ لأنني... لا أعرف لماذا... لقد بلغ بي الإعياء مبلغًا شديدًا عشية التسجيل. حتى أنني رحت أنسى حتى أبسط الكلمات...

دوفاكين: وأنا بدوري كنت مستمعًا سيئًا. إذن كانت لدينا محاورة وحيدة، المحاورة الخامسة، جانبها التوفيق، أما باقي المحاورات فكانت شيقة ورائعة. حسنًا، أليس في نيتك كتابة مذكراتك؟

باختين: ليس في نيتي على الإطلاق. على فكرة، بالنسبة لماريا ڤينامينوڤنا، لم تكن تمتلك، طوال حياتها وحتى وافتها المنية، شقة مُرتّبة ترتيبًا حسنًا. كانت تعيش تارة هناك،

تارة هنا، وفي كل مكان عاشت فيه كانت تعاني من الاضطراب والتشويش الحاد. هذه واحدة... وثانيًا... حسنًا، لم يكن لديها أثاث جيد على الإطلاق. بالطبع كان لديها فقط، عندما كانت تعيش، بالطبع، في بيت العائلة وفي لينتجراد، في تلك الشقة الفاخرة، كان لديها أثاث ما بالصدفة، لا أعرف، الأرجح أنها لم تكن حتى تمتلكه. وهكذا لم يكن لديها في أي وقت من الأوقات أثاث لائق. فيما بعد، أصبحت شخصية غير رسمية على الإطلاق. كانت الرموز الرسمية ثقيلة الوطء عليها. كما كانت، بالمناسبة، بالنسبة لي أنا أيضًا. أنا أيضًا لا أطيق الأمور الرسمية. ولهذا لن تنجح في بناء مستقبلها إطلاقًا. لم تكن تريد هذا المستقبل، ولم تستطع السعي إليه وهلمجرا. انظر، هذه الشخصية البارزة، لم تحصل طوال حياتها على أي شكل من أشكال التكريم، لم تأخذ شيئًا من السلطة، أي شيء.

دوفاكين: وقد عبرت عن سخطها!

باختين: لم تعبر فقط عن سخطها. ولماذا كان عليها ألا تعبر عن سخطها. لقد عبرت عن سخطها، ربما بدرجة أقل من الآخرين، الذين، مع ذلك تم تكريمهم. خذ مثلا، شوستاكوفيتش، ألم يعبر عن سخطه؟ عبر في حينه. بل وبدرجة كبيرة.

دوفاكين: نعم، ولكنه...

باختين: بالمناسبة. كان لدينا صديق مشترك، من أيام فيتيبسك، هو عالم رائع من علماء الموسيقى، لكنه مات مبكرًا جدًا، إنه إيفان إيفانوفيتش سوليرتينسكي.

دوفـاكين: سوليرتينسكي؟

بـاخـتيـن: نعم، سوليرتينسكي.

دوفـاكين: سمعت عنه، نعم.

بـاخـتيـن: لقد كان ببساطة واحدًا من أعظم المختصين في الفن في بلادنا. وكان كتابه عن مالر، وكذلك كتبه الأخرى كافة، وهي كتب صغيرة الحجم في معظمها، ولكنها... جميعها كتب تنم عن موهبة كبيرة للغاية، موهبة نادرة(٤٧). عمومًا فقد كان تلميذًا أيضًا لليف ڤاسيليڤيتش بومبيانسكي، وتلميذي أيضًا آنذاك. لقد تعرفت عليه، عندما كان لا يزال، في الواقع، طفلا.

دوفـاكين: هل مات؟

بـاخـتيـن: مات في سن مبكرة للغاية. وكان أيضًا أستاذًا في الكونسرڤاتوار، كونسرڤاتوار لينينجراد. كان يقوم بتدريس نظرية الموسيقى وأيضًا علم الجمال. وهكذا...

دوفـاكين: من عرفت أيضًا، إذا جاز التعبير، من كبار الشخصيات الموسيقية ومن علماء الموسيقى...؟

بـاخـتيـن: لعلي لم أعرف أحدًا عن قرب كما عرفت سوليرتينسكي. لكنني كنت على معرفة مع الكثيرين. بصفة أساسية مع...

دوفـاكين: مع سوفرونيتسكي؟

بـاخـتيـن: عرفته. كنت على صلة به، ولكن ليس لديّ أي ذكريات من أي نوع حوله.

دوفـاكين: وماذا عن نيجاوس؟

بـاخـتيـن: عرفته أيضًا. عرفته.

دوفـــــاكين: ألم تكن لك صلة بباسترناك أيضًا؟ لم نتطرق في حـديثنا عن الشعر إلى باسترناك.

بـاخـتيـــن: كلا، انظر، لقد تعرفت على باسترناك علـى أيـة حـال. تعرفت عليه.

دوفـــــاكين: وماذا عن صداقة ماريا ڤينامينوڤنا بباسترناك...

بـاخـتيـــن: حسنًا! كثيرًا ما كنا نلتقي معًا في بيتها. أتذكر تلك الأمسية التي قرأ علينا فيها شعره في شقة ماريا ڤنيامينوڤنا، فـي ذلك الكوخ، الذي عشت فيه لديها بعض الوقت...

دوفـــــاكين: وأين كان هذا الكوخ؟ آه.. ألم يكن في شارع خروشوف؟

بـاخـتيـــن: في شارع خروشوف، نعم، نعم. كنت لديها هناك...

دوفـــــاكين: ما الأمر؟ متى كان يقرأ نثره عليكم؟

بـاخـتيـــن: كلا، على فكرة أنا لم أسمعه يقرأ نثرًا. وإنما استمعت إليه وهو يقرأ ترجمة الجزء الأول من "فاوسـت"(٤٨). حـسنًا. ينبغي القول إن...

دوفـــــاكين: أوه! إذن كانت هذه، بطبيعة الحال، لحظة تاريخية.

بـاخـتيـــن: حقا...

دوفـــــاكين: وكنت أنت وماريا ڤنيامينوڤنا في عداد المستمعين؟

بـاخـتيـــن: نعم. وكان هناك نفر آخرون. كان على رأسـهم الفنـان فاڤورسكي، وكان هناك الفنان... إيه...

دوفـــــاكين: لعله يفيموف؟ أليس كذلك؟

بـاخـتيـــن: لا، لا، لا.

دوفـــــاكين: كوبريانوف؟

باختين: لا، لقد كنا لا نزال في العشرينيات، بل في العقد الأول من القرن العشرين. كان شيخاً آنذاك، ولكنه كان يتمتع بنشاط بالغ. كان مثقفًا على نحو مدهش.

دوفاكين: هل كان هذا باڤلينوف؟

باختين: كلا. لقد عرفت باڤلينوف أيضًا بعض الشيء، نعم، كنت ألتقي به أحيانًا، لكنه لم يظهر هناك.

دوفاكين: وهل ظهر فاڤورسكي؟ هل ما زلت تتذكر هذا الجيل؟

باختين: نعم، كان فاڤورسكي يظهر هناك، نعم. والرجل الذي أتحدث عنه كان من جيل أكبر قليلا من فاڤورسكي. وكان أحيانًا ما يرسم أغلفة كتب الرمزيين أيضًا. كان ضمن تلك المجموعة. اسمه سوموف،...

دوفاكين: سوموف، يون...

باختين: تمامًا، تمامًا، تمامًا.

دوفاكين: "ميرسيكوسنيكي". على الغلاف... من كان يرسم لهم الأغلفة؟ وماذا عن جرابر...

باختين: على وجه الخصوص، على الغلاف، منتخب بريوسوف "مرآة الظلال".

دوفاكين: أتذكر الغلاف.

باختين: كان غلافه(٤٩).

دوفاكين: حسنًا، دعنا وهذا ... إذن كنت موجودًا لديها؟

باختين: نعم، وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك آخرون. كان هناك، على سبيل المثال، ما اسمه؟ شولتز، كان كلاسيكيًا، كلاسيكيًا(٥٠).

دوفـــــاكين: شولتز؟

بــاخـــتيــــن: شولتز. شولتز، الأرجح أنك لا تعرفه.

دوفـــــاكين: حقا لا أعرفه.

بــاخـــتيــــن: كان كلاسيكيًا، غير أن الكلاسيكية عندنا كانت مهملة، ومن ثم كان يعمل بصورة أساسية باعتبـــاره متخصـــصًا فـــي الآثار. حتى إنه كان يقضي معظم وقته تقريبًا في جنـــوب روسيا مع البعثات الأثرية. لان اللغة اليونانية ومـــا إلـــى ذلك. كان ينقب عن الأعمدة الإغريقية أيـــضًا بالمناســـبة. حسنًا، لقد كان شولتز رجلا مثقفًا للغاية، واسع المعرفـــة. وكان من بين الحضور. من كان هناك أيـــضًا؟... كانـــت هناك زوج باسترناك.

دوفـــــاكين: أيهن؟ زيانيدا نيكولايڤنا نيجاوس؟[٥١]

بــاخـــتيــــن: يبدو أنها كانت هي، لا أتذكر، نعم. لقد رأيتها ذات مـــرة بصحبته في مكان ما. حسنًا... شخص ما آخر كان هناك أيضًا... بعض الأشخاص... من رجال الفن...

دوفـــــاكين: على أي حال. كيف استقبل الحضور هذا الحدث؟

بــاخـــتيــــن: لقد استقبلوه على الوجه اللائق به. لقد قدَّر الجميـــع هـــذه الترجمة تقديرًا رفيعًا... بصورة ملموسة..

دوفـــــاكين: هل ترى أن هذه الترجمة... حسنًا، هل ابتعد عن جوته؟ أم لا؟

بــاخـــتيــــن: الحقيقة، ابتعد قليلا جدًا. لكن الترجمة إجمالا...

(انقطاع في التسجيل لأسباب فنية).

دوفاكين: ... وعلى العكس من ذلك، مثلا، يقال إن ترجمة چوكوفسكي لقصيدة شيللر "سجين قلعة شيلون" تختلف تمامًا عن الأصل(٥٢). أو قصيدة "شجرة الصنوبر" و...

باختين: نعم. بالتأكيد. المسألة أنني، على أية حال، أفضّل هذا النوع من الترجمة، عن تلك الترجمة التي يقوم بها شخص غير موهوب، شخص ليس بشاعر.

دوفاكين: بطبيعة الحال.

باختين: ليس بشاعر. وچوكوفسكي كان شاعرًا. حسنًا. ثم إن ترجماته على أية حال... وقد يبتعد المترجم عن المؤلف، على ألا يبتعد إلى أسفل، ربما، يبتعد جانبًا، ولكن يظل على المستوى نفسه. ليس اسوأ من المترجم عندما يهبط...

دوفاكين: طبعًا.

باختين: أما المترجمون الذين يفتقدون إلى الموهبة فيهبطون بالنص ويمتهنونه... ولا يمكن القول إن باسترناك من هؤلاء.

دوفاكين: حسنًا، بالنسبة لجودته. هذه القمة، إذا جاز التعبير، فالأمر غاية في الصعوبة.

باختين: نعم. ولكن الترجمة على وجه العموم، كانت رائعة بالطبع.

دوفاكين: ترجمة قوية للغاية، أليس كذلك؟

باختين: لقد أعجبتني الترجمة جدًا. والحقيقة أنني بعد أن استمعت إليها، لم أعد مرة أخرى إطلاقًا لإعادة قراءة النص.

دوفاكين: لقد كان يعيش في وقت من الأوقات مما يكسبه من الترجمة فقط. وهل جرت بينك وبين بوريس ليونيدوفيتش باسترناك أية أحاديث؟

باختين: لقد دار بيننا حديث آنذاك، في تلك الأمسية، كانت بيننا أحاديث فعلا. آنذاك كان الأمر يدور على النحو التالي: كانت هناك زجاجة خمر معدة دائمًا خصيصًا له. كان يشربها وحده حتى الثمالة. لم يكن أحد غيره هناك من يحتسي الخمر. لم أكن من الذين يحتسون الخمر، كما لم يكن يحتسيها الفنانون الموجودون آنذاك. حسناً، كان هو الوحيد الذي يشرب الخمر. ثم ينطلق بعدها في حديث طويل، كان يتحدث في موضوعات عامة: حول الشعر عمومًا، عن لغة الشعر. أتذكر أن حديثًا شيقًا قد دار، وقد شاركت أنا أيضًا بالطبع فيه، كما شارك الآخرون جميعهم فيه. وقد تطرق الحديث بعد ذلك إلى ... اتحاد الكُتَّاب، حيث تناوله وقتها بالنقد الحاد؛ لأنهم هناك، في حقيقة الأمر، لم يدافعوا عن مصالح الكُتَّاب... وأنهم كانوا يدافعون عن ...

دوفاكين: ألا تذكر لنا شيئًا مما قاله عن الشعر؟

باختين: حسناً، أذكر شيئًا واحدًا: كان يرى أن الشعر، لغة الشعر، ينبغي أن تكون قريبة إلى أقصى حد من اللغة الدارجة، وبخاصة عنصر الحرية فيها، وهو العنصر المميز لهذه اللغة... فاللغة الدارجة تخشى القوالب الفصحى وتكرهها، وهذا تمامًا هو الأمر الرئيسي، الأمر الرئيسي. لا ينبغي أن تحتوي اللغة الشعرية على أية عناصر أدبية، شديدة

الدقة، ثقافية، إذا جاز التعبير. اللغة الشعرية ينبغي أن تكون لغة حرة إلى أبعد الحدود، منطلقة من إرادة اللغة، وفي هذا السياق تكون قريبة من اللغة الدارجة. هذا ما أعنيه، نعم.

دوفاكين: حسنًا، ميخائيل ميخايلوفيتش، هذا الأمر يمكن أن يقودك إلى نظرية كاملة... تخص باسترناك. كل هذا شيق ومهم، وأنا ممتن لك بلا حدود على هذا. والآن تبقَّى لي في هذا الشريط حوالي عشر دقائق، ووددت لو وضعت نقشًا صغيرًا في نهاية عملنا... (يضحك) سامحني على هذه العبارة الهابطة. كنت أريد، لو أنك قرأت في الختام... في هذه الدقائق العشر... أشعارًا أكثر.

باختين: حسنًا، لا أستطيع قراءة الشعر الآن.

دوفاكين: أنت على نحو رائع... حاول أن تتذكر ببساطة ما تحب من الشعر. قليل من الشعر الأقرب إلى نفسك.

باختين: الحقيقة أنني... أحب الكثير من الشعر، ولكن ليس بمقدوري الآن أن أقرأ على الإطلاق. كنت في الماضي أستطيع القراءة، وكان لديّ صوت حسن...

دوفاكين: إنك تقرأ الشعر على نحو بديع! أنت وبلوك كنتما تقرآنه على نحو رائع! حسنًا، مَن مِن الكلاسيكيين تفضل؟؛ لأن... لا شك أن الأداء أيضًا يضيف كثيرًا على الشعر.

باختين: وماذا لو...

دوفـــــاكين: الأمر لك... الأرجح أنك تستطيع قراءة الشعر حتى بلغــة أخرى: بالألمانية وبالفرنسية.. اقرأ بأي لغة تحب.

بــاخــتيـــن: أستطيع، نعم.

دوفـــــاكين: حسنًا، لا مانع من هذا أيضًا.

بــاخــتيـــن: كلا... لا أعرف ببساطة حتى... لقد توقفت منذ زمن بعيد عن قراءة الشعر...

دوفـــــاكين: كيف هذا... منذ زمن بعيد؟ لقد كنت تلقي الــشعر ونحــن نتحدث معًا... اقرأ ما تشاء. من فِت مثلا؟

بــاخــتيـــن: ولكني لا أستطيع الآن...

دوفـــــاكين: لا عليك، لا عليك!

بــاخــتيـــن: تألق الليل، وفرش ضياء القمر الحديقة بأكملها.
وبلغت أشعته أطراف أقدامنا في غرفة الاستقبال.
كان غطاء البيانو مفتوحًا. والأوتار بداخله تهتز،
مثلما راحت قلوبنا تهتز من أثر أغنيتك.
رحتِ تصدحين بالغناء حتى انبلج الفجر،
وقد أعيتك الدموع؛ لأنك عشت العمر وحيدة،
وأنك أنتِ الحب وحده،
أما أنا فقد تمنيتُ أن أعيش حتى لا يفوتني حــرف مــن غنائك،
تمنيت أن أمنحك الحب، أن أعانقك وأن أبكي من أجلك.
سنوات عديدة مرت، سنوات مرهقة وموحشة،
وها أنا من جديد أستمع إلى صوتك في هدأة الليل،

فَيشي لي صوتك الرائع، مثلما في الزمن القديم،
أنك لا تزالين وحيدة طول العمر، وأنكِ أنت الحب وحده.
وأن ضربات القدر لم تغيرك، وأن العذاب المهين لم يَمَس شغاف قلبك،
وأن العمر ممتد أمامك بلا نهاية، وأن لا هدف آخر لديك،
سوى إيمانك بالأصوات التي تحاكي البكاء
وأن يمنحك الناس الحب، أن يعانقوك، وأن يبكـون مـن أجلك![٥٣]

أشعار غاية في الروعة، ولكني لا أستطيع أن أقرأ...

دوفــاكين: أليس هذا فِت؟

بــاخــتيــن: لقد تذكرت هــذه الأبيــات وارتباطهــا، بداهــة، بماريــا فنيامينوفنا، بموسيقاها، حسنًا... أما الشعر، فهو شعر رائع عمومًا. هذا الشعر...

دوفــاكين: طبعًا، صحيح. بالمناسبة لا أعــرف هــذا الشاعر جيــدًا ولا أفهمه.

بــاخــتيــن: لكن ما قرأته من شعره كان جيدًا.

دوفــاكين: وهل تحب تيوتشيف؟

بــاخــتيــن: تيوتشيف؟ وما دخل تيوتشيف هنا؟ ... حسنًا... أعرفه... وكيف لا أعرفه...

دوفــاكين: قصيدة "النافورة" مثلا.

بــاخــتيــن: آها.

دوفــاكين: "النافورة"... ألا تذكرها؟ "انظر، كيف نحيا كالــسحاب..." أو هل كنت... لم يرق لي شخصيًا، حسنًا، لتقرأ لنا شــيئًا من فيتشيسلاف إيفانوف.

باختين: فيتشيسلاف إيڤانوف؟ حسنًا، إن قراءته أمر صعب إلى حد ما. على أي حال. ما الذي يمكن قراءته من شعره؟ حسنًا، لنقل، "أغانٍ من المتاهة"، هل تعرفها؟

دوفاكين: "أغانٍ من المتاهة"؟ كلا.

باختين: "... من المتاهة"، نعم، المتاهة، يقصد ذاكرة المرء عن الطفولة، وحتى أبعد من الطفولة... يتفق فيتشيسلاف إيڤانوف أيضًا مع الرأي القائل إن بإمكان ذاكرة المرء أن تذهب إلى بعد لا نهائي، وأنه لا حدود لها.

دوفاكين: أنا أيضًا أعتقد ذلك (يضحك).

باختين: حسنًا، هناك العديد من الفلاسفة كما تعلم يؤيدون هذا الرأي...

دوفاكين: لا أعرف أحدًا من هؤلاء الفلاسفة، ولكن... (يضحك).

باختين: أفلاطون، وبعد ذلك، من الفلاسفة الجدد، برجسون، وله كتاب رائع في هذا الشأن، لعله أفضل كتبه في رأيي وهو "المادة والذاكرة"، يثبت فيه لا نهائية ذاكرتنا، وأننا نتذكر على نحو ما، ما يلزمنا عمليًا فقط، ثم ننسى، إن صح التعبير، ما عدا ذلك، ولكن، في ظروف محددة، في الحلم، في السكْر، في بعض حالات المرض، إذا بنا نتذكر كل شيء. أو كما كان جوميلوف يرى، أن للجسد ذاكرة... وأن ذاكرة الجسد هذه... هي، بشكل ما...

دوفاكين: "الثعابين فقط هي التي تُسقط جلدها..."(٥٤)

باختين: حقا. "... نحن نغير نفوسنا، لا أجسادنا..." وهلمجرا. حسنًا، هذه أبيات من قصيدة "أغانٍ من المتاهة"(٥٥). حسنًا،

إنها أبيات لها طابعها الخاص، كُتبت بإيقاع ألماني، وهو إيقاع خاص ضعيف بعض الشيء[٥٦]. (يسعل)... حسناً، ها هو إلقائي، كما ترى، صوتي ونطقي، كلاهما لا يصلحان لقراءة الشعر.

"جلست الحبيبة مع أبيها
كلاهما التزم الصمت
وقد نفذ الليل عبر النافذة...
"صه، ثمة صوت، همسا كلاهما"
انحنت الأم موشوشة في أذني
التصقت الروح بالصمت
وفي الصمت غرقت الروح
ها قد بدأت أستمع لصوت الصمت
(كنت قد بلغت ربيعي الثالث)
الصمت يحمل إلى القلب
رنين الأحلام المقدسة"
في رأيي قصيدة رائعة.

دوفاكين: نعم. وقد وصل معناها إليّ.

باختين: رائعة في عمقها وجرْسِها. أو إليك أبيات أخرى من "أغان من المتاهة"... وإن كنت، من المحتمل، سوف أخطيء في بعضها:

"قبة السماء أحاطت بمرجي
أقواس مرمرية رفيعة.

كم من الساعات لعبت هناك
أم تراها كانت أعوامًا طويلة
بين الصديقات اللاهيات
المحلقات كسرب الفراشات؟
(يصمت طويلا متأملا، محاولا التذكر)
... كان من السهل عليّ
أن أمسك بيد رشيقة...
هذا الشعاع المجنح
ونحوهما...
(يحاول التذكر)
- ... ها هما جالسان، أبي وأمي
... جئت إليهما محمَّلا بالثروة،
أحكي لهما واقعة جديدة
شهباء كانت يدي المبسوطة
بلون رماد القبر.
ألقى أبي وأمي بنظرة عليّ:
أتراها كانت عتابًا صامتًا؟
نظرة ثابتة منهما ناحيتي
راحت تخبو شيئًا فشيئًا
حلمت بشجن قديم عشته
وراحت الدموع تنهمر من عينَيّ...
وإذا بقلبي يخفق في الظلام

ليتحول إلى شعاع حي".

قصيدة رائعة! قصيدة رائعة!. ولكن ينبغي القول ببساطة إن الناس بشكل ما لم تفهم فيتشيسلاف إيڤانوف.

دوفاكين: نعم، إنه شاعر يستعصي على الفهم...

باختين: هذا شعر رمزي عميق. ثم مليء بمعاناة حية واقعية تمامًا. ولهذا لم يدركوا ما به من معان. كانوا يظنون أنه يتكلف في شعره؟ أين التكلف هنا؟ هذه في الواقع ذكريات أحلام الطفولة، التي تظل تترك أثرها على حياة الناس بعد ذلك إلى الأبد. انظر "... حلمت بشجن قديم عشته...". لقد نجح في الإمساك باللحظة. أمسك بالشعاع، برماد القبر "...بلون رماد القبر..."، لا يمكن التعبير عن هذه الفكرة نثرًا، لكنه صاغها شعرًا في هذا الحلم الطفولي... شيء رائع...

دوفاكين: هلاّ قرأت شيئًا صغيرًا، ولو مقطع من "فاوست"... أو، ببساطة، قصيدة ما من جوته بالألمانية.

باختين: أخشى أن أقع في شيء من الخطل. حسنًا، هيا، لنأخذ شيئًا من جوته. حسنًا لنقل *"Zueignung"* الشهيرة، إهداء إلى "فاوست".

ها أنت ذي تقتربين من جديد،

أيتها الأشكال المترنحة التي تجلت

مبكرًا للبصر المضطرب.

فهل أحاول هذه المرة الإمساك بك؟

وهل أشعر بأن قلبي لا يزال مولعًا بهذا الخيال؟

أنت تتدافعين! ليكن، وتحكمين كما تشائين،
كما تصاعدت حولي من بين الغبار والضباب.
إن صدري يستشعر هزة الشباب من الأنفاس
السحرية التي تنتشر حول موكبكِ.
أنتِ تأتين معك بصور الأيام السابقة،
وكثير من الأشباح الغزيرة
تتصاعد، فيتصاعد معها الحب الأول والصداقة الأولى.

دوفاكين: حسنًا، هذا يكفي.

باختين: وينتهي على النحو التالي:
وما أملكه أراه كما لو كان في البعد،
وما اختفى تحول عندي إلى وقائع(*).
نسيت.

دوفاكين: وهل تذكر شيئًا ما بالفرنسية؟

باختين: بالفرنسية... أذكر أيضًا، بالطبع، ولكن ... ما هو الشيء المناسب يا ترى لأقرأه لك بالفرنسية.
(يُغلق جهاز التسجيل ثم يعاد تشغيله من جديد)

دوفاكين: اقرأ الآن.

باختين: هذا التوق الشديد: العيش في الفوضى
وافتقاد بيت في الوطن

(*) الاستشهاد في الأصل بالألمانية، والترجمة للدكتور عبد الرحمن بدوي. فاوست، الجزء الثاني، جوته، ترجمة وتقديم. سلسلة من المسرح العالمي، الإصدار الثاني، العدد الخامس، نوفمبر ٢٠٠٨، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. (المترجم)

وهذه الأمنيات: حوارات ناعمة
لساعات اليوم مع الأبدية
وهذه الحياة. حتى الخروج من الأمس
لتظهر أكثر الساعات وحدة ووحشة،
والتي تبتسم بطريقة مختلفة
أكثر من شقيقاتها الأخريات (الساعات)
وفي صمت، يتم اللقاء مع الأبدية[٥٧].
يا له من شعر رائع! كم هو رائع.

دوفـــــاكين: حسنًا، وحتى ننتهي تمامًا من ...

بــاخـــتيـــن: ستكون لنا مضاجع مفعمة بالعطور الفواحة
وأرائك عميقة مثل القبور
وعلى الأرفف تتفتح من أجلنا زهور عجيبة
تحت سنوات لا أكثر منها جمالا وبهاءً
وسوف يصبح قلبانا مصباحين كبيرين
يتنافسان في استنفاد ما تبقى فيهما من حب
ليعكسا أشواقهما الأخيرة
على روحينا: هاتين المرآتين التوءم
وفي مساء وردي اللون غامض الزرقة
نتبادل دفقة الحب الفريد
نحيب طويل مثقل بحرارة الوداع
وسيأتي ملاك مخلص فرِح
ليفتح الأبواب، وليجعل حياتنا أكثر صدقًا وسعادة

وليصقل المرايا التي انطفأ بريقها
وينفخ في اللهب الذي خمد أوراه[٥٨].
هذه سوناتا.

دوفـــــاكين: أهذه السوناتا لبودلير؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم، لبودلير، لبودلير.

دوفـــــاكين: حسناً، وبماذا ستختتم...؟

بـــاخـــتيـــــن: نعم!

دوفـــــاكين: وماذا أحب إليك من بوشكين؟

بـــاخـــتيـــــن: يصعب عليّ الإجابة على هـذا الـسؤال. أتعلـم لمـاذا؟ سأخبرك...

(يُغلق جهاز التسجيل ثم يعاد تشغيله)

دوفـــــاكين: لنبدأ من الأول.

بـــاخـــتيـــــن: نعم، ولكن لعلي لن أتذكر.
عندما خبا النهار الصاخب
في ميادين المدينة الخاوية
أسدل الليل ظلالا شبْه ... شبْه ...
وجاء الكرى جائزة لكدح اليوم
راحت الذكريات تترى
ورحت على مضض أسترجع حياتي ...
لقد اختلط عليّ الأمر...
مرة أخرى أستمع إلى تحية الأصدقاء...
على ألعاب باخوس وأفروديت

ومرة أخرى يجتاح قلبي ضوء بارد
وأحاسيس بالضيم لا مهرب منها...[٥٩]

دوفـــــاكين: "وبشعور من التقزز..."

بـــاختـيــــن: لا - مستحيل أن يكون الأمر على هذا النحـــو. أولا، لـــو أنني نظرت بعينيّ ببساطة إلى النص، لتذكرته فورًا.

دوفـــــاكين: أخشي مديرة بيتك، وإلا كنا قد فعلنا ذلك. اقرأ علينا ولـــو جزءًا يسيرًا... أود لو أنك قرأته دفعة واحدة. ولو جـــزءًا يسيرًا من قصيدة "الفارس البرونزي". لا شك أنك تذكرها.

بـــاختـيــــن: جزءًا يسيرًا من "الفارس البرونزي"؟ إذن، نأخذه من البداية.

دوفـــــاكين: هيا.

بـــاختـيــــن: كان نوفمبر يتنفس برد الخريف القارس
فوق بتروجراد المكفهرة
بينما راح نهر النيـڤـا يقذف أمواجه الهادرة
لتندفع نحو السياج متسق البناء الذي يحيطه
متقلبًا في فراشه مثل مريض أضناه الأرق

دوفـــــاكين: وفى هذه الساعة كان (يـڤـجيني)
في طريقه إلى بيته
عائدًا من ضيافة

بـــاختـيــــن: كان الفتى يـڤـجينى عائدًا،
وسوف نمنح بطلنا هذا الاسم
لأن له جرسًا محببًا
وقد جمعت الصداقة بين ريشتي وهذا الاسم

الذي لسنا بحاجة إلى التعرف على كنيته
منذ زمن بعيد
وعلى الرغم من أن من الجائز أن يكون
كارامزين(*) قد نطق به في سالف الدهر
بل لعله رسم أحرفه بريشته في حكاياته الأثيرة
فقد نسيه الناس الآن
يعيش بطلي في كولومنا
ويعمل في مكان ما
يتحاشى علية القوم
ولا ينتابه الأسى على من مات من أقربائه
(في البداية أخطأ باختين، فبدلا من أن يقول "رادنيه" بمعنى أقرباء قال "رابليه" وهو اسم الكاتب الفرنسي الشهير، ثم عاد فصحح الكلمة بعد ذلك وقد استغرق في الضحك)
ولا على ماضيه الذي طوته النسيان
أو لنقرأ هذا الجزء ... آه، لا، لا أستطيع ...

دوفاكين: حسنًا ... ميخائيل ميخايلوفيتش، ليس لديّ ببساطة كلمات لأعبر لك بها عن امتناني.

باختين: لا عليك، عن أي امتنان تتحدث؟! عفوًا لكوني كنت مشوشًا طوال الوقت... إن ذاكرتي...

(*) كارامزين، نيكولاي ميخايلوفيتش (١٧٦٦ – ١٨٢٦): كاتب ومؤرخ روسي ومحرر "المجلة الروسية" و"البشير الأوروبي". (المترجم)

دوفـــــاكين: عليّ الآن أن أغلق جهاز التسجيل قبــل أن تــأتي جالينــا تيموفييـڤـنا(*) لتطردني. انتهى الأمر. المحاورة الــسادسة والأخيرة مع ميخائيل ميخايلوفـيتش بــاخــتيــــن.

بــاخــتيـــن: حسنًا، أنا شاكر لك ... لقد كان الحوار معك شيقًا للغاية.

دوفـــــاكين: انتهى!

(*) جالينا تيموفييـڤنا: مدبرة البيت. (المترجم)

باختين في حوار حي

تسنى لي التعرف على محاورات ميخائيل باختين وڤيكتور دوڤاكين على نحو متتابع في صورتين مختلفتين: في البداية على صفحات مجلة "تشيلوڤيك" ("الإنسان")، حيث ظهر الحديث الشفاهي للمتحاورَين .. بصورة "مُنظَّمة" بشكل أو آخر، وذلك بفضل الاختصار والتنقيح (ويمكن القول، بحيث تبدو المحاورات أقرب إلى الحديث المكتوب)، ثم "بفك الشفرة"، بحيث يُحفظ للحديث الشفاهي طابعه، وهو الشكل الذى تم تقديمه كاملا على نحو أو آخر في هذا الكتاب. وعليّ أن أعترف أن النص "غير المنظم" قد ترك في نفسي بشكل جوهري انطباعا آخر مختلف وأكثر قوة.

وأذكر في هذا السياق الرأي الذي ذكره ميخائيل ميخايلوڤيتش بشأن الخطيئة الأولى من نوعها لعلم اللغة. لقد نشأ هذا العلم، كما يقول، على طريق الكلمة **الميتة** (اللاتينية في المقام الأول)، الكلمة **الغريبة** (إن الفعل مع الكلمة الغريبة، مثلها في ذلك مثل التعامل مع الكلمة الميتة، أكثر سهولة باعتبارها موضوعا للإدراك)، ثم الكلمة المكتوبة والتي يتم إدراكها باعتبارها كلمة **مونولوجية** (كلمة هذا المؤلف، المغلقة على عالمها).

على أن جُمَاع كل هذه الخصائص يميز أمرا واحدا، لا ينتمي؛ فضلا عن ذلك، إلى الشيء الأكثر جوهرية، ونعني به، تجلى الكلمة البشرية، التي هي واحدة من أنواع الحديث العديدة والمتنوعة (وأنا هنا أستخدم المفهوم

الباختيني)، إذ إن هذا المحيط الشاسع للكلمة يقف أمامنا بأكمله بشكل رئيسي باعتباره الكلمة الحية، الكلمة الأم، الشفاهية والحوارية في نهاية الأمر (وهكذا، فإن كل جانب من جوانبها يتضمن إجابة عن سؤال ما سبق طرحه وما يزال ينتظر الإجابة).

لدي ميخائيل ميخايلوڤيتش ميلٌ إلى التأكيد على أن مصطلح "اللغة"، بمعناه المستخدم في علم اللغة ***Linguistics***، لا يعني الكلمة في طبيعتها الحقيقية، وإنما "موضوع العلم" المحدد، الذي وضعه علماء اللغة بوصفه "نموذجا" اصطناعيا، يسمح إلى حد معين بدراسة الكلمة، سواء بشكل محدود للغاية أو حتى بشكل كامل على أية حال. وخارج حدود علم اللغة يبقي وجود الكلمة وجودا شاملا على نحو مطلق؛ فضلا عن كونه وجودا "أساسيا"، هذا الوجود الذى هو، وفقا للتعريف الرائع الذي وضعه باختين، والمعروف لقطاع عريض من الناس، يكاد يكون كل شيء في حياة الإنسان. ومن ثم فقد طرح باختين مسألة إنشاء علم ما وراء اللغة (وقد ذاع صيت هذا المصطلح، ولكن بمعان أخرى لا تتفق والكثير من المحددات التي وضعها باختين لكل من "اللغة" و"الكلمة"، وثنائية "اللغة – الحديث" عند دى سوسيور).

وكما يبدو لي، فإن القيمة العظمى لهذه الطبعة لتسجيلات محاورات ميخائيل باختين مع ڤيكتور دوڤاكين، أيا كان مقدار تطابقها مع الأصل؛ تكمن في أنها تتيح لنا إمكانية أن ندرك على نحو واضح الكلمة الحوارية للإنسان الذي قام بدور رفيع القدر في سبر أغوار هذه الكلمة ذاتها.

وفي الحقيقة، فإن المغزى العميق لهذا الحوار الذي تم تسجيله لا يكشف لنا عن وجهه بسهولة ويسر. ولعله من المناسب في هذا السياق أن

نستشهد بمقطع ورد في الكتاب، وهو الحكم الذي أبداه ميخائيل ميخايلوڤيتش بشأن إبداع ڤيليمير خليبنيكوف:

"كانت لديه القدرة، إذا جاز القول، على الابتعاد عـن كـل مـا هـو شخصي، والإمساك بشيء ما لانهائي، شيء كامل لا حـدود لـه ... كـان بمقدوره فعل ذلك ومعايشته باطنيا على نحو ما، ثم تحويلـه إلـى كلمـات. ولكنها كلمات، بطبيعة الحال، من ذلك النوع من الكلمات، التي لو فهمناهـا باعتبارها معاناة عادية، مثل ... حسنا، كلمات عن أشياء خاصة، عن معاناة شخصية، عن أناس بعينهم، إذن لبات فهمها عندئذ أمرا مستحيلا في الواقع. مستحيل. أما إذا كان من الممكن الولوج إلى تيار تفكيره العـالمي الكـوني وإدراك كنهه، عندئذ يصبح كل ذلك مفهوما وشيقا بكل معنى الكلمة".

في هذه الحوارات المنشورة يدور الحديث بصورة أساسية حول "أشياء خاصة"، لكن الأمر الضروري "أن يكون باستطاعتنا أن نفهم"، وأن "تنفذ" إلى التفكير المتنامي وذلك في سياق، دعونا نستخدم هنا واحدا من أكثر التعبيرات المفضلة عند باختين، "الزمن الكبير". لا يعني هذا، بداهة، أن رأي ميخائيـل ميخايلوڤـيتش بشأن "الأشياء الخاصة"، وعن هؤلاء الناس الذين قابلهم فـي حياته، لا يمثل أهمية قصوى. ولكن الضروري على أية حال أن نتعمق في روح العمل ككل، والتي تجسدت لا في عدد من الآراء والأحكام المتفرقـة، بقدر ما جرى بينها من تفاعل في سياق حركة الحوار.

* * *

يحاور ميخائيل ميخايلوڤيتش شخصا لا يعرفه، شخصا يظهر أمامـه للمرة الأولى وهو، مع كل التحفظات الممكنة، شخص غريب عنه تماما. أنا

أعرف ڤيكتور ديمتريـيـڤـيتش دوڤـاكين معرفة جيدة، وقد سمع على نحو ما – وهو ما يحرص دوڤـاكين على ذكره دائما – بوجود ميخائيــل ميخـايلوڤـيتش منـي (يقول دوڤـاكين: "لقد سمعت عنك منه ... لم أكن أعرف من أنت، أيــن أنت ...".

وقبل ذلك في السنوات من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٤ شاركت فــي أعمـــال السمينار الذي كان دوڤاكين ينظمه في كلية الآداب بجامعة موســكو. ولعلـــه كان أهم سمينار "للفكر الحر" بين السمينارات التي تنظمها كل الكليات. كان صوت الطالب ستانيسلاف ليسنيفسكي يدوى خلاله بكل حمـــاس ووضـــوح، وبين الحين والآخر كان يظهر المشارك السابق في هذا الـــسمينار أندريـــه سينياڤـسكي، طالب الدراسات العليا، والذي فقد ڤـيكتور ديمتريـيـڤـيتش وظيفته كمدرس بسبب تأييده له في عام ١٩٦٦، ليتجه في النهاية بإرادته أو بـــدونها ليعمل على تسجيل الحوارات مع مختلف رجال الثقافة ...

لم يعرف ڤـيكتور ديمتريـيـڤـيتش "سوي سلطة الفكـــر" – أفكـــار عـــن ماياكوڤـسكي وعن كل ما ارتبط به (والحقيقة أن ظواهر كثيرة شكَّلت حوله حلقة كبيرة)؛ وكل ما لم يكن له صلة بماياكوڤـسكي ظل بالنسبة له في الظل. وهو بالمناسبة أمر يظهر بوضوح تام في كل المحاورات المنشورة. وهكذا لم يكن سيرين كيركيجور فقط، البعيد كل البعد عـــن ماياكوڤـسكي، شخـــصا مجهولا تماما بالنسبة لديمترى ديمتريـيـڤـيتش، بل وأيضا ڤاسيلى بيلوف، وهو ما يمكن أن نفترضه من تصريحاته، والذي كان بدوره غريبا أيـــضا عـــن ماياكوڤـسكي (على الرغم من أنه بحلول عام ١٩٧٣، وكان دوڤـاكين آنـــذاك يجرى حواراته، كان بيلوف قد أصدر ما يزيد عن عشرة كتب، وأصبح في بؤرة اهتمام النقد الحديث بكل اتجاهاته ...)

أذكر هذا، بصفة خاصة، لكي يتسنى لي "التعليق" على ما ورد بشأني في المحاورات. لقد ذكر ڤيكتور ديمتريڤيتش في البداية عنّي ودون إحساس بالضيم قوله: "... أنه لم يعد يحادثني الآن هاتفيا"، ثم يعود بعد ذلك ليتهمني اتهاما قاسيا مفاده أنني "اختفيت" بسبب قضية سينياڤسكي، التي تحول بعدها ڤيكتور ديمتريڤيتش إلى رجل "منحوس". وأظن أن ميخائيل ميخايلوڤيتش قد فنّد بشكل مقنع للغاية هذه الشكوك (أذكر هنا فقط، أنه آنذاك، في عام ١٩٦٦، كتبت "خطابا" من الخطابات المميزة لهذا الزمن دفاعا عن ڤيكتور ديمتريڤيتش، الذي لم يُحط به علما لسبب ما). وأخيرا يقول ڤيكتور ديمتريڤيتش عني: "حسنا، لعله ببساطة لم يعد مهتما" (باجرائى حوار معه). أعترف: التشخيص صحيح. لم يعد ماياكوڤسكي وعالمه يثيران إهتمامي بدءًا من الستينيات إلا قليلا. أعترف وأفخر في الوقت نفسه ولست آسفا (وهل هناك الكثير ممن لديهم القدرة على التعبير عن أسفهم!) على الاستنتاج الذي توصل إليه ڤيكتور ديمتريڤيتش دوڤاكين، الذى ستظل ذكراه خالدة عطرة في قلبي...

لا يمكن ألا نطرح هذا السؤال : وهل كان ميخائيل ميخايلوڤيتش "مهتما" بإجراء حوار مع هذا المتحدث؟ ليس من الصعب أن نلاحظ أن ڤيكتور ديمتريڤيتش اقترح في الأساس نوعين من الأسئلة: الأول، إن صح التعبير، "عملي" والثاني "من القلب" (انطلاقا من أحد الأبيات لشاعره المفضل). ولما كان ڤيكتور ديمتريڤيتش مكلفا من قبل الجامعة بالقيام بهذه المهمة فقد كان عليه أن يطلب من ميخائيل ميخايلوڤيتش أن يحكي عن الأساتذة وعن القضايا التربوية بشكل عام، ومن ناحية أخرى، كان الرجل يتحرق شوقا للحديث عن عالم الشعر في القرن العشرين، الذي كان

مایاكوفسكي، من وجهة نظره، في القلب منه (وهو ما يتضح جليا من العديد من الآراء والأحكام التي وردت في سياق المحاورات). وقد حرص فيكتور ديمترييفيتش دوما على أن يدفع بالحديث في هذين الاتجاهين.

وفي سياق ذلك لم يكن الشعر، وبالأحرى المسألة التربوية في بؤرة اهتمامات ميخائيل ميخايلوفيتش في الأعوام الأخيرة من حياته. كان يعمل في وضع مناهج علم الجمال وقضايا الإبداع في النثر (وهو الأمر الذي يعد من بين إسهاماته الأساسية في عالم الثقافة)، ليس ذلك فحسب بل وفي مخطط قراءته الشخصية، والذي جذبه إليه على نحو حقيقي آنذاك الشعر "الفلسفي" بصورة مبدئية فقط (كان من الطبيعي أن شاعره "المفضل" هو فيتشيسلاف إيفانوف).

أما فيما يتعلق بمشكلات التدريس، فكثيرا ما عبر ميخائيل ميخايلوفيتش أكثر من مرة عن تقديره الرفيع للمدارس الثانوية والجامعات الروسية، وطرح في الوقت نفسه محصلة هذا التقدير على نحو محدد متكامل : "... لقد قمت بتحصيل معارفي الأساسية دائما على نحو مستقل، إذ لا يمكن أن يكون هناك في حقيقة الأمر مؤسسات تعليمية رسمية بإمكانها أن توفر كل حاجات المرء من المعرفة، فإذا ما اكتفي الإنسان بما يتلقاه في المدرسة أو الجامعة فإنه في الواقع يتحول إلى موظف" (في ضوء ذلك تبدو البحوث التي أجراها ن. أ. بانكوف منذ فترة قريبة بشكل خاص وكأنها تضع الأساس بمعنى أو آخر لاستنتاج مفاده أن ميخائيل ميخايلوفيتش لم ينه دراسته في الجامعة أو حتى في المدرسة الثانوية ...).

وهكذا، في الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٧٣ يذهب إلى ميخائيل ميخايلوڤيتش باختين (الذي لم يكن قد تبقي له من العمر أكثر من عامين) رجل غريب عنه تماما، رجل لم يتعرف عليه من قبل، يحمل جهاز تسجيل ليطرح عليه أسئلة لا علاقة لها بالطموحات الإبداعية الأساسية له. على أن الحوار اكتسب في نهاية الأمر طابعا حادا، وصريحا دون أدني شك.

كان من المفترض أن يصاب ڤيكتور ديمتريڤيتش بالإحباط (كما اتضح لنا في بداية الحديث)، حيث راح يستمع لأول مرة في حياته بهذه الأسماء المهمة، من وجهة نظر ميخائيل ميخايلوڤيتش، مثل باول ناتورب وإرنست كاسيرير، لكن الحوار راح يتصاعد ويكتسب حمية، ويخيل إليّ أن الدور الأول في هذا الصدد يعود إلى البناء النفسي لڤيكتور ديمتريڤيتش، الذى كان يتمتع بروح شابة دائمة، بل وطفولية (بأسمى ما في هذه الكلمة من معني)، والموهبة الطازجة على الإدراك، وكأنها موهبة فطرية لديه.

عندما قابلت ڤيكتور ديمتريڤيتش في الجامعة، وكان قد تخطى العقد الخامس من عمره، راح يتعامل معنا، نحن تلاميذ الأمس، لا على نحو "أبوي"، بقدر ما كان بصفته أخا أكبر. ومن الجلي أن ڤيكتور ديمتريڤيتش كان يحتفظ بهذه الخصائص بداخله لهذا اليوم الذي سيجري فيه محاوراته مع ميخائيل ميخايلوڤيتش، وهؤلاء القراء، الذين لا يعرفون عمره، سوف يدهشهم، على الأرجح، أن يعرفوا أن الرجل كان قد بلغ آنذاك العام الخامس والستين من عمره ... ولعل من الأمور المؤثرة حقيقة أن ڤيكتور ديمتريڤيتش دفع ميخائيل ميخايلوڤيتش أكثر من مرة ليقرءا معا الشعر، بما في ذلك شعر ماياكوڤسكي...

أود هنا أن أتحدث عن حقيقة أخرى أيضا، هي أن ميخائيل ميخايلوفيتش قد "فتح قلبه" عن طيب خاطر أمام محدثه الغريب، على نحو طبيعي عموما: إن الناس كثيرا ما يمارسون الاعتراف أمام الغرباء تحديدا، أمام عابري السبيل مثلا. بالمناسبة، هناك مقال في الحقيقة لا نظير له كتبه دستويفسكي، وإن يكن قصيرا للغاية، يتناول هذا الموضوع ويحمل اسم "صور صغيرة (في الطريق)". وقد عبَّر ميخائيل ميخايلوفيتش بشكل ما عن إعجابه بهذا المقال. لكن هذا المقال – المنمنمة كأنما فُقِدَ في ثنايا الأعمال الكاملة لدستويفسكي وكأن أحدا لا يعرفه على الإطلاق (وهو موجود في المجلد الثالث والعشرين من الطبعة الجديدة للأعمال الكاملة)(*).

* * *

تكمن القيمة الكبرى لهذا الكتاب في رأيي، وكما ذكرت من قبل، في إبراز الكلمة الحوارية نفسها عند ميخائيل ميخايلوفيتش. ولكن عددا كبيرا من الآراء المحددة اكتسبت هنا، بطبيعة الحال، أهمية كبري، بما في ذلك، أحيانا، تلك الآراء التي يرد ذكرها على نحو عابر أو بطريقة عارضة. أود أن ألفت الانتباه إلى ملاحظة موجزة، ولكنها في النهاية جوهرية للغاية.

يقول ميخائيل ميخايلوفيتش، في معرض حديثه عن تكوينه النفسي في مطلع حياته: "عرفتُ دستويفسكي وكنت أبلغ من العمر أحد عشر، اثني عشر عاما... وبعد ذلك بقليل، عندما بلغت الثانية عشرة، الثالثة عشرة، بدأت في قراءة الكتب الكلاسيكية الجادة. وقد تعرفت على كانط، بصفة خاصة، في

(*) الصواب المجلد الحادي والعشرين ص ١٠٥ – ١١٢. الأعمال الكاملة، دار نشر "ناؤوكا"، ١٩٨٠. (المترجم)

وقت مبكر... زد على ذلك، ينبغي أن أقول إنني فهمته، فهمته على نحو جيد". هنا يتحدث ميخائيل ميخايلوفيتش عن كيف بدأ، عندما كان ما يزال في أوديسا، أي قبيل عام ١٩١٤، في دراسة أعمال فلاسفة مدرسة ماربورج، على نحو تأسيسي، وخاصة أعمال جيرمان كوجان، الذي بني لديه "نظامه"، بتعبير ميخائيل ميخايلوفيتش، "على أسس كانطية صارمة"، وكان كوجان "فيلسوفا رائعا، ترك أثرا عظيما عليّ". وعندما يتحدث عن حياته عامي ١٩٢٣ و١٩٢٤ في بطرسبورج - لينينجراد يقول ميخائيل ميخايلوفيتش على نحو عابر إنه كان آنذاك "كانطيا شديد الولع".

وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال، أن "تجاوز" ميخائيل ميخايلوفيتش في فترة متأخرة "الكانطية" بشكل أو آخر، وفقا لتصوراته الخاصة. وفي هذا السياق أتذكر على نحو عفوي آراء عدد من الباحثين المعاصرين في إبداع باختين. وقد توصل ج. س. مورسون (من الولايات المتحدة الأمريكية) وهو صاحب عدد كبير من البحوث التي تتناول تراث باختين (حوالي ثلاثين بحثا!) في عام ١٩٨٦ إلى استنتاج مفاده أن "أكثر جوانب نشاط باختين أهمية وإبداعا يرتبط بالمناسبة بكونه تفوق على أصل الكانطية الجديدة عنده" (الحوار، الكرنفال، الكرونوتوب. العدد الأول، ص ٦٥). فيما بعد كتبت كيريل إيمرسون(*) (الولايات المتحدة الأمريكية) عضو هيئة تحرير مجلة باختين الصادرة في فيتيبسك، تقترح "أن نفهم باختين العشرينيات (النصف الثاني من العشرينيات على وجه الدقة - فاديم كوجينوف) ... باعتباره فيلسوفا أعاد النظر نقديا في الكانطية الجديدة، التي اعتنقها في شبابه ... في

(*) راجع مقال كيريل إيمرسون "باختين وعلم الأدب المعاصر" بترجمتنا في مجلة "إبداع" القاهرية، العددان السادس والسابع. يونيو ويوليو ١٩٩٧. (المترجم)

اللحظة النقدية من تفكيره الذي دخل من جديد وبقوة لينساب في تيار التقاليد الروحية الروسية بطريقة مدهشة للغاية (المصدر السابق. ١٩٩٣، العددان الثاني والثالث. ص ٧).

هذه الرؤية "البعيدة" لجوهر القضية قد تكون بحاجة لأن تأخذ في الاعتبار المتخصصين في باختين الميالين للنظر إلى ميخائيل ميخايلوڤيتش باعتباره من أنصار الكانطية الجديدة المعروفين (وهو ما يميز، على سبيل المثال، مؤلفات ن.ك. بونيتسكايا). إن ملاحظتي هذه لا تعني على الإطلاق أن ميخائيل ميخايلوڤيتش بصفة عامة قد "تخلي" عن منجزات أساتذته في الفلسفة في شبابه. يقول ف. ل. ماخلين، أكثر الباحثين نشاطا في إبداع باختين، في معرض حديثه عن مشكلة "من أين جاء باختين"، وهو على صواب في ذلك، أن ميخائيل ميخايلوڤيتش لديه في أعماله المبكرة (وفي أعماله الأخرى أيضا من وجهة نظري) "منظومة من مصطلحات" الكانطية الجديدة.

إن المصطلحات، بطبيعة الحال، تجسد، باعتبارها شكلا أيضا، الخصائص الجوهرية الجامعة للتفكير. من الصعب أن يراودنا الشك في أن إبداع باختين ما كان له على وجه العموم أن يتحقق دون استيعاب للمنهج الذي أسسته الفلسفة الألمانية الجديدة (الألمانية تحديدا ولا شيء غيرها) والذي سمح منهجها على نحو موضوعي "بدراسة" حياة الوعي أو، إذا ما استخدمنا تعبيرا أكثر بلاغة، حياة الروح (انظر في هذا الشأن تفصيلا في مقالي "باختين وقراؤه. تأملات وبعض الذكريات" المنشور في العدد السابع

من مجلة "موسكفا" (موسكو) عام ١٩٩٣، والذي أعيد نشره في العددين الثاني والثالث من مجلة ڤيتيبسك، التي سبق ذكرها، في نفس العام)(*).

على أن مضمون أعمال ميخائيل ميخايلوڤيتش ذاته (أي حياة الروح) كان، كما أشارت كيريل إيمرسون في مقالها الذي استشهدنا به سابقا، تطويرا كبيرا للتقاليد الروحية الروسية. والدليل على ذلك، إلى جانب ما ذكرناه، هو ذلك الاهتمام الهائل الذي أولاه الغرب لتراث باختين، الذي كان من الممكن ألا يكون مفهوما، لو أن ميخائيل ميخايلوڤيتش سار في تيار الفكر الغربي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومع ذلك فعلى الرغم من أنه من الممكن أن نفترض أن ميخائيل ميخايلوڤيتش، كما هو واضح، في فترة تكوينه لم يضع "أفكارا" بقدر ما وضع "مناهج"، وأنه ظل، بدرجة أو أخرى، في إطار الكانطية (وهو، كما رأينا، كان ميالا لتعريف مدرسة ماربورج بأنها "كانطية"، لا "كانطية جديدة" كما هو شائع الآن، معتبرا ممثليها أتباعا لكانط). وقد كان ڤ. ل. ماخلين منصفا عندما تحدث عن "التفاعل" بين ميخائيل ميخايلوڤيتش ومدرسة ماربورج قائلا: "... الفيلسوف الروسي يخلق نظاما محددا ومختلفا ... تتحدد فيه وحدة العالم باعتباره حدثا أنطولوجيا متعدد المعاني"، ثم يورد الباحث الرأي الذي ذكره باختين عام ١٩٢٨ (بعدما لم يعد ميخائيل ميخايلوڤيتش "كانطيا" أو، لنقل "ماربورجيا"): "لم يعرف كوجان الوجود الواقعي، الذي يحدد الوعي والتقييم الأخلاقي. إن الواقع الأخير بالنسبة لكوجان هو التطور الأيديولوجي، المفتقد للتحديد والمادية والمركب

(*) انظر أيضا ڤاديم كوچينوف تأملات حول التاريخ والأدب والفن. موسكو، دار نشر سوجلاسيا، ٢٠٠٠. ملحوظة للناشر.

في وحدة تنظيمية مجردة" (الحوار. الكرنفال. الكرونوتوب. ١٩٩٤. العدد الرابع. ص ١٢٥).

يتذكر ميخائيل ميخايلوفيتش اشعار فسيفولد روجديستفينسكي التي قرأها في عام ١٩٢٦ ويسترجعها على النحو التالي:

سيقولون في الغرب ...

كانت هناك دولة كبيرة حمقاء

لكن أن تَغنيَ كما كانت تُغني

هذا ما لن تنجح فيه أبدا.

هذه الأبيات يمكن أن ننسبها أيضا إلى موسيقي فكرة ميخائيل ميخايلوفيتش نفسه ...

أود أن أشير هنا، وأنا أطرح محصلة أرائي، أن الرأي الذي ذكره ميخائيل ميخايلوفيتش على "نحو عابر" : "كنت كانطيا شديد الولع" لا يتعارض مطلقا، وإنما يتفق تماما مع ما قيل تحديدا على "نحو عابر": يدور الحديث هنا بشكل واضح عن القرار الذي اتخذه – كُنتُ وهو يعني، توقفتُ عن أكون. وهو التأكيد الذي لا يقبل الجدل، للاستنتاجات التي توصل إليها كل من ج. س. مورسون وكارول إيمرسون وف. ل. ماخلين.

سوف أركز الانتباه حول واحدة من أدق التفاصيل في محاورات باختين، ولكنها من تلك التفاصيل ذات المعاني المتعددة والتي نقابلها كثيرا في النص المنشور (المحاورات – المترجم)، وهي تفاصيل، ينبغي أن نفكر

في ذلك، تؤدي دورا بارزا في فهم إبداع ميخائيل ميخايلوفيتش باختين وفي علاقة هذا الإبداع بالعصر التاريخي الذي أنتجه.

وحتى نؤكد على ما تم ذكره، أرى أن من المناسب أن نتذكر واقعة من وقائع تاريخ الطبعة الثانية لكتاب ميخائيل ميخايلوفيتش عن دستويفسكي(*). فعندما تم التوصل إلى قرار يسمح بإصدار هذا الكتاب، إذا برئاسة هيئة التحرير تضع شرطا "إلزاميا" بحذف المصطلح المميز للكانطية الجديدة، وهو "النية" Intention من الكتاب، والذي ورد ذكره فيه كثيرا، لأن هذا المصطلح هو من مصطلحات "الفلسفة المثالية البرجوازية".

جاءت هذه المبادرة، بداهة، من الناقدة النافذة في دار النشر، يفجينيا فيودوروفنا كنيبوفيتش. كانت هذه المرأة في وقت ما آخر عشيقات الكسندر بلوك (كما جاء في مذكراته) لم تتنكر للفلسفة "المثالية" تماما، لكنها أصبحت فيما بعد مناصرة للماركسية التقليدية.

لقد كان مصطلح "النية" يؤدي دورا مهما في كتاب باختين، وكنت مهموما تماما بمطلب هيئة التحرير، مفترضا، أن هذا المطلب سوف يثير استياء ميخائيل ميخايلوفيتش وقد يرفض على وجه العموم تنفيذه. ولكن على العكس من توقعاتي وافق دون تردد على تغيير المصطلح واستخدم الكلمات والتعبيرات الملائمة من حيث المعني وأسرع بتنفيذه. وأتصور أن استعداده لحذف المصطلح الجوهري في الكانطية الجديدة كان يعبر عن تراجعه عن

(*) المقصود هنا كتاب "مشكلات ابداع دستويفسكي" الصادر في موسكو عام ١٩٦٣ عن دار نشر "سوفيتسكي بيساتل" (الكاتب السوفيتي)، وكانت الطبعة الأولى قد صدرت عام ١٩٢٩. وقد ظهرت الترجمة العربية للكتاب عام ١٩٨٦ في بغداد بترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتي، مراجعة الدكتورة حياة شرارة عن دار الشئون الثقافية العامة. (المترجم)

تحيزات سنوات الشباب (وبالمناسبة فإن الدراسة المقارنة بين وجهتي النظر في الطبعتين الأولى والثانية لكتاب دستويفسكي يمكن أن تصبح موضوعا لبحث له وجهاته).

* * *

وختاما ينبغي أن نذكر بضع كلمات عن المحاورات المنشورة لميخائيل ميخايلوفيتش هي، على نحو أو آخر، صورة لحياة مكتملة، وقد انعكس ذلك في سياق المحاورات ذاتها، في الحكايات التي تناولت بشكل كبير أكثر التفاصيل النفسية والمعيشية البعيدة كل البعد عن "الأمور الرسمية". على سبيل المثال، سنلمس حضور "مشارك" ثالث هو قط باختين الذي كان له دور مؤثر في السنوات الأخيرة من حياته.

في صيف عام ١٩٧٢ قمت أنا وزوجي يلينا فلاديميروفنا يروميلوفا المتخصصة في الدراسات الأدبية واللغوية بإحدى الزيارات الدورية لميخائيل ميخايلوفيتش، والذي كان يعيش آنذاك في دار الإبداع المخصصة للكتاب في بيريديلكينو. وفي الأشجار القريبة من المبني الذي كان يسكن فيه ميخائيل ميخايلوفيتش إختبأ القط ("المراهق" – الذي لم يعد صغيرا)(*)، ولما كانت يلينا فلاديميروفنا من المولعات بسلالات القطط (فضلا عن أن هذا القط قطا قيّما بألوانه الثلاثة) فقد حملته بين ذراعيها وراحت تداعبه ثم أجلسته على قاعدة النافذة حتي يتسنى لميخائيل ميخايلوفيتش مراقبته. وفجأة إذا به يبدى اهتماما شديدا بقط ذى ألوان سوداء وبيضاء وشقراء أراد أن يحتفظ به في شقته، أما في الخريف فقد جاء به إلى شقته التي كان قد

(*) يستخدم ف. كوجينوف هنا اسم الرواية الشهيرة لدستويفسكي. (المترجم)

اشتراها لتوه في موسكو. كان اهتمامه بهذا القط الذي كان يناديه "كيسانكا" أمرا مدهشا؛ فعندما كان يفترض أن قطه يشعر بالملل كان يطلب استضافة قط آخر في شقته (وكان يعامل هذا القط الرمادي العادي بلا مبالاة تامة). وقد ظهرت حول "كيسانكا" أسطورة خاصة: كان ميخائيل ميخايلوفيتش يؤمن أن قطه، بهيئته المميزة ومزاجه الحاد وجسمه الطويل (بألوانه الثلاثة)، سليل مباشر لقطط المعابد المصرية القديمة، وكان يرى أنه، لا أعرف مدى صحة ذلك، كان قطا أصم (وهو ما كان يراه اصطفاءً).

إن الأمر يستحق الحديث لأن هذا القط كان يظهر كثيرا في المحاورات المنشورة (وقد تم حذف أجزاء منها) وتأتي تفسيراتي هنا لتوضح الأمر وتبرره. وفي رأيي أنه لا توجد صعوبة في تأكيد أن هذا القط في وعي ميخائيل ميخايلوفيتش قد ظل في "الزمن الكبير" ...

كنت أود لو وضعت على وجه العموم لتعليقي هذا عنوان "حوار باختين: من كانط إلى القط"، لكني لم أتجاسر على رفع الكلفة. وقد يكون من الملائم هنا، في النهاية، أن أتحدث، ربما، عما جال في خاطري...

ڤاديم كوچينوڤ

سبتمبر ١٩٩٥

التعليقات

المحاورة الأولى

شريط رقم ٢٩٠ . مدة المحاورة – ١٠٠ دقيقة

مشكلات الإبداع وتاريخ الأدب. مقالات مكرسة لميخائيل ميخايلوفيتش باختين بمناسبة مرور خمسة وسبعين عامًا على ميلاده وخمسين عامًا على اشتغاله بالعلم والتعليم. سارانسك، ١٩٧٣.

في كافة الوثائق الرسمية المحفوظة الخاصة بنهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، الصادرة عن إدارة محافظة أرلوف الحكومية، كان الأخوان نيكولاي وميخائيل باختين يُسمَّون بأبناء الموظف ميخائيل نيكولايفيتش باختين، والأخير يسمى ابن التاجر من أرلوف. وفي سجل الأم، الذي ظهر في أرشيف الدولة لمحافظة أرلوف، من أرصدة كنيسة بتروباقلوفسك، ذُكِر "أن والدي ميخائيل ميخايلوفيتش باختين هما: ميخائيل نيكولايفيتش باختين، ابن التاجر من أرلوف وزوجته الشرعية ڤارڤارا زاخاروڤنا، وكلاهما أرثوذكسي المذهب" (كنيسة أرلوفسكي بتروباقلوفسكي. سجل الأحوال الشخصية لعام ١٨٩٥ // الأرشيف الحكومي لمحافظة أرلوف. ملف رقم ٢٠٠، قائمة رقم ١، ملف ٨٣٧ "ف". الصفحات ٤٨ – ٤٩، شهادة ف. أ. لابتون). حول انتماء عائلة باختين إلى

طبقة النبلاء القديمة (منذ القرن الرابع عشر) الذين لا يحملون ألقابًا، أُعلن للمرة الأولى في مقال السيرة الذاتية الذي كتبه نيكولاي باختين:

Nicholas Bachtin. Lectures and essays. University of Birmingham, 1963, p.1;

وقد أعيد ذكر السيرة في مقال ف. ف. كوچينوف وس. س. كونكين "ميخائيل ميخايلوڤيتش باختين. مقال موجز عن حياته ونشاطه" في المنتخب الصادر في سارانسك في الذكرى الخامسة والسبعين على ميلاد م. م. باختين (سارانسك، ١٩٧٣، ص ٥). لم يتم تأكيد هذا الأمر بعد بالوثائق. إن مسألة الوضع الاجتماعي لعائلة باختين لا تزال إحدى المسائل الغامضة والملتبسة في سيرة هذا المفكر. انظر العرض الذي قدَّمه كل من س. س. كونكين ون. أ. بانكوف في مقاليهما لمختلف الآراء حول هذه المسالة (الحوار، الكرنڤال، الكرونوتوب. مجلة الأبحاث العلمية الخاصة بالسيرة الذاتية والتراث النظري وعصر ميخائيل باختين. ڤيتيبسك، ١٩٩٤. العدد الثاني، ص ١١٩ – ١٣٧).

ترجع التضحية التي قدمها مالك الأراضي ميخائيل بتروڤيتش باختين وتأسيسه لفيلق عسكري إلى عام ١٨٣٥. انظر إ. أ. ميركولوف فيلق باختين أورلوفسكي العسكري // النزعة الأرلوفية: الزمن وأعباء الإصلاحات. أريول، ١٩٩٢. ص ١٢٤ – ١٢٥. القصة نفسها عن الجد – مؤسس الفيلق وردت في سيرة حياة نيكولاي، الأخ الأكبر لميخائيل باختين، الصادرة بالإنجليزية (انظر التعليق رقم ١١)، ولكن الجد الأكبر كان يحمل اسم ابن عم الجد.

إيـڤـان جيورجيـڤـيتش بتروفـــسكي (١٩٠١ – ١٩٧٣) – عـــالم رياضيات، أكاديمي، رئيس جامعة موســكو الحكوميــة (١٩٥١ – ١٩٧٣).

ديمتري بتروڤيتش سڤياتوبولك – ميرســكي (١٨٩٠ – ١٩٣٩) – أمير، ناقد أدبي. هاجر بعد الثورة، كان قريبًا من الحركة الأوراسية. مؤلف كتاب "تاريخ الأدب الروسي" ذي الــشهرة الواســعة باللغــة الإنجليزية (١٩٢٧). التحق بالحزب الشيوعي البريطاني فـــي عـــام ١٩٣٠، وفي عام ١٩٣٢ عاد إلى روسيا. ظل ينشر في الــصحافة السوڤـيتية على مدى خمس سنوات، قبل اعتقاله فــي عــام ١٩٣٧، مقالات عن الأدب السوڤـيتي والروسي والإنجليزي المعاصر.

ڤـارڤـارا زاخـاروڤـنا باختينا، والدة ميخائيل ميخـايلوڤـيتش بــاختين، أوڤيتشكينا قبل الزواج، أخواته: ماريا ميخايلوڤـنا باختينا – الأخــت الكبرى، يكاتيرنيا ميخايلوڤـنا باختينا – الوسطى، والصغرى – ناتاليا ميخايلوڤنا باختينا، واسمها بعد الزواج بيروفيليـڤـا، تُوفين ثلاثتهن من الجوع إبان حصار لينينجراد في ينـــاير عـــام ١٩٤٢. تـــم دفــنهن (افتراضًا) في جبانة سيراڤـيموڤـيتش في قبر أخيهن. وقد نجا أندريه نيكولايـڤـيتش بيرفيليــڤ، ابن ناتاليا ميخايلوڤـنا وكتبت له الحيـــاة. والأخت الرابعة هي نينا سيرجييـڤـا بورشيـڤـسكايا (بارشيفــسكايا)، ابنة آل باختين بالتبني، توفيت في إحدى مستشفيات لينينجراد في عام ١٩٤٤، بسبب تداعيات الجوع الذي عانت من وطأته. المعلومـــات السابقة تم الحصول عليها مـــن نيكــولاي باڤـلوڤـيتش بيرفيليـــڤ

(١٩٠٧ – ١٩٩٨)، والتي تدين له هذه الطبعة، إلى جانب ذلك، بالصور العائلية النادرة لآل باختين.

٧ يليزافيتا تيخونوفنا سيتنيكوفا (١٩٠٦ – ١٩٧٨).

٨ يواخيم ليليفيل (١٧٨٦ – ١٨٦١): مؤرخ بولندي ووطني، الزعيم الفكري للانتفاضة البولندية ١٨٣٠ – ١٨٣١.

٩ أ. ف. كروكوفسكي مؤلف العديد من الكتب عن الكتاب والشعراء الروس. راجع قائمة أعماله في كتاب: تاريخ الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. مرجع ببليوجرافي رئيس التحرير ك. د. موراتوفا. عن تورجينيف: المرأة الروسية في إبداع تورجينيف // مجلة وزارة المعارف الشعبية. ١٩١٤. العدد ٨. وفي المجلة نفسها (فبراير، ١٩١٦) – "مؤسستان تعليميتان" (المقالة الثانية من سلسلة مقالات بعنوان "مقالات عن التربية في الماضي في شمال غرب البلاد" – وهي تتحدث عن منطقة فيلينسكي التعليمية نفسها التي درس في ثانويتها الأخوان باختين).

١٠ ليف فاسيليفيتش بومبيانسكي (١٨٩١ – ١٩٤٠) – متخصص في الدراسات الأدبية واللغوية، مؤرخ للثقافة، أستاذ بجامعة لينينجراد (في الثلاثينيات). مؤلف كتاب "دستويفسكي والحضارة الكلاسيكية" (براج، ١٩٢٢) ويضم هذا الكتاب سلسلة من المقالات عن تورجينيف في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات، كما علّق فيه على كتاب باختين عن دستويفسكي، الذي صدر قبل ذلك، وتناول الأعمال الأساسية التي كتبت عن الأدب الروسي في القرن الثامن

عشر، وكذلك عن بوشكين، جوجول، تيوتشيف، ليرمونتوف، وعن الأدب الألماني في القرن السابع عشر. انظر: نيكولايف ن. إ. عن التراث النظري لـ ل. ف. بومبيانسكي // مجلة كونتكست – ١٩٨٢. موسكو ١٩٨٣. ص ٢٨٩ – ٣٠٣. وعن العمل المشترك بين باختين وبومبيانسكي في إطار ما يعرف بمدرسة نيڤيل الفلسفية انظر أعمال المؤلف نفسه: نيكولايف ن. إ. مدرسة نيڤيل الفلسفية / م. باختين، م. كاجان، ل. بومبيانسكي في الفترة من ١٩١٨ إلى ١٩٢٥: استنادًا إلى أرشيف ل. بومبيانسكي// م.م. باختين والثقافة الفلسفية في القرن العشرين. الجزء الثاني. سان بطرسبورج، ١٩٩١؛ وكذلك محاضرات م. م. باختين ودروسه ١٩٥٤ – ١٩٢٥ وهي موجودة في سجلات ل. ف. بومبيانسكي // م. م. باختين باعتباره فيلسوفًا. موسكو ١٩٩٢؛ انظر كذلك: بومبيانسكي ل. ف. التقاليد الكلاسيكية. موسكو، ٢٠٠٠. ص ١٢- ١٥. وقد حكى باختين عن بومبيانسكي بمزيد من التفصيل في محاورته السادسة والأخيرة مع دوفاكين.

١١ حيث إن نيكولاي ميخايلوڤيتش باختين (١٨٩٤ – ١٩٥٠): وُلِد بفارق عام واحد عن أخيه، أصبح الأخوان باختين يدرسان في ثانويتي ڤيلنوس وأوديسا وجامعتي نوڤورسيسك وبتروجراد في وقت واحد إلى أن وقعت أحداث ١٩١٧ – ١٩١٨، عندما تفرقت بهم السبل إلى الأبد. ويتفق العرض الذي قدمه ميخائيل باختين لحياة أخيه الأكبر (الهجرة مع جيش المتطوعين في عام ١٩٢٠، الخدمة في

الفيلق الأجنبي في شمال أفريقيا في بداية العشرينيات، الإقامة في باريس، الالتحاق بحلقة د. س. ميريچكوفسكي (١٨٦٦ – ١٩٤١) وز. ن. جيبيوس (١٨٦٩ – ١٩٤٥)، والنشر في المجلات الباريسية الصادرة باللغة الروسية "زوفينو" و"تشيسلو" في النصف الثاني من العشرينيات ومطلع الثلاثينيات، مناقشة رسالة الدكتوراه في كمبردج عام ١٩٣٢، ثم نشاطه التدريسي في كمبردج وساوثهامبتون ثم في جامعة برمنجهام بدءًا من عام ١٩٣٨ وحتى نهاية حياته) يتفق والمعلومات الواردة في مقالين للسيرة الذاتية نُشرا في كتاب *Nicholas Bachtin. Lectures and Essays. University of Birmingham, 1963, p 1-16.* (ويضم الكتاب مقالات لنيكولاي باختين لم تنشر في حياته، من بينها محاضرة عن بوشكين وذكريات عن الفيلق الأجنبي اللتين أشار إليهما ميخائيل ميخايلوفيتش باختين) وفي *Oxford Slavonic Papers, 1977, v.x.* وقد تجنب نيكولاي باختين الحديث عن هذين المقالين في كلمته أمام الحزب الشيوعي الإنجليزي إبان الحرب العالمية الثانية؛ وقد ظهر في نهاية حياته "شيوعيًا من اللوردات". وفي الآونة الأخيرة ظهرت لدينا بعض الأعمال المكرسة له: قراءات في تينيانوفسكي، الدورة الخامسة. ريجا، ١٩٩٠. ص ٢١١ – ٢٤٥؛ ميخائيل باختين والثقافة الفلسفية في القرن العشرين. الجزء الثاني. سان بطرسبورج، ١٩٩١. ص ١٢٢ – ١٣٥؛ قراءات في تينيانوفسكي، الدورة السادسة. ريجا – موسكو، ١٩٩٢. ص ٢٥٦ – ٢٦٩. قام س. فيدياكين بإعداد مقالات فترة باريس وجمعها في كتاب: نيكولاي باختين. بحوث. مقالات. وحوارات. موسكو،

١٩٩٥. وفي هذا الكتاب جرت إعادة نشر ملحوظة ج. آداموفيتش "ذكرى رجل بارز" استهلها بالكلمات التالية: "كان رجلا من أصحاب المواهب الكبار، الذين تسنى لي أن ألتقي بهم في حياتي". كما تم أيضًا نشر خطاب م. إ. لوباتو صديق شباب نيكولاي باختين والمؤرخ الخامس من مارس ١٩٥١ يوضح فيه بجلاء السمات الشخصية له: "... كان رجلا واعدًا بأعظم الآمال. كما كان واحدًا من ألمع الناس عبقرية في هذا العالم... وفي الوقت الذي راح الآخرون يجنون ثمار اكتشافاتهم، فإن هذه العقول، التي على شاكلة باختين (نيكولاي – المترجم) لم تكتسب أسماؤهم أي شهرة، وإنما تركوا في كل مكان مصدرًا للإلهام..." (قراءات في تينيانوفسكي، الدورة الخامسة. ص ٢٣٢، ٢٣٦ – ٢٣٧).

إن العلاقة المتبادلة بين الأخوين باختين، اللذين جمعتهما الاهتمامات المشتركة بشدة (كلاهما متخصص في الدراسات الأدبية واللغوية الكلاسيكية، وكلاهما تتلمذ على يد ف. ف. زيلينسكي، وكلاهما فيلسوف بارز في الثقافة) وتساويهما في المستوى الفكري، ثم اختلاف مصائرهما ونشاطهما وإنتاجهما الإبداعي تمام الاختلاف، هي قضية مطروحة أمام علماء سيرة ميخائيل ميخايلوفيتش باختين.

يرى مؤلف كتاب "تاريخ التحليل النفسي في روسيا" "أن من المرجح أن علاقة باختين بأخيه كانت تحمل طابع التساؤل والاستفزاز والاعتراض، وهو الطابع الذي أصبح نموذج الحوار الحقيقي عند

ميخائيل باختين" (أ. إتكيند إيروس المستحيل. تاريخ التحليل النفسي في روسيا. سان بطرسبورج، ١٩٩٣. ص ٣٨٩).

١٢ سيرجي ألكسندروڤيتش كونوڤالوڤ، ابن ألكسندر إيڤانوڤيتش، المليونير ووزير التجارة والصناعة في الحكومة المؤقتة، متخصص في التاريخ والأدب والفكر الاجتماعي الروسي، أستاذ في جامعتي كمبردج وبرمنجهام، قام بدعوة نيكولاي باختين للانتقال إلى إنجلترا.

١٣ جودزي نيكولاي كاللينيكوڤيتش (١٨٨٧ – ١٩٦٥): متخصص في الأدب الروسي القديم وفي إبداع ليف نيكولايڤيتش تولستوي، أستاذ بجامعة موسكو الحكومية.

١٤ ألكسندر إيڤانوڤيتش طومسون (١٨٦٠ – ١٩٣٥): عالم لغويات، تلميذ ف. ف. فورتوناتوف، متخصص في الدراسات اللغوية الهندوأوروبية والسلاڤية والروسية، أستاذ بجامعة نوڤوروسيسك في أوديسا منذ عام ١٨٩٧ وحتى وافته المنية. كتاب ألكسندر طومسون – "علم اللغة العام" (أوديسا، ١٩٠٦). مذكرات ب. س. كوزنيتسوف عن طومسون. راجع: الحوار. الكرنڤال. الكرونوتوب. ڤيتيبسك، ١٩٩٥. العدد ٢. ص ١٠٠ – ١٠٢.

١٥ نيكولاي نيكولايڤيتش لانجي (١٨٥٨ – ١٩٢١): عالم نفساني شهير، مؤسس واحد من أوائل المعامل النفسية التجريبية في روسيا التابعة لجامعة نوڤوروسيسك. لنيكولاي لانجي كتاب "بحوث نفسية" (أوديسا، ١٨٩٣).

١٦ كتاب دراسات في النثر لشارل بودلير، الصادر في باريس عام ١٨٦١. الفصل الرئيسي في الكتاب بعنوان "متعاطي الأفيون" هو

تنويعات على موضوع الكتاب الشهير للرومانسي الإنجليزي، عالم اللغات القديمة، الشاعر والناشر وكاتب المقال والاقتصادي توماس دي كڤينسى (١٧٨٥ – ١٨٥٩) "اعترافات مدمن أفيون إنجليزي" (١٨٢٢) كتبها بودلير على أثر وفاة دي كڤينسي.

١٧ هنا خطأ: فقد صدر هذا الكتاب باللغة الروسية مرة واحدة (حتى لحظة حدوث هذا الحوار) في بطرسبورج عام ١٨٣٤ باسم "اعترافات إنجليزي يتعاطى الأفيون" ولكنه نُسب إلى الكاتب تشارلز روبرت ميتيورين مؤلف رواية "ميلموت الشارد". وقد ترك هذا الكتاب أثره على جوجول (باعتباره مؤلف "شارع نيڤسكي") وعلى دستويڤسكي. والآن صدر الكتاب وللمرة الأولى باسم المؤلف: ت. دي كڤينسى. اعترافات إنجليزي، يتعاطى الأفيون. موسكو، ١٩٩٤. طبعة جديدة: توماس دي كڤينسي. اعترافات إنجليزي محب للأفيون / ترجمة وتحرير ن. ى. دياكونوڤا. موسكو: لادومير – ناؤوكا، ٢٠٠٠ (الآثار الأدبية).

١٨ ڤاسيلي نيكولايڤيتش موتشولسكي (١٨٦٥ – ؟): أستاذ الأدب الروسي بجامعة نوڤوروسيسك. والد عالم الدراسات الأدبية للمهجر الروسي قنسطنطين ڤاسيليڤيتش موتشولسكي (١٨٩٢ – ١٩٤٨).

١٩ *Cohen H. Kants Theorie der Erfahrung, Berlin, 1871.*

٢٠ من قصيدة أندري بيلي "الحكمة" (١٩٠٨) في ديوانه "أورانوس" (١٩٠٩). ويسميه بيلي "البروفيسور كوجان من ماربورج ...".

٢١ ظهر كيركيجور مُترجَمًا بالروسية في نهاية القرن التاسع عشر: س. كيركيجور اللذة والواجب / ترجمة ب. جانزن. سان بطرسبورج، ١٨٩٤. ومع ذلك فقد ظلت شهرته محدودة في روسيا.

ولم يسمع به حتى مفكر قريب جدًا من روحه، هو ليــف شيستوف. إلا في المهجر، وللمرة الأولى عام ١٩٢٨: "كان عليّ أن أعتــرف، أنني لم أعرفه، كان اسمه غير معروف إطلاقًا في روسيا ... حتــى برديايف الذي قرأ كل شيء لا يعرفـــه" (ن. بارانوڤــا – شيستوڤــا. حياة ليـــف شيستوف. المجلد الثاني. ص ١٢). أما باختين الشاب فقد تعرف على كيركيجور باللغة الألمانية.

٢٢ وُلد كيركيجور في عام ١٨١٣ وتوفي في عام ١٨٥٥ قبيــل وفــاة دستويفــسكي.

٢٣ الواضح أنها الأعمال الكاملة في اثني عشر جزءًا، ١٩٠٩ – ١٩٢٤.

٢٤ يدور الحديث هنا عن كتاب: ب. ب. جايــدينكو تراجيــديا النزعــة الجمالية. خبرة توصيف رؤية س. كيركيجور. موسكو، ١٩٧٠.

٢٥ ألكسندر باڤلوڤيتش كازانسكي: أستاذ بجامعة نوڤوروسيــسك. مؤلــف كتاب: تعاليم أرسطو حول معنى الخبرة في حالـــة الإدراك. أوديــسا. ١٨٩١. يورد الكتاب واحدًا وخمسين مقتطفًا مترجمًا من كتاب أرسطو "عن النفس". بــوريس ڤاسيليڤيتش كازانــسكي (١٨٨٩ – ١٩٦٢): متخصص في الدراسات الأدبية واللغوية، قريب من جماعة أوبويــاز، كاتب مجموعة مقالات تحت عنوان: خطاب لينين" (ليف. ١٩٢٤. العدد الأول)؛ وهو ليس ابنًا لألكسندر باڤلوڤيتش كازانسكي.

٢٦ أوزڤالد كيولبيه (١٨٦٢ – ١٩١٥): فيلسوف وعالم نفس ألمـــاني. صدر له كتاب "مدخل إلى الفلسفة" باللغة الروسية، سان بطرسبورج، ١٩٠١ (كتب مقدمته ب. ب. ستروڤى)؛ الطبعة الثانية ١٩٠٨ (كتب مقدمتها س. ل. فرانك).

٢٧ س. تروبتسكوي محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة. موسكو، ١٩١٠.

٢٨ الطبعة الروسية. موسكو، ١٩١١.

٢٩ *Chohen H. System der Philosopie ; T1.1 Logik der reinen Erkenntnis. Berlin, 1902. T1.2: Ethik des reinen Willens, 1904 ; T1.3: Asthetik des reinen Gefühls, 1912.*

٣٠ نيكولاي إرنستوڤيتش رادلوف (١٨٨٩ – ١٩٤٢) وسيرجي إرنستوڤيتش رادلوف (١٨٩٢ – ١٩٥٨) أبناء الفيلسوف إرنست ليوبولدوڤيتش رادلوف، صديق ڤلاديمير سولوڤيوڤ ومحرر أعماله الكاملة التي صدرت بعد وفاته. كلا الأخوين كان يدرس في كلية التاريخ والفلسفة بجامعة بتروجراد في السنوات نفسها مع الأخوين باختين. وفي السنوات التالية أصبح سيرجي مخرجًا مسرحيًا مشهورًا. وقد أخرج في عام ١٩٢٣ مسرحية "يوجين سيىء الحظ" من تأليف إ. تولير، وهي المسرحية التي راح باختين يتذكرها في سياق المحاورات التالية مع دوڤاكين؛ وفي عام ١٩٣٥ أخرج مسرحية "الملك لير" الشهيرة على مسرح الدولة، وقام س. ميخويلس بالدور الرئيسي فيها. وقد تعاون نيكولاي باعتباره فنانًا في مسرحيتي "ساتيريكون" و"ساتيريكون الجديد" و"أبوللو"، ومؤخرًا عمل رسامًا للكتب وللكاريكاتور وللوجوه وناقدًا فنيًا.

٣١ ماتڤييه إيسايڤيتش كاجان (١٨٨٩ – ١٩٣٧): فيلسوف. درس الفلسفة في جامعة ماربورج على يد جيرمان كوجان، زعيم مدرسة الكانطية الجديدة، وكذلك على يدي كل من ب. ناتورب وإ. كاسيرير، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة

ماربورج، وفي عام ١٩١٨ عاد إلى موطن رأسه في نيـڤـيل حيـث تعرف على ميخائيل باختين، الذي عاد إليها في الوقت نفسه. وعـن علاقة ميخائيل باختين وماتـڤـييه كاجان راجع كتاب: ى. م. كاجان. عن الأوراق القديمة من أرشيف العائلة (ميخائيل بـاختين وماتـڤـييه كاجان) // الحوار، الكرنـڤـال، الكرونوتوب. ڤيتيبسك، ١٩٩٢، العدد الأول. ص ٦٠ – ٨٨. تحتوي هذه الطبعة على ملاحظات تتعلـق بالسيرة الذاتية لكاجان والخطابات التي تلقاها من ميخائيـل بـاختين عامي ١٩٢١ – ١٩٢٢، وكذلك خطابات ل. ڤ. بومبيانسكي إلى م. إ. كاجان وم. إ. كاجان إلى س. إ. كاجان.

٣٢ بيوتر فيليبوڤيتش ياكوبوڤيتش – ميلشين (١٨٦٠ – ١٩١١): شاعر، عضو في حزب "نارودنايا ڤوليا" ("حرية الشعب"). ترجم بـودلير. وقد ظهـرت ترجمتـه لديـوان "أزهـار الشر" فـي بطرسـبورج عام ١٩٠٩.

٣٣ "مسرح يوروبيدوس" ترجمـة إ. ڤ. أنينـسكي، وحـرره ڤ. ڤ. زيلينسكي وصدر عن دار نشر الأخوين م و س. ساباشنيكوف فـي ثلاثة مجلدات في موسكو، ١٩١٦ – ١٩٢١. وقد اعتـرف ڤ. ڤ. زيلينسكي في مقدمته للمجلد الثاني أن ترجمة المترجم الراحل "كانت ضعيفة للغاية" وحكى عن العمل الكبير الذي اضطر للقيام به نحـو إنجاز هذا الكتاب (المجلد الثاني. ١٩١٧. ص ٧ – ٢٣).

٣٤ ميخائيل ميخايلوڤيتش بوكروفسكي (١٨٦٩ – ١٩٤٢): عـالم فـي الدراسات الأدبية واللغوية، مؤرخ الأدب الكلاسيكي واللغات القديمة، تلميذ ڤ. ڤ. فورتوناتوف، أكاديمي.

٣٥ سيرجي إيڤانوڤيتش سوبوليڤسكي (١٨٦٤ – ١٩٦٣): عالم في الدراسات الأدبية واللغوية الكلاسيكية، مؤرخ اللغات القديمة، مترجم، عضو مراسل بأكاديمية العلوم السوڤيتية.

٣٦ سيرجي إيڤانوڤيتش رادتسيج (١٨٨٢ – ١٩٦٨): عالم في الدراسات الأدبية واللغوية الكلاسيكية، أستاذ بجامعة موسكو.

٣٧ ميخائيل ألكسندروڤيتش بتروفسكي (١٨٨٧ – ١٩٤٠): عالم في الدراسات الأدبية، مترجم، مؤلف عدد من الأعمال المهمة في الإبداع الفني *poetic* وخصوصًا الإبداع القصصي في العشرينيات. وقد تعرض للاضطهاد ولقي حتفه.

٣٨ فيودور ألكسندروڤيتش بتروفسكي (١٨٩٠ – ١٩٧٨): عالم في الدراسات الأدبية واللغوية الكلاسيكية، مترجم. صدر له كتاب "الأدب الكلاسيكي والمعاصرة" لتكريمه بمناسبة بلوغه الثمانين. موسكو: ناؤوكا، ١٩٧٢.

٣٩ تم إجراء الجراحة في فبراير ١٩٣٨.

المحاورة الثانية

الشرائط رقم ٢٩١، ٢٩٢ مدة المحاورة ١٦٧ دقيقة

حول حلقة ودار نشر "أومفالوس" انظر مقال ف. إدچيرتون انظر: قراءات في تينيانوفسكي، الدورة الخامسة. ريجا، ١٩٩٠. ص ٢١١ – ٢٤٤. المقال مبني على مواد المراسلات بين المؤلف وم. إ. لوباتو.

حول ميخائيل يوسيفوڤيتش لوباتو (١٨٩٢ – ١٩٨١) انظر المقال نفسه الذي كتبه ف. إدچيرتون (ويضم خطاب لوباتو والذي يتعرض فيه لذكرياته عن نيكولاي باختين). والوثيقة البيوجرافية أيضًا. انظر كذلك: قراءات في تينيانوفسكي، الدورة السادسة. ريجا– موسكو، ١٩٩٢. ص ٢٥٤ – ٢٥٦. هنا يدور الحديث أيضًا عن أن "أومفالوس" ظهرت قبل ذلك أيضًا في ڤيلنو؛ حيث كان لوباتو يدرس في إحدى الثانويات مع الأخوين باختين.

أوبوياز – جمعية دراسة اللغة الشعرية (١٩١٦ – ١٩١٨ – حتى نهاية العشرينيات)، تأسست على يد مجموعة من اللغويين، (ى. د. بوليڤانوف، ل. ب. ياكوبينسكي)، المتخصصين في الشعر (س.إ. بيرلشتاين، أ. م. بريك)، المنظِّرين ومؤرخي الأدب (ڤ. ب. شكلوڤسكي، ب. م. أيخنباوم، ى. ن. تينيانوف).

٤ م. لوباتو .المائدة المستديرة. الشعر. بتروجراد – أوديسا: أومفالوس، ١٩١٩.

٥ حول جمعية "المحتالين" (الغشاشين – الأفاقين) التي كانت موجـــودة في ڤيلنو في العقدين الأول والثاني من القرن التاسع عــشر، انظـــر كتاب: ف. كاڤيرين البارون برامبيوس. تاريخ أوسيب سينكوفسكي، الصحفي، محرر مجلة "مكتبة القراءة". موســكو، ١٩٦٦. ص ١٢٧ – ١٣٢. استرشد "المحتـــالون" بالـــساخرين الإنجليـــز، سويـــــفت وستيرن، وكذلك بڤولتير، واستنبطوا أسلوبهم الفكاهي "الاحتيـــالي" الخاص.

٧ يبدو الأمر هنا زلة لسان، فباختين كان يقصد في "جلڤر".

٨ الفجور *Libirtinage* (*Libirtinism*) فلسفة الفكر الحر والشك الـــديني في فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي انعكست في أدب تيوفيل دي فيو، ش. سوريل، سيرانو دي بيرچـــــيراك، ج. أ، شوليه، ڤولتير الشاب.

٩ أ. إ. ڤيدينسكي المنطق باعتباره جزءًا من الإدراك. براج، ١٩١٧. أشار باختين في سيرته الذاتية عام ١٩٤٤ إلى أنه تخـــصص فـــي الفلسفة في جامعتي نوڤوسيبيرسك وبتروجراد "علـــى يـــد الأســـتاذ لانــــــجي والأســـتاذ أ. إ. ڤيدينسكي" (س. س. كـــونكين، ل. س. كونكينا ميخائيل باختين. سارانسك، ١٩٩٣، ص ١١. وهذا الكتـــاب مليء للأسف بالعديد من الأخطـــاء). وعـــن أهميـــة مدرســـة أ. إ. ڤيدينسكي في التشكيل الفلسفي لباختين راجـــع: ن. ك. بونيتـــسكايا

ميخائيل باختين وتقاليد الفلسفة الروسية // مجلة قضايا الفلسفة. ١٩٩٣. رقم ١. ص ٨٥ – ٨٦.

١٠ ن. لوسكي دستويفسكي ورؤيته المسيحية. نيويورك، ١٩٥٣. أعيد طبعها في كتاب: ن. أ. لوسكي الله والشر العالمي. موسكو، ١٩٩٤.

١١ ن. أ. لوسكي المذكرات. الحياة وطريق الفلسفة. ميونيخ، ١٩٦٨.

١٢ تشيلبانوف جيورجي إيڤانوفيتش (١٨٦٢ – ١٩٣٦)، لوباتين ليف ميخايلوفيتش (١٨٥٥ – ١٩٢٠): عالمان نفسانيان وفيلسوفان من موسكو. كتاب ج. إ. تشيلبانوف: "مدخل إلى الفلسفة"، كييف، ١٩٠٥.

١٣ ستيفان (ستيبان صمويلوفيتش) سريبرني (١٨٩٠ – ١٩٦٢): عالم بولندي في الدراسات الأدبية واللغوية الكلاسيكية، تلميذ ف. ف. زيلينسكي في جامعة بطرسبورج؛ حيث أصبح أستاذًا مساعدًا منذ عام ١٩١٦، وفي عام ١٩١٨ يعود إلى بولندا، وقد عمل أستاذًا في جامعتي ڤيلنو وتورون، وضع أكثر من عمل عن التراجيديا والكوميديا الإغريقية وترجم بعضها إلى اللغة البولندية.

١٤ باڤل جاڤريلوڤيتش ڤينوجرادوف (١٨٥٤ – ١٩٥٢): مؤرخ متخصص في العصور الوسطى، أستاذ بجامعة موسكو، عمل منذ عام ١٩٠٢ في أوكسفورد بإنجلترا.

١٥ يڤجيني دمترييڤيتش بوليڤانوف (١٨٩١ – ١٩٢٥): عالم روسي بارز، دخل التاريخ العالمي بفضل اكتشافاته الأساسية في اللغويات، والتي لم يكن من الممكن بدونها أن ينشأ هذا العلم الذي عُرف في القرن العشرين بعلم اللغة.

أنهي يـڤـجـيني دمتريـيـڤـيتش كلية التاريخ والدراسات الأدبية اللغوية بجامعة بطرسبورج في قسم اللغات السلاڤـية – الروســية (١٩١٢) والأكاديمية الشرقية التطبيقية في قسم اللغة اليابانية (١٩١١). وقــد لعب إ. أ. بودوين دي كورتينيه الدور الأكبر في تكوين الاتجاهــات العلمية عند يـڤـجيني دمتريـيـڤـيتش، وهو الــذي اكتــشف الموهبــة الكبيرة عند تلميذه وقدّرها وساعد في إعداده إبان الجامعـــة للعمــل أستاذًا بها. تخصص في مجال علــم اللغـــة العــام، فــي اللغــات الهندوأوروبية واليابانية والصينية وغيرها.

يـڤـجيني بوليـڤـانوڤ باعتباره عليمًا بالعديد من اللغات، بلغــت فــي الواقع ثماني عشرة لغة (حديثًا وقراءة وكتابة). كان يدرس كل لغـــة من جوانبها وعناصرها ووظائفها كافة. وقد اهتم في كــل بحوثــه بدراسة والوصول إلى القانون الداخلي لتطور اللغة.

لم يستطع يـڤـجـيني دمتريـيـڤـيتش إنجاز كل شيء. وكثيرًا مما أنجزه لم يتمكن من نشره. ولكن حتى الجزء الذي أعطاه، بعــد أن وضــع نظرية التطور اللغوي يعد في حد ذاته إنجازًا علميًا ضـــخمًا: وهــو قانون تطور اللغة وحفظها لذاتها، وهو من ناحيـــة أهميتـــه يمكـــن مقارنته باكتشاف مسلّمة ثبات قوانين الصوتيات والنحــو الــصغير، وتمثل نظرية التجميع – التشتيت، التي قدمها يـڤـجـيني دمتريـيـڤـيتش الأساس لبناء علم الصوتيات التاريخي (ر. أ. ياكوبسون). وهنــاك قانون شهير آخر وضعه بوليـڤـانوڤ فحواه أن "تطور اللغة الأدبيـــة يتلخص جزئيًا في أنها تتطور على نحو بطيء؛ أي أن إيقاع تغيرها يأخذ في التباطؤ تدريجيًا" (راجع: ى. د. بوليـڤـانوڤ. من أجل علـــم

لغة ماركسي. موسكو: فيديراتسيا، ١٩٣١، ص ١٥٢ – ١٦٠) و"عن دارسي الرطانة وعن "اللغة السلافية" للثورة" (المصدر السابق. ص ١٦١ – ١٧٢).

١٦ قَبِلَ ى. د. بوليڤانوف، داعية السلام والأممي الثورة دون تردد، "مليئًا بالحماس نحو النضال العملي". وقد عرض بوليڤانوف بعد ثورة أكتوبر، في اليوم الثاني من قيامها تحديدًا، خدماته على السلطة الجديدة وبصفته مساعدًا، ونائبًا، فعليًا، لقوميسار الشعب للشؤون الخارجية في حكومة تروتسكي، فقد لعب دورًا مهمًا في نشر المعاهدات السرية التي أبرمتها الحكومة الدستورية. على أن العلاقة مع تروتسكي لم تدم: لقد بدد الطموح المفرط لقوميسار الشعب أوهام يڤجيني دميتريييڤيتش في أن يقدم خدماته للسلطة السوڤيتية باعتباره خبيرًا في الشرق وفي فبراير عام ١٩١٨ جاءته الفرصة ليترك وزارة الخارجية إلى الأبد. أما بالنسبة لعمله تحت رئاسة تروتسكي فقد تم تذكره في عام ١٩٣٧ ومن ثم جرى اعتقال د. بوليڤانوف في الأول من أغسطس عام ١٩٣٧ في فرونزة، وبعد مرور عدة أيام نقل إلى موسكو وحكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص بعد اتخاذ إجراءات ذات طابع سري وتبسيطي. وقد اتهم بأنه كان "شريكًا نشيطًا في منظمة إرهابية مناهضة للاتحاد السوڤيتي تسعى للتجسس والتخريب قام بتأسيسها بتكليف من المخابرات اليابانية". لم تستغرق الإجراءات بأكملها عشرين دقيقة. تمت المحاكمة وجرى الإعدام في موسكو في الخامس والعشرين من يناير عام ١٩٣٨. وليس معروفًا مكان الدفن. وقد تم إعادة الاعتبار إليه بناء على

الالتماس الذي تقدم به معهد علم اللغة التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية في عام ١٩٦٣.

١٧ صمويل بوريسوفيتش بولوتين (١٩٠١ – ١٩٧١): أديب ومترجم. وقد سجل فيكتور دوفاكين مذكراته عن فلاديمير ماياكوفسكي، يفجيني بوليفانوف وماريا تسفيتايفا وذلك في عام ١٩٦٧. وتحتفظ إدارة المكتبة العلمية بالتسجيلات الصوتية التابعة لجامعة موسكو الحكومية (م ع ت ص ج م ح).

١٨ عانى ى. د. بوليفانوف من إدمان المخدرات، وبطبيعة الحال فقد أصابه ذلك بضرر اجتماعي بالغ، وخاصة من جانب خصومه، ولكن هذا العالم كان يواجه ذلك إما بالسخرية أو بالصمت. كان أول تعرف له بالمخدرات في عام ١٩١١ داخل جدران الأكاديمية الشرقية التطبيقية، ولكنه اعتاد عليها بعد ذلك، إبان بعثته إلى اليابان في أشهر الصيف أعوام ١٩١٤، ١٩١٥، ١٩١٦؛ حيث كان عليه أن يعمل مع مختلف الرواة، الذين يقدمون معلومات لغوية للدراسة العلمية (فلاحين، صيادين، طلاب، رهبان المعابد البوذية) الذين تكيف مع حياتهم. وقد ازداد اعتياده على المخدرات في الفترة السوفيتية إبان عمله مع أصحاب المقاهي والبائعين في أسواق آسيا الوسطى. وقد اتضح أن هذا الاعتياد بلغ من القوة بحيث إنه لم يكن بإمكانه العمل نهارًا دون أن يتعاطى المخدرات، هذا ما ذكرته زوجته بريجيتا ألفريدوفنا – نيرك (١٨٩٩ – ١٩٤٦) في خطابها إلى أ. ى. فيشينسكي في يناير ١٩٣٨ تطلب منه فيه أن يهتم برعاية زوجها.

وعندما أصبح الوضع غير محتمل في طشقند، وجاءته دعوة من فرونزة للالتحاق بالعمل في قيرغيزيا، اشترط يفجيني دميترييفيتش على رئاسة الجمهورية شرطًا وحيدًا هو ضمان إمداده بمخدرات من نوعية جيدة بشكل منتظم، وقد قُبِلَ شرطه. وهناك عمل العالِم كثيرًا وعلى نحو واضح. وقد قص الأكاديمي ك. ك. يوداخين، من الأكاديمية الكيرغيزية السوفيتية في عام ١٩٦٢ على كاتب هذه التعليقات هذه الأحداث. وقد أجاب يوداخين على سؤال بشأن كيف كان يفجيني دميترييفيتش يعمل بعد حقنه بالمخدرات بقوله: "أوه، كان يعمل بقوة مضاعفة! كان أهم شيء بالنسبة له أن يحصل على الحد المقرر له"، وهو ما كانت تهتم به زوجة العالِم المُحبة. وقد كانت هذه الحقنة توفر له في المعتاد قوة وحيوية جيدة. وقد ورد في أرشيف التحقيقات الخاص بيفجيني بوليفانوف التقرير الطبي الذي وضعه الطبيب المختص في الخامس من أغسطس ١٩٣٧ وهو يشير إلى أن "بوليفانوف الذي يعاني من الإدمان، يحتاج إلى حقنة مضاعفة من الهيروين".

ولمّا كان ى. د. بوليفانوف رجلا ذا إرادة قوية، يمكن أن نفترض أن إدمانه للمخدرات جاء نتيجة التجارب التي أجراها على نفسه، على شاكلة منهج المراقبة الذاتية الذي وضعه إ. م. سيشيونوف في بحثه لنيل درجة الدكتوراه في فسيولوجيا السكْر الكحولي. ليس من قبيل المصادفة أن ى. د. بوليفانوف كتب بحثًا "حول أثر المخدرات على الوعي اللغوي للإنسان"، وإن لم ينشر في الحقيقة (راجع: ف.

لارتسيف يفجيني دميتريفيتش بوليفانوف. صفحات من حياته ونشاطه. موسكو، ١٩٨٨. ص ٣١٩).

١٩ فقد ت. د. بوليفانوف نصف ذراعه اليسرى نتيجة لحادث مؤسف. ووفقًا لشهادة ف. ب. لوبوخين، زوج ابنة عم العالِم، "فقد انزلق (بوليفانوف) من فوق سلم القطار إلى رصيف محطة أورانينباومسكي (ب. ف. لوبوخين بعد الخامس والعشرين من أكتوبر // دار نشر الماضي، جـ ١ باريس. ١٩٦٨. ص ١٦ – ١٧).
ومن الأمور المهمة شهادة ڤيكتور شكلوفسكي في كتابيه "حول نظرية النثر" (موسكو، ١٩٨٣. ص ٧٢) و"كان يا ما كان..." (موسكو، ١٩٦٦. ص ١٧٦). نؤكد هنا على أن الحادث المؤسف وقع مباشرة بعد وفاة أمه الحبيبة، يكاترينا ياكوفليفنا بوليفانوفا (١٨٤٩ – ١٩١٣).

٢٠ في عام ١٩١٨ التحق ڤيكتور شكلوفسكي في التنظيم العسكري للاشتراكيين الثوريين، الذي أعد انتفاضة مناهضة للبلشفية؛ وبعد انهيار هذا التنظيم في خريف العام نفسه، اختفى شكلوفسكي من بتروجراد في منطقة نهر الڤولجا لينسحب بعدها من العمل السياسي. لكن ماضيه ظهر مرة أخرى بعد عدة سنوات؛ فقد ورد اسمه في كتيب عن النشاط السياسي للثوريين الاشتراكيين عامي ١٩١٧ – ١٩١٨، كتبته ج. إ. سميونوڤا، الذي صدر في فبراير ١٩٢٢ في برلين بمناسبة بدء الإعداد لمحاكمتهم. وفي الخطابات التي أرسلها ڤيكتور شكلوفسكي إلى مكسيم جوركي يومي ١٦ و ٢٤ من مارس عام ١٩٢٢ يحكي شكلوفسكي عن كيفية اختفائه في بتروجراد؛ بعد

أن هرب من العديد من الكمائن (وعن أحد هذه الكمائن التي نصبت له في شقة يوري تينيانوف يحكي ڤ. أ. كاڤيرين في كتابه: الخاتمة *epilogue*. موسكو، ١٩١٨. ص ٨ – ١٣)، ثم هروبه بعد ذلك إلى فنلندا عبر الخليج المتجمد (راجع: ڤيكتور شكلوڤسكي خطابات إلى مكسيم جوركي (١٩١٧ – ١٩٢٣)/ نشر وتعليق أ.ى. جالوشكين // *(De Visu. 1993 No1.C.30, 40-41)*. وقد عاد شكلوڤسكي إلى روسيا من ألمانيا في أكتوبر ١٩٢٣.

٢١ دميتري قنسطنطينوڤيتش بتروڤ (١٨٧٢ – ١٩٢٥): عالم في الدراسات الأدبية واللغات الرومانية، وبخاصة اللغة الإسبانية، أستاذ بجامعة بطرسبورج.

٢٢ الإخوة ڤيسيلوڤسكي: الأكاديمي ألكسندر نيكولايڤيتش (١٨٣٨ – ١٩٠٦)، وألكسي نيكولايڤيتش (١٨٤٣ – ١٩١٨) مؤرخ آداب أوروبا الغربية.

٢٣ ڤلاديمير فيودورڤيتش شيشماريڤ (١٨٧٤ – ١٩٥٧): عالم في الدراسات الأدبية واللغات الرومانية، تلميذ ألكسندر ڤيسيلوڤسكي، أكاديمي ومؤرخ تاريخ اللغة الفرنسية.

٢٤ أدريان إيڤانوڤيتش بيوتروڤيتش (١٨٠٨ – ١٩٣٨): عالم في الآداب واللغات الكلاسيكية، مترجم، صاحب الترجمة الرائعة للشاعر الروماني كاتولوس، باحث ومؤلف مسرحي. عمل، إبان السنوات التي تحدث عنها باختين، في قسم الدراسات الكلاسيكية بجامعة بتروجراد.

٢٥ ليڤ أريستيدوڤيتش كاسو (١٨٦٥ – ١٩١٤): وزير المعارف العامة في الفترة من ١٩١٠ إلى ١٩١٤. ويعود مفهوم "نظام كاسو"

بشكل أساسي إلى عام ١٩١١، عندما لم يكن باختين موجودًا بعد بالجامعة، وهو يُنسب أولا وقبل كل شيء إلى جامعة موسكو؛ حيث جرت في العام نفسه عملية فصل جماعي للطلاب اليساريين (وفقًا للتفسير الليبرالي فإنه يعني "رجعية ستوليبين"(*) داخل الجامعة). وقد ترك الجامعة عدد من الأساتذة الليبراليين، من بينهم ك. أ. تيميريازيف، ب.ن. ليبيديف، ن. د. زيلينسكي، احتجاجًا على ذلك التصرف.

٢٦ ليف إيرسوفوفيتش بتراچيتسكي (١٨٦٧ – ١٩٣١): منظِّر في القانون، شغل منصب رئيس قسم فلسفة القانون في جامعة بطرسبورج. غادر البلاد ليعيش في المهجر منذ عام ١٩١٨.

٢٧ ڤولفيل (الجمعية الفلسفية الحرة)، جمعية أدبية فلسفية كانت موجودة في بتروجراد في الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٢٤.

٢٨ إيڤان ميخايلوفيتش جريفس (١٨٦٠ – ١٩٤١): مؤرخ للعصر الوسيط، تربوي بارز، مؤسس علم دراسة المناطق، عمل أستاذًا بجامعة بطرسبورج منذ عام ١٨٩٩ وحتى وافته المنية، ولكنه لم يشغل مطلقًا منصب رئيس هذه الجامعة. عمل عميدًا لكلية التاريخ والآداب في الدورات النسائية العليا (دورات بيستوچيف)، وقد شغل إ. د. جريم (١٨٧٠ – ١٩٤٠) رئيسًا لجامعة بطرسبورج في الفترة من ١٩١١ إلى ١٩١٨، وهو متخصص في التاريخ القديم والحديث لبلدان أوروبا الغربية.

(*) ستوليبين، بيوتر أركاديفيتش (١٨٦٢ – ١٩١١): شخصية حكومية روسية، وزير الداخلية. في الفترة الرجعية (١٩٠٧ – ١٩١١) شكل الحكومة. قام بانقلاب مضاد للثورة البلشفية عام ١٩٠٧. قاد الإصلاحات الزراعية التي سميت "بإصلاحات ستوليبين". قُتل على يد أحد عملاء البوليس السري. (المترجم)

٢٩ تسمى هذه المسرحية *"Gaudeamus"* (١٩١٠).

٣٠ ڤالنتين نيكولايڤيتش ڤولوشينوف (١٨٩٥ – ١٩٣٦): شاعر، ناقد موسيقى، صديق ميخائيل ميخايلوڤيتش باختين، الذي تعرف عليه في نيڤيل عام ١٩١٩، وقد سكنا بعد ذلك معًا في شقة واحدة في ڤيتيبسك. وقد التحق ڤولوشينوف في العشرينيات في لينينجراد بحلقة باختين القريبة. وبدءًا من عام ١٩٢٦ نُشِرَ كتابان باسم ڤولوشينوف: "الفرويدية" (لينينجراد، ١٩٢٧) و"الماركسية وفلسفة اللغة" (لينينجراد، ١٩٢٩)، وكذلك سلسلة مقالات في نظرية اللغة، وقد استمر الجدل بشأن من هو المؤلف الحقيقي لهذه الأعمال على مدى العشرين عامًا الأخيرة. وقد أكدت براهين عديدة على مشاركة باختين في كتابتها، وهو أمر أصبح معترفًا به تقريبًا، لكن مسألة أشكال هذه المشاركة ودرجاتها لا تزال مطروحة للنقاش. وقد جرت مناقشة قضية المؤلف الحقيقي لهذه الأعمال في مقال سيرجي جيورجيڤيتش بوتشاروف عن حديث ما وحوله // مجلة نوڤوي ليتيراتورنوي أوبوزرينيه (المراقب الأدبي الجديد). ١٩٩٣. العدد ٢. انظر عن ڤولوشينوف المقال البيوجرافي الذي كتبه ن. ل. ڤاسيلييڤ في كتاب: ڤالنتين ڤولوشينوف. الفلسفة وعلم الاجتماع في العلوم الإنسانية. سان بطرسبورج، ١٩٩٥.

٣١ عن الزيارتين التي قام بهما لڤيتشيسلاف إيڤانوف في المصحة في أغسطس عام ١٩٢٠، قصّ ميخائيل باختين على كاتب هذه التعليقات في حديثه المؤرخ العاشر من أبريل ١٩٧٤. وكان ڤولوشينوف، الذي جاء بصحبة باختين، قد قرأ على إيڤانوف بعضًا من

أشعاره. وشارك في الحديث ڤلاديسلاڤ خوداسيڤيتش الذي كان يشغل غرفة مستقلة في هذه المصحة (وليس في مكان آخر في الغرفة نفسها مع إيڤانوڤ، وهو خطأ وقع فيه باختين). وعن وصوله إلى المصحة، وخاصة عن وجود يوليي ألكسييڤيتش بونين، شقيق الكاتب إيڤان بونين، كتب خوداسيڤيتش في مقالة بعنوان "المصحة" (انظر: ڤ. ف. خوداسيڤيتش مختارات نثرية. نيويورك، ١٩٨٢). "مراسلات من ركنين" بين فيتشيسلاڤ إيڤانوڤ وم. أ. جيرشينزون جرت في الفترة من ١٧ يوليو إلى ١٩ يوليو. وقد انتهت عندما نزل خوداسيڤيتش بالمصحة. أما جيرشينزون فلم يكن موجودًا بالمصحة عندما زارها باختين بصحبة ڤولوشينوڤ.

٣٢ نيك. ت–و(*): الاسم المستعار لإينوكينتى فيودوروڤيتش أنينسكي (١٨٥٥ – ١٩٠٩). في عام ١٩٠١ قام إ. ف. أنينسكي بجمع قصائده التي كتبها في نهاية التسعينيات في ديوان أسماه "أوتيس. من كهف بوليفيم". أوتيس، أو نيكتو، هو الاسم الذي أطلقه أوديسيوس على بوليفيم. وفيما بعد، في عام ١٩٠٤، أصدر أنينسكي ديوانه "أغان هادئة" باستخدام صيغة روسية لهذا الاسم المستعار – نيك. ت– و. والاسم المستعار يعكس فكرة الشاعر عن إغفال الاسم في الشعر.

سوف يدور الحوار بعد ذلك عن نيكولاي فيدوروڤيتش أنينسكي (١٨٤٣ – ١٩١٢) شقيق إينوكينتي أنينسكي. وهو كاتب اجتماعي واقتصادي وشخصية اجتماعية ذات توجه ليبرالي، أحد أعضاء هيئة تحرير مجلة "روسكوي بوجاتستڤو" (الثروة الروسية). وعلى الرغم

(*) نيك. ت–و (نيكتو): تعني باللغة الروسية لا أحد. (المترجم)

من تباين وجهات نظريهما واهتماماتهما، فقد أشاد إينوكينتي أنينسكي بالدور الكبير الذي قام به أخوه في تعليمه وتنشئته.

٣٣ يولي إيسايڤيتش أيخنڤالد (١٨٧٢ – ١٩٢٨): ناقد شهير. اختتم أيخنڤالد كتابه "بريوسوف" (موسكو، ١٩١٠. ص ٣٢) بحديثه عن "عظمة التغلب على انعدام الموهبة".

٣٤ فرديناند خودلر (١٨٥٣ – ١٩١٨): فنان ونحات سويسري، من أوائل التأثيريين.

٣٥ "الممر الأبيض" – مقال تذكاري كتبه ف. ف. خوداسيڤيتش، نشر للمرة الأولى في صحيفة "دنِيي" (الأيام)، التي كانت تصدر في باريس، في نوفمبر ١٩٢٥. وقد قرأها باختين في كتاب: ف. خوداسيڤيتش مقالات وذكريات أدبية. نيويورك. دار نشر تشيخوف، ١٩٥٤.

٣٦ أنطون ڤلاديميروڤيتش كارتاشيف (١٨٧٥ – ١٩٦١): مؤرخ للكنيسة ولاهوتي، أحد قادة نشطاء جمعية بطرسبورج الفلسفية الدينية. وقد أصبح وزيرًا للأديان والمذاهب في الحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير. خرج إلى المهجر في عام ١٩١٩.

٣٧ "المرج الذهبي" – دراسات نقدية وفلسفية وضعها أندري بيلي في كتاب (موسكو: ألتسيونا، ١٩١٠).

٣٨ يمكن التعرف على سيرجي ميخايلوڤيتش سولوڤيوڤ (١٨٨٥ – ١٩٤٢) الشاعر والقس، ابن عم ڤلاديمير سولوڤيوڤ وأول من قام بنشر ديوانه المعروف باسم "أشعار" وتأليف كتاب عنه هو كتاب

"حياة ڤلاديمير سولوڤيوڤ وتطوره الإبداعي"، الصادر في بروكسل عام ١٩٧٧، والذي كان صديقًا لكل من بيلي وبلوك في كتابين من كتب المذكرات كتبهما بيلي بعنوان "بداية القرن" و"بين ثورتين" وكذلك في مقالين آخرين كتبتهما ابنته ن. س. سولوڤيوڤا – انظر مجلة "نوڤي مير" (العالم الجديد)، ١٩٩٣، العدد ٨، ص ١٧٨ – ١٨٠؛ مجلة "ناشي ناسليديي" (تراثنا)، ١٩٩٣، العدد ٢٧، ص ٦٠ – ٧٠. انظر كذلك مجلة "شاخماتوڤسكي ڤيستنيك" (بشير الشطرنج)، العدد ٢ المكرس لذكرى سيرجي ميخايلوڤيتش سولوڤيوڤ/ المحرر ن. ج. بروزورڤا. سونوشنوجورسك، ١٩٧٢. وكذلك س. سولوڤيوڤ. مقالات في النقد واللاهوت. مقالات ومحاضرات منتخبة. تومسك، ١٩٩٦.

٣٩ زيانيدا جيبيوس توفيت في باريس في الخامسة والسبعين من عمرها.

٤٠ يتذكر ن. ب. أنتسيفروف أسلوب الحياة الذي كان له عند ميريچكوڤسكي أساس نظري، وذلك في حديثه عن زيارة أعضاء حلقة ماير ميريچكوڤسكي وجيبيوس في عام ١٩١٨ قائلا: "لقد طوّر ميريچكوڤسكي نظرية الزواج الثلاثي *(ménage en troi)*. يقول ميريچكوڤسكي، وقد ماج صوته بالاضطراب، إن الزواج الثنائي مضى زمانه، إنه زواج من العهد القديم، وقد تم نسخه في العهد الجديد. وقد شاركه الرأي، على ما أذكر، كل من ماير وبولوڤتسيڤا". – انظر: ن. ب. أنتسيفيروف أفكار عن الماضي. موسكو، ١٩٩٢. ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

٤١ استنادًا إلى كل شيء، المقصود كتاب: الأدب الروسي في القرن العشرين / المحرر س. أ. فينجيروف. المجلدات ١-٣. موسكو: دار نشر مير ١٩١٤ – ١٩١٨.

٤٢ استمعت لاسم ألكسندر ألكسندروڤيتش ماير (١٨٧٥ – ١٩٣٩)، الذي وضع هذه التعليقات، للمرة الأولى من باختين في محاورة دارت في الخامس من يناير عام ١٩٧٢؛ ولم يكن هذا الاسم معروفًا آنذاك إلا لعدد محدود من الناس. وقد ذكر باختين آنذاك قائلا: "لقد حكم علينا أنا وماير بالسجن عُشر سنوات (خففت بالنسبة لي إلى خمس)". وقد صدر هذا الحكم عليهما في عام ١٩٢٩ بقرار من هيئة لينينجراد للبوليس السري *OGPU* (الإدارة المتحدة لسياسة الدولة) باعتبارهما شريكين في "تنظيم يميني غير شرعي لمثقفين مناهض للنظام السوڤيتي ظل قائمًا على مدى بضع سنوات في لينينجراد باسم "البعث". وهو الاسم الذي كانت تحمله الحلقة التي أسسها ماير في نهاية ١٩١٧، وكانت تعقد لقاءاتها بشكل دائم إلى أن انهارت في ديسمبر عام ١٩٢٨، عندما جرى إلقاء القبض على ماير وأعضاء حلقته (في الحادي عشر من ديسمبر) ثم باختين (في الرابع والعشرين من الشهر ذاته). لم يكن باختين عضوًا في حلقة ماير، ولكنه كان قريب الصلة بماير نفسه وبعدد آخر من أعضائها. وكان نفر من أعضاء "حلقة باختين" يترددون على حلقة ماير ومنهم ماريا ڤنيامينوڤنا يودينا (١٨٩٩ – ١٩٧٠) وليف ڤاسيليڤيتش بومبيانسكي. وقد أتاح انهيار الحلقة للبوليس السري في لينينجراد أن

يدبر لهم قضية سياسية كبرى مع التوسع في القبض على "اليمين المثقف"، وقد أطلق على هذه القضية اسم قضية حلقة ماير. وقد صدر الحكم الأول على ماير بالإعدام رميًا بالرصاص، ثم جرى استبداله بعد ذلك بإرساله إلى معسكر اعتقال سولوفيتسكي، أما باختين فحكم عليه بخمس سنوات في سولوفيوف استبدلت بالنفي إلى كوستاناي. – راجع: ذكرى المنتخب التاريخي. الإصدار ٤. باريس، ١٩٨١. ص ١١١ – ١٤٥؛ مجلة قضايا الأدب، ١٩٩١. العدد ٣. ص ١٢٨ – ١٤١. صدر في باريس في عام ١٩٨٢ مجلد يضم الأعمال الفلسفية لماير وسيرة حياته. مذكرات د. س. ليخاتشيف عن ماير ونشر نصوصه. راجع: مجلة قضايا الفلسفة، ١٩٩٢. العدد ٧. قرار اتهام البوليس السري في لينينجراد *GPU* بشأن قضية "البعث" نشره ي. ب. ميدفيديف: الحوار. الكرنفال. الكرونوتوب، ١٩٩٩. العدد ٤، ص ٨٢ – ١٥٧. تحتوي الوثيقة على معلومات حول تاريخ حلقة "البعث" لم تعرف من قبل، وقد ورد فيها اسم ميخائيل باختين باعتباره واحدًا من الذين التحقوا بحلقة "البعث"، والتي جرت الإشارة إليها بوصفها "جمعية من رجال الدين ذوي نزعة ملكية" (ص ١٣٠ – ١٣١). وقد جرت الإشارة أيضًا إلى أن ميخائيل باختين "قد أعد، على مدى عدد من السنوات، محاضرات (ذات طابع معادٍ للنظام السوفيتي) ألقيت في العديد من الحلقات السرية، أما أخوه نيكولاي ميخايلوفيتش باختين، المؤيد للملكية، والذي يعيش في الوقت الحالي في الخارج، فيعد من دعاة النضال

المسلح ضد الاتحاد السوفيتي وإعادة النظام البائد". وبالإضافة إلى ما سبق فقد كانت شقة ميخائيل باختين، من بين الشقق التي أشارت التقارير إلى أنه كانت تعقد فيها الاجتماعات (ص ٩٩ – ١٠٠).

٤٣ يحكي نيكولاي بافلوفيتش أنتسيفيروف، مؤرخ الأدب الروسي والثقافة في بطرسبورج، عضو حلقة ماير وك. إ. بولوفتسيفا في مذكراته كيف شرح للمحقق ألكسندر سترومين، الذي قام باستجوابه، عن التوجه الاجتماعي للحلقة بقوله "حاول سترومين إقناعي أنني أنتمي إلى تنظيم يعتبر السلطة السوفيتية سلطة معادية للمسيح. فأخبرته أنه لم يفهم توجهات حلقة ماير وبولوفتسيفا على الإطلاق. وأن كيسينيا أناتولييفنا بولوفتسيفا تتفق والبرنامج الاقتصادي والاجتماعي للبلاشفة ولكنها، مثلها مثل الآخرين، ترى أن هذا البرنامج غير كاف لتجديد إنسانية وبناء الشيوعية. وأن الدين أمر ضروري. وأنها تحلم بالجمع بين هذا وذاك. وأن هذا سيحدث عندما سيلتقي الأول من مايو بعيد الفصح". انظر ن. ب. أنفتسيروف. أفكار عن الماضي. موسكو، ١٩٩٢. ص ٣٣٢. وتتذكر أيضًا ى. ن. فيدوتوفا، زوجة المؤرخ والفيلسوف ج. ب. فيدوتوف، أحد منظمي وقادة الحلقة المذكورة في بدايتها أن أحد أعضاء الحلقة كان يجب أن يسأل: "كيف نصلي: بإسقاط البلاشفة أم بفهمهم؟" أظن أن الغالبية آنذاك كانت ستجيب "بفهمهم". انظر أ.أ. ماير الأعمال الفلسفية. باريس، ١٩٨٢. ص ٤٥٤.

٤٤ "المسيح يُبعث" هو اسم ديوان أندري بيلي، صدر في أبريل عام ١٩١٨، فور صدور ديوان "اثني عشر" للشاعر ألكسندر بلوك ليكون بمثابة "رد" عليه، أو ليكون شرحًا لديوان بلوك، حسب تعبير قنسطنطين موتشولسكي.

٤٥ في عام ١٩٢٩ صدر على ڤيجيني إيڤانوڤ حكمًا بالنفي إلى الشمال في نفس القضية الخاصة بحلقة "البعث" نفسها (انظر: قضايا الأدب، ١٩٩١. العدد ٣، ص ١٣٤؛ الحوار. الكرنڤال. الكرونوتوب، ١٩٩٩، العدد ٤، ص ٩٤، ١٠٥، ١٣٦، ١٤٠). تتضمن هذه الأعداد ما يفيد أن كلا من ڤيجيني إيڤانوڤ وماريا يودينا أعلنا في الثاني من ديسمبر عام ١٩٢٨ عن خروجهما من حلقة "البعث".

٤٦ ألكسندر بلوك حياة صديقي (١٩١٣). عند بلوك: "هكذا سيجيب عليك". انظر: ألكسندر بلوك. الأعمال الكاملة. المجلد ٣. موسكو، لينينجراد، ١٩٦٠. ص ٤٩.

٤٧ "السخرية" – مقال لبلوك (١٩٠٨).

٤٨ في الفترة من عام ١٩٢٤ إلى ١٩٣٠ عاش باختين وزوجته في البداية في شارع بريوبراچينسكي، المنزل ٣٨، شقة ٥، بعدها في شارع زنامينسكي. ناصية حارة سابيرني، كلا المنزلين يقعان نسبيًا بالقرب من "البرج" (شارع تڤاريشسكايا، ناصية شارع تڤيرسكايا).

٤٩ الأرجح أن المقصود هنا هو خطاب بلوك "عن الوضع الراهن للرمزية الروسية"، الذي ألقاه في عام ١٩١٠.

٥٠ من خطابات بلوك إلى أندري بيلي في الفترة من ١٥ – ١٧ أغسطس عام ١٩٠٧ (انظر: ألكسندر بلوك. الأعمال الكاملة، المجلد ٨، موسكو؛ لينينجراد، ١٩٦٣. ص ١٩٩).

٥١ موضوع رواية ك. ك. ڤاجينوف "أغنية الجَدي" تم التعبير عنه بشكل هجائي في اسمها (انظر في هذا الشأن المحاورة الخامسة) وتعد هذه الرواية ترجمة حرفية "للتراجيديا" يونانية.

٥٢ من قصيدة نيكولاي جوميلوف "عند المدفأة" (١٩١١)، من الجزء الثاني للمنتخب المعروف باسم "سماء غريبة" أهداه المؤلف لأنّا أخماتوڤا (نيكولاي جوميلوف قصائد وأشعار. ليننجراد، ١٩٨٨. ص ١٧٧).

٥٣ يقول جوميلوف: "لسنا بحاجة إلى هذا الطعام الشتوي / في هذه الساعة الرهيبة والساطعة / بسبب كلمة الله ..." (نيكولاي جوميلوف. دار نشر ناستوبلينييه // ن. س. جوميلوف قصائد وأشعار. ليننجراد، ١٩٨٨. ص ٢٣٤).

٥٤ من ديوان جوميلوف "الذكرى" (١٩٢١) الذي افتتح به ديوانه الأخير "عمود النار" (١٩٢١).

المحاورة الثالثة

الشرائط رقم ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥ . مدة التسجيل ١٢٤ دقيقة

٩

بوريس أيخنباوم أنّا أخماتوفا. خبرة التحليل. براج، ١٩٢٣.

"Cor ardens" (الجزآن ١-٢. موسكو، ١٩١١) – الديوان الثالث لأشعار فياتشيسلاف إيفانوف. الديوانان الأولان – "النجوم الهادية" (سان بطرسبورج، ١٩٠٣) و"الشفافية" (موسكو، ١٩٠٤). وقد ظهر ديوان "السر الرقيق" (سان بطرسبورج، ١٩١٢).

فياتشيسلاف إيفانوف. الأعمال الكاملة، الجزء الأول، بروكسل، ١٩٧١. تتصدر هذا الجزء مقدمة إضافية (الصفحات من ٥ إلى ٢٢٧)، تمثل وصفًا دقيقًا لحياة الشاعر والمفكر، كتبتها صديقته ومساعدته الأدبية أولجا ديشارت (أ. أ. شور).

عن تجارب "الاتحاد الثلاثي" الروحية – الإيروتيكية، التي جرى استلهامها من فكرة: "تجاوز الفردية" الفلسفية، والتي حاول فياتشيسلاف إيفانوف ول.د. زينوفييفا – أنيبال إدخال الشاعر سيرجي جوروديتسكي في البداية فيه، ثم الفنانة مرجريتا ساباشنيكوفا – فولوشينا بعد ذلك (وقد باءت التجربتان بالفشل) يمكن الاطلاع على وصف سيرة حياة إيفانوف في الأعمال الكاملة الصادرة في بروكسل (الجزء الأول، ص ٩٨ – ١٠٥) وعلى نحو

أكثــر تفصيلا في التعليقــات (الجــزء الثاني، بروكــسل، ١٩٧٤، ص ٧٥٣ – ٧٦٧)، حيث ترد فيها اقتباسات من مذكرات وخطابات إيڤانوف التي تعود الأحداث فيها إلى صيف وخريف ١٩٠٦.

٥ تُوفيت ل. د. زينوڤييڤا فجأة في أكتوبر ١٩٠٧. وبعد عدة سنوات تزوج فياتشيسلاف إيڤانوف من ابنتها مــن زواجهــا الأول، ڤيرا قنسطنطينوڤنا شفارسالون.

٦ ظهر مطلع قصيدة سيرجي جوروديتسكي التي تحمل اسم "آدم" فــي منتخب قصائد مجموعة الشعراء الجدد المعروفين "بالذرويين" بمجلة "أبوللون" (١٩١٣، ص ٣٢) (وكان لمدرسة الذرويين اسم آخر لــم يعتد عليه الجمهور وهو ***Adamism*** نسبة إلى قصيدة جوروديتــسكي "آدم"). وقد جاء في الملاحظة التي أوردتها هيئة التحرير في تقديمها للمنتخب أن "القصائد المنشورة هنا هي لشعراء تجمعهم تلك الأفكار، التي طرحها نيكولاي جوميلــوف وســيرجي جوروديتــسكي فــي مقالاتهما المنشورة في عدد يناير من مجلة "أبوللون" والتي يمكن أن تقدم، بقدر أو آخر، تجسيدًا لما ورد في هذه المقالات من تــصورات نظرية".

٧ سيرجي ألكسندروڤيتش أدريانوف (ڤاسيليڤيتش – زلة لــسان مــن باختين –) "عالم الدارسات الأدبية واللغوية الشهير، المترجم والأستاذ بجامعة بطرسبورج، ليننجراد فيما بعــد". – انظــر: ب. كاجــان. بصحبة الموسيقيين. موسكو، ١٩٦٤، ص ٤٨. زويا بتروڤنا لودي (١٨٨٦ – ١٩٥٧) – مغنية حجرة.

٨ مشكلات الإبداع عند دستويفسكي. لينينجراد، ١٩٢٩.

٩ تضم أوراق باختين خطاب ى. ب. بيشكوفا إلى ى. أ. باختينا المؤرخ الثامن من أكتوبر ١٩٢٩: "ردًا على استفساركم بخصوص الطلب الذي تسلمناه من أو جي بي أو، أحيطكم علمًا أننا لم نتسلم بعد الشهادة الصحية المطلوبة الخاصة بزوجكم م. م. باختين". الخطاب مكتوب على استمارة مختومة: "ى. ب. بيشكوفا. بشأن مساعدة المساجين السياسيين. شارع كوزنيتسكي موست، منزل ٢٤. قبل شهر، في الثاني من سبتمبر، كتب باختين خطابًا إلى ن. أ. سيماشكو، قوميسار الشعب للصحة خطابًا يطلب فيه تعيين لجنة طبية لعمل تقرير عن صحته (انظر: مجلة "باميت" (الذاكرة) الإصدار الرابع. ص ٢٦٧). وقد أدت جهود ى. ب. بيشكوفا (التي كان من نتيجتها على الأرجح البرقيتان اللتان أرسلهما مكسيم جوركي) على تغيير الحكم (خمسة أعوام في سجن سولوفكوف) إلى ستة أعوام في المنفى. وقد شارك في الجهود الفاعلة التي بذلت من أجل باختين كل من م. ف. يودينا وس. إ. كاجان (انظر خطاب ى. أ. باختينا إلى س. إ. كاجان المؤرخ الرابع والعشرين من أكتوبر ١٩٢٩ المنشور في منتخب "الذاكرة" الإصدار الرابع، ص ٢٨٠).

١٠ انظر ج. د. جاتشيف. الإنسان ضد الحقيقة في مسرحية "الحضيض" // جوركي الذي لا نعرفه، موسكو: مجلة "تاسليديه" (التراث)، ١٩٩٤؛ وكذلك الإنسان ومنطق الأشياء. الجدل حول الحقيقة والكذب في مسرحية م. جوركي "الحضيض"، موسكو،

١٩٩٢. تحليل مشهد إضراب سائقي الترام من "قصص من إيطاليا" – في كتاب ج. د. جاتشيــف. تطور الوعي المجازي في الأدب // نظرية الأدب. الجزء الأول. موسكو: دار "ناؤكا" (العلــم)، ١٩٦٢، ص ٢٨٥ – ٢٨٧.

١١ تضم الدراسة التي كتبها نيكولاي باختين عن الحركة الرمزية فــي روسيا بعض الذكريات التي تسمح على نحو أرحب بتصور موقــف الأخوين (باختين) وسلوكهما إبان أحداث أكتوبر ١٩١٧. تتعــرض هذه الدراسة لاجتماع علماء اللغة والأدب الكلاسيكي، الذي جرى في بيت ف. ف. زيلينسكي في هذه الأيام ذاتها. ولا يذكر فيها نيكولاي باختين شيئًا عن حضور أخيه الأصغر (ميخائيل) هذا الاجتماع، لكن الأرجح تمامًا أن الأخوين قد التحقا، كما يذكر ميخائيل باختين فــي حواره (مع دوڤاكين – المترجم) بخصوص أحداث الثورة "بحلقتنــا". يقول نيكولاي باختين: "المؤكد أنني، أقصد حلقتنا، كما نرى أن كــل هذه الأحداث ستنتهي نهاية ...، تم هذا الاجتماع منذ ســبعة عــشر عامًا مضت في "أكتوبر الأحمر" في بطرســبورج أثنــاء الانقــلاب الشيوعي، في شقة صغيرة باردة تقع في جزيرة ڤاسيليڤسكي علــى ضوء الشموع (بداهة لأنه لم تكن هناك كهرباء في تلــك الأيــام)، اجتمعنا – اثنا عشر شخصًا – مع معلمنــا العجــوز، البروفيــسور زيلينسكي، جميعنا كنا من علماء اللغــة اليونانيــة ومــن الفلاســفة والــشعراء المرمــوقين – جماعــة اعتــادت أن تجتمــع لنتنــاقش الموضوعات الكلاسيكية وعلاقتها بالحاضر، وكنا نسميها بشيء من

التفاخر "اتحاد النهضة الثالثة"؛ إذ كنا نؤمن بأنه كان هناك النشطاء الأوائل للنهضة الجديدة، التي كان من المفترض أن تأتي بعدها على الفور النهضة الروسية – الشكل النهائي والأسمى للعالم الهليني المعاصر لمفهوم الحياة. لأن دراسات الأدب الكلاسيكي، شأنها شأن كل شيء آخر في روسيا، لم تكن مجرد دراسة، وإنما كانت، فوق ذلك، طريقة لإعادة تشكيل الحياة. كانت دراسة اللغة اليونانية أشبه بالاشتراك في مؤامرة سرية مثيرة ضد أسس المجتمع المعاصر لصالح المثال الإغريقي. كنا نبدو مفعمين آنذاك بهذه الآمال أمام ما يجري من أحداث، كان من شأنها حتمًا أن تضع، كما اتضح، نهاية لأمنياتنا الساذجة. كان من الجلي أن روسيا تتجه نحو طريق مختلف عن طريق النهضة" انظر: *(Nicholas Bachtin. Lectures and Easays. P. 43).*

١٢ يقصد ف. د. دوفاكين محاوراته مع ف. ف. شولجين، التي جرت في يناير ١٩٧٣ (التسجيلات الصوتية بجامعة موسكو).

١٣ في مطلع السبعينيات كان ف. ف. كوچينوف مهتمًا بمشكلة الإبداع عند سيرجي يسينين وقد توصل إلى أن الإبداع عنده تحقق بفضل الاندماج العضوي بين ما اكتسبه من تجربة الحياة "الريفية"، وبين الوعي الثقافي الرفيع، الذي كان سائدًا في مطلع القرن بصفة خاصة. وقد تجلى هذا الاندماج في شهري مارس وأبريل ١٩١٥ في الصداقة الروحية الوثيقة بين يسينين وليونيد كانجيسر، المثقف بالغ الحساسية من مدينة أوديتسكي، وكان التوصل إلى الحقائق أمرًا عسيرًا (إلى جانب أمور أخرى، فقد راح ف.ف. كوچينوف يستجوب ديوريك إيفنيف، الشاهد الوحيد الحي تقريبًا آنذاك، الذي لم يتذكر أي شيء

تقريبًا في الحقيقة، أو لعله خشي أن يتذكر). أبدى ميخائيل باختين اهتمامًا شديدًا بحكاية كوچينوف. يتلخص الجانب الأهم في هذا الموضوع فيما يلي: لقد اتضح مؤخرًا أن ميخائيل ميخايلوڤيتش (باختين) ألقى في العشرينيات محاضرة عن يسنين توصل فيها إلى حل مشكلة تكون الشاعر، وعلى النحو نفسه تحديدًا في الواقع موضحًا "أن الظاهرة الأدبية القادمة مباشرة من أصول شعبية عميقة على نحو مباشر في القرن العشرين لم يكن ممكنًا. كان على هذا الأدب أن يجد أولا مكانًا له في الأدب نفسه" (الحوار، الكرنڤال، الكرونوتوب) ١٩٩٣، الأعداد ٢-٣، ص ١٦٣). يبدو أن ميخائيل ميخايلوڤيتش لم يعد يتذكر في السبعينيات آراءه التي أدلى بها في منتصف القرن، لكن اهتمامه الحيوي بالآراء المناظرة يكشف على الأرجح "معارفه" الكامنة في اللاوعي والتي تحتوي فكره الخاص، الذي تشكل في فترة شبابه.

١٤ م. تسڤيتايڤا. مساء غريب // م. تسڤيتايڤا. نثر. موسكو، ١٩٨٩.

١٥ ڤاسيلي بتروڤيتش كوماردنيكوف (١٨٩٧ – ١٩٧٣) – فنان مسرحي. يوميات ١٩٦٩. (التسجيلات الصوتية بجامعة موسكو).

١٦ بيوتر أڤدييڤيتش كوزيكو – أديب.

١٧ قصيدة *"Klassische Walpurgisnacht"* ("ليلة روسية ڤالبورجية")، ١٩٢٠ من أشعار بريوسوف.

١٨ ذكر باختين في محاضرة له عن ماياكوڤسكي ألقاها في نهاية العشرينيات (ضمن سلسلة من محاضراته المنزلية في تاريخ الأدب الروسي، سجلتها م. ميركينا) عن بعث النبرة الخطابية الشعبية في

شعر ماياكوفسكي، رابطًا بين هذه النبرة وبين التقاليد الإغريقية في قوله: "هناك سمات مشتركة بين بلاغته والبلاغة الإغريقية... ومن المميز لشعره أيضًا تلك النبرة الديماجوجية؛ وهو لا يخشى الديماجوجية ويبحث عنها. وهكذا فإن ماياكوفسكي أدخل إلى الشعر الروسي، إلى التربة الروسية، التي تتسم بوضعية أخرى، تلك البلاغة التي نادرًا ما قُدمت قبله" (الحوار، الكرنفال، الكرونوتوب. ڤيتيبسك، ١٩٩٥، العدد ٢، ص ١١٢).

١٩ ميخائيل داڤيدوڤيتش ڤولبين (١٩٠٢ – ١٩٨٨) – شاعر، فنان، كاتب سيناريو سينمائي. قام ڤ. د. دوڤاكين بتسجيل ذكرياته في نوڤمبر ١٩٦٧ وفي ديسمبر ١٩٧٥ (المكتبة العلمية جامعة موسكو الحكومية، قسم التسجيلات الصوتية).

٢٠ پاڤل أداموڤيتش يانكوڤيتش: عمل مدرسًا للرياضيات في الفترة من السادس من يوليو ١٨٩٣ وحتى الأول من يوليو ١٩١٣ في ثانوية سڤينتسيانسكايا للبنين"، ثم أصبح مديرًا لهذه المدرسة منذ الأول من يوليو ١٩١٣ (انظر محضر اجتماع المجلس التعليمي لثانوية سڤينتسيانسكايا للبنين المؤرخ الثلاثين من أبريل ١٩١٨ الذي عقد في فرع فيليكولوكسكي). وقد عمل ميخائيل باختين بتدريس التاريخ وعلم الاجتماع واللغة الروسية في المدرسة العمالية المشتركة في نيڤيل (المصدر السابق).

٢١ لم ينتقل ميخائيل باختين من نيڤيل إلى ڤيتيبسك، وفقًا للوثائق المحفوظة في أرشيفه، قبيل خريف عام ١٩٢٠.

٢٢ للمزيد من المعلومات عن المجتمع العلمي في نيـڤـيل انظــر: ل. م. مكسيموڤسكايا. مقدمة لما رواه باختين شفاهة من حكايات عن نيڤيل (تعليقات باحث في البلدان) // مجلة العلوم الفلسفية، ١٩٦٥، العــدد الأول، ص ٩٨ – ١٠٢؛ ن. إ. نيكولايف. مدرسة نيـڤـيل الفلــسفية (م. باختين، م. كاجان، ل. بومبيانسكي من ١٩١٨ وحتــى ١٩٢٥). استنادًا إلى مواد أرشيف م. باختين // م. باختين والثقافة الفلسفية في القرن العشرين. مشكلات الباختينالوجيا. سان بطرســبورج ١٩٩١. الإصدار الأول، الجزء الثاني، ص ٣٩.

٢٣ كوليوباكين، جيــورجي ألكسندروڤـيتش (١٨٩٢ – ؟) – كيميــائي، باحث في العلوم الطبيعية، قام بتدريس التاريخ الطبيعــي والكيميــاء بمدرسة نيـڤـيل العمالية المشتركة ومديرًا لصيدلية مستشفى نيـڤـيل. شارك ببحث عنوانه "البيولوجي والطب في روسيا" ضمن محاضرين آخرين في ندوة عن الثقافة الروسية أقيمت في نيــڤــيل في التاســع عشر من أغسطس عام ١٩١٩ (انظر نــدوة الثقافــة الروســية // صحيفة "مولوت"، نيـڤـيل، ١٩١٩، العدد ١٢٨، ١٨ أغــسطس: ص ١). جاء في صحيفة "مولوت"، العدد المؤرخ الثاني عشر من سبتمبر ١٩١٩، في مقاله "في اتحاد العاملين بالفنون"، أن "الرفيق كوليباكين (تشويه لاسم ج. أ. كوليوباكين) يقرأ سلسلة محاضرات في مجــال الكيمياء والبيولوجي في فصول رفع الكفاءة".

٢٤ انظر التعليق رقم ٦ على المحاورة الأولى.

٢٥ تأسس الكونسرڤـاتوار الوطني عام ١٩١٨ على يــد ن. أ. مــاليكو (١٨٨٣ – ١٩٦١)، قائد أوركسترا مسرح المارينسكي، الذي عاش

وعمل في مدينة ڤيتيبسك. انظر: ماليكو ن. أ. سنوات التحول // ن. أ. ماليكو. مذكرات. مقالات. خطابات. لينينجـراد، ١٩٧٢. انظـر كذلك: يودين ج. ى. أبعد من حدود الأيام الماضية. من مذكرات قائد أروكسترا. موسكو: دار نشر موزيكا، ١٩٧٧، ص ٥ – ٣٥. وقـد عمل ميخائيل باختين مدرسًا لعلم جمـال وفلـسفة الموسـيقى فـي الكونسرڤـاتوار الوطني في ڤيتيبسك منذ ديسمبر ١٩٢٠. واسـتمر عمله في التدريس في مدرسة ڤيتيبسك الموسيقية الفنية التي حلـت محل الكونسرڤـاتوار الوطني.

٢٦ في خطابه إلى مدير كونسرڤـاتوار ڤيتيبسك في عام ١٩٥٤، يطلـب باختين إرسال مذكرة تدعم استمراره في العمل في الكونسرڤـاتوار، ويحيط المدير علمًا بالمعلومات الآتية: "عملـت فـي كونسرڤـاتوار ڤيتيبسك الحكومي باعتباري عضوا في هيئة التدريس مدرسًا لعلـم الجمال من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤. وكنت قد التحقت بالعمـل عندما كان المدير هو ن. أ. ماليكو، وواصلت العمل عندما أصـبح بريسنياكوف هو المدير، ثم تركته في زمن المدير بوستنيكوف. ومن بين زملائي في العمل في الكونسرڤـاتوار في هذه الفترة البروفيسور دوباسوف والبروفيسور ڤ. ج. إيڤـانوڤـسكي والبروفيسور شـتاين وزيمين وكراسيلر وغيرهم. وقد تركت العمل بمحض رغبتي بسبب عودتي إلى لينينجراد. وعندما سافرت تركت مادة علم الجمال ليقـوم بتدريسها أ. أ. تسشوخر" (من أرشيف م. م. باختين).

٢٧ نيكولاي ألكسندروڤـيتش دوباسوف – عازف بيانو، مُدرس. فاز في عام ١٨٩٠ بالمركز الأول في أول مسابقة دولية لعـازفي البيـانو

والملحنين حملت اسم أ. ج. روبنشتاين. وفي الفترة من عام ١٨٩٤ وحتى ١٩١٧ قام بالتدريس في كونسرفاتوار بطرسبورج. وفي عام ١٩٠٢ أصبح أستاذًا، ومنذ عام ١٩١٨ قام بالتدريس في كونسرفاتوار ڤيتيبسك الوطني، حيث ترأس بدءًا من ١٩١٩ قسم البيانو. وفي الفترة من عام ١٩٢٣ وحتى ١٩٣٥ قام بالتدريس في كونسرفاتوار لينينجراد.

٢٨ ڤالنتين إيڤانوڤيتش بريسنياكوف (١٧٨٥ – ١٩٥٦) – فنان باليه، موسيقي. عمل منذ عام ١٩١٤ أستاذًا بكونسرفاتوار بطرسبورج، حيث أدار فصل المرونة والحركة على المسرح. ثم أصبح منذ عام ١٩٢١ مديرًا لكونسرفاتوار ڤيتيبسك الوطني ثم مديرًا لمدرسة ڤيتيبسك الصناعية الموسيقية.

٢٩ أنشيء معهد ڤيتيبسك الوطني الفني في خريف عام ١٩١٨ على يد مارك شاجال، الوكيل المفوض في محافظة ڤيتيبسك. وكان أول مدير لهذا المعهد هو م. ڤ. دوبوچينسكي؛ الذي انتقلت رئاسة المعهد منه، بعد رحيله من ڤيتيبسك في ربيع عام ١٩١٩، إلى شاجال. وقد بدأت الدراسة رسميًا في المعهد في يناير عام ١٩١٩. وقام بالتدريس فيه شاجال وعائلته، ل. م. ليسيتسكي، ڤ. م. يرمولايڤا، ن. أ. كوجان، وجميعهم كانوا يعيشون في ڤيتيبسك. وفي المنزل رقم ١٠، شارع بوخارين أقام كازيمير ماليڤيتش. وبعد رحيل شاجال إلى موسكو في صيف ١٩٢٠، تم تعيين الفنانة ڤ. م. يرمولايڤا (١٨٩٣ – ١٩٣٨) مديرًا لمعهد ڤيتيبسك الوطني الفني،

ثم أصبحت بعد ذلك رئيسًا لمعهد ڤيتيبسك الفني التطبيقي. لم يشغل ق. س. ماليڤيتش (١٨٧٨ – ١٩٣٥) مطلقًا منصب مدير المعهد، لكنه كان رئيسًا لمجلس الأساتذة. على أن هذا المنصب كان يتيح له في الواقع أن يكون الرئيس الفعلي للعمليات الفنية في المعهد كافةً.

٣٠ رُسمت لوحة "المربع الأسود" في عام ١٩١٥، وقد اعتبرها ماليڤيتش بداية لعصر جديد في الفن هو عصر السوبرماتيزم، وقد عرضت آنذاك في آخر معرض مستقبلي عُرِف باسم "صفر – عشرة" في بتروجراد. استمر عصر السوبرماتيزم في تاريخ ماليڤيتش حتى عام ١٩٢٧.

٣١ قبيل الحرب العالمية الأولى، أقام رجل بنوك ومالك للعديد من المساكن، يُدعى إ. ڤ. ڤيشنياك منزلا خاصًا به في شارع ڤوسكريسينيا يحمل الرقم ١٠. وفي عام ١٩١٨ قامت السلطات السوڤيتية بمصادرة المنزل. وفي شهر نوفمبر من العام نفسه نقلت ملكيته ليصبح تابعًا لمعهد ڤيتيبسك الفني الشعبي، وفي الشهر نفسه أعيدت تسمية الشارع ليصبح بوخارين (العنوان الحالي للمبنى الذي شغله المعهد في السابق هو شارع براڤدا رقم ٥).

٣٢ تعود علاقات الصداقة الحميمة بين باختين وماليڤيتش في الأغلب إلى الموسم الدراسي ١٩٢١/١٩٢٢، عندما استقر باختين في ڤيتيبسك في عام ١٩٢٠. وكان ماليڤيتش قد وصل إليها في نوفمبر ١٩١٩، ليغادرها في نهاية ربيع ١٩٢١ (للمزيد من التفاصيل عن حياته ونشاطه في هذه المدينة انظر: شاتسكيخ أ. ماليڤيتش في

ڤيتيبسك // مجلة إيسكوستڤو (الفن)، ١٩٨٨، العدد ١١، ص ٣٨ – ٤٣). في الأشهر الأولى من عام ١٩٢١ مَرِض باختين بشدة وأجرى جراحة، بينما قضى ماليڤيتش هذه الفترة، من شهر أبريل وحتى نهاية صيف ١٩٢١، في موسكو.

كان السبب المباشر وراء التعارف هو زيارة باختين وزوجه للمبنى القائم في ١٠ شارع بوخارين، حيث معهد ڤيتيبسك الفني التطبيقي، الذي كان ماليڤيتش يقيم فيه، والذي يعود الفضل في تأسيسه إلى مبادرة مارك شاجال. وكان شاجال قد أقام أيضًا متحف الفن الحديث، الذي عرض كل أطياف الفن الروسي في مطلع القرن، ابتداء من أتباع مدرسة عالم الفن إلى أصحاب الاتجاهات اليسارية المتطرفة. لم يكن هناك مبنى منفصل لمتحف الفن الحديث، وطوال وجوده (١٩١٩ – ١٩٢٣) ظل المتحف في شارع بوخارين. واستنادًا إلى وصف ظروف اللقاء، فقد جاء باختين وزوجه للتعرف على معروضات المتحف، وكانت موزعة هنا وهناك، وحتى في الغرف التي كان يدرس بها الطلاب. كانت الدعاية للفن الجديد دائمًا واحدة من أوجه النشاط الرئيسية لدى ماليڤيتش. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الفترة التي عاشها ماليڤيتش في ڤيتيبسك كانت مكرسة لكتابة أعماله النظرية والفلسفية ووضع القوانين التي قام بتهذيبها في محاضراته للطلاب وفي عدد من الإصدارات التي كانت تنشر في ڤيتيبسك. وفي عام ١٩٢٠ ظهرت بين جدران هذا المعهد أونوڤيس (جمعية مؤسسي الفن الجديد)، التي تكونت من أنصار ماليڤيتش من

الشباب، المتحمسين للدعاية لأفكار السوبرماتيزم. وقد جرَّب باختين وزوجه بأنفسهما أيضًا قوة الإيمان "بهذا المحرض الرائع، صاحب الرسالة، المبشر بعقيدة السوبرماتيزم" (بونين ن. ن. الشقة رقم ٥. فصول من المذكرات // مجلة بانوراما الفنون، العدد ١٢، موسكو، ١٩٨٩، ص ١٨٣).

٣٣ تعرف ماليـڤيتش على خليبنيكوف وتوطدت علاقتهما منذ بداية العقد الأول من القرن العشرين. وقد وضع ماليـڤيتش بوصفه فنانًا الصور التوضيحية لكتب: خليبنيكوف ڤ، كروتشينيخ أ. جورو ى. دار نشر ترويه. سان بطرسبورج، ١٩١٣، كروتشينيخ أ، خليبنيكوف ڤ. الكلمة كما هي/ رسوم ك. ماليـڤيتش وأ. روزانوڤا. سان بطرسبورج، ١٩١٣؛ كروتشينيخ أ. الانتصار على الشمس / المقدمة ڤ. خليبنيكوف. سان بطرسبورج، ١٩١٣؛ كروتشينيخ. خليبنيكوف. اللعب في الجحيم / رسوم ك. ماليـڤيتش وأ. روزانوڤا. طبعة فريدة، سان بطرسبورج، ١٩١٤؛ خليبنيكوف ف. زئير! قفاز. سان بطرسبورج، ١٩١٤.

في ربيع عام ١٩١٧ قام خليبنيكوف بضم ماليـڤيتش إلى حكومة الكرة الأرضية وقد أصبح الأخير بعد ذلك واحدًا من رؤساء هذه الحكومة. أطلق خليبنيكوف، بصفته شاعرًا، على النِسَب ومضاعفات الرقم ٣٦٥ المقدس في "الرسوم المُظَلَّلة" عند ماليـڤيتش اسم الرسوم السوبرماتيزمية لعامي ١٩١٦ – ١٩١٧، التي تسعى للتعبير عن الخبرة الكونية الجديدة للإنسانية. وقد عكف خليبنيكوف على تحليل

هذه الأفكار في المقولات التي طرحها في مقاله المسمى "رأس الكون، الزمن في المكان" (الأرشيف الحكومي الروسي، ملف ٦٦٥). وقد كرّس عدد من الباحثين الأجانب كتابًا تناولوا فيه التفاعل بين إبداع الفنان السوبرماتيزمي والفنان المستقبلي بعد أن ظلوا سنوات طويلة يدرسون هذه الإشكالية (انظر: *Crone R, Moos D. Kazimir Malevich: The Climax of Disclouser. London, 1991).*

٣٤ في النصف الأول من التسعينيات من القرن التاسع عشر أنهى ماليـڤيتش خمسة فصول دراسية في المعهد الزراعي في قرية بارخوموفكا بالقرب من منطقة بيلوبولي (أوكرانيا – المترجم). في الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩١٠ درس في مدرسة ف. إ. ريربيرج الخاصة للفنون في موسكو. لم تفلح محاولاته للالتحاق في معهد موسكو للرسم والنحت والعمارة والتي بذلها في عام ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧. وكان ماليـڤيتش يصف نفسه في استمارات الالتحاق التي قدمها باعتباره هو الذي علَّم نفسه بنفسه.

٣٥ نشر ماليـڤيتش إبان حياته سبعة مؤلفات تضم أعماله النظرية، من بينها خمسة صدرت في سنوات وجوده في ڤيتيبسك. الأرجح أن باختين يعني هنا الكتيب المطبوع بطريقة الليتوجرافيا والمعنون "عن النظم الجديدة في الفن"، والذي نشر في ديسمبر عام ١٩١٩ في ڤيتيبسك؛ فضلا عن إهداء المؤلف نسخة من هذا الكتيب إلى باختين.

٣٦ في البداية كان مصطلح "سوبرماتيزم"، الذي جاء من البولندية، وهي اللغة الأم للفنان، يعني المرحلة العليا لتطور فن الرسم، حيث تهيمن طاقة اللون على كل ما عداها. وفيما بعد، ونظرًا لتطور الأسس

النظرية، التي ابتدعها ماليـڤـيتش، حملت الكلمة مـضمونًا فلـسفيًا. وهناك عمل من أعمال ماليـڤـيتش، كتبه أثناء وجوده فـي ڤيتيبسك، ويحمل اسم "السوبرماتيزمية بوصفها إدراكًا خالصًا".

٣٧ كانت فكرة "تعدد الأبعاد" شائعة في أوساط الطليعيين الروس، وقـد أدت إلى ظهور مفهوم "البعد الرابع"، الذي دعا إليه الفيلسوف المثالي ب. د. أوسبينسكي (١٨٧٨ – ١٩٤٧) في كتابيه: "البعد الرابع" (سان بطرسبورج، ١٩٠٩؛ الطبعة الثانية، سـان بطرسـبورج، ١٩١١) و"الـسبيل إلـى كـشف ألغـاز العـالم. ***Tertium Oranum***" (سـان بطرسبورج، ١٩١١). كان ماليـڤـيتش يقاسم حلقته وجهـات نظـر الفيلسوف، بشأن إمكانية فهم "أفكار الفضاء الأعلى، بما لديـه مـن أعداد أكبر من الأبعاد التي لدينا" (البعد الرابع – الطبعة الثانية. ص ٩٣). على أن تصورات ماليـڤـيتش عن تعدد الأبعـاد قـد تحولـت بصورة كبيرة في النصف الثاني من العقد الأول من القرن العشرين؛ وخاصة عندما أعلن في مؤلفاته التي كتبها فـي ڤيتيبسك أن البعـد الخامس هو الاقتصاد. (انظر: "الوضع أ"، الفصل الأخير من كتـاب ماليـڤـيتش" عن الأنظمة الجديدة في الفن". ڤيتيبسك، ١٩١٩. انظـر أيضًا: ماليـڤـيتش ك. الأعمال الكاملة في خمـسة أجـزاء. الجـزء الأول: جيليا، ١٩٩٥. ص ١٨٣ – ١٨٤). حلقة مـشكلات "البعـد الرابع" في فنون القرن العشرين، بما فيها فن الطليعيين الروس، تـم تحليلها في كتـاب: ***Hendrson L. The Four Dimension and Non – Euclidean Geometry in Modern Art. Princeton, 1983.***

٣٨ وصلت الإشاعات التي ترددت عن مرض ماليـڤـيتش، بداهـة، إلـى مسامع باختين الذي كان يعمل آنـذاك محاسـبًا فـي المنفـى فـي

كوستاناي، على أن المرض، الذي أودى بحياة هذا الفنان إلى القبر، كان مرضًا مختلفًا، فقد توفي ماليـڤـيتش في الخامس عشر من مـــايو ١٩٣٥، جرّاء إصابته بسرطان البروستاتا في لينينجراد فـــي شـــقته الواقعة في البيت الذي كان يشغله المعهد الحكـــومي للثقافـــة الفنيـــة (شارع سويوز سڤـيازي، منزل رقم ٢). وكان الفنان فـــي ســـنواته الأخيرة يعمل في المتحف الروسي.

٣٩ "السوبرمات" – مصطلح حديث خاص صكّه بـــاختين، يتـــردد فيـــه بوضوح صوت الاصطلاح الذي اشتقه ماليـڤـيتش (الـــسوبرماتيزم) ويعني باختين بـــه البنيـــة المعماريـــة، ثلاثيـــة الأبعـــاد للنمـــاذج السوبرماتيزمية، التي صممها ماليـڤـيتش في منتصف العشرينيات في المعهد الحكومي للثقافة الفنية (١٩٢٤ – ١٩٢٦)، الذي كان مـــديرًا له. وقد شكّلت العناصر المعمارية بناءً متنوعًا، شمل البناء الرأسي. واصل ماليـڤـيتش العمل على هذه العناصـــر فـــي لجنـــة الدراســـة التجريبية للثقافة الفنية في المعهد الحكومي لتاريخ الفن، الذي انتقـــل إليه القسم الذي كان يعمل به في المعهد الحكومي للثقافة الفنية، بعـــد أن تم هدمه في عام ١٩٢٦. أما باختين، الذي أصبح محاضرًا زائرًا في المعهد الحكومي لتاريخ الفن، فقد أصبح بمقدوره أن يتقابل مـــع ماليـڤـيتش في المعهد، وأن يرى هذه العناصر المعمارية. بداهة، فقد استمر تبادل الآراء بينهما في تلك الأعوام إبان لقاءاتهمـــا العـــابرة باعتبارهما زميلين. لم يكـــن الإبـــداع الـــسوبرماتيزمي لماليـڤـيتش معروفًا في الولايات المتحدة الأمريكية فـــي العـــشرينيات؛ بيـــد أن ملاحظات باختين كانت دقيقة للغاية؛ حيـــث إن ماليـڤـيتش نفـــسه،

والفنانين، الذين تعلموا في مدرسة السوبرماتيزم (وعلى رأسهم إل. ليسيتسكي) رأوا في عمارة ناطحات السحاب الأمريكية دليلا على صحة وموضوعية المرحلة السوبرماتيزمية في تطور الفن والعمارة. وعلى هذا النحو جاء الكولاج المشهور الذي وضعه ماليڤيتش، والذي قدّم فيه صورة فوتوغرافية لمنهاتن مع رسم مُلصَق لعنصر معماري رأسي سجل، من الناحية الأسلوبية، منظرًا كاملا لمدينة.

٤٠ في ڤيتيبسك تشكلت حول ماليڤيتش حلقة من التلاميذ المخلصين والتلميذات – دخلت التاريخ باسم أونوڤيس (انظر: شاتسكيخ أ. أونوڤيس – بؤرة العالم الجديد // المدينة الفاضلة العظيمة. الطليعة الروسية والسوڤيتية ١٩١٥ – ١٩٣٢. كتالوج المعرض. موسكو، ١٩٩٣. ص ٧٢ – ٨٣).

٤١ يوري مويسييڤيتش بن (١٨٥٤ – ١٩٣٧) – رسام، المعلم الأول لمارك شاجال.

٤٢ ألكسندرا ڤينيا مينوڤنا آزارخ – جرانوڤسكايا (١٨٩٢ – ١٩٨٠) – ممثلة ومخرجة، أرملة المخرج المسرحي أ. م. جرانوڤسكي. وقد سجّل ڤ. د. دوڤاكين ذكرياتها وذلك في الأعوام ١٩٦٨، ١٩٧٢ و١٩٧٣. (أرشيف جامعة موسكو الحكومية). نشرت المحاورات في كتاب: آزارخ – جرانوڤسكايا أ. ڤ. محاورات مع ڤ. د. دوڤاكين. القدس؛ موسكو: دار نشر جيشاريم – جسور الثقافة، ٢٠٠١.

٤٣ ل. ى. بريك (كاجان) أنهت ثانوية ل. إ. ڤاليتسكايا في موسكو. وقد حكت عن ذلك بنفسها في محاوراتها مع ڤ. د. دوڤاكين في الثامن من مايو ١٩٧٣ (أرشيف جامعة موسكو الحكومية).

٤٤ بناءً على سجلات الأرشيف، فقد ظل باختين في ڤيتيبسك حتى مايو ١٩٢٤.

٤٥ جرى تسجيل الزواج في السادس عشر من يوليو ١٩٢١، وقد وُصفت في وثيقة تسجيل زواج ى. أ. أوكولوفيتش (١٩٠١ – ١٩٧١) بأنها "عذراء مدينة بولوتسك" (أرشيف م. م. باختين).

٤٦ بيشينكوڤيتشي، مركز بولولتسك، محافظة ڤيتيبسك. ذكرت نينا أركاديڤنا ڤولوشينوڤا، أرملة ڤ. ن. ڤولوشينوڤ (١٨٩٤ – ١٩٣٦) في محاورتها لكاتب هذه التعليقات في أبريل ١٩٧١ اسم الضيعة المذكور عاليه.

٤٧ پاڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ (١٨٩٢ – ١٩٣٨) – باحث في الدراسات الأدبية، معلم، شخصية اجتماعية وثقافية، صديق م. م. باختين في سنوات ڤيتيبسك (انظر بشأنه مقال: ميدڤيديڤ ى. ب. "كان عددنا كبيرًا في قارب..." // مجلة الحوار. الكرنڤال. الكرونوتوب، ١٩٩٢. العدد الأول. ص ٨٩ – ١٠٨). الصادرة باسمه في كتاب "المنهج الشكلاني في الدراسات الأدبية" (لينينجراد، ١٩٢٨) ويتناول المقال الإشكاليات نفسها عن قضية التأليف، التي تناولها كتاب ڤ. ن. ڤولوشينوڤ وفي مقالاته أيضًا (انظر التعليق رقم ٣٠ على المحاورة الثانية). وعن المساعدة التي قدمها ميدڤيديڤ له لدى عودته إلى منفاه في كوستاناي واشتغاله بالتدريس في سارانسك، يتحدث باختين في المحاورة الخامسة من هذا الكتاب. وبعد ذلك مباشرة تعرض ب. ن. ميدڤيديڤ للاضطهاد ثم الوفاة.

٤٨ "الطريق الإبداعي لبلوك" – مقال كبير كتبه ب. ن. ميدفيديف في المنتخب التمهيدي "ذكريات بلوك" (براج، ١٩٢٢).

٤٩ تسجيلات محاضرات باختين وسلسلة الدروس التي ألقاها في اجتماعات حلقته، أعدها ل. ف. بومبيانسكي ونشرها في كتاب: م. م. باختين باعتباره فيلسوفاً. موسكو، ١٩٩٢. من ص ٢٢١ إلى ص ٢٥٢ (إعداد ونشر ن. إ. نيكولايف). موضوعات الدروس – فلسفة كانط والكانطية الجديدة المعاصرة، وكذلك ما يخص قضايا الفلسفة الدينية بشكل رئيسي "بتوسع". وقد ذكر باختين بعض موضوعات الكتيبات والتقارير في محاضر التحقيقات في القسم السياسي (أو. جي. بى. أو) في السادس والعشرين والثامن والعشرين من ديسمبر ١٩٢٨ (انظر: كونكين س. س، كونكينا ل. س. ميخائيل باختين. سارانسك، ١٩٩٣. ص ١٨٠ – ١٨٣).

٥٠ تاتيسانا لـفوفنا شيبكينا – كوبرنيك (١٨٧٤ – ١٩٥٢) – كاتبة مسرح، شاعرة، مترجمة. في محضر التحقيق الذي جرى في الثامن والعشرين من ديسمبر وصف باختين شقة شيبكينا – كوبرنيك بأنها كانت واحدة من الأماكن التي ألقى فيها محاضراته وبحوثه الفلسفية والجمالية (المرجع السابق أيضًا ص ١٨٢ – ١٨٣).

٥١ بوريس بوريسوفيتش بولينوف (١٨٧٧ – ١٩٥٢) – عالم في التربة والجيوكيمياء، أكاديمي.

٥٢ ألكسندر (آلبرت) روبيرتوفيتش سترومين (١٩٠٢ – ١٩٣٨) – تخصص منذ نهاية العشرينيات ومطلع الثلاثينيات، باعتباره محققًا

في القسم السياسي بمدينة لينينجراد، في قضايا المثقفين، ومن بينهم، إلى جانب باختين، أ. أ. ماير، ن. ب. أنتسيفيروف، ى. ف. تارلي، د. س. ليخاتشوف. وكان منصب رئيس إدارة الشئون الداخلية لمنطقة ساراتوف "قد ألغي" في عام ١٩٣٨. حكى باختين لكاتب هذه التعليقات في الحادي والعشرين من نوفمبر ١٩٧٤: "جرى اعتقالي ليلة عيد الميلاد عام ١٩٢٨. قام بالقبض عليّ شخصان: أحدهما شخص سمج، والآخر يهودي، دمث الخلق. عندما شاهد أعمال هيجل لديّ بالألمانية قال لي باحترام هل أنت فيلسوف؟" ثم ذهبنا بعد ذلك إلى إدارة، المساجين السياسيين، ثم إلى الزنزانة. لم تكن الظروف سيئة. سمحوا لي بالكتابة. كانت الاستجوابات نادرة، قليلة. المحققان: بتروف إيفان فيليبوفيتش، رئيس القسم الثاني، وستروميين – ستروويف. تحدثا معي باحترام. وبعد ذلك تم استبعادهم بطبيعة الحال. أذكر أن تارلي كتب لي بنبرة المنتصر: "هل تعرف، لقد استبعدوا جماعتنا". لكنني لم أستطع أن أشاطره هذا الانتصار.

المحاورة الرابعة

شرائط التسجيل أرقام ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩.

١ نُشرت مقالة الأخوين تور الهجائية في صحيفة ليننجراد سكايا براقدا" (وليس في صحيفة "كراسنايا جازيتا") في الرابع عشر من يونيو ١٩٢٨، قبيل عام ونصف من اعتقال باختين، وقد تناولت بالنقد حلقتين كانتا مهتمتين بالفلسفة الدينية، تم القضاء عليهما في ربيع العام نفسه، وهما "أكاديمية العلوم الكونية" و"الإخوة سيرافيم ساروفسكي": وقد جرى تصنيف الحلقتين في هذا المقال باعتبارهما منظمتين ملكيتين معاديتين للثورة. ومن بين الأسماء التي ذكرها باختين، والتي كانت في عداد حلقته إ. م. أندرييفسكي و ف. ل. كومارو فيتش، وقد ورد ذكرهما في المقال.

٢ كان من المحتم أن يصبح الأكاديميان س. ف. بلاتونوف وى. ف. تارلي هما الشخصيتان الرئيسيتان اللتان قامت إدارة أمن الدولة أو. (جي. بي. أو) بالإعداد للزج بهما في "قضية الأكاديميين" أو "قضية المؤرخين". وقد تم اعتقالهما في مطلع عام ١٩٣٠. لكن المحاكمة لم تنعقد، على أن اسمي هذين الأكاديميين كانا يترددان باستمرار في قضية الحزب الصناعي التي نُظرت في مطلع ذلك العام: وقد اتهما بقيادة مؤامرة ملكية يصبح بلاتونوف نتيجة لها

رئيسًا للحكومة القادمة، بينما يصبح تارلي وزيرًا للخارجية (انظر: الذاكرة. منتخب تاريخي. الإصدار الرابع، ١٩٨١. ص ١٣٠ – ١٣٥، ٤٦٩– ٤٩٥).

٣ اتُهم باختين في قضية إنشاء "تنظيم غير شرعي"، عمل على مدى عدة سنوات في لينينجراد تحت اسم "الأحد". ورد الاتهام المذكور في قرار رئاسة محكمة مدينة لينينجراد في ٣٠ مايو ١٩٦٧، ثم أعلنت المحكمة إلغاء القرار وقررت "أن المتهمين لم يقوما بإنشاء أية تنظيم".

٤ تم استدعاء ڤاسيلي ليونيدوڤيتش كوماروڤيتش (١٨٩٤ – ١٩٤٢) في قضية "أكاديمية العلوم الكونية" و"الأخوة سيرافيم".

٥ *Dostojewski F.M. Die Urgestalt der Brüder Karamasoff. Dostojewskis Quellen. Entwürfe und Fragmente. Erläutent von W.Komarovitsch. München, 1998.*

٦ كوماروڤيتش ڤ. أسطورة مدينة كيتيج. موسكو؛ لينينجراد، ١٩٣٦.

٧ كوماروڤيتش ڤ. رواية "المراهق" باعتبارها وحدة فنية // دستويڤسكي. مقالات ومواد / المحرر أ. س. دولينين. المختارات، الجزء الثاني. لينينجراد، ١٩٢٤.

٨ بوريس ميخايلوڤيتش إنجلجاردت (١٨٨٧ – ١٩٤٢)، متخصص في الدراسات الأدبية وفيلسوف، اعتقل في نوفمبر ١٩٣٠ لصلته "بقضية الأكاديميين". زوجته ناتاليا يفجينيڤنا جارشينا – إنجلجاردت، ابنة أخ الكاتب فسيڤولد جارشين، انتحرت عند اعتقاله.

٩ س. ل. فرانك و إ. أ. إيلين تم نفيهما من الاتحاد السوڤيتي في عام ١٩٢٢.

١٠ عاش باختين في المنفى في كوستاناي من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٤، بينما عاش تارلي في ألما – أطا من ١٩٣١ إلى ١٩٣٣.

١١ إيـڤـان ميخايلوڤـيتش أندرييـڤـسكي (حوالي ١٨٩٠ – ١٩٧٦) – طبيب نفساني وشخصية دينية، أخ للشاعرة ماريـا شكابـسكايا، مؤسس ورئيس حلقة "الأخوة سيرافيم ساروفسكي" وحلقة "أكاديميـة العلوم الكونية". حكم عليه بالسجن عشر سنوات في سجن سولوڤـتسكي. لمزيد من التفاصيل عن قصة "الأخوة" وكذلك قـصة نشاط إ. م. أندرييـڤـسكي انظر: أنطونوف ڤ. ڤ. الأخوة سيرافيم ساروفسكي. مدخل إلى تاريخ الحركة الأرثوذوكسية في بتروجراد. "حوليات أبرشية سان بطرسبورج"، ١٩٩٦. الإصدار ١٦ـ ص ٤٤ – ٤٩؛ المصدر نفسه ١٩٩٦. الإصـدار ١٧، ص ٩٣ – ٩٩. ص ٩٣ – ٩٩. جزء كبير من قرار الاتهام الذي أصدرته لجنـة أمـن الدولة أو (جي. بى. أو) يأتي تحت عنوان "فلول الأخـوة سـيرافيم ساروفسكي" (الحوار: الكرنـڤـال. الكرونوتوب، ١٩٩٩. العدد ٤. ص ١٠٦–١١٣). يأتي د. س. ليخاتشوف في ذكرياته عن معـسكر سولوڤـتسكي، ويصفه بأنه "شخصية دينية متطرفة" (انظر: مجلـة قضايا الفلسفة، ١٩٩٢. العدد ٧. ص ٩٢). شغل فـي الفتـرة مـن الخمسينيات إلى السبعينيات منصب أستاذ في أكاديمية اللاهوت فـي چوردانفيل (الولايات المتحدة الأمريكية) وأصدر عددًا من الكتب في تاريخ الدين والأدب الروسي باسم إ. م. أندرييـڤ.

١٢ اعتقل باختين في الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٢٨، وصدر الحكم عليه في الثاني والعشرين من يوليو ١٩٢٩، ونُفي إلى كوستاناي في مارس ١٩٣٠.

١٣ أناستاسيا نيكولايـــڤـــنا تشيبوتاريـــڤـــسكايا (١٨٧٦ – ١٩٢١)، مترجمة وناقدة، غرقت إما في نهر مالايا نيـــڤـــا أو فـــي ترعـــة چدانوڤكا في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٢١. لم يُعثـــر علـــى جثمانها إلا في الثاني من مايو ١٩٢٢.

١٤ نشرت للمرة الأولى في مجلة قضايا الأدب، ١٩٧٧، العدد ٨ (الناشر ن. ن. نيكولايـــڤ). انظر أيـــضًا: بومبيانـــسكي ل. ف. التقاليـــد الكلاسيكية. موسكو، ٢٠٠٠، ص ١٩٧ – ٢٠٩.

١٥ جيورجي يفيـــموڤـــيتش جورباتـــشوف (١٨٩٧ – ١٩٤٢) ناقـــد شيوعي، عضو جماعة الأدب البروليتاري (راب).

١٦ أكيم لـــڤـــوڤـــيتش ڤـــوليـــنـــسـكي (فليكـــسر؛ ١٨٦١ – ١٩٢٦) ناقد، كاتب مقالات في علم الجمال.

١٧ كنيته الحقيقية ف. ك. سولوجوب (١٨٦٣ – ١٩٢٧) (سولوجوب – الاسم الأدبي المستعار). قضى سولوجوب سنوات عديدة من شبابه مدرسًا.

١٨ كتاب الأفراح. أبجدية الرقص الكلاسيكي. لينينجراد، ١٩٢٥.

١٩ مختارات سولوجوب الشعرية ١٩٢١ و١٩٢٢.

٢٠ سعى سولوجوب للسفر إلى الخارج هو وزوجته منذ عـــام ١٩٢٠. انتحرت أ. ن. تشيبوتاريـــڤـــسكايا بعد أن تسلمت الموافقة (انظـــر: خوداسيـــڤيتش ڤ. ف. مدينة الموتى. موسكو، ١٩٩١. ص ١٢١).

٢١ ألكسندرا نيكولايـــڤـــنا تشيبوتاريـــڤـــسكايا (١٨٦٩ – ١٩٢٥) – مترجمة. انتحرت مثل أختها: ألقت بنفسها في نهر موسكو من فوق جسر بولشوي كامينـــسكي فـــي فبرايـــر ١٩٢٥ بعـــد دفـــن م. أ. جيرشينزون (المصدر السابق. ص ١٨٩).

٢٢ انظر تسجيل محاضرات باختين عن ف. سولوجوب، وهي محاضرات شفهية في تاريخ الأدب الروسي، وقد قرأها باختين في بيته في العشرينيات (سجلتها ر. م. ميركينا): الحوار. الكرنفال. الكرونوتوب، ١٩٩٣. العددان ٢-٣. ص ١٤٦ – ١٥٥.

٢٣ الاسم الأول لرواية سولوجوب "الأسطورة المُبْدَعة" (١٩٠٧ – ١٩١٤).

٢٤ ف. د. دوفاكين يخطيء هنا: فهو يقرأ على نحو غير دقيق قصيدة جوميلوف "الشيطان الذكي"، ١٩٠٦ (انظر: جوميلوف ن. قصائد وأشعار. لينندجراد، ١٩٨٨. ص٨٨)، التي كتبها الشاعر على نهج قصيدة سولوجوب "عندما كنت أسبح في البحر العاصف..."، ١٩٠٢ (سولوجوب ف. أشعار. لينندجراد، ١٩٧٥. ص ٢٧٨).

٢٥ المصدر السابق. ص ١٢٠.

٢٦ المصدر السابق. ص ٣٤٥.

٢٧ ألكسندر ميخايلوفيتش دوبروليوبوف (١٨٧٦ – ١٩٤٥؟) – شاعر وباحث ديني، جوّال – ينتمي لإحدى الطوائف. انظر بشأنه: إيفانوفا ى. ف. ألكسندر دوبروليوبوف – لغز عصره // مجلة نوفوي ليتيراتورنوي أوبوزرينيا (المراقب الأدبي الجديد)، ١٩٩٧. العدد ٢٧ ص ١٩١ – ٢٣٦.

٢٨ بونين إ. أ ذكريات. باريس، ١٩٨١. ص ٩١.

٢٩ من خطاب بلوك إلى ى. ب. إيفانوف المؤرخ ٢٥ يونيو ١٩٠٦. (انظر: بلوك أ. الأعمال الكاملة. الجزء الثامن؛ لينينجراد، ١٩٦٣. ص ١٥٦). يقول بلوك: "وأندد بها لدى الآخرين".

٣٠ "الوهن"، من ڤيرلين (انظر: أنينيسكي إ. أشعار ومآسٍ. ليننجراد، ١٩٩٠. ص ٢٥٦). وعند أنينسكي "أمارس أسلوبي الذهبي"، "ألق الغروب الأرجواني"، "ليس لأن النحاس ثقيل، وإنما مختنق بالملل".

٣١ عند بلوك "من أجل العذاب، من أجل الموت..." (انظر: بلوك أ. الأعمال الكاملة. الجزء الثاني. موسكو؛ ليننجراد، ١٩٦٠. ص ٢٧٢ – ٢٧٣).

٣٢ وعند بلوك "... والحلم بلا حدود!" (المصدر السابق).

٣٣ سهو: يستشهد باختين من "آلهة اليونان" لشيللر في ترجمة فت (١٨٧٨)، لا ترجمة چوكوڤسكي. عند فت "أن تعيش خالدًا وسط الأناشيد...". – فت أ. قصائد وأشعار. ليننجراد، ١٩٨٦. ص ٥٥٥.

٣٤ يورد أناطولي نايمان هذه الكلمات لأخماتوفا في مذكراته (انظر: نايمان أ. حكايات عن أنّا أخماتوفا. موسكو، ١٩٨٩. ص ٩٦). الأرجح أن هذه الكلمات وصلت إلى باختين على نحو شفاهي قبل السبعينيات.

٣٥ بوشكين أ. س. يفجيني أونيجين. الفصل الخامس.

٣٦ بقيت هناك واقعتان تذكاريتان عن هذه المحاضرة التي ألقاها باختين في الأمسية المكرسة لبلوك: أبرز ج. ى. يودين، قائد الأوركسترا هذه المحاضرة باعتبارها "الأكثر تأثيرًا" من بين العديد من المحاضرات العامة التي ألقاها باختين في ڤيتيبسك (ألقيت المحاضرة إبان حياة الشاعر، وفي ختام المحاضرة ألقى المحاضر قصيدة "حديقة البلبل". – وراء حدود الأيام الغابرة. من مذكرات قائد

أوركسترا. موسكو، ١٩٧٧. ص ٢٠)، و ر. م. ميركينـــا (انظـــر: مجلة المراقب الأدبي الجديد، ١٩٩٣. العدد ٢. ص ٦٦).

٣٧ "كن على يقين": "آنذاك كنت تنعم بالحرية / تفخر بـــسعادتك!" – مـــن قصيدة بلوك "عندما تدخل إلى العالم الفسيح" (١٩٠٩) (انظر: بلـــوك أ. الأعمال الكاملة. الجزء الثالث. موسكو؛ لينتجراد، ١٩٦٠. ص ٧٣).

٣٨ الأبيات الأخيرة من قصيدة بلوك "القصاص" يقول بلـــوك: "وتتثاقـــل رموش أخرى..."، "وتدرك الأذن حياة أخرى، / لم تكـــن لتـــدركها نهارًا..."، "وفي هذه اللحظة الفريدة...". *Quantum satis* – بأقـــصى حد (باللاتينية) – قول مأثور لبراند، بطل مسرحية إيسن التي تحمل الاسم نفسه (المصدر السابق. ص ٢٤٤).

٣٩ مذكرات ألكسندر بلوك فـــي جـــزأين. لينتجـــراد، ١٩٢٣؛ مفكـــرة "ألكسندر بلوك. لينتجراد، ١٩٣٠. كـــلا الكتـــابين بتحريـــر ب. ن. ميدڤـــيديـــڤ.

٤٠ يتحدث باختين هنا عن العمل الكبير الذي كتبـــه ڤ. ڤ. ڤـــايدلي تحت عنوان "بعد الاثني عشر". وضع الصليب على قبـــر ألكـــسندر بلـــوك"، وهـــو منـــشور فـــي مجلـــة "ڤـــيـــستنيك روســـكوڤـــا ستودينتشيسكـــڤـــا خريستيانسكـــڤـــا دڤـيچـيـنيا" ("بـــشير الحركـــة الطلابية الروسية المسيحية") (باريس؛ نيويورك، ١٩٧١. الأعداد ٩٩ – ١٠٢)، التي كان يقرؤها آنذاك. ويبدأ المقال بحـــوار متخيـــل بـــين الكاتب – المهاجر ومستمع ما من الاتحاد السوڤـــيتي: "– ما الـــذي يشغلك؟ لم يكن هناك صليب على الإطلاق. أم تراك نسيت؟ إننا هنا في الاتحاد السوڤـــيتي، لا في روسيا – أعرف: لـــيس هنـــاك ثمـــة

صليب؛ ولكنى أعرف كذلك أنه كان موجودًا. لقد رأيته بنفسي. لقد شيعت بلوك إلى جبانة سمولينسكي" (المصدر السابق. العدد ٩٩. ص٨٥).

٤١ صورة فوتوغرافية لقبر بلوك وعليه الصليب – ذكرى بلوك / رئيس التحرير ب. ن. ميدڤيديڤ. الطبعة الثانية. براج، ١٩٢٣. ص١٢٢.

٤٢ أنّا سيرجييڤنا روجيڤيتش (١٨٨٧ – ١٩٨٥) – واحدة من أقرب أصدقاء باختين، حفيدة أنطون روبنشتاين، طبيبة أمراض مُعدية. كانت مديرة لهذا القسم في مستشفى بوتكين في لينينجراد في عام ١٩٣٣. وعن أنّا سيرجييڤنا روجيڤيتش وزوجها ڤلاديمير زينوڤييڤيتش روجيڤيتش (تعارفا في عام ١٩٢٠ في نيڤيل؛ حيث تعرف عليهما باختين عن قرب) كتبت أنّا فيودوروڤنا موچانسكايا، وهي ابنة الأب فيودور أندرييڤ (١٨٨٧ – ١٩٢٩)، وهو قس من بطرسبورج، تلميذ من أتباع الأب باڤل فلورنسكي، وكان والدها يحضر إلى بطرسبورج – لينينجراد في العشرينيات للاستماع إلى محاضرات م. م. باختين، كتبت أ. ف. موچانسكايا مقالا تحت عنوان "مصير أحفاد أنطون روبنشتاين" (مجلة "موزيكالنايا چيزن" ("الحياة الموسيقية") ١٩٩٤. العددان ١١–١٢. ص ٥١ – ٥٤.

٤٣ ديوان نيكولاي كليويڤ "الحوت البرونزي" (براج، ١٩١٩).

٤٤ الأبيات الأولى من قصيدة "الأم – السبت" (١٩٢٢) (انظر: كليويڤ ن. قصائد وأشعار. لينينجراد، ١٩٧٧. ص ٤٥٧).

٤٥ ڤاسيلي إيڤانوڤيتش بيلوف (وُلد في عام ١٩٣٢). الدواوين التي صدرت لبيلوف وقت إجراء المحاورات، - "قضية عادية"، "حكايات نجار"، "خلجان ڤولوجدا".

٤٦ الشطرة من ديوان "العقل للجمهورية ـ أما القلب فلروسيا الأم" من ديوان "الحوت البرونزي" (ص ٥٩).

٤٧ "وصلت القافلة محملة بالزعفران، / بالحرير والفيروز،/ تخطو على جراحنا، / ذات الدم الضحل..." شعر عام ١٩٢١ (انظر: قصائد وأشعار. ص ٤٠٩).

٤٨ حول كيفية قراءة كليويڤ لهينه في لغته الأصلية انظر مذكرات جيورجي إيڤانوف: إيڤانوف ج. أشعار. روما الثالثة. شتاءات بطرسبورجية. ظلال صينية. موسكو، ١٩٨٩. ص ٣٣٣؛ إيڤانوف ج. الأعمال الكاملة في ثلاثة أجزاء. الجزء الثالث: دار نشر "سوجلاسيا"، ١٩٩٤. ص ٦٨ – ٦٩.

٤٩ "اختار لقبًا له – كليويڤ، / ميكولاي المسالم" من قصيدة يسنين "يا روسيا، صفقي بجناحيك..." (١٩١٧) (انظر: يسنين س. الأعمال الكاملة في ستة أجزاء. الجزء الأول. موسكو، ١٩٧٧. ص ١٣٨).

٥٠ إيڤان إيڤانوڤيتش كانايف (١٨٩٣ – ١٩٨٣)، بيولوجي، مؤرخ علمي، صديق باختين في العشرينيات، قصَّ على كاتب هذه التعليقات عن أمسية باختين التي عقدت في شقة م. ڤ. يودينا الكائنة في كورنيش دڤورتسوڤايا؛ حيث ألقى الشاعر "أغاني البيت الريفي" (انظر: المراقب الأدبي الجديد، ١٩٩٣، العدد ٢، ص ٦٤ – ٦٩).

٥١ من قصيدة "البكاء على سيرجي يسينين" (١٩٢٦) (انظر: قصائد وأشعار. ص ٤٦٨). يقول كليويف "قسٌ من الفحم ومن صابون الحمامات".

٥٢ القصة الشائعة حول اعتقال كليويف بسبب الشذوذ الجنسي أطلقها (قبيل النصف الثاني من عام ١٩٣٣) رئيس اللجنة التنظيمية لاتحاد الكتّاب الروس آنذاك إ. م. جرونسكي في تقديره عن "الشعراء الريفيين" في الثلاثين من سبتمبر ١٩٥٩ الموجود في الأرشيف الحكومي للأدب والفن. – انظر: مجلة "مينوفشي جودي" ("السنوات الغابرة") التقويم التاريخي. المجلد الثامن. *Atheneum. Paris.* ١٩٨٩. ص ١٥٠ – ١٥١. وقد ورد في الملاحظات على هذه الطبعة ما يلي: "جرى اعتقال ن. كليويف في الثاني من فبراير ١٩٣٤ بناء على المادة ٥٨/١٠ (التحريض على الكولاك) وبعد أن قضى أربعة أشهر في السجن تم نفيه إلى منطقة ناريمسكي (انظر: كليتشكوف ج. س، سوبوتين س. إ. نيكولاي كليويف في السنوات الأخيرة من حياته: خطابات ووثائق // مجلة نوفي مير. ١٩٨٨. العدد ٨. ص ١٥٦، ١٦٨). يبدو أن المادة السياسية قد تم تطبيقها على كليويف بدلا من المدنية (المادة الخاصة بالشذوذ الجنسي باعتباره جريمة أدخلت إلى القانون الجنائى في عام ١٩٣٤) (المصدر السابق. ص ١٦١ – ١٦٢). وقد جرى نفي الشاعر ثم اعتقاله، ثم إعدامه رميًا بالرصاص لارتكابه "جرائم معادية للثورة"، وهي الحيثية التي وردت في وثائق وزارة الداخلية، وقد تم نشرها (نيكولاي كليويف: صورة العالم والمصير. تومسك، ٢٠٠٠. ص ٢١١-٢٢٣).

٥٣ نشرت رواية "الأجنحة" للمرة الأولى في مجلة "ڤيسي" (العدد ١١، ١٩٠٦).

٥٤ توفي م. كوزمين في الثالث من مارس ١٩٣٦.

٥٥ وصلت إلى مسامع باختين إشاعة غير مؤكدة مفادها أن م. إ. كوزاكوف لم يتعرض للاعتقال. وفي عام ١٩٣٧ وفي نهاية عام ١٩٤٠ تم إلقاء القبض على زوجته، بينما تعرض ميخائيل إيمانويلوڤيتش كوزاكوف نفسه للاضطهاد المتواصل (انظر: كوزاكوف م. م. مقاطع. موسكو: دار نشر إبسكوستڤو، ١٩٨٩. ص ١٠٧ – ١١٣).

٥٦ روچديستڤينسكي ڤ. الدب الأكبر. ديوان الشعر الغنائي (١٩٢٢ – ١٩٢٦). لينتجراد، ١٩٢٦. "روسيا غائبة إنها على الطريق الوعر..." (المصدر السابق. ص ٣٤). يستشهد باختين هنا بأبيات من الشعر من الذاكرة على نحو غير دقيق.

٥٧ يستشهد باختين، على نحو غير دقيق، بأبيات من قصيدة روچديستڤينسكي "روسيا غائبة! إنها على الطريق الوعر.." (المصدر السابق. ص ٣٤). يقول الشاعر: "قل للأطفال،/ وهم يتأملون الخرائط القديمة: ها هي. / قل لهم: كانت هناك/ دولة عظمى متوحشة./ دقت الساعة. بينما بلغت مصيبتها الرائعة عنان السماء، / لن يعود بمقدورها الغناء لنا، كما كانت تغني من قبل!".

٥٨ روچديستڤينسكي ڤ. أشعار (مكتبة الشاعر). لينتجراد، ١٩٨٥. ص ٥٥. يقول روچديستڤينسكي: "عن الحدائق، التي أحرقها ضوء

النجم"، "الملاك الأبله الساذج"، "ستكونين زوجتي، أنا على يقين من ذلك"، "مغادرًا النجوم ودست الجنان".

٥٩ يتذكر باختين على نحو متناثر أبياتًا من قصيدة فسيڤولد روچديستڤينسكي "ذكرى ألكسندر بلوك" (٧ أغسطس ١٩٢١) (انظر: روچديستڤينسكي ف. الدب الأكبر. ص ٣٥: "إنها الصدفة وحدها التي جعلت منها صديقة لك، / هذه الليلة التي اختارها القدر لتبيتها، دون صليب، / وللمرة الأولى تروح العاصمة الثلجية النشوانة، قارسة البرد / تقبل هذا الثغر للأبد .../ ثلاث شمعات هي العيون داكنة الخضرة،/ المطر في النافذة وفي الزوايا الحادة،/ تحت سترة سوداء مكرمشة، أرى كتفين يشبهان أجنحة متكسرة").

٦٠ جالينا تيموفييڤنا جريفتسوڤا – مدبرة منزل باختين في موسكو في الأعوام من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٤.

المحاورة الخامسة

الشرائط رقم ٣٠٠، ٣٠١. مدة المحاورة – ١٢١ دقيقة

انظر: ڤاجينوف كونست. خبرة الجمع بين الكلمات بواسطة الإيقاع. لينينجراد، ١٩٣١. ص ٤٥؛ شعراء جماعة "أوبيريو". سان بطرسبورج، ١٩٩٤ (مكتبة الشاعر، السلة الكبرى). ص ٤٤٢.

جروزديف إ. أساليب السرد الفني // مذكرات مسرح ب. ب. جايديبوروف و ن. ف. سكارسكايا، ١٩٢٢؛ جروزديف إ. القناع باعتباره أسلوبًا أدبيًا (تعليقًا على كتاب ى. تينيانوف "دستويڤسكي وجوجول" // حياة الفن، ١٩٢١. الأعداد ٨١١، ٨١٧ .

باڤل باڤلوڤيتش جايديبوروف، ممثل ومخرج (١٨٧٧ – ١٩٦٠) وناديچدا فيودوروڤنا سكارسكايا، ممثلة، أخت لـ ف. ف. كوميسارچيڤسكايا (١٨٦٩ – ١٩٥٨) أسسا مسرح الدراما المتنقل، استمر نشاطه في الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩٢٨.

نشر الشاعر هذه القصيدة مرة واحدة إبان حياته، ولكنها نُشرت غير مكتملة في مجلة "مذكرات مسرح مُتنقل" (١٩٢٣، العدد ٦٠، ٣٠ يوليو، ص ٣)؛ حيث حُذفت منها أربعة أبيات. نورد فيما يلي النص الكامل للقصيدة، أما الأبيات التي حذفت في المجلة فسوف نضعها بين قوسين: "أعيش راهبًا في شارع قنال يكاترينا رقم ١٠٥./ خلف

النوافذ تنمو أزهار الأقحوان والبرسيم البري، / ومن وراء البوابات الحجرية المحطمة / أسمع صرخات چورچيا وأذربيچان. / خبز من الذرة. ومياه آسنة. / لقد انهار معبد الجسد،/ وفي البراري تغني القبيلة، / وقد اندفعت خاضعة خلف الراية الحمراء. (ليس بإمكاني فعل شيء: سأذهب وأصلي / وأُقَبِّل الصليب المصنوع من شجر السرو. / اليوم تتصرفين بطيش يا روسيا،/ وفي الكرملين يصعد مُحمَّدُك الدَرَج.) وفوق الكرملين يظهر محمد أوليان:/ وهو إما علي، وإما علي رحمن!"/ تصطف الفرق وتندفع مرة أخرى، / يدعون الصين لرفع العلم الأحمر القاني بشجاعة. / لست بحاجة لشيء: فأنا في شرخ الشباب / فخور بروحي الجامحة. / أتطلع إلى غروب الأمبراطورية العظمى الشاسعة التي فيها حياتي".

نُشر النص الكامل لهذه القصيدة للمرة الأولى فى طبعة: ڤاجينوڤ ق: الأعمال الشعرية / الإعداد والكلمة الختامية والملاحظات ل. تشيركوف. ميونيخ، ١٩٨٢. ص ٧١.

٥ كتبت هذه القصيدة عام ١٩٢١، حسب ما أعلنه ڤ. إ. إيرل، الباحث وناشر شعر ڤاجينوڤ.

٦ مطلع قصيدة ماياكوڤسكي "أنا ونابوليون" (١٩١٥).

٧ انظر: ڤاجينوڤ ق. أشعار. لينينجراد، ١٩٢٦. ص ٣٤. يقول ڤاجينوڤ: "عن صديقتي الرائعة".

٨ انظر التعليقين الأول والسابع من هذه المحاورة.

٩ لم يظهر ڤاجينوڤ سوى فى الجزء التاسع الإضافي من الموسوعة الأدبية الموجزة (مقالة ت.ل. نيكولسكايا. موسكو، ١٩٧٨. العمود رقم ١٦٩).

١٠ اسم الرواية: "أعمال وأيام سفيستينوف" (لينينجراد، ١٩٢٩). نُشرت "أغنية الجَدى" فى مجلة "زفيوزيا" ("النجم") في عام ١٩٢٧، طبعة مستقلة – في عام ١٩٢٨.

١١ تختلط في شخصية ميشا كوتيكوف في "أغنية الجَدى"، التي يتذكرها باختين، ملامح شخصيات كل من ب. ن. ميدفيديف و ب. ن. لوكينتسكي، الأديب الذي جمع موادًا عن جوميلوف (انظر تعليقات ف. إ. إيرل فى كتاب: ڤاجينوف ق. أغنية الجَدى. روايات. موسكو، ١٩٩١. ص ٥٥٠). كوستيا روتيكوف – البطل الثاني للرواية.

١٢ ورد ما يلي في نص ڤاجينوف: "عاش في المدينة كائن غامض اسمه تيبتيلكين".

١٣ الأرجح أن الأمسية التي جرت في اتحاد شعراء لينينجراد، عقدت بمناسبة صدور ديوان ڤاجينوف "أشعار" في مارس عام ١٩٢٦.

١٤ مويسيي ألكسندر (ساندرو) – ممثل ألماني من أصل ألباني (١٨٨٠-١٩٣٥) . زار الاتحاد السوڤيتي في جولات فنية في عامي ١٩٢٤ و١٩٢٥.

١٥ مسرحية إرنست توللير "يوجين البائس" (١٩٢٣). يبدو أن السبب في هذا الخطأ يعود إلى أن كلا الكاتبين المسرحيين – جيورج كايزر وتوللير، كانا من قادة التأثيرية الألمانية.

١٦ ظهرت مقالة "الأنف" في كتاب البروفيسور إ. د. يرماكوف. مقالات في تحليل إبداع ن. ف. جوجول. موسكو؛ براج، ١٩٢٣. انظر الطبعة الجديدة: يرماكوف إ. د. التحليل النفسي للأدب. بوشكين. جوجول. دستويفسكي. موسكو، ١٩٩٩. ص ٢٦٢ – ٢٩٥.

١٧ المقالة في كتاب: يرماكوف إ. د. دراسات في الإبداع النفسي لألكسندر بوشكين. موسكو؛ براج، ١٩٢٣. انظر أيضًا: يرماكوف إ. د. التحليل النفسي للأدب. موسكو، ١٩٩٩. ص ٣٤ – ٤٨.

١٨ قدَّم باختين رؤية نقدية للفرويدية في كتاب "الفرويدية"، الذي صدر باسم صديقه ف. ن. ڤولوشينوڤ (لينينجراد، ١٩٢٧؛ طبعة حديثة – موسكو، ١٩٩٣)، انظر أيضًا التعليق رقم ٣٠ على المحاورة الثلاثة.

١٩ ألقي القبض على م. م. باختين في الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٢٨، ثم أُطلق سراحه في الخامس من يناير ١٩٢٩ من سجن لينينجراد (لينينجراد سكايا لوبيانكا في شارع شباليرنايا والمعروف باسم البيت الكبير) مع تعهد كتابي بعدم السفر. وتدل الوثائق الموجودة في الأرشيف أن باختين قضى الجزء الأكبر من سجنه في مصحتي إيريسمان وأوريتسكي في لينينجراد.

٢٠ انظر التعليق رقم ٩ على المحاورة الثالثة.

٢١ سافر آل باختين من لينينجراد إلى كوستاناي في التاسع والعشرين من مارس عام ١٩٣٠ (انظر: كونكين س. س، كونكينا ل. س. ميخائيل باختين. ص ١٩٨). حكى ميخائيل باختين لكاتب هذه التعليقات في المحاورة المؤرخة الحادي والعشرين من نوفمبر عام ١٩٧٤ أنهم "سافروا في القطار طلقاء" (أي دون حراسة).

٢٢ عمل ميخائيل ميخايلوڤيتش باختين، وفقًا للتوصيف الوظيفي الذي أعطي له، محاسبًا بأحد اتحادات التموين في إقليم كوستاناي (أرشيف باختين منذ الثالث والعشرين من أبريل ١٩٣١ وحتى السادس

والعشرين من سبتمبر ١٩٣٦. يقول ميخائيل ميخايلوفيتش في الحادي والعشرين من نوفمبر ١٩٧٤: "اخترت وظيفتي بنفسي. اخترت أن أكون محاسبًا في اتحاد التموين للإقليم. سرعان ما أتقنت الحسابات المالية والميزانيات. بل إنني أخذت في قراءة الاقتصاد. كان العمل في تخصصي مستحيلا، فلم يسمحوا لي بالتدريس في المدرسة". وتعكس المقالة التي كتبها باختين عن كفاءته في هذا المجال الجديد (المنشورة بتوقيعه وقد تجاوز من العمر إحدى وأربعين عامًا) "خبرة دراسة الطلب من مزارعي الكولخوز" (مجلة التجارة السوفيتية، ١٩٣٤. العدد ٣).

٢٣ انتهت مدة النفي في يوليو ١٩٣٤ (خمس سنوات من تاريخ إصدار الحكم في ٢٢ يوليو ١٩٢٩). يحتفظ الأرشيف بشهادة صادرة إلى المواطن باختين تفيد أنه بعد انقضاء مدة النفي، عليه التوجه إلى مكان إقامته في مدينة كوستاناي" (كُتب اسم المدينة بدلا من الاسم الذي كان مكتوبًا قبل ذلك ثم جرى شطبه: مدينة ليننجراد). الشهادة صادرة في الرابع من أغسطس ١٩٣٤.

٢٤ في الفترة نفسها التي عاش فيها باختين فى كوستاناي، كان هناك أيضًا عدد من المنفيين السياسيين يعيشون في المدينة نفسها ومنهم ج. ى. زينوفييف وزوجة المنشفي الشهير ن. ن. سوخانوف (جيمر)، ج. ك. فلاكسرمان وكانت تعمل في عام ١٩١٧ في سكرتارية اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي (البلاشفة). وذكر ميخائيل ميخايلوفيتش أنها قامت بكتابة جزء كبير من عمله

المعروف باسم "الكلمة في الرواية"، وقد كتبه في كوستاناي، على الآلة الكاتبة. وعن لقائه بزينوفيف في كوستاناي تحدث ميخائيل ميخايلوفيتش إلى ف. ن. توربين (انظر: ليتيراتورنايا جازيتا، ١٩٩٤، ١٥ يونيو).

٢٥ انظر الصورة الفوتوغرافية الجماعية، المنشورة في هذا الكتاب، ويظهر فيها ميخائيل ميخايلوفيتش بصفته مدرسًا في فصول المحاسبة ومدتها ثلاثة أشهر في مؤسسة "سفينوفود" (لتربية الخنازير)؛ وقد عمل أيضًا في وصول إعداد مديري المحال الزراعية في قاعدة إقليمية مشتركة.

٢٦ عاشت فارفارا زاخاروفنا باختينا وأخواتها ماريا ويكاتيرينا وابنة الأسرة بالتبني نينا سيرجييفنا بورشيفسكايا في لينينجراد؛ بينما عاشت أختهم ناتاليا مع زوجها نيكولاي بافلوفيتش بيرفيلييف وابنهما أندري في موسكو. وفي الفترة من ١٩٣٧ – ١٩٤١ (حتى بداية الحرب) عاشت أسرة باختين في موسكو لدى آل بيرفيلييف في غرفة واحدة مع سكان آخرين في شقة مشتركة في العنوان سريتينسكي بولفار منزل ١/٦، شقة ١٤٧.

٢٧ طبقًا لما ورد في إحدى الوثائق المحفوظة، فقد كان من المقرر أن يلقي باختين محاضرة بعنوان "الكلمة في الرواية" أمام الجماعة النظرية بمعهد الأدب العالمي في ١٤ من أكتوبر ١٩٤٠، ومحاضرة بعنوان "الرواية بوصفها نوعًا أدبيًا" في ٢٤ مارس ١٩٤١. وكان رئيس الجماعة النظرية ل. إ. تيموفييف قد أرسل دعوة إلى باختين

في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ لحضور محاضـــرة يلقيهـــا ج. أ. ڤـينوكور بعنوان "اللغة بوصفها موضوعًا لعلم الأدب".

٢٨ يحتوي الأرشيف على خطاب مؤرخ التاســـع مـــن ســـبتمبر ١٩٣٦ لتوقيع مدير معهد موردوڤسكي الحكومي التربوي، أ. ف. أنطونوف (١٨٩٦ – ١٩٣٨)، هذا نصه: "الرفيق المحترم باختين! بناء علـــى توصية البروفيسور باڤل نيكولايڤيتش ميدڤيديڤ نـــدعوكم للعمـــل بالتدريس في معهد موردوڤسكي التربوي. <...> ويمكن أن نقترح عليكم في البداية درجة أستاذ مساعد ...>>. وســـرعان مـــا دعـــم جيورجي سيرجيڤيتش بتروف، عميد كلية الأدب واللغة، هذه الدعوة على نحو إيجابي، وكان يعمل قبل ذلك مع ب. ن. ميدڤيديڤ فـــي لينتجراد، في معهد لينتجراد للتاريخ والفلـــسفة واللـــسانيات. وهـــو الشخص نفسه الذي كان له دور بارز في مصير باختين. وبناء على المذكرة المؤرخة بالثامن من يونيو ١٩٣٧، بدأ ميخائيل ميخايلوڤيتش في إلقاء سلسلة من المحاضرات من الأول من أكتوبر ١٩٣٦ وحتى التاسع من يونيو ١٩٣٧ في الأدب العام ومنهج تدريس الأدب وصل مجموع ساعاتها إلى ٧٥٨ ساعة. وفي نهاية ١٩٣٦ تعرض ج. س. بتروف للاضطهاد من جانب اللجنة الحزبية للمعهد ليتم فصله فـــي يناير عام ١٩٣٧. وفي عام ١٩٣٧ تم اعتقال أ. ف. أنطونوف، وفي عام ١٩٣٨ جرى إعدامه رميًا بالرصاص. في عام ١٩٣٧ أحاطت الشبهات بباختين، وراح اسمه يتردد في اجتماعات اللجنة الحزبية في المعهد باعتباره "الرجل الذي قضى لتوه خمس سنوات فـــي المنفـــى

بتهمة النشاط المعادي للثورة". وفي العاشر من مارس اضطر ميخائيل ميخايلوفيتش لتقديم استقالته من منصبه، ولكن الأمر بفصله "لسماعه بتدريس الأدب الموضوعي البورجوازي العام، على الرغم من تنبيهه إلى ذلك عدة مرات ...>> لم يصدر سوى في الخامس من يونيو من العام نفسه. على أنه جرى تغيير هذه الحيثية في الأول من يوليو على يد رئيسة المعهد التربوي الجديدة ب. د. يريمين لتصبح – "بناء على رغبته"، ومن ثم انتقل باختين وزوجه من سارانسك إلى موسكو (انظر: لابتون ف. م. م. باختين في سارانسك (١٩٣٦ – ١٩٣٧) // مجلة "رودنيك" ("الينبوع") سارانسك، ١٩٩١).

٢٩ بحلول عام ١٩٣٩ بات واضحًا أن باختين وزوجه لا يملكان بالفعل أية نقود، وفي عام ١٩٤٠ ومطلع ١٩٤١ كانا يعانيان من الفاقة، ومن ثم راحا يعتمدان كليةً على الدعم المتواضع من أقاربهما، أخوات ووالدة ميخائيل ميخايلوفيتش – الذين كانوا يعانون من ضيق ذات اليد، وها هم جميعًا يرزحون في الفقر فور نشوب الحرب.

٣٠ قام إ. إ. كاناييف بزيارة آل باختين، سواء في سافيلوف أو في سارانسك، ونحن مدينون له بالعديد من الصور الفوتوغرافية لباختين الشاب. وفي زيارته الأخيرة إلى لينينجراد في عام ١٩٦٥، نزل ميخائيل ميخايلوفيتش في ضيافة إ. إ. كانايف.

٣١ أقام باختين في سافيلوف طوال سنوات الحرب، وكان يدرّس عددًا من المواد، من بينها اللغة الألمانية، في المدارس المحلية في هذه

البلدة. ويحتوي أرشيفه على عدد من المنشورات باللغة الألمانية، تدعو الجنود الألمان للاستسلام في الأسر. وقد أساء عدد من كتاب سيرة باختين من الأمريكيين فهم هذا الأمر لسبب ما، ورأوا أن هذه المنشورات ألمانية، وأن ميخائيل ميخايلوفيتش لم يكتف بالاحتفاظ بها، وإنما استخدمها في دروس اللغة الألمانية باعتبارها وسائل تعليمية إضافية ... لم يحدث الأمر مطلقًا على هذا النحو ولم يكن من الممكن أن يحدث، وإلا تعرض باختين، في أفضل الأحوال، للاعتقال. الحقيقة أن ميخائيل ميخايلوفيتش استخدم هذه المنشورات المكتوبة باللغة الألمانية في دروس اللغة الألمانية (كان خط الجبهة في بعض الأحيان يمر بالقرب من سافيلوف)، ولكن، من المحتمل، أنه فعل هذا لأن هذه كانت "منشوراتنا"، سوفيتية؛ لأنها لو كانت من صنع الألمان لكانت قد كتبت باللغة الروسية؛ إذ إنها ينبغي أن تستهدف الروس. للأمريكيين العذر في ألا يفهموا هذه الأمور، لكن هذه الرؤية "الأمريكية" مرت دون نقد تمامًا على صفحات في الكتاب المخصص للمعاهد العليا والصادر في عام ١٩٩٢ في سارانسك (انظر: م. م. باختين: مشكلات التراث العلمي ص ١٤٩ – استنادًا إلى:
Clark K, Holquist M. Mikhail Bakhtin. Cambridge ; L, 1984. P 263).

٣٢ أجريت الجراحة في ١٧ فبراير ١٩٣٨؛ وفي ١٤ أبريل ١٩٣٨ غادر ميخائيل ميخايلوفيتش المستشفى.

٣٣ لم يعرف ميخائيل ميخايلوفيتش، بداهة، أن قرار إعادة الاعتبار له، هو والأشخاص الذين حوكموا معه في القضية نفسها، صور

في ٣٠ مايو ١٩٦٧ (انظر الوثيقة التي نشرها ف. لابتونوم: مجلة قضايا الأدب، ١٩٩١. العدد ٣، ص ١٢٨ – ١٤١).

٣٤ ليونتينا سيرجييڤنا ميليخوفا، متخصصة في فقه اللغة والأدب، كانت، إبان دراستها في الجامعة، طالبة في سيمنار ڤ. ن. تروبين، كما كانت في الستينيات والسبعينيات صديقة مقربة من ميخائيل ميخايلوڤيتش ويلينا ألكسندروڤنا والمساعدة الأولى لهما في شئونهما كافةً.

٣٥ تروبين ڤ. الرفيق زمن والرفيق فن. موسكو، ١٩٦١.

٣٦ هناك خطابات في أرشيف ميخائيل ميخايلوڤيتش تتحدث عن محاولة بذلها ج. س. بتروف في مطلع عام ١٩٤١ لإلحاق باختين بإحدى الوظائف في موسكو، لعل نشوب الحرب هو الذي حال دون ذلك. وهناك خطاب من خطابات بتروف يؤكد سعي بتروف مرة أخرى لإلحاقه بوظيفة في سارانسك، وهو الخطاب الذي أرسله إلى مدير معهد موردوڤسكي التربوي والمؤرخ ٢ يوليو ١٩٤٦، وهو محفوظ أيضًا في أرشيف ميخائيل ميخايلوڤيتش، ويتضمن نصائح تتعلق بكيفية الاحتفاظ بقسم الأدب العام في المعهد، من أجل باختين بصفة خاصة في واقع الأمر. وقد صدرت بطاقة مأموريات لباختين بموجب تعيينه في معهد موردوڤسكي التربوي في وظيفة أستاذ مساعد، صدرت في ١٨ أغسطس ١٩٤٥، ومن الواضح أن باختين غادر موسكو في ٤ أكتوبر.

٣٧ عاش باختين وزوجه في بيت للمسنين في ضواحي موسكو في مدينة كليموڤسك (محطة السكك الحديدية جريڤنو كورسكايا) من منتصف

مايو ١٩٧٠ وحتى نهاية نوفمبر ١٩٧١، بعد أن قضيا سبعة أشـــهر (من أكتوبر ١٩٦٩) في مستشفى كوزنيتسكايا المغلقة. وقد أُدخلا إلى مستشفى بودولسك في نهاية نوفمبر ١٩٧١؛ حيــث توفيــت يلينــا ألكسندروڤنا في الرابع عشر من ديــسمبر. وقــد انتقــل ميخائيــل ميخايلوڤيتش من مستشفى بودولسك إلى بيت إيـــداع الكتــاب فــي بيريديلكيتو في ٣٠ ديسمبر ١٩٧١، وعاش في هذا البيــت إلـــى أن انتقل منه في سبتمبر ١٩٧٢ إلى الشقة التي خصصت له في موسكو (شارع كراسنوأرميسكايا، منزل ٢١، شقة ٤٢)، وكان الإذن باستلام هذه الشقة قد صدر في ٣١ يوليو ١٩٧٢.

٣٨ تم الاحتفاظ بالإذن رقم ٣٩ المــؤرخ ٢٧ أغــسطس ١٩٥٩ علـــى العنوان: شارع سوڤيسكايا، المنزل ٣١، شقة ٣٠، وكان باختين يبلغ من العمر آنذاك ٦٤ عامًا.

٣٩ في مارس ١٩٦٦ وقَّع ڤ. ڤ. كوچينوڤ ومعه عديد مــن النـــاس على خطاب وجهوه إلى إ. ج. بتروڤسكي رئيس جامعـــة موســكو دفاعًا عن ڤ. د. دوڤاكين، الذي طُرد من كلية الآداب بعد أن أدلـــى فـــي المحاكمـــة بشهادتـــه التي دافع فيها عن تلميذيه أ. سينياڤسكي و إ. دانييل.

٤٠ يلينا سيرجييڤنا دوڤاكينا – ابنة المحـــامي ســـيرجي بوريـسوڤيتش ڤيـسيلوڤسكي (١٨٨٥ – حوالى ١٩٤٦). وإخوته هـــم: المـــؤرخ، الأكاديمي ستيبان بوريـسوڤيتش والاقتصادي بوريس بوريـسوڤيتش ڤيسيلوڤسكي.

٤١ يوليان سيرجييڤيتش سيليو (١٩١٠ – ١٩٩٥): عالم أحياء، طبيب بيطرى، أديب، باحث في الدراسات الفنية، مؤلف قصص قصيرة ومنمنمات وأبحاث في مجال لغة التصوير عند ديونيس (نشرت مقتطفات منها في مجلة "فن الديكور" (١٩٧٧. العدد ١٠) وفي منتخبات علمية). وإبان زياراته لباختين في شقته في كراسنوأرميسكايا، قرأ عليه بعضًا من أعماله؛ فضلا عن قيامه بعلاج قطه. نورد فيما يلي قصة "الخنزير المريض" وكذلك بعضًا من المنمنمات الأخرى.

الخنزير المريض

خنزير أصابه المرض، شعر بوعكة فتمدد على القش. عيونه السوداء تنظر إلى أعلى دون أن ترى شيئًا. أما رموشه البيضاء الخشنة فنادرًا ما كانت تجفل.

الهدوء يسود المكان، بينما راح لهب مصباح الكيروسين يرتعش. وبعيدًا تراءى الدجاج أسود فوق العارضة. استغرق الدجاج في النوم. أما الجد والجدة فجلسا صامتين فوق الخنزير. اشتدت حرارة الجو. فبدا أنف الخنزير أحمر على نحو غير طبيعي. وعلى كتفه بدت بقعتان حمراوان تميلان إلى السواد تحت شعره. "زوت، زوتكا"، هكذا راحت العجوز تنادي الخنزير. الخنزير الذي عزلوه بسبب مرضه راح يتململ: أصاخ السمع ثم غادر المكان ثانية. ما تبقى له من رموش كانت نادرًا ما تتحرك الدجاجة في الركن المظلم تقرقر في أحلامها وتهتز، وإذا بها تسقط من علٍ، ثم تركن إلى السكون مرة أخرى.

الشعلة في مصباح الكيروسين لا تزال ترتعش بشدة. ولا يزال الخنزير يعاني من المرض.

١٩٤٠

* * *

يحدث أحيانًا أن يأتيك من بعيد صوت عزيز على نفسك عبر الهاتف. يحدث أنك لا تستطيع أن تتبين ملامحه على الفور. يحدث أنه يأتيك في البداية ضعيفًا، واهنًا، غريبًا، عجيب الأطوار. صوت ليس كمثل الأصوات التي تعرفها، أو يعرفها الآخرون. صوت لم تستمع إليه من قبل على هذا النحو. صوت غريب شديد الحذر.

هذه روح مُعذَّبة! ما الذي ألقى بها في هذه المتاهة الضيقة المتربة. روح وحيدة. كيف تسنى لها أن تتضغط في هذا الرنين البشع؟ .. ها أنا في نهاية الأمر أتعرف على الصوت وقد عاد إلى الحياة، إنه يتدفق يملأ السماعة. إنه يدوّي.

ابتعدت الروح، احترقت – ثم اقتربت، مثل وحش يقترب من السياج.

السادسة وأربع دقائق، ١٠/١٠/١٩٧٩.

* * *

ثمرتا توت بريّ استوتا على سوقهما

جميلتان، ناضجتان إلى حد أنني أردت التهامهما

تحدوني الرغبة في اقتطافهما، وما الذي ينبغي فعله غير ذلك

ليس في فمي سوى غشية ومذاق ضعيف

أود أن آخذهما لنفسي، أن أزدردهما.

قوة الرغبة لا تتناسب والمذاق الضعيف لديّ
أتأملهما.
كم أود أن آخذهما، باستطاعتي ذلك
ولكن، ماذا سأفعل بهما.
١٩٣٥/٥/٢ كروبوتكينسكيي ڤوروتا.

الشموع

١

كنيسة كبيرة في لينينجراد، تشبه ميدانًا
تعلوه قباب عالية. أين يقف المرء هنا؟
أين نقف، بالقرب من أي مكان؟
فجأة ناولونا شمعة – هذه "لنيكولاي المحبوب" – وأشاروا إلينا في أي اتجاه نسير. ثم ناولونا أخرى – هذه "للمُخلِّص" لنسير بها في الاتجاه الآخر. ثم ناولونا ثالثة، إلى "السعادة المنتظرة"، وأخرى "لإيڤان المحارب"، وإلى "ڤارڤارا" ..

٢

في لحظة التفكير القصوى. عليك أن تبتعد حاملا شمعتك
بلطف.
مرة أخرى، الشمعة تجيء عبر كتفك.
الحياة أيضًا – تارة تطلق سراحك، وتارة أخرى تستدعيك إليها.

٣

إنه الملاكُ يَمسكَ: الطريق يمر عبرك.

شخص ما ناولك، ربما أعطاك، سلَّمك، ثم هدأت نفسه، وربما راحت روحك تتبعه، مسرعة الخطا. شموع كثيرة، شموع مختلفة، منها الصغير، ومنها الكبير...

لكنها جميعًا تسير في هذا الاتجاه. ما الشمعة إلا شيء ضئيل، وما مشاركتك في هذه الدنيا إلا شيء ضئيل أيضًا ... ولكن ربما تسير عبر هذا الممشى الصغير، لتصل أنت أيضًا إلى المصير نفسه وراء هذه الشمعة. لست سوى شعرة في ضفيرة من الطرق، مثل صوت مفرد في جوقة كبيرة.

٤

ساحة الكنيسة وقد غصت بالناس – تشبه بستانًا مليئًا بالزهور – الأرواح. فجأة تتوزع فيه الطرقات – النهيرات. ومثلما يبدو الثلج الهش في الربيع فوق المنحدر، عندما ينسحب الصباح البارد المشمس – تتشعب النهيرات المتجددة في كل الأنحاء، متهادية في انحناءات... الشموع تتوقف، عند الطرقات – النهيرات من واحدة إلى الأخرى. تسرع في الثلج، عبر الدخل مهرولة: نحو "المُخلِّص"، نحو "العذراء"، نحو "الملاك جبريل".

٥

الأرجح أنه إذا ما ألقى نظرة عليهم من ناحية الجوقة، فسوف يكون بمقدوره أن يُميز بينهم من خلال حركتهم الرشيقة. وأنا أيضًا... سأكون هناك، لا على الطريق فحسب، وإنما عن نقطة الالتقاء كذلك.

٦

"إلى اللقاء في العيد"! يمكنك أن تنتقل إلى اليسار على مقربة، كما يمكنكَ أن تسرع الخطو وتدور حول المكان بعيدًا إلى اليمين ...

ولماذا تتنحى جانبًا عن هذا الطريق الذي يمـوج بالحيـاة، وتنـأى بجانبك عن الذي يقف إلى جوارك، حتى ولو كان مختفيًا في الزحام؟ لقد وافق، وانحنى محييًا، استقام كفتيل ... ثم ذهب.

٧

بعضهم ألقى عليّ فجأة نظرة من خلفي ثم انتقل إلى الجانب الآخر – لا ضفاف لهذا الطريق المتقلب. بعضهم يرى أن ظهري ليس مناسبًا له. استدار الطريق مغادرًا المكان ليتركك وحيدًا. الآن حتـى هـذا "النبل والشرف" – لن يكون باستطاعته أن يعطي، "أن يعود فقيرًا من أجل اسمك".

٨

يحدث في الحياة، أن تسعى لأن تحمل عن شخص آخـر عبـأه، أن تشارك هذا الغريب مشاعره، أن تدعمه، تساعده، أن تفكر فيه. لقـد قطعت نصف الطريق، هكذا تظن، بالقوة ... وها أنت تنتصر. وهذا كافٍ جدًا من جانبك. دع هذه الراحة المفاجئة والامتنان، حتى ولـو صاحبهما إحساس بالمرارة والإهانة في نفسك. "الأفضل أن تعـرف الألم، الذي قُدّر عليك في الوصايا"... ما قُدّر قد قُدّر. الملاك لمـس، أخذ . فكن مع ذاتك.

المحاورة السادسة

الشرائط رقم ٣٠٢، ٣٠٣. مدة المحاورة - ١٣٣ دقيقة

١ وصل باختين إلى نيـڤـيل في بداية صيف ١٩١٨ . يـذكر ل. ڤ. بومبيانسكي في دفتر سيرته الذاتية - "شيء ما عن تسعة فصول ربيع"، في نهاية الجزء الخاص بربيع ١٩١٨: "وصل ميخائيل ميخايلوڤيتش وكان الصيف قد حل بالفعل" (أرشيف ل. ڤ. بومبيانسكي).

٢ التحق ل. ڤ. بومبيانسكي بالخدمة العسكرية، على ما يبدو، في عام ١٩١٥ أو بداية عام ١٩١٦، وبدءًا من ربيع العام نفسه كان موجودًا على قوة وحدته في نيـڤـيل. وفي العام نفسه أيضًا سجّل نيكولاي ميخايلوڤيتش، الشقيق الأكبر لميخائيل ميخايلوڤيتش، اسمه في قوائم المتطوعين في الجيش، ولعله قد حذا حذو بومبيانسكي في هذا (انظر: *Bachtin N. Lectures and Essys. Birmingham , 1963. P. 3* ؛ الحلقة الخامسة لقراءات تينيانوفسكي ريجا، ١٩٩٠. ص ٢٣٥).

٣ ڤينيامين جاڤريلوڤيتش يودين (١٨٦٤ - ١٩٤٣) - مالك أراض وطبيب بالسكك الحديدية. على مدى سنوات عديدة قدَّم الكثير من أجل رفاهية نيـڤـيل. بطل العمل في الفترة السوڤـيتية. قضي نحبه في منطقة مولوتوف (حاليًا بيرم) بعد إجلائه.

٤ أبناء ف. ج. يودين: بوريس ڤينيامينوڤيتش (١٩٠٤-١٩٨٦)، كاتب سيناريو سينمائي، وليف ڤينيامينوڤيتش (١٨٩٢-١٩٦٤)، طبيب.

٥ باختين يقصد أنّا ڤينيامينوڤنا (١٨٩٦-١٩٧٠)، مترجمة النصوص العلمية. أما بنات ف. ح. يودين الأخريات فهن: فلورا ڤينيامينوڤنا (١٨٩١- ١٩٦١)، طبيبة، وڤيرا ڤينيامينوڤنا يودينا = جوتفريد (وُلدت عام ١٩٢٦)، جيولوجية، وهي ابنة من زواج ثان. والأخيرة هي التي كتبت مذكراتها عن عائلة يودين، وكتابًا عن "المدينة التي اختفت من الوجود"، وتعني بها مدينة نيڤيل في العشرينيات والثلاثينيات، كما كتبت أيضًا عن المدرسة النموذجية الأولى، وهي الثانوية النسوية التي عمل بها م. م. باختين، م. إ. كاجان، ل. ف. بومبيانسكي، م. م. باختينا. انظر: يودينا ف. ف. نيڤيل مدينتي // منتخب نيڤيل. الإصدار الخامس. سان بطرسبورج، ٢٠٠٠. ص ١١٥ – ١٢٨.

٦ ياكوف جاڤريلوڤيتش يودين (١٨٦٦-١٩٣٠).

٧ رايسا ياكوڤليڤنا يودينا (الاسم قبل الزواج زلاتينا) (١٨٦٨-١٩١٨)، توفيت في الرابع والعشرين ١٩١٨، وهو ما يعني أنها توفيت لا قبل عام، بل قبل شهر ونصف – شهرين من وصول باختين إلى نيڤيل وتعرفه على م. ڤ. يودينا.

٨ آنذاك لم تكن م. ڤ. يودينا (وُلدت عام ١٨٩٩) قد أتمت ثمانية عشر عامًا من عمرها.

٩ اعتنقت م. ڤ. يودينا المسيحية بعد عام من وصول باختين إلى نيڤيل، في الثاني من مايو ١٩١٩، في بتروجراد، في كنيسة

بوكروف العذراء المقدسة أمام كبير القساوسة نيكولاي تشيبورين (١٨٨١-١٩٤٧)، الذي عاني كثيرًا في زمنه، ولكنه أنهي حياته العملية رئيسًا لأكاديمية موسكو للاهوت (وقد خرجت يودينا من عنده، بعد العماد مباشرة، لتذهب إلى الأب فيودور أندرييف بحثًا عن إجراءات أكثر صرامة).

١٠ *Cassirrer E. Philosophie der sympolichen Formen. Bd. 1-3. B, 1932-1929.* انظر تحليل عمل كاسيرير في مقالة: لوسيف أ. ف. نظرية التفكير الأسطوري عند إ. كاسيرير (١٩٢٦-١٩٢٧) // مجلة الرمز. باريس. العدد ٣٠. ١٩٩٣، ديسمبر. ص ٣١١ - ٣٣٣.

١١ لا يمكن أن نقدر بشكل محدد من الذي ترك أثرًا حاسمًا في اعتناق م. ف. يودينا للمسيحية. لم يكن الأمر اختيار شخص واحد، حتى ولو كان شخصًا شديد القرب منها آنذاك مثل ل. ف. بومبيانسكي. لم يكن أيضًا لاختيار يفجينيا أوسكاروفنا أوتين (تيليتشيفا) (١٨٩٣ - ١٩٨٠) أقل تأثيرًا، فهي عرّابتها، إلى جانب ثلاثة أربعة أشخاص آخرين، ورد ذكرهم في منكرات يودينا ("لقد ساعدوني في طريقي للوصول إلى النور!") (انظر: م. ف. يودينا. شعاع الحب الإلهي. موسكو؛ سان بطرسبورج، ١٩٩٩. ص ٢٦). ولعل الأمر الأهم هنا ليس فقط حقيقة التوجه إلى الديانة المسيحية، وانما اختيار العقيدة. وقد كان على مارينا يودينا، مثل القديس فلاديمير، أن تبتعد عن الإسلام واليهودية، وأن "تختبر" قوة الكاثوليكية من خلال معارفها المقربين وأن تقارن بينها وبين الأرثوذوكسية. عدا ذلك، كان أمامها إغراء المذهب اللوثري (البروتستانتية - المترجم)، الذي كان يمثل

لها دائمًا عامل جذب شديد، وإن كان في الحقيقة جذبًا ظاهريًا، أحست به من خلال الفن (إبداع يوهان سباستيان باخ على سبيل المثال) ثم المعايير الأخلاقية لهذا المذهب. في نهاية الأمر فضّلت يودينا الأرثوذوكسية، وفي ظني أن السبب وراء ذلك، لم يكن في تأثير الأصدقاء أو إطلاعها على مراجع دينية فلسفية، وإنما في فهمها للانتماء الروحي، الذي تكوّن لديها نحو وطنها وتعاطفها مع مصير هذا الوطن. وقد كتبت يودينا السطور التالية في مذكراتها بعد ثورة فبراير: روسيا! هل يمكن أن تفنى؟ ... يا ربي، يا إلهي! اهدني إلى الصواب! أيهما أعز – الوطن أم الأممية؟ لقد قلت غير بعيد، وفكرّت في "انفصال الفرد عن الدولة". ويا لها من كلمة رائعة"! (المصدر السابق . ص ٢٨).

أما بومبيانسكي فقد اعتنق المسيحية في عام ١٩١١، بعد أن استعار لنفسه كنية الأب، بداهة، من اسم عرّابه وأستاذه للغات القديمة في المدرسة الثانوية – ڤاسيلي ألكسييڤيتش نوڤوتشاروڤ.

١٢ كانت والدة بومبيانسكي من عائلة يهودية، ولكنها تربّت في فرنسا، وكانت الفرنسية لغتها الأم، وهو ما يفسر إجادة ل – ڤ. بومبيانسكي الرائعة للغة الفرنسية.

١٣ حول وصول ل. ڤ. بومبيانسكي، م. م. باختين و م. ڤ. يودينا إلى نيڤيل في تلك السنوات تضيف رايسا بوسيفوڤنا شابيرو هذه اللمسات أيضًا عن تلك السنوات: "لم تكن ماروسيا(*) (م. ڤ. يودينا)

(*) ماروسيا: اسم التدليل من ماريا. (المترجم)

تذهب معنا إلى ثانوية نيـڤيل، فقد أخذتها أمها إلى ڤيتيبسك؛ حيث كانت تتلقى هناك دروسًا خاصة. وفي الفترة من ١٩١٥ إلى ١٩١٦ راحت تتعلم اللغة اللاتينية على يد ليـڤ ڤاسيليـڤيتش بومبيانسكي، حتى يحق لها أن تؤدي الامتحانات المؤهلة للحصول على شهادة الدراسة الثانوية، ثم لتلتحق بعدها بكلية الطب. كان ليـڤ ڤاسيليـڤيتش متطوعًا(*)، يعرف الكثيرين في نيـڤيل وكان يتردد على زيارتنا في بيتنا. كثيرًا ما كنا نستذكر دروسنا معًا، هو وأنا وأختي، كان شديد الصرامة حتى إن أختي فقدت الوعي ذات مرة من كثرة ما بذلته من جهد في الدرس معه. أما ما كنت أظهره من تقدم فلم يكن يلقى استحسانًا خاصًا من جانب ليـڤ ڤاسيليـڤيتش، على الرغم من أنني كنت أعرف اللغة الألمانية والفرنسية، والأخيرة كنت أتقنها على نحو جيد، وهو ما عاد عليّ بالنفع طوال حياتي. ذات مرة قال لي: حبذا لو كانت لديك موهبة ماروسيا". كنت معجبة آنذاك بليـڤ ڤاسيليـڤيتش. كان طويل القامة، أحدب الظهر، شديد الذكاء. كانت أمي تحب الشباب وتدعوهم لزيارتنا. كان بيتنا يمتلىء بالضجيج. وقد ميخائيل ميخايلوڤيتش وليـڤ ڤاسيليـڤيتش في رفقة أُختي صحبة ملائمة لهما هنا. كانت لدينا صورة فوتوغرافية تضم باختين، بومبيانسكي، وأنا وأخواتي، وعلى ما يبدو ليـڤ ڤينيامينوڤيتش يودين. لقد ضاعت هذه الصورة مع الألبوم، وكان مجلدًا بجلد الماعز

(*) المتطوع: في روسيا القيصرية المتطوع في الجيش بعد إنهاء الدراسة الثانوية أو العليا والذي يؤدى الخدمة العسكرية في ظروف مُيسرة. (المترجم)

... لا يزال المعهد الدراسي السابق قائمًا في لينينجراد، وهناك لوحة تضم أسماء المتفوقين ومن بينهم بومبيانسكي... ومعهم يقف ثالثهم، هذا الرجل جياش العواطف... لا أذكر اسمه، كان متزوجًا... عندما بدأت الحرب الوطنية، سافرت إلى الجبهة ولم أعد أرى أحدًا منهم سوى ماريا ڤينيامينوڤنا (مقطع من تسجيل حوار أ. م. كوزنيتسوف مع ر. إ. شابيرو مؤرخ الخامس والعشرين من مارس ١٩٨٢).

١٤ في عام ١٩٢٦ أرسل بومبيانسكي إلى م. إ. كاجان: "في هذا العام تشكلت عقيدتي اللاهوتية على نحو دقيق وواضح: الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية (الذاكرة. منتخب تاريخي. الإصدار ٤ . باريس، ١٩٨١. ص ٢٦٦).

١٥ يحكي ن. ك. تشوكوڤسكى من التحول المفاجيء لبومبيانسكي نحو الماركسية في نهاية العشرينيات (انظر: تشوكوڤسكي ن. ذكريات أدبية. موسكو، ١٩٨٩. ص ١٩٠-١٩١). ولكنه لم يصبح "ستالينيًا" بطبيعة الحال؛ ولعل مثل هذه المعادلة الحادة لباختين كانت تهدف التأكيد على غرابة المواقف الجديدة لومبيانسكي بالنسبة لأصدقائه.

١٦ ليديا يڤلامبييڤنا سلوتشيڤسكايا – انظر التعليق ٤٢ على المحاورة الخامسة.

١٧ ز. ك. ياشينا (كنيتها قبل الزواج روستكوڤسكايا) – زوجة الشاعر أ. ي. ياشين، صديق م. ڤ. يودينا.

١٨ أقيم القداس الجنائزي لماريا يودينا في هذه الكنيسة في الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩٧٠ (وكانت من رعيتها في السنوات

الأخيرة من حياتها)؛ انظر نص خطاب التأبين الذي ألقاه راعي الكنيسة، الأب فسيڤولد شبيللر، عند إقامة القداس في كتاب: ماريا يودينا . شعاع الحب الإلهي. موسكو، سان بطرسبورج، ١٩٩٩. ص ١١ – ١٣. تم الدفن في اليوم نفسه في جبانة "تلال ڤيدينسكى" (وتسمى تارة ڤيدينيسكي أو نيميتسكي (الألمانية). كان ڤ. د. دوڤاكين دقيقًا للغاية في وصفه لمراسم الدفن، وقد جاء وصفه متطابقًا على وصف أ. إ. تسڤيتايڤا في مذكراتها (انظر: تسڤيتايڤا أ. إ. ثلاث لقاءات مع ماريا ڤينيامينوڤنا يودينا // ينبوع لا ينفد. موسكو، ١٩٩٢).

١٩ أقام أصدقاء م. ڤ. يودينا ولائم تأبينها في بيت – ستوديو الفنان ڤلاديمير أندرييڤيتش فاڤورسكي (١٨٨٦-١٩٦٤) والنحات الجرافيتي إيڤان سيميونوڤيتش يفيموف (١٨٧٨ – ١٩٥٩) في نوڤوجيريڤا. انظر وصف الولائم في مذكرات المصور الفوتوغرافي والمخرج السينمائي، ياكوف سيرجييڤيتش نازاروف، ابن أخت م. ڤ. يودينا. انظر: ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ٧٥٦.

٢٠ أدريان إيڤانوڤيتش يفيموف (١٩٠٧-٢٠٠٠): مختص في جيولوجيا المياه الأرضية، حافظ لتراث والده. "

٢١ من الواضح أن ذلك يمكن أن يعود إلى فترة إجلاء القوات الألمانية من روسيا (بم في ذلك من بسكوف، التي تم احتلالها في فبراير ١٩١٨) بعد اتفاقية الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩١٨ بإعلان الهدنة على الجبهة الغربية وثورة نوفمبر في ألمانيا. كان من نتيجة

ذلك استيعاب بومبيانسكي لهذه الأحداث، التي كان هو نفسه شاهد عيان عليها بل ومشاركًا فيها، وذلك على نحو تاريخي وفلسفي: وفي خطابه المؤرخ ٢٣ مارس ١٩٢٣ دعا بومبيانسكي م. إ. كاجان لمناقشة عمله "المكرس لتحليل الحرب العالمية"، وجاء في خطابه: "سيكون عليّ فيما بعد المهمة الأكثر صعوبة ألا وهي تفسير نهاية الحرب و *Zusammenbruch* (انهيار – الناشر) ألمانيا" (الذاكرة. المنتخب التاريخي. الإصدار ٤. ص ٢٦٥).

٢٢ حول حياة م. م. باختين في فترة نيڤيل انظر: مكسيموڤسكايا ل. م. مدخل إلى حكايات م. م. باختين الشفهية عن نيڤيل (تعليقات باحث في المناطق المحلية وتاريخها واقتصادها) // مجلة العلوم الفلسفية، ١٩٩٥. العدد ١. ص ٩٣-١٠٥؛ وكذلك في مقالته "مدينة التنويريين". انظر: ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ٦٠٠ – ٦١٢.

٢٣ "مقطع من مذكرات" يودينا (هكذا عنونت يودينا مذكراتها) قريب من حكاية م. م. باختين عن نيڤيل. << من الضروري بالنسبة لي، بطبيعة الحال، أن أكتب شيئًا ما بمثابة دراسة سواء عن ميخائيل ميخايلوڤيتش باختين، "ميخ ميخ" كما نسميه فيما بيننا، نحن أصدقاؤه في الخمسينيات البعيدة... ومن هم؟ لم يبقَ منا سوى اثنين! البيولوجي إيڤان إيڤانوڤيتش كانايف وأنا، الخاطئة، أما الآخرون فقد وافتهم جميعهم المنية. كان إيڤان إيڤانوڤيتش يعيش في لينينجراد كما هو معروف... كما عاش ميخائيل

ميخايلوفيتش في مدينتنا نيفيل، وتزوج في فيتيبسك من الغالية ليوننتشكا(*)، ولكنه لم يستقر في فيتيبسك فترة طويلة. كانت هناك مناظر خلاّبة تحيط بنيفيل، سلاسل جبال فلاديسكايا الشاهقة، والبحيرات التي لا تُحصى عددًا، الجزر بغاباتها الكثيفة الضخمة كأنها بحار لا تدرك الأبصار شواطئها، تصب فيها جميعًا الأنهار والقنوات. "مهما وصفت، لن أفي!" ... فيما بعد اتفقنا فيما بيننا أن نسمي إحدى البحيرات "بحيرة الواقع الأخلاقي"، وهناك شرح ميخائيل ميخايلوفيتش لشخصين اثنين، أنا وشخص آخر تُوفي الآن، بعضًا من قواعد فلسفته...>>. (كُتبت في عام ١٩٦٩) ودخلت إلى الأرشيف في عام ١٩٧٣، و"المتوفى" هو، بطبيعة الحال، ل. ف. بومبيانسكي. "مقطع من المذكرات" والذي نشر غير بعيد، قام بإعداده أ. م. كوزنيتسوف في كتاب: ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ١٢٨ – ١٣٨؛ وعن ميخائيل ميخايلوفيتش – ص ١٣١ – ١٣٢.

٢٤ نشرت صحيفة "مولوت" ("المطرقة")، "صحيفة مجلس نواب عمال وفلاحين وجنود الجيش الأحمر في نيفيل" في عددها رقم ١٠١ المؤرخ ١٣ يونيو ١٩١٩ عن الأمسية المكرسة لليوناردو دافينشي، التي عقدت في الثامن عشر من يونيو. تم الإعلان عن المحاضرات التي تتناول أفكار ليوناردو – ميخائيل باختين، عن عصر ليوناردو – ل. بومبيانسكي، وكذلك عن "مشاركة م. يودينا في القسم الموسيقي". انظر الطبعة الثانية من صحيفة "مولوت" في "منتخب نيفيل"

(*) إسم التدليل من يلينا. (المترجم)

(الإصـــدار الأول. ســـان بطرســبرج، ١٩٩٦، إصـــدار ل. م. مكسيموفـسكايا).

٢٥ "الموكب الجنائزي" من سلسلة الموسيقار فرانز ليست للبيـانو "ألحـان شعرية ودينية" (عشر أغان من تأليف أ. لامارتين، ١٨٤٥ – ١٨٥٢).

٢٦ وصل باختين إلى فـيتيبسك في خريف ١٩٢٠.

٢٧ شاركت م. ف. يودينا في العزف في الحفلات قبل أن تنهي دراستها في كونسرفـأتوار بتروجراد في عام ١٩٢١ بمدة طويلة.

٢٨ الحوار والجدلية – أحد أهم المعارضات الرئيسية في الفكر الفلـسفي عند باختين (انظر: باختين م. م جماليات الإبداع الأدبي. موسـكو، ١٩٨٦. ص ٣٧١ – ٣٧٢؛ مجلة نوفويه ليتيراتورنويه أوبوزرينيـه (المراقب الأدبي الجديد) ١٩٩٣، العدد ٢، ص ٦٦).

٢٩ يتحدث ر. م. ميركينا هنا عن ذكرياتها عن الحفل الذي أقامته م. ف. يودينا (انظر: مجلة المراقب الأدبي الجديد، ١٩٩٣. العدد الثـاني. ص ٦٦).

٣٠ ليونيد فـلاديميروفـيتش نيكولايـف (١٨٧٨- ١٩٤٢) – عازف بيانو ومؤلف موسيقي، واحد من أبرز ممثلـي مدرسـة بطرسـبورج – لينينجراد التربوية. تعلم على يديه؛ فضلا عن م. ف. يودينا، ف. ف. سوفرونيتـسكي، د. د. شوستاكوفـيتش وغيـرهم. وضـع د. د. شوستاكوفيتش السوناتا الثانية للبيانو (١٩٤٢) إهداء لذكراه.

٣١ لم تكن م. ف. يودينا تمتلك شقة في كـورنيش رفورتسوفـايا، فـي المنزل رقم ٣٠، الشقة رقم ٧، وإنما كانت غرفة فسيحة تطل علـى نهر النيفـا، وهي غرفة مستقلة في شقة كانت ملكًـا لأحـد كبـار المُلاك.

٣٢ تزوج بومبيانسكي من يفجينيا ماركوفنا إيسيرلين (١٩٠٦ – ١٩٩٤) في عام ١٩٣٠، قبيل وفاته بعشرة أعوام .

٣٣ كان بومبيانسكي صديقًا حميمًا لنيكولاي باختين، الأخ الأكبر ميخائيل باختين، إبان الدراسة في المدرسة الثانوية.

٣٤ الحديث يدور هنا عن كيريل جيورجيفيتش سالنيكوف (١٩١٤ – ١٩٣٩)، خطيب م. ف. يودينا، الذي لم يكن قد أتم بعد كونسرفاتوار موسكو، وكان يدرس على يدي يودينا. ومن بين المخطوطات الموسيقية ليودينا التي تبقت بعد وفاته، كانت تُعزف مقطوعة واحدة، تبين أنها مُسجلة على شريط، وهي ***Lacrimosa*** من "القُداس الجنائزي" لموتسارت.

٣٥ يلينا نيكولايفنا سالتيكوفا (الكنية قبل الزواج كوراكنيا، (١٨٨٥–١٩٥٦) – والدة ك. ج. سالتيكوف، والتي اعتنت يودينا بابنها بعد وفاتها حتى أيامها الأخيرة. عاشت بعد الحرب في شقة ي. ن. سالتيكوفا في زقاق سبتينيسكي.

٣٦ جيورجي ألكسندروفيتش سالتيكوف – فنان.

٣٧ تم العثور على جثامين طلاب الكونسرفاتوار الذين لقوا حتفهم، بما فيهم ك. ج. سالتيكوف. يقع قبر كيريل سالتيكوف في جبانة ڤيدينسكي. وفي هذه الجبانة ذاتها وفي المدفن الخاص بعائلة سالتيكوف وجدت م. ف. يودينا مستقرها الأخير.

٣٨ انظر مذكرات الأمير س. ن. تروبيتسكوي، الذي ظل إلى جوار ڤلاديمير سولوفيوف. موسكو، ١٩٩١. ص ٢٩٤).

٣٩ عن الشاعرين الألمانيين رانيـر ماريـا ريلكـة (١٨٧٥ – ١٩٢٦) وستيفان جيورجي (١٨٦٨ – ١٩٣٣) وعلاقة أشـعار فيتسيسلاف إيـڤـانوڤ بهما تحدث باختين في محاضرته عن إيـڤـانوڤ (انظـر: جماليات الإبداع الأدبي. ص ٣٩٨).

٤٠ *"Blätter für die Kunst"* – مجلة كان يصدرها ستيفان جيورجي في الفترة من ١٨٩٢ وحتى ١٩١٩.

٤١ فريدريخ جوندولف (الكنية الحقيقية جونديلفينجر؛ ١٨٨٠ – ١٩٣١) – مؤرخ أدب ألماني، شاعر.

٤٢ المقصود هنا الكتاب الذي وضعه إ. بيرترام *"Mythologie Nietzsche, Versuch einer"* ("نيتشة. خبرة علم الأسطورة") ظهرت أول طبعة له في عام ١٩١٨ في برلين. وقد توالى طبعه لا أقل من عشر مـرات حتى الآن.

٤٣ أصيبت م. ف. يودينا في التاسع عشر من يونيو ١٩٦٩ في حـادث سيارة، وقد أضيرت أصابع يدها اليمنى بشدة مـن جـراء الحـادث فتوقفت عن العزف في الحفلات، على الرغم من أنها كانـت تقـوم أحيانًا بالعزف في بعض الأمسيات.

٤٤ بوليسلاف ليوبولدوڤيتش ياڤروسكي (١٨٧٧ – ١٩٤٢)– عالم فـي الدراسات الموسيقية. تعرفت عليه م. ف. يودينا، وفـي الثلاثينيـات كانت تقدم فقرات موسيقية توضيحية أثناء قراءته لمحاضرات تاريخ الأساليب الموسيقية في كونسرڤـاتوار موسكو. وقد سجلت صـفحات بديعة عنه في مذكراتها نُشرت فـي منتخـب "ماريا ڤينيا مينوڤنا

يودينا. مقالات. مذكرات . مواد" (موسكو، ١٩٧٨) وفي كتاب "ب. ياڤورسكي. مقالات. مذكرات. مراسلات" (الطبعة الثانية. موسكو،١٩٧٢). انظر أيضًا كتاب: ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ١٨٧ – ١٩٦.

٤٥ كانت المساعدات التي قدمها باختين إلى م. ف. يودينا مساعدات غاية في الأهمية، وذلك في الخمسينيات والستينيات. ويمكن متابعة ذلك في المراسلات التي جرت بين م. ف. يودينا وم. م. باختين (انظر: الحوار. الكرنڤال. الكرونوتوب. ١٩٩٣. العدد ٤، الناشر أ. م. كوزنيتسوف؛ ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ٣٤٩ – ٤١٩)، انظر كذلك خطابات بوريس ڤلاديميروڤيتش زاليسكي (١٨٨٨-١٩٦٦) المحفوظة في أرشيف م. ف. يودينا، التي تقول عنه "كان عالمًا وإنسانًا رائعًا وأحد أكثر أصدقاء م. م. باختين إخلاصًا". وقد استمر ب. ڤ. زاليسكي لسنوات طويلة يقرض م.ف. يودينا بسخاء.

٤٦ طوال نهاية العشرينيات والثلاثينيات (وحتى في بعض السنوات الأخرى ومنها سنوات حكم بريچينيڤ) ظلت م. ف. يودينا تسعى للتوسط من أجل أشخاص كثيرين. وبعد اعتقال م. م. باختين وس. إ. كاجان سعت يودينا لتخفيف الحكم الصادر عليهما (خمس سنوات في معتقل سولوڤسكي)، وقد نجحت مساعيها بفضل ي. ب. بيشكوف، الذي كان يترأس آنذاك الصليب الأحمر السياسي. وقد تم استبدال الحكم بقرار من لجنة أمن الدولة أو (جي. بي. أو) في الثالث

والعشرين من فبراير ١٩٣٠ ليصبح النفي إلى كازخستان (انظر في هذا الشأن: كاجان س. هل نملك الحق في العفو عن النظام // صحيفة ليتيراتورنايا جازيتا ("الصحيفة الأدبية")، ١٩٩١، ٢٦ يونيو).

٤٧ إيڤان إيڤانوڤيتش سوليرتينسكي (١٩٠٢-١٩٤٤) - عالم موسيقى ومسرح، وُلد في ڤيتيبسك، ربطته صداقة بـ م. م. باختين. دعا إلى الموسيقى الحديثة. له بحوث عن مالر (انظر: سوليرتينسكي إ. جوستاف مالر. ل، ١٩٣٢) تمثل جزءًا من الرصيد الذهبي للدراسات التي كتبت عن مالر. كانت م. ف. يودينا تقدر موهبته كعالم تقديرًا رفيعًا، ولكنها كانت بعيدة عنه روحيًا (انظر عن مالر: ميخاييڤا ل. إ. إ. سوليرتينسكي. لينتجراد، ١٩٨٨).

٤٨ في شبقة م.ف. يودينا القائمة في شارع بيحوڤايا، المنزل رقم ١ أ، في المبنى رقم ٥، شقة رقم ٤/ ب، قرأ ب. ل. باسترناك ترجمة الجزء الأول من "فاوست" لجوته وذلك في ربيع ١٩٤٩. وهناك دليل نادر حول هذه الأمسية يتمثل في خطاب م. ف. يودينا إلى ب. ل. باسترناك المؤرخ ٢٣ يونيو ١٩٤٩ (انظر: "الروح العالية الراسخة". مراسلات بوريس باسترناك وماريا يودينا. منشورات أ.م. كوزنيتسوف // مجلة نوڤى مير ("العالم الجديد")، ١٩٩٠ـ العدد ٢. ص ١٧٨ - ١٧٩؛ وكذلك ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ٣١٢-٣٤٨).

٤٩ المقصود بداهة هنا هو ديمتري إيسيدوروڤيتش ميتروخين (١٨٨٣-١٩٧٣). وقد ورد ذكره على لسان م. م. باختين باعتباره من كتب

التعليق المؤرخ الحادي عشر ١٩٧٣ في المحاورة التي جرت معه حول ماريا يودينا في شقته في شارع كراسنوأرمييسكايا. وقد جرى الحديث عن يودينا بعد أن قرأ يوليان سيرجييڤيتش سيليو، الذي حضر اللقاء، ذكرياته التي كتبها لتوه عن يودينا، بناء على طلب من ميخائيل ميخايلوڤيتش. انظر: ماريا يودينا. شعاع الحب الإلهي. ص ٦٥٨ – ٦٩٥.

٥٠ باڤل نيكولايڤيتش شولتز. أكبر علماء الآثار السوڤيت، عمل بالتنقيب عن الآثار الإسكيثوية في نيابول بالقرم، كانت تربطه صداقة بماريا يودينا.

٥١ زينايدا نيكولايڤنا باسترناك (الكنية قبل الزواج يرمييڤا، نيجاوز بعد زواجها الأول؛ ١٨٩٧ – ١٩٦٦) – عازفة بيانو، تلميذة عازف البيانو الشهير ج. ج. نيجاوز.

٥٢ زلة لسان من دوڤاكين: قصيدة "سجين شيلون" لچوكوڤسكي – ترجمة من بايرون.

٥٣ وقع م. م. باختين في بعض الأخطاء أثناء قراءته لأشعار أ. أ. فت مثلما فعل مع غيره من الشعراء، وهي موجودة في النص المطبوع. لم نُشر إلى هذه الأخطاء في التعليقات وفي الجزء الختامي من المحاورة السادسة التي تتضمن على وجه الخصوص هذه النصوص الشعرية، وإنما قدمنا هذه النصوص ذاتها.

٥٤ الشطر الأول من قصيدة جوميليوف "الذاكرة" (١٩٢١) (انظر: جوميليوف ن. قصائد وأشعار. لينينجراد، ١٩٨٨. ص ٣٠٩).

٥٥ سلسلة أشعار فيتشيسلاف إيـڤـانوف (١٩٠٥) (انظر: إيـڤـانوف ف. الأعمال الكاملة. الجزء الثانى، ١٩٧٤. ص ٢٧١-٢٧٦). يتحـدث باختين تفصيلا عن هذه الأعمال في محاضـرته عـن فيتشيـسلاڤ إيـڤـانوف: جماليات الإبداع الأدبي. ص ٤٠١ - ٤٠٢.

٥٦ عن هذا البحر (الشعري) انظر: جاسباروف م. ل. مقالات في تاريخ الشعر الأوروبي. موسكو، ١٩٨٩. ص ١٦٤ - ١٦٦.

٥٧ قصيدة ر. م. ريلكه (١٨٩٧) من ديوانه ***"Mir zur Feier"*** (١٩٠٠). يقول ريلكه في الشطر الثاني ***"haben in der zeit"***. نتوجه بالـشكر لقيام أ. ڤ. ميخايلوف ج. إ. راتجواز، وكذلك ن. ن. كانيـشيـڤ بالتعرف سماعًا على هذه القصيدة وعلى مـوافقتهم الكريمـة علـى الترجمة الحرفية لها إلى اللغة الروسية:

(يا له من سأم! أن يعيش المرء وسط موجات المحيط الهادرة.
لا وطن له في الزمان.
ليست لديه الرغبة سوى:
في التحدث كل يوم، كل ساعة، مع الخلود -
عندئذ فقط تتحقق الحياة
وما دامت أكثر الساعات وحدة بين كل الساعات،
لم تجزع منذ الأمس
تلك الساعة التي تبتسم
على نحو يختلف عن أخواتها الأخريات)
فلسوف تصمت عندما تواجه الخلود.

* * *

أعيش مهمومًا، وسط موجات المحيط
لا أجد سبيلا للوطن.
وفي كل يوم، وفي كل ساعة تنتابني الرغبة
أن أدير حديثًا هادئًا مع الخلود.
هكذا أعيش، لكن ساعة مختلفة
هي الأكثر وحدة بين أخواتها
تأتي من الأمس، من الظلمة الدهماء
أنها وحدها التي ستأتي بالخلود إليّ.
نقدم هنا أيضًا الترجمة الجديدة التي قام بها ل. س. ساليامون:
هي العاصفة – الوجود،
مثل موجة في أوج مدها،
وأنا لا سبيل لي للوطن.
إنها الرغبة تتأرجح لديّ
أن أقيم حوارًا على مَهل مع الخلود
مع الحياة.
لكن الأمس المختبيء وأكثر الساعات وحدة،
يأتيان ليستقبلاني بابتسامة مختلفة.
إنه زمن جديد يجيبني بصمت أبدي
(ليونيد ساليامون. الأرق. موسكو، ١٩٩٧. ص ٥٢).

٥٨ *La mart des amants* (مصارع العشاق) // بودلير. أزهار الشر. باريس، ١٩٥٩.

٥٩ استشهاد غير دقيق لمخطوطة قصيدة أ. س. بوشكين "الذكرى" (١٨٢٨).

تسجيل زمنى

لحياة ميخائيل ميخايلوفيتش باختين وأعماله(*)

التواريخ الأساسية

١٨٩٥. ٤ نوفمبر (بالتقويم القديم)

وُلد ميخائيل، الابن الثاني، في أسرة موظف البنك ميخائيل نيكولايڤيتش باختين وزوجته ڤارڤارا زاخاروڤنا (وكنيتها قبل الزواج أوڤيتشكينا) في مدينة أورل. وللأسرة ستة أبناء – الأخ الأكبر نيكولاي (١٨٩٤ – ١٩٥٠)، ميخائيل، ماريا، يكاترينا، ناتاليا، نينا، وهي ابنة بالتبني.

١٩٠٥

انتقلت الأسرة إلى ڤيلنو، حيث التحق ميخائيل بثانوية ڤيلنو الأولى.

١٩١١

تنتقل الأسرة، باستثناء نيكولاى، إلي أوديسا.

١٩١٣ـ ١٩١٦

يبدأ ميخائيل فى الاستماع إلى المحاضرات والدروس في كلية التاريخ والآداب بجامعة نوڤوروسيسك (جامعة أوديسا حاليًا).

(*) إعداد س.ج. بوتشاروف، ڤ. إ. لابتون، ت. ج. يورتشينكو.

١٩١٦

الانتقال إلى بتروجراد. الدراسة بها – حتى عام ١٩١٨ (باعتباره طالبًا أو، ربما، منتسبًا) – في أقسام الأدب الكلاسيكي والفلسفة بجامعة بتروجراد. لا يرد اسم م. م. باختين (فيما بعد م. م. ب – الناشر) في عداد الطلاب سواء في وثائق جامعة نوفوروسيسك، أو في جامعة بتروجراد.

الاشتراك في حلقة "أومفالوس" بصحبة أخيه نيكولاي، م. إ. لوباتسو، ل. ڤ. بومبيانسكي، والآخرين ن. إ. و س. إ. رادلوڤ.

يبدأ م. م. ب في زيارة جمعية بطرسبورج الفلسفية الدينية، التي أدخله إليها أ. ڤ. كارتاشيڤ، وتعرف فيها على أ. أ. ماير.

بداية صيف ١٩١٨

الانتقال من بتروجراد إلى مقاطعة نيڤيل، محافظة ڤيتيبسك (حاليًا محافظة بسكوڤ). العمل بالتدريس (التاريخ وعلم الاجتماع واللغة الروسية) بمدرسة نيڤيل الصناعية المشتركة من الدرجة الثانية.

١٩١٨-١٩١٩

تجمع أعضاء حلقة نيڤيل الفلسفية مع عضو الحلقة البارز م. م. باختين وكذلك بالأصدقاء من رفاق الفكر – ل. ڤ. بومبيانسكي، م. إ. كاجان، م. ڤ. يودينا، ڤ. ن. ڤولوشينوف، ب. م. زوبكين. كان صيف عام ١٩١٩ هو ذروة نشاط الحلقة. تشكل مدرسة نيڤيل للفلاسفة.

١٣ سبتمبر ١٩١٩

أول عمل ينشر في الصحافة – مقال "الفن والمسئولية" في العدد الوحيد الصادر في نيـڤـيل من صحيفة "دِن إيسكوستـڤـا" ("يوم الفن").

١٩١٨-١٩٢٠

النشاط الاجتماعي الشفاهي الواسع تمثل في إلقاء البحوث والمحاضرات والمشاركة في اللقاءات الجماهيرية في موضوعات: "الإله والاشتراكية"، "الفن والاشتراكية"، "المسيحية والنقد"، "معنى الحياة"، "معنى الحب" وغيرها. البحوث والمحاضرات عن نيتشه والمسيحية، عن فلسفة ليوناردو، عن تشيخوف، "عن الفن"، "الطابع القومي الروسي في الأدب والفلسفة" وغيرها. إدارة إخراج تراجيديا سوفوكليس "أوديب في كولون" بالاشتراك مع ل. بومبيانسكي، فى ساحة مكشوفة. سلسلة محاضرات في تاريخ الأدب للعاملين فى مجال الفن، إدارة دورات عامة في الدراسات الفنية والأدبية. م.م. ب رئيسًا لجمعية نيـڤـيل العلمية.

أغسطس ١٩٢٠

لقاءان مع فيتشيسلاف إيـڤـانوف في مصحة موسكو لأصحاب المهن الفكرية.

خريف ١٩٢٠

الانتقال من نيـڤـيل إلى ڤـيتيبسك. العمل في معهد التربية وكونسرڤاتوار ڤـيتيبسك الشعبي، ثم في معهد الموسيقى (تدريس علم الأدب

العام وعلم الجمال وفلسفة الموسيقى). التئام حلقة جديدة حول م. م. ب: يشترك في هذه الحلقة، بالإضافة إلى بومبيانسكي وڤولوشينوف، ب. ن. ميدڤيديف، عالم الموسيقى إ. إ. سوليرتينسكي.

١٩٢٠-١٩٢١

مواصلة النشاط الشفاهي الجماهيري الذي بدأ في نيڤيل. المحاضرات: "اللحظة الأخلاقية في الثقافة"، "عن الكلمة"، "الشعر الروسي الجديد"، "شعر فيتشيسلاف إيڤانوف"، "فلسفة نيتشه"، "الفكرة الأخلاقية عند تولستوي"، "النزعة الرمزية في الأدب الروسي الجديد"، عن الأدب في العصور الوسطى، الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر، سلسلة محاضرات عن الفلسفة الحديثة وعلم الجمال. بحث عن بلوك ألقاه في أمسية أقيمت لصالح الشاعر في الأيام الأخيرة من حياته، إلى جانب قراءته لمحاضرة قصيرة عن قصيدة "حديقة البلبل" وختام لقصيدة "القصاص".

فبراير ١٩٢١

اشتداد حدة المرض (التهاب العظام المزمن – التهاب نخاع العظام) والإقامة في المستشفى.

١٦ يوليو ١٩٢١

الزواج من يلينا ألكسندروڤنا أوكولوڤيتش. الصيف والخريف – استجمام في إحدى القرى بالقرب من بولوتسك.

١٩٢١-١٩٢٢

اللقاء في ڤيتيبسك بكازيمير ماليڤيتش.

١٩٢٠-١٩٢٤

العمل فى كتابة مؤلفاته الفلسفية المبكرة "نحو فلسفة الفعل" و"الكاتب والبطل في النشاط الإبداعي" (لم ينته من إنجاز العملين، وقد نشرا للمرة الأولى في الطبعتين اللتين ظهرتا بعد وفاته في عام ١٩٨٦ و١٩٧٩)، كما عمل أيضًا في كتابة "الذات الأخلاقية والذات القانونية" وهو العمل الذي لم يصل إلينا، وفي التحرير المبكر لكتابه عن دستويفسكي (خبر منشور في مجلة "حياة الفن" الصادرة في بتروجراد في ٢٢ – ٢٨ أغسطس ١٩٢٢).

مايو ١٩٢٤

العودة بصحبة ى. أ. باختينا إلى بتروجراد (بعد أن تغير اسمها إلى لينينجراد).

١٩٢٤

صدور العمل المسمى "مدخل إلى قضايا منهج علم جمال الابداع الأدبي. مشكلة الشكل والمضمون والمادة في الإبداع الأدبي الفني". كتبت المقالة لمجلة "المعاصر الروسي"، التي توقفت عن الصدور عند العدد الرابع في العام نفسه، ومن ثم لم تُنشر وقد نشرت بعد ذلك للمرة الأولى في عام ١٩٧٥، في مجلة "قضايا الأدب وعلم الجمال" التي صدرت بعد وفاته.

١٩٢٤-١٩٢٥

عقد اجتماعات فلسفية مع مناقشة القضايا الفلسفية الدينية بالدرجة الأولى في نطاق منزلي محدود، قاصر على المشاركين من مدرسة

نيـــــفـــــيل: م. م. ب، ل. ف. بومبيانـــسكي، م. ف. يودينـــا، ف.ن. فـولوشينوف، ب. ن. ميدفـيديـف، بمشاركة المستشرق م. إ. توبيانسكي من لينينجراد، وكذلك عالم الأحياء إ. إ. كانايــف والشاعر ق. ق. ڤاجينوف. م. م. ب يقرأ سلسلة من المحاضرات: "البطل والكاتب في الإبـداع الفنـــي" ومحاضرة عن فلسفة كانط. وبحث بعنوان "مشكلة الموت مُدعمة بـــالحجج" (وجميعها عُرفت بفضل تسجيلات ل. بومبيانسكي).

١٩٢٤-١٩٢٨

إلقاء العديد من البحوث وتنظيم دورات محاضرات تتناول موضوعات فلسفية وأدبية في حلقات منزلية، كانت الدافع وراء اعتقالـــه. تنظـيم دورة منزلية في تاريخ الأدب الروسي (معروفة فـــي تـــسجيلات د. م. ميركينـــا، نُشرت في عام ٢٠٠٠).

١٩٢٤-١٩٣٠

تم نشر ثلاثة كتب ("الفرويدية"، ١٩٢٧؛ "المنهج الشكلاني في الدراسات الأدبية"، ١٩٢٨؛ "الماركسية وفلسفة اللغة"، ١٩٢٩) إلى جانب سلسلة مقالات تتناول اللسانيات الفلسفية، علم النفس الاجتماعي ومنهجية الدراسات الأدبية ظهرت بأسماء أصدقاء م.م.ب: ف. ن. ڤولوشينوف، ب. ن. ميدڤيديف وإ. إ. كانايف؛ وقد شارك م. م. ب في كتابة هذه الأعمال، ولا تزال درجةُ وشكل مشاركته مثارًا للجدل حتى الآن.

٢٤ ديسمبر ١٩٢٨

الاعتقال في قضية المشاركة في النشاط الديني الفلسفي لحلقة "الأحد"، التي كان يرأسها أ. أ. ماير. نصّ قرار الاتهام في القضية المذكورة على مشاركة م. م. ب. في الحلقة مشاركة غير مباشرة فقط، كما جاء فيه أن بحوث المذكور "كانت مفعمة بروح مناهضة للاتحاد السوفيتي". وفي الاستجوابات التي تمت في البيت اللينينجرادي؛ حيث صدر القرار التمهيدي، أبدى المحققون اهتمامًا بأداء م. م. ب. فى الحلقات المنزلية. جاء الاتهام بناء على المواد ٥٨ – ١١ من القانون الجنائي لجمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية (المشاركة في تنظيم مناهض للاتحاد السوفيتي).

٥ يناير ١٩٢٩

إطلاق سراحه لأسباب مرضية مع الإقامة الجبرية في منزله لحين موعد المحاكمة مع التوقيع على تعهد بعدم السفر.

أبريل ١٩٢٩

العمل في كتابة مقدمة رواية ل. تولستوي "البعث".

بداية يونيو ١٩٢٩

"مشكلات إبداع دستويفسكي"، الكتاب الأول من تأليف م. م. ب، يصدر عن دار نشر "بريبوي" في لينينجراد.

من ١٧ يوليو وحتى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٩

الإقامة للاستشفاء في كل من مستشفى أوريتسكي وإريسمان في لينينجراد. أحيل إلى المعاش لعجز من الدرجة الثانية.

٢٢ يوليو ١٩٢٩

الحكم: قرار لجنة أمن الدولة (أو. جي. بي. أو)، الذي حُكم على م. م. بن بموجبه بخمس سنوات يقضيها في معسكرات العمل الإصلاحي في سولوفكي.

٨ أكتوبر ١٩٢٩

خطاب ي. ب. بيشكوفا إلى ي. أ. باختينا يفيد إصدار منظمة "مساعدة المعتقلين السياسيين" شهادة طبية عن الحالة الصحية لـ م. م. ب.

١٩٢٩

صدور الجزء الثاني (الأعمال المسرحية) والجزء الثالث عشر ("البعث") من الأعمال الكاملة لليف نيكولايفيتش تولستوي بمقدمات كتبها م. م. ب.

٢٣ فبراير ١٩٣٠

قرار لجنة أمن الدولة (أو. جي. بى. أو) بنفي م. م. ب إلى مدينة كوستاناي (جمهورية كازخستان الاشتراكية السوفيتية) حتى نهاية مدة العقوبة، بدلا من الحبس في معسكرات العمل الإصلاحي.

٢٩ مارس ١٩٣٠

م. م. ب و ي. أ. باختينا يغادران لينتجراد إلى المنفى في كوستاناي.

١٩٣٠-١٩٣٦

العمل فى وضع المؤلَّف الكبير "الكلمة في الرواية" (نشر للمرة الأولى كاملا في عام ١٩٧٥، بعد وفاة الكاتب، في مجلة ("قضايا الأدب وعلم الجمال").

٢٣ أبريل ١٩٣١

قبول م. م. ب للعمل محاسبًا في إدارة تموين منطقة كوستاناي.

مارس ١٩٣٤

صدور مقالة "خبرة دراسة الطلب من جانب مزارعي الكولخـوزات" في مجلة "التجارة السوفـيتية"، ١٩٣٤، العدد ٣.

يوليو ١٩٣٤

انقضاء سنوات المنفى الخمس، وبقاء باختين وزوجه، مع ذلـك، فـي كوستاناي لمدة عامين آخرين.

صيف ١٩٣٦

السفر أثناء فترة الإجازة إلى لينينجراد وموسكو واللقاء مع الأصدقاء – م. إ. كاجان، ب. ن. ميدفـيديـف، م. ف. يودينـا، ب. ف. زاليـسكي وغيرهم.

٩ سبتمبر ١٩٣٦

يتلقى م. م. ب دعوة للعمل مدرسًا للأدب ومناهج تدريس الأدب بقسم الأدب بمعهد موردوفسكي للتربية في سارانسك، بناء على توصية مـن ب. ن. ميدفـيديـف.

٢٦ سبتمبر ١٩٣٦

م. م. ب يستقيل من إدارة تموين كوستاناي ليسافر هو وزوجه يلينـا ألكسندروفـنا إلى سارانسك.

العمل في تأليف كتاب "رواية التربية ومغزاها في تاريخ الواقعية". فقدان النسخة المكتوبة على الآلة الكاتبة، والتي سُلِمَت قبل نشوب الحرب إلى دار نشر "سوفيتسكي بيساتل" ("الكاتب السوفيتي") في موسكو، في هذه الدار إبان الحرب.

١٠ مارس ١٩٣٧

تقديم طلب إلى أ. ف. أنطونوف، مدير المعهد التربوي في سارانسك للاستقالة من وظيفته نظرًا لتفاقم حالته الصحية. قبل ذلك كان م. م. ب مشغولا على ما يبدو في دوامة أحداث ١٩٣٧ في المعهد. وقد تم إدانة مدير المعهد في الاجتماعات الحزبية بسبب دعوة م. م. ب، الشخص الذي "قضى لتوه خمس سنوات في المنفى لمعاداته للعمل الثوري".

٥ يونيو ١٩٣٧

تم إبعاده بأمر من المعهد اعتبارًا من الثالث من يونيو "للسماح له بتدريس الأدب العام الوضعي البورجوازي، على الرغم من التوجيهات والتحذيرات التي وُجهت إليه مرارًا".

١ يوليو ١٩٣٧

المدير الجديد للمعهد، ب. د. بريمين يصدر أمرًا بإلغاء القرار الصادر في الخامس من يونيو. بناء على القرار الجديد تقبل استقالة م. م. ب من العمل بموجب الطلب الذي قدمه بناء على رغبته. العودة بصحبة ي. أ. باختينا إلى موسكو.

١٤ أغسطس

الرحلة الأخيرة إلى كوستاناي.

خريف ١٩٣٧

باختين وزوجه في موسكو. يعيشان لدى أخت م. م. ب ناتاليا وزوجها ب. ت. بيرفيلييف.

شتاء ١٩٣٧ - ١٩٣٨

باختين وزوجه يقيمان في ساڤيلوڤ، وفي محطة ياروسلاڤسكايا (محافظة كالينينسكايا)؛ حيث عاشا، وكانا يزوران موسكو أحيانًا، حتى سبتمبر ١٩٤٥.

١٧ فبراير ١٩٣٨

بتر الساق اليمنى في مستشفى ساڤيلوڤ.

١٩٣٨-١٩٤٠

العمل في تأليف كتاب "فرانسوا رابليه في تاريخ الواقعية". انتهى م.م. ب من كتابة المخطوطة على الآلة الكاتبة في نهاية عام ١٩٤٠.

١٤ أكتوبر ١٩٤٠

يلقي بحثًا عن "الكلمة في الرواية" في معهد موسكو للأدب العالمي، في قسم نظرية الأدب (ينشر في الطبعة الأخيرة من مجلة "قضايا الأدب وعلم الجمال" بعد أن وضع له المؤلف اسم "من إرهاصات الكلمة الروائية").

أكتوبر – ديسمبر ١٩٤٠

كتابة مقالة "الهجاء" بطلب من هيئة تحرير الموسوعة الأدبية للجزء العاشر. لم تظهر مقالة م. م. ب لعدم ظهور الجزء ذاته، لكنها نشرت بعد ذلك في الجزء الخامس من الأعمال الكاملة لميخائيل ميخايلوفيتش باختين.

نهاية الثلاثينيات – مطلع الأربعينيات

مقالة "مدخل إلى الأسس الفلسفية للعلوم الإنسانية". نشرت في عام ١٩٩٦ في الجزء الخامس من الأعمال الكاملة.

٢٤ مارس ١٩٤١

محاضرة في معهد الأدب العالمي بعنوان "الرواية باعتبارها نوعًا أدبيًا". نُشرت في عام ١٩٧٠ بعنوان "الملحمة والرواية".

خريف ١٩٤١

العمل في إحدى المدارس الثانوية في قرية إيلينيسكوي بمنطقة كيميرسكي، محافظة كالينينسكي.

١٥ ديسمبر ١٩٤١

يُقبل للعمل مدرسًا للغة الروسية والأدب واللغة الألمانية في المدرسة الثانوية رقم ٣٩ في محطة ياروسلافسكايا بمدينة كيمري.

١٨ يناير ١٩٤٢

يعمل مدرسًا في المدرسة الثانوية رقم ١٤ بمدينة كيمري.

يونيو ١٩٤٤

مقالة "إضافة وتنقيح لرابليه". نشرت في عام ١٩٩٢. وتعود النصوص التالية أيضًا إلى الفترة التي قضاها في ساڤيلوف: "حكاية حملة إيجوريف" في تاريخ الملحمة"، "مدخل إلى نظرية الرواية"، "مدخل إلى نظرية الفكاهة"، "البلاغة، في أكثر صورها كذبًا..."، "الإنسان أمام المرآة:"، "مدخل إلى الوعي الذاتي والتقدير الذاتي"، "عن فلوبير"، "قضايا الأسلوبية في دروس اللغة الروسية في المدرسة الثانوية" – نشرت جميعها في الجزء الخامس من الأعمال الكاملة.

١٨ أغسطس ١٩٤٥

صدور أمر من قوميسارية التعليم الشعبي (وزارة التعليم – المترجم) لجمهورية روسيا الاتحادية الإشتراكية بتعيين م. م. باختين أستاذًا مساعدًا للأدب العام بمعهد موردوڤسكي التربوي ونقله من المدرسة الثانوية رقم ١٤ في كيمري.

سبتمبر ١٩٤٥

الانتقال إلى سارانسك للعمل في معهد موردوڤسكي التربوي، بتعيين م. م. باختين رئيسًا لقسم الأدب العام.

أول أكتوبر ١٩٤٥

صدور أمر م. ى. يولداشيف، مدير معهد موردوڤسكي التربوي، بتعيين م. م. باختين رئيسًا لقسم الأدب العام.

١٥ نوفمبر ١٩٤٦

ميخائيل باختين يناقش رسالة الدكتوراه في معهد الأدب العالمي (موسكو) وموضوعها "رابليه في تاريخ الأدب". والمجلس العلمي لمعهد الأدب العالمي يتقدم بطلب ندب المناقشين: أ. أ. سميرنوف، إ. م. نوسينوف، أ. ك. دجيفيليجوف لمنح المُناقش الدرجة العلمية – الدكتوراه في فقه اللغة والأدب. وتبعًا لنتيجة التصويت، الذي أجرته اللجنة العلمية مرتين أُرسل إلى اللجنة العليا لإصدار الشهادات ***(VAK)*** بطلب لمنحه درجة الدكتوراه.

٢٠ نوفمبر ١٩٤٧

صدور مقالة ف. نيكولايف "التغلب على التراجع في دراسة المشكلات المهمة في علم الأدب" في صحيفة "كولتورا إى چيزن" "الثقافة والحياة"، وهي المقالة التي انتقدت عمل معهد الأدب العالمي ووجهت نقدًا حادًا لرسالة م. م. باختين: "في نوفمبر ١٩٤٦ منح المجلس العلمي درجة الدكتوراه لرسالة باختين "رابليه في تاريخ الواقعية" المزيفة علميًا والتي انتهجت المنهج الفرويدي. وقد تناول "العمل" على نحو جاد تلك "المشكلات"، مثل "النموذج الجروتيسكي للجسد" ونماذج "الدناءة المادية للجسد" في العمل الذي كتبه "رابليه" ... إلخ.

ربيع ١٩٤٩

م. م. ب يحضر قراءة ب. باسترناك لترجمة الجزء الأول من "فاوست" لجوته في شقة م. ف. يودينا.

٢١ مايو ١٩٤٩

تقترح اللجنة العليا لإصدار الشهادات في اجتماعها على م. م. باختين إدخال تعديلات على رسالته وتقديمها لإعادة النظر فيها من قبل اللجنة.

١٩ أبريل ١٩٥٠

يُقدم م. م. ب رسالته إلى اللجنة العليا لإصدار الشهادات بعد إدخال التعديلات عليها.

٩ يونيو ١٩٥١

بناء على الرأي السلبي الذي قدمه البروفيسور ر. م. سامارين، قررت اللجنة العليا لإصدار الشهادات "رفض طلب اعتماد درجة دكتوراه العلوم في فقه اللغة والأدب، بسبب كون العمل الذي تقدم به م. م. باختين للمناقشة لا يرقى إلى الموصفات الموضوعة للرسائل التي تقدم للحصول على درجة دكتوراه العلوم".

٢ يونيو ١٩٥٢

يتسلم م. م. ب شهادة الدكتوراه في فقه اللغة والأدب.

يونيو ١٩٥٢

م.م. ب يلقى محاضرة عن "الأنشودة الشعرية" على طلبة م. ف. يودينا في موسكو في معهد آل جنيسين.

١٩٥٣

الانتهاء من البحث المعنون "مشكلة أنواع الخطاب". نُشر في عام ١٩٧٩ في كتاب "علم جمال الإبداع الأدبي"، ثم ظهر مزيدًا في الجزء الخامس من الأعمال الكاملة.

مارس ١٩٥٨

م. م. ب يرأس قسم الأدب الروسي والعالمي بكلية التاريخ والأدب بجامعة موردوفسكي الحكومية في سارانسك، التي حلت في عام ١٩٥٧ محل المعهد التربوي.

١٩٥٩-١٩٦٠

"مشكلة النص". نُشر في ١٩٧٦.

نوفمبر ١٩٦٠

م. م. ب يتسلم خطابًا موقعًا من طلاب كلية الآداب الشباب في موسكو: ف. ف. كوجيسنوف، س. ج. بونتشاروف، ج. د. جانتشيف، ب. ف. باليفسكي و ف. د. سكفوزنيكوف.

فبراير ١٩٦١

يتلقى خطابًا من ڤيتوريو ستراد الموظف بدار نشر أينودين الإيطالية في تورينو والمعيد بكلية الآداب بجامعة موسكو الحكومية يقترح عليه فيه تنقيح كتاب "مشكلات إبداع دستويفسكي" (١٩٢٩) لنشره باللغة الإيطالية. وقد رد م. م. ب على الخطاب بالإيجاب وسارع على الفور في العمل على تنقيح الكتاب.

العشر الأواخر من يونيو ١٩٦١

وصول ف. ف. كوچينوف، س. ج. بونتشاروف وج. د. جانتشيف إلى م. م. ب في سارانسك.

الأول من أغسطس ١٩٦١

يحال إلى التقاعد.

١٩٦١-١٩٦٢

يقوم بتنقيح كتابه عن دستويڤسكي في البداية لدار النشر الإيطالية ثم لدار النشر الروسية "سوڤيتسكي بيسائل" بعد ذلك. نشرت المواد التمهيدية الغزيرة التي استخدمت في التنقيح في الجزء الخامس من الأعمال الكاملة.

مارس ١٩٦٢

يتلقى اقتراحًا رسميًا من دار نشر "سوڤيتسكي بيسائل" بشأن إعادة نشر كتابه عن دستويڤسكي في صورته النهائية.

١٨ يونيو ١٩٦٢

توقيع الاتفاق مع دار نشر "سوڤيتسكي بيسائل" بشأن إعادة نشر كتابه عن دستويڤسكي.

نوفمبر ١٩٦٢

وصول ڤ. ن توربين إلى م. م. ب في سارانسك.

أغسطس ١٩٦٣

الاستجمام في بيت الابداع في ماليڤكا.

سبتمبر ١٩٦٣

صدور كتابه عن دستويڤسكي منقحًا ومزيدًا بعد تعديل عنوانه ليصبح "مشكلات الإبداع الفني عند دستويڤسكي"(*).

(*) صدرت له ترجمة بالعربية تحت عنوان "قضايا الفن الإبداعي عند دستويـفسكى"، ترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتى، مراجعة الدكتورة حياة شرارة. الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٦. (المترجم)

١٩٦٥

صدور كتاب "إبداع فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية للعصرين الوسيط والنهضة" في دار نشر "خودوچستـڤينايا ليتيراتورا" في موسكو.

أغسطس ١٩٦٥

صدور مقالة "الكلمة في الرواية" (مجلة "قضايا الأدب"، العدد ٨).

فبراير ١٩٦٦

م. م. ب يجري حديثًا لصحيفة "سوڤيتسكايا موردوڤيا" يظهر تحت عنوان "هناك كتاب جديد"، عن عمله القادم في كتاب يتناول أنواع الخطاب.

١٩٦٧

صدور مقالة "من إرهاصات الكلمة في الرواية" في مجلة "الدراسات العلمية لجامعة موردوڤيا"، الإصدار ٦١.

٣٠ مايو ١٩٦٧

رئاســة محكمــة مدينة لينينجراد تصدر قرارها بإعادة الاعتبار إلى م. م. باختين.

١٩٦٧

صدور أول ترجمة لكتابه عن دستويڤسكي في بلجراد باللغة الصربية والكرواتية. ثم تصدر في السنوات التالية إبان حياته ترجمات بلغات أخرى للكتاب نفسه. بالإيطالية في تورينو واليابانية في طوكيو – ١٩٦٨؛ ثم ترجمتان بالفرنسية في باريس ولوزان، والبولندية والرومانية – ١٩٧٠؛ وبالألمانية في ميونيخ وبالتشيكية في براج – ١٩٧١؛ وطبعة أمريكية في آن هاربور – ١٩٧٣.

١٩٦٨

أول ترجمة إنجليزية لكتابه عن رابليه بالإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ تلتها ترجمتان إحداهما بالفرنسية في باريس – ١٩٧٠؛ والإسبانية في برشلونة – ١٩٧٤، ظهرت إبان حياته.

أكتوبر ١٩٦٩

يغادر باختين وزوجه سارانسك إلى موسكو إلى مصحة كونتسيڤسكي التابعة للكرملين؛ حيث قضيا شتاء ١٩٦٩/١٩٧٠.

يناير ١٩٧٠

ظهور مقالة "الملحمة والرواية" (مجلة "قضايا الأدب"، العدد ١).

مايو ١٩٧٠

الانتقال إلى بيت المسنين في مدينة كليموڤسك، بالقرب من مدينة بودولسك. (إقليم موسكو – المترجم).

٢٦ أغسطس ١٩٧٠

يلقي محاضرة عن دستويڤسكي في قاعة الاحتفالات في بيت المسنين أمام مدرسي منطقة بودولسك.

نوفمبر ١٩٧٠

يجيب على أسئلة مجلة "نوڤي مير" بشأن مشكلات الدراسات الأدبية المعاصرة (" نوڤي مير"، العدد ١١).

يلقى خطابًا في اتحاد كتاب الاتحاد السوڤيتى.

١٤ ديسمبر ١٩٧١

وفاة يلينا ألكسندروفــنا باختينا في مستشفى بودولسك.

٣٠ ديسمبر ١٩٧١

الانتقال إلى بيت إبداع الكُتَّاب في بيريديلكينو.

١٩٧٢

صدور الطبعة الثالثة من كتــاب "مــشكلات الإبــداع الفنــي عنــد دستويــڤسكي" في دار نشر "خودوچستــڤــينايا ليتيراتورا" في موسكو.

٣١ يوليو ١٩٧٢

يحصل على تصريح بالإقامة في مدينة موسكو والسكن في إحدى الشقق بمسكن بيت الكُتَّاب التعاوني (شارع كراسنوأرميسكايا، المنزل ٢١، الشقة ٤٢).

سبتمبر ١٩٧٢

ينتقل إلى شقته في موسكو.

فبراير – مارس ١٩٧٣

تسجيل محاورات م. ب. ب مع ڤ. د. دوڤاكين، الباحث العلمي في قسم المعلومات العلمية بجامعة موسكو. نشرت المحاورات في كتاب تحــت عنوان "محاورات ڤ. د. دوڤاكين مع م. م. باختين" عام ١٩٩٦.

١٩٧٣

صدور مقالة "فن الكلمة وثقافة الفكاهة الشعبية (رابليه وجوجول)" – مجلة كونتيكست – ١٩٧٢.

ظهور المنتخب اليوبيلى "مشكلات فن الإبداع وتاريخ الأدب" (سارانسك)، مكرس للذكرى الخامسة والسبعين لميلاده والخمسين لاشتغاله بالعمل العلمي التربوي. شارك في المنتخب بمقالاتهم أبرز علماء اللغة والأدب في البلاد.

١٩٧٣ – ١٩٧٤

يقوم على إعداد كتابه "قضايا الأدب وعلم الجمال" للنشر، مستخدمًا جزءًا كبيرًا من المواد الأولية من كتاب رواية التربية (١٩٣٦ – ١٩٣٨) الذي فقد، والتي استخدمها في بحثه المسمى "أشكال الزمن والكرونوتوب في الرواية".

١٩٧٤

صدور مقالة "الزمان والمكان في الرواية" (مجلة "قضايا الأدب"، العدد ٣).

ومقالة "مدخل إلى علم جمال الكلمة" (مجلة كونتيكست – ١٩٧٣).

٧ مارس ١٩٧٥

وفاة ميخائيل ميخايلوفيتش في موسكو في شقته.

٩ مارس ١٩٧٥

يُدفن في جبانة ڤيدينسكي (الألمانية) إلى جوار يلينا ألكسندروڤنا.

نوفمبر ١٩٧٥

صدور كتاب "قضايا الأدب وعلم الجمال" عن دار نشر "خودوچستڤينايا ليتيراتورا".

سبتمبر ١٩٧٩

صدور كتاب "علم جمال الإبداع الأدبي" عن دار نشر "إيسكوستڤو" ("الفن"). يتضمن الكتاب العمل الفلسفي المبكر لميخائيل باختين "الكاتب والبطل في النشاط الجمالي".

١٩٨٦

صدور بحث "نحو فلسفة الفعل" في الكتاب السنوي "فلسفة وعلم اجتماع العلم والتكنولوجيا" عن دار نشر "ناؤوكا" ("المعلم").

١٩٩٦

البدء في إصدار الأعمال العلمية الكاملة لميخائيل ميخايلوڤيتش باختين: وصدور الجزء الخامس ويضم أعمال الأربعينيات – ومطلع الستينيات؛ إصدار مواد كثيرة من أرشيف م. م. باختين.

٢٠٠٠

صدور الطبعة الثانية من الأعمال الكاملة – الأعمال التي كُتبت في العشرينيات عن الأدب الروسي: كتاب "مشكلات الإبداع الفني عند دستويڤسكي" (١٩٢٩)، مقالة عن ليف تولستوي (١٩٢٩)، المحاضرات الشفهية في تاريخ الأدب الروسي التي سجلتها ر. م. ميركينا.

المؤلف فى سطور

ميخائيل ميخايلوفيتش باختين (٥ نوفمبر ١٨٩٥ – ٧ مارس ١٩٧٥)

- فيلسوف روسي ومفكر ومُنظِّر للثقافة والفن الأوروبيين.
- باحث فى اللغة وأشكال السرد الملحمى ونوع الرواية الأوروبية.
- دارس فى المبادئ الفنية لرواية فرانسوا رابليه.
- قام بتطوير نظرية ثقافة الفكاهة الشعبية وإليه تعود المفاهيم الأدبية مثل البوليفونيا (تعدد الأصوات)، ثقافة الفكاهة، الكرونوتوب (الزمانية المكانية)، الكرنفالية والمينيبية.
- وضع عددًا من الأعمال فى اللسانيات والأسلوبية وأنواع الحديث.
- الرائد الفكري لحلقة الفلسفة العلمية التي عرفت باسم "حلقة باختين".

أعماله:

- نحو فلسفة الفعل.
- مشكلات الإبداع عند دستويفسكي.
- إبداع فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية فى العصرين الوسيط والنهضة.
- قضايا الأدب وعلم الجمال.
- علم جمال الإبداع الأدبي.

- مقالات في النقد الأدبي.
- تيترالوجيا (الرباعية) ميخائيل باختين، ڤيتالي ماخلين، ف. ڤولوشينوڤ، باڤل ميدفيديڤ.
- الملحمة والرواية.
- ميخائيل باختين في حوار مع ڤيكتور دوڤاكين.

المحاور

ڤيكتور ديمترييڤيتش دوڤاكين (١٣ مارس ١٩٠٩ – ٢١ يونيو ١٩٨٢)

- درس الترجمة بجامعة موسكو الأولى بكلية الآداب.
- عمل بالتدريس في معهد موسكو للفلسفة والأدب والتاريخ.
- مدرس الأدب الروسي والسوڤيتي ونظرية الأدب في القرن العشرين بجامعة موسكو.

المترجم فى سطور:

أنور محمد إبراهيم

- تخرج فى كلية الألسن قسم اللغة الروسية ١٩٧٠. وحصل على درجة الدكتوراه فى فقه اللغة والأدب من جامعة موسكو ١٩٨٣.
- رئيس قطاع العلاقات الثقافية الخارجية الأسبق بوزارة الثقافة.
- حصل على وسام الشرف من روسيا الاتحادية لجهوده فى دعم العلاقات الثقافية بين مصر وروسيا الاتحادية.

ترجم عن اللغة الروسية:

١- تطور الفكر الاجتماعى العربى من ١٩١٧ وحتى ١٩٤٧.

٢- العربية السعودية والغرب.

٣- تاريخ القرصنة فى العالم.

٤- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين (بالاشتراك).

٥- نماذج من النقد الروسى الحديث.

٦- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر.

٧- مسرح الفنان فى روسيا وألمانيا (جزآن).

٨- عمارة المسرح فى القرن العشرين.

٩- ذات يوم فى مصر (شهادات الخبراء العسكريين السوفيت).

١٠- الشرق والغرب صدام أم انسجام.

التصحيح اللغوى: رفيق الزهار
الإشراف الفني: حسن كامل

يضم هذا الكتاب بين دفتيه المحاورات التي دارت بين واحد من أبرز ممثلي الفكر الفلسفي في القرن العشرين - ميخائيل ميخايلوڤيتش باختين (1895 -1975) وبين عالِم اللغة والأدب ڤيكتور ديميترييڤتش دوڤاكين (1909 - 1980) الذى كرَّس السنوات الأخيرة من عمره في وضع مجموعة من الذكريات الشفهية لأبرز معاصريه من العلماء والأدباء والشعراء سجَّلها على جهاز تسجيل بدءًا من عام 1973. ويكتسب حديث ميخائيل باختين أهمية خاصة؛ حيث إنه لم يكتب مذكراته، فضلاً عن أنه يلقي بالضوء على كثير من الجوانب الغامضة في سيرة حياته وطريقه الإبداعي.

تصميم الغلاف: نيرڤانا